الفوز والنجاة

فى الهجرة إلى الله

والهنا . والغنى . لمن اصطفاه واجتباه

تأليف راجى الفضل الربانى

محمد السيد التجانى

غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه

آمين

يطلب من الناشر

مكتبة القاهرة

لصاحبها على يوسف سليمان

شارع الصنادقية - بميدان الأزهر بمصر

إهداء الكتاب

إلى كل مسلم وموحد أهديه كتابي هذا ليكون مرجعاً يعود إليه إذا أعوزته الحاجة ومرشداً إذا ادلهمت عليه أحكام الشريعة الغراء . وهادياً إذا ما قعد به عدم معرفة العقائد وأحكام الطهارة والصلاة وغيرهما من بقية العبادات البدنية . هذا غير وقوفه على معرفة الصفات المقدسة عز شأنها الواجبة لله والمستحيلة عليه والجائزة فى حقه سبحانه وتعالى وكذا فى حق رسله صلوات الله وسلامه عليهم وفى حق ملائكته وكتبه والدار الآخرة . الأمر الذى يتحتم معرفته على كل مكلف يقيناً قبل تأدية عبادته فإنه إذا كان المعبود مجهولا كانت العبـــادة التى تقدم إليه باطلة لأن من يعبد من لا يعرف فعمله غير مقبول بل مردود على فاعله . فالعمل بأحكام الشريعة المدونة فى هذا الكتاب بعد تصحيح العقيدة يكون منتجاً وفيه ثوابه وجزاؤه كما يكون فى اجتناب المنهيات وعدم العقاب واستحقاق الثواب .

وكلنا أيها الأخ المسلم الموحد فى شدة الحاجة للفوز والنجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى بعمل صالح وقلب سليم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) فوجودنا فى هذه الحياة فرصة للأعمال المرضية . وتجنب المنهية . فمن لم يعمل بهدى الشريعة كما رسمته فأمامه حساب — ومن نوقش الحساب عذب — فضلا عن العقاب المهلك المردى . فالقلوب وجلة من خشية الله عز وجل لئلا نكون قد قصرنا عن تأدية الواجبات للمعبود فنستحق منه البعد والطرد . أعاذنا الله من هذا .

وهذه سيرة الأنبياء والرسل والصالحين المدونة فى هذا الكتاب تنبئك عما كانوا عليه من الخوف والوجل من لقاء الله مع التقصير وعدم العمل . وما نالوا المراتب العلية إلا بالعمل على مرضاة الله عز شأنه . فاعمل يا أخى كى تسلم والله يهدينا وإياك إلى طريق السعادة . وأن يرزقنا بفضله الحسنى وزيادة إنه السميع المجيب ؟ آمين ..

المؤلف

محمد السيد التجانى



يا من لا تراه العيون . ولا تحده الأوهام والظنون . ولا تغيره الأيام والسنون . ولا يعلم كنه ذاته لا الأنبياء ولا المرسلون ولا الملائكة المقربون . يا صاحب القدرة القوية الشاملة . والصفات المقدسة الكاملة . يا قريباً فى بعدك . وبعيداً فى قربك . يا من عمت رحمته جميع مخلوقاته . ولولاها لهلكت كل مصنوعاته . يا من قضى أمر كل شىء قبل تكوين مكوناته . يا من السموات والأرض ومن فيهن تحت قهره وإشاراته . أحمدك اللهم الحمد الذى تستحقه من عبيدك . وأشكرك على هدايتك ومعونتك وحسن توفيقك . وأشهد انك الذى شرعت لنا الشرائع وبينت لنا الأحكام . وأشهد أن سيدنا محمداً صفوة الأنام . صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين . وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد — فقد كانت الغاية من وضع وتأليف كتابنا « الفوز والنجاة . فى الهجرة إلى الله » ما رأيناه من حاجة إلى مختصر مفيد يرجع إليه عند الحاجة لمعرفة حكم من أحكام الشريعة . وما أن انتهى طبعه لأول مرة حتى تناولته الأيدى بالعناية والطلب الحثيث . كما تلقته القلوب بالقبول لما حواه من نفائس وطرف غالية . فنفد كل ما طبع منه فى أيام واحتاج الأمر لسد الفراغ الذى أحدثه وجوده ونفاده . فقمنا بمعونة الله تعالى على تزويده بما يناسب كل موضوع فيه من الأحكام والحكم . فأصبح بفضل الله عز وجل بما حواه . . مقصد العاملين للفوز والنجاة فى الدار الآخرة . فمن رأى فيه خطأ أو سهواً غير مقصود فليصلحه بعد التحقق مما هو الصواب فى نفس الأمر . وليسبل ذيل الستر عليه فإن العصمة لله وحده .

وما أبرىء نفسى إننى بشر أسهو وأخطىء ما لم يحمنى قدر
ولا ترى عذراً أولى بذى زلل من أن يقول مقراً إننى بشر

وأول ما نراه واجباً على مريد الهجرة إلى الله عز وجل أن يرجع إليه بالتوبة الصادقة . وأن لا يخل بسنة من سنن الشريعة أو بأدب من آدابها . فإن جماع الخير كله فى متابعة الشريعة . فمن زعم أن سبيل الوصول إلى الله تعالى غير متابعة الشريعة فقد زل وضل . لأن الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من أقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته .

وقد طلب الله عز وجل من عباده التوبة فقال : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال تعالى : (يا أيها الذين ءامنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى

خالياً عن الشوائب . وقيل النصوح أن يندم على الذنب الذى أصاب فيعتذر إلى الله تعالى ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع .

ويدل على فضل التوبة قوله تعالى (إن الله يحب التوابين . ويحب المتطهرين) وقال تعالى . (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) وقال تعالى (غافر الذنب وقابل التوب) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » وقال صلى الله عليه وسلم « لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليه زاده وشرابه فالله تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » والفرح دليل على القبول . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل إلى النهار ولمسىء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » وبسط اليد كناية عن طلب التوبة . وقال صلى الله عليه وسلم « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم » وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة » قيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : يكون نصب عينيه تائباً منه حتى يدخل الجنة . وفى الحديث : إن الملك يرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة . وفى لفظ آخر فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه . ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشر وأرفع له تسع حسنات فتلقى عنه السيئة .

وفى بعض كتب الله المنزلة يقول الله عز وجل : « أنا مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا قلوبكم بسب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم » وفى بعض كتب الله المنزلة « إذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى » .

وقال عبد الله بن سلام : الا لا أحدثكم إلا عن نبى مرسل او كتاب منزل إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين .

وورد فى بعض التفاسير فى تفسير قوله تعالى : (إنه كان للأوابين غفوراً) ان الأواب هو الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب :

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكاً موكلا به لا يغلق .

ويروى ان حبشياً قال يا رسول الله إنى كنت اعمل الفواحش فهل لى من توبة ؟ قال نعم . فولى ثم رجع . فقال يا رسول الله أكان يرانى وانا اعملها ؟ قال نعم . فصاح الحبشى صيحة خرجت فيها روحه . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : من ذكر خطيئته ألم بها فوجل بها قلبه محيت عنه فى ام الكتاب .

والذى لابد للتائب منه ولا يكون محقاً صادقاً إلا به . الإقرار بالذنب . والاعتراف بالظلم . ومقت النفس على الهوى . وحل الإصرار الذى كان عقده على أعمال السيئات . ثم الندم على مافات من الجنايات. والندم توبة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ، أى هو معظم أركان التوبة لأنه متعلق بالقلب والجوارح تبع له فإذا ندم القلب انقطع عن المعاصى فرجعت برجوعه الجوارح .

قال بعض العارفين : من المحال أن يأتى مؤمن معصية توعد عليها فيفرغ منها إلا ويجد فى نفسه ندماً . وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : الندم توبة وقد قام به المؤمن فهو توبة تسقط حكم الوعيد بهذا الندم . فإنه لابد للمؤمن من كراهة المخالفة . فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم .

ومن رحمة الله عز وجل بأمة النبى صلى الله عليه وسلم أن جعل التوبة فيهم هى عقد القلب والعزم الصادق على أن لا يعود إلى المعاصى ولا إلى مانهى عنه بخلاف الأمم السالفة التى كلفها بالمشقات والمحن. كما فعل عز وجل ببنى إسرائيل حيث أمرهم بقتل نفوسهم فى التوبة بقوله تبارك وتعالى (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) ففعلوا ذلك حتى قتل منهم فى ساعة واحدة نحو سبعين ألفاً .

قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه : اجتمعت بشخص من أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام فى ديار قوم عاد فسلمت عليه فرد على السلام فرأيت عليه جبة صوف فيها طراوة . فقال لى : إن لها على من أيام المسيح . فتعجبت من ذلك . فقال : ياسهل : إن الأبدان لاتخلق الثياب إنما يخلقها رائحة الذنوب ومطاعم السحت . فقلت له : فكم لهذه الجبـــة عليك ؟ فقال : لها على سبعمائة سنة . فقلت له : هل اجتمعت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال نعم وآمنت به حين آمن به الجن الذى أوحى إليه فى حقهم (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) ومن هنا كان الخضر عليه السلام لايبلى له ثياب لأنه لا يعصى الله تعالى ولا يأكل حراماً . وكما لايبلى لآكل الحلال ثياب فكذلك لا يبلى له جسم بعد موته . كما وقع لبعض الأولياء وجد طريا كما وضع بعد سنين .

وورد فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان : لأطوفن الليلة على تسعين إمرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى . فقال له صاحبه : قل إن شاء الله . فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . وأيم الله الذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون — وفى رواية لأطوفن بمائة امرأة . فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسى . قال العلماء : والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه . وهى عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى . وقيل نسى أن يستثنى كما صح فى الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه . وأما ما يقوله الإخباريون فإنه لا يليق بجلال النبوة ومكانة عصمة الأنبياء الصفوة والأمناء .

ومن أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه : لولا ما سبق لك فى علمى من عنايتى بك لجعلت نفسى عندك أبخل الباخلين لكثرة ترداذك إلى بطول سؤالك لى وتأخيرى إجابتك : ولكن من عنايتى بك أن جعلت نفسى فى قلبك أنى أرحم الراحمين . وأحكم الحاكمين . وقد سبق الك عندى منزلة لم تكن تنالها بشىء من عملك إلا بحزنك على يوسف فأردت أن ابلغك تلك المنزلة .

وكذلك ما روى أن جبريل عليه السلام لما دخل على يوسف عليه السلام فى السجن قال له : كيف تركت الشيخ الكئيب ؟ قال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى . قال : فماذا له عند الله تعالى ؟ قال أجر مائة شهيد .

وفى خبر روى عن السلف : ما من عبد يعصى إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه ، فيقول الله عز وجل للأرض والسماء : كفا عن عبدى وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب إلى فأغفر له ولعله يستبدل صالحاً فأبدله حسنات . فذلك معنى قوله تعالى (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أى من المعاصى التى يقترفها العباد (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً) أى عن معاصيهم (غفوراً) لمساويهم .

وقال الإمام على كرم الله وجهه : أعمال البر كلها إلى جنب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كتفلة إلى جنب البحر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى جنب الجهاد فى سبيل الله تعالى كتفلة فى جنب بحر والجهاد فى سبيل الله إلى مجاهدة النفس عن هواها كتفلة فى جنب بحر لجى ، وعلى هذا معنى الخبر الوارد : قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، مجاهدة العبد هواه ، رواه الخطيب فى تاريخه عن جابر رضى الله عنه عن النبى عليه وسلم صلى الله .

وقد ورد فى الإسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة فى بلدة وأرسل عبده يحملها إليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم بالله . قال : فنبأه الله تعالى فكان نبياً فى بنى إسرائيل .

وفى بعض قصص موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام : بأى شىء أطلعك الله تعالى على علم الغيب ؟ فقال : بترك المعاصى لأجل الله تعالى .

وسئل أبو محمد سهل : متى يكون العبد التائب حبيب الله تعالى ؟ قال حتى يكون كما قال الله تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) ثم قال : الحبيب لا يدخل فى شىء لا يحبه الحبيب .

ومن أيقظه الله تعالى فقد نبهه . واليقظة تكون بسبب وبغير سبب . فالتى تكون بغير سبب هى أول نفحة من نفحات الجذب . وأما التى تكون بالسبب . فإما أن تكون من نفس العبد أو من غيره . فالتى تكون من نفس العبد إما بنظر واستدلال أو يجرى على لسانه وهو غافل كما جرى لتحفة العابدة . غنت يوما وهى تضرب بالعود هذا الشعر :

خاطبني الحق من جناني فكان وعظى على لسانى
قربنى منه بعد بعد وخصنى الله واصطفانى
أجبت لما دعيت طوعاً ملبياً للذى دعانى
وخفت مما جنيت ندماً فوقع الحق بالأمانى

فتلبث وكان ذلك سبب توبتها . والتى من الغير إما أن تكون من كتاب الله تعالى كما جرى للفضيل ابن عياض وكان قاطعاً للطريق إذ سمع قارئاً يقرأ (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فقال : نعم يارب . فتاب وتوجه إلى مكة وجاور بها ولم يزل مجداً من ذلك اليوم . وإما أن تكون من حديث النبى صلى الله عليه وسلم كما روى أنه صلى الله عليه وسلم وعظ للناس يوماً فمثل نفسه بمن رأى جيش العدو يريد أن يغزو قومه فجردوه ففر عارياً ينذر قومه . ثم قال صلى الله عليه وسلم « وأنا النذير العريان فالنجاء النجاء » فينبغى أن لا يسوف العبد فى التوبة فالأجل مكتوم لا يدرى العبد حتى يفاجؤه الموت أو المرض المفضى إليه .

وقيل إن سبب توبة عبد الله بن المبارك وزهده أنه كان من أصنع الناس فى الألحان وضرب العود فبينما هو يغنى ذات يوم :

ألم يأن لى منك أن ترحما وتعصى العواذل واللوما
وترثى لصب بكم مغرم أقام لهجرانكم مأتما

إذ سمع من جوف العود هاتفاً يقول : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فكسر العود وساح فى البرية .

وعن أبى إسحاق الفزارى قال : كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى . فقلت له : إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى أطلعنا على سبب هذا ؟ فقال : وتعطينى الأمان ؟ قلت له نعم . قال : كنت نباشا للقبور . فدفنت امرأة فأتيت قبرها فنبشته حتى وصلت إليها فضربت يدى إلى الرداء ثم إلى اللفافة فجذبتها فجعلت تجذبها هى . فقلت أتراها تغلبنى . فجثيت على ركبتى فجردت اللفافة فرفعت يدها فلطمتنى وكشف وجهه فإذا أثر خمس أصابع فى وجهه . فقلت له : ثم مه ؟ قال : ثم رددت عليها لفافتها وإزارها ثم رددت التراب وجعلت على نفسى أن لا أنبش قبراً ما عشت . قال فكتبت بذلك إلى الأوزاعى . فكتب إلى : ويحك سله عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة ؟ قال : فسألته عن ذلك . فقال : أكثرهم حول وجهه عن القبلة . فكتبت بذلك إلى الأوزاعى فكتب إلى : إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاث مرات . وأما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة . ولعل الأوزاعى أراد بالسنة هنا ملة الإسلام . فالإصرار على المعاصى يجر كثيراً من العصاة إلى الموت على غير الملة . والعياذ بالله تعالى . حمانا الله بفضله وإحسانه مما يؤدى إلى سوء الخاتمة إنه سميع مجيب .

وورد فى بعض التفاسير فى تفسير قوله تعالى (إنه كان للأوابين غفوراً) أن الأواب هو الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أصر من استغفر . يعنى

من اتبع الذنب بالاستغفار فليس بمصر عليه وإن تكرر منه وإن عاد فى اليوم سبعين مرة . والمراد من السبعين التكثير لا التحديد .

وحكى عن عبد الملك بن مروان أن شاباً جاء إليه باكياً حزيناً . فقال يا أمير المؤمنين : إنى ارتكبت ذنباً عظيماً . فهل لى من توبة ؟ فقال : وما ذنبك ؟ قال : ذنبى عظيم . قال : وما هو ؟ فتب إلى الله فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . قال يا أمير المؤمنين . كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أموراً عجيبة : قال ما رأيت ؟ قال يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل فى القبر يقول : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة . فقلت : لماذا حول ؟ قال : لأنه كان مستخفاً بالصلاة . فهذا جزاء مثله : ثم نبشت قبراً آخر فرأيت صاحبه خنزيراً وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول : ألا تسأل عن عمله ؟ ولماذا يعذب ؟ فقلت لماذا ؟ قال : كان يشرب الخمر ومات من غير توبة . ثم نبشت قبراً آخر فوجدت صاحبه قد شد فى الأرض بأوتاد من نار وأخرج لسانه من قفاه فخفت ورجعت وأردت الخروج . فنوديت ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى ؟ فقلت لماذا ؟ فقال : كان لا يتحرز من البول . وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله . ثم نبشت قبراً آخر فوجدت صاحبه قد اشتعل بالنار فخفت وأردت الخروج . فقيل لى : ألا تسأل عنه ؟ وعن حاله ؟ فقلت وما حاله ؟ قال : كان تاركاً للصلاة . فهذا جزاء مثله . ثم نبشت قبراً فرأيته قد وسع على مد البصر وفيه نور ساطع والميت نائم على سرير وقد أشرق نورة وعليه ثياب حسنة . فأخذتنى منه هيبة فأردت الخروج . فقيل لى : ألا تسأل عن حاله ؟ لماذا أكرم بهذه الكرامة ؟ فقلت لماذا ؟ فقيل لى إنه كان شاباً طائعاً نشأ فى طاعة الله عز وجل وعبادته . فقال عبد الملك عند ذلك : إن فى ذلك لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين جعلنا الله تعالى ممن أطاعه فرضى عنه وكرمه . من الزواجر لابن حجر .

وقد ذكر أحد العلماء ويدعى الشيخ أبو السعود من معلمى القراءات السبع كان يمضى معظم أيامه فى طلب العلم بالأزهر الشريف فالتقى برجل ممن كان يتولى دفن الموتى ، فسأله الشيخ أبو السعود عما رآه فى مدة اشتغاله بدفن الموتى وكان الرجل قد بلغ من العمر ما يقرب من المائة وخمسين عاماً ، فقال له : لقد رأيت عجباً مرتين ، الأولى : إنى حفرت قبراً قديماً لأدفن فيه أحد الموتى فوجدت فيه امرأة كأنما دفنت فى الوقت رغما من مرور الزمن الطويل على عدم فتح هذا القبر وقد تدلى من سطح القبر وردة واصله إلى فمها ، فأردت أن أعرف أهى وردة حقيقية ام لا فمددت يدى إلى الوردة فانطبعت رائحتها فى يدى فكلما اشتهيت شم رائحة الورد كنت أشم كفى فأجد الرائحة التى لا يوجد مثلها ابداً ، وهاهى يدى يا شيخ ابو السعود ، فشمها الشيخ ابو السعود فوجد رائحة عظيمة صاعدة من كفه كما حكى ، والأمر الثانى الذى رأيته : هو انى شرعت فى دفن احد الموتى فى قبر فوجدت طاقة مفتوحة فى جانب هذا القبر ، فأحببت ان استطلع خبر هذه الطاقة فوجدتها متصلة بممر طويل فيه انوار تخالف نور الشمس والقمر وجميع الممر على جانبيه حجرات يمينا ويسارا ورأيت فى إحدى هذه الحجرات رجلا

يحمل على يديه كتاباً يتلو فيه القرآن الكريم . فعندما نظر الرجل الجالس للقراءة إلى . قال لى لم يحن الوقت بعد لتجيء إلى هنا . فأخذتنى رهبة واردت أن أنصرف إلى المكان الذى جئت منه فلم أهتد إليه . فقال لى الرجل الجالس فى الحجرة وهو القارىء للقرآن . على يمينك الطريق . فأخذت يمينى فوصلت إلى القبر الذى خرجت منه إلى الطاقة وظننت أنه قد مضى على وقت طويل انصرف فيه المشيعون للجنازة فوجدتهم كما تركتهم ولم يقل لى أحد منهم شيئاً .

وحكى من يوثق بدينه أن رجلا من الصالحين الأتقياء عاش فقيراً صابراً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً. قالت له زوجته وكانت من الصالحات هى الأخرى يافلان أنت فى آخر أيامك ولا تملك ما نجهزك به إذا مت فهل نطالب إلى جارنا الغنى أن يقوم على تجهيزك بعد موتك ؟ فقال لها : لا تفعلى بل عند موتى توجهى لفلان الذى يتولى دفن الموتى وقولى له : عظم الله أجرك فى فلان . فلما مات فعلت ما أمرها به . فقال لها الرجل : لا تهتمى بشيء فى شأن تجهيز زوجك وقام بكل ما يلزم لهذا الرجل الصالح التقى . ولما أراد أن يلحده فى قبره رأى طاقة فى جانب القبر فنظر فيها فإذا بجوار القبر بحر عظيم تجرى على سطحه سفن عظيمة كبيرة مزخرفة على جوانبها وعلى هذه السفن كثير من الرجال . فقال له أحدهم ناولنا صاحبك . فناولهم إياه فأخذوه منه ولم يدر فى أى جهة ساروا به أو قصدوا إليه . فحصلت له دهشة عظيمة مما رآه وسمعه . وكانت زوجة المتوفى مع المشيعين . فلما أبصرت الرجل وهو خارج قالت له : هم أخذوه منك ؟ قال لها نعم أخذوه وصار يكرر هذه الكلمة هم أخذوه هم أخذوه . فظنوه قد حصل له جنون فأرسلوه إلى خبير فلم ير به جنوناً بل قال لهم إن ما حصل له هو كان بسبب ما رآه من العجائب وهو فى القبر من البحر وما فيه من المدهشات وكون زوجة المتوفى كاشفته بما حصل معه من تسليمه زوجها لمن فى السفن اهـ . وان برزخية الصالحين المتقين غير البرزخية العامة . فقد جاء فى كتاب كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ سيدى أحمد التجانى من الأصحاب كما حدث به سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى أن القطب سيدى الحاج على التماسينى رضى الله تعالى عنه لما أراد بناء الزاوية بتماسين اختار موضعاً طيباً لتخطيطها وبنائها . فلما حفروا الأساس صادف الحفر قبر سيدى أحمد الأخضر التماسينى فأمرهم سيدى الحاج على التماسينى أن يشقوه وقال لهم : إن أصحاب الشيخ ينتقلون بأجسامهم وأرواحهم إلى برزخية مخصوصة بهم مع سيدنا ومولانا الشيخ أحمد التجانى رضى الله تعالى عنه . فشقوا القبر ولما فتحوه لم يجدوه بل وجدوا القبر فارغا . قال سيدى أحمد العبدلاوى : وقد سمعت مثل قول القطب سيدى الحاج على من سيدنا الحبيب رضى الله تعالى عنه ابن سيدى أحمد التجانى فإنه كان يقول : كل من يموت من أصحاب سيدنا رضى الله عنه ينتقل لبرزخية الشيخ رضى الله عنه وفى باب ذكر ما يتعلق بالميت الخ وفى باب ذكر ما يتعلق بالميت شيء من الكلام على التربة وشروطها فاطلع عليه هناك والله بفضله يتولى هدانا وهداك آمين .

رب هب لى المتاب حتى أتوب ... واعف عنى فقد عرتنى الذنوب
وعلى دين أحمد أمتنى ... واحى قلبى فى يوم تحيى القلوب

ويامداوى السقام داوى سقامى	يا إلهى إنى عليـك حسيب
وأشف قلبى من الذى قد علاه	إن سقمى قد حار فيه الطبيب
يا مداوى العباد هب لى دواء	حاش إنى أرجـوك ثم أخيب
وأقلْ عثرتى وجـد لى بقرب	إن دائى بالقرب منـك يطيب
تعست ليـلة عصيتك فيهـا	قـد تقضت وإثمها لى نصيب
ما احتيالى وقد عصيتك جهلاً	كيف لا أستحى وأنت الرقيب

وأنشـد بعضهم

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهداً	الموت ويحك لم يمدد إليك يدا
فإنما المرء فى الدنيا على خطر	إن لم يكن ميتاً فى اليوم مات غدا

عقائد التوحيـد – وهى أول مبانى الإسلام

بعد أن يتحقق مريد الهجرة إلى الله تعالى بالتوبة الصادقة الخالصة يلزم قبل كل شىء أن يعرف صفات مولاه بما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز فى حقه عز وجل . وكذا ما يجب لرسله وما يستحل عليهم وما يجوز فى حقهم ليكون على بصيرة ومعرفة بمن يقدم إليه العبادة والطاعة لتحوز عبادته القبول قال بعض العلماء : لا يصح الحكم بصحة وضـوء شخص أو صلاته إلا إذا كان عالماً بالعقائد جازماً بها .

وقال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى : لا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود .

وحيث كان الأمر كذلك فلعمرى إن من يعبـد من لا يعرف له صفة ولا يدرى بمن يعبده كيف تصح له عبادة ؟ فالمكلف إن كان لا يرضى لنفسه هذه المصيبة العظمى فليحضر مجالس العلماء ليعلم أن الإله هو المعبود بحق وما عبد من دونه فباطل . وذلك أن حق العبادة أن تكون للخالق الرازق وهو الله وحده عز وجل . ومعرفة كنه ذاته سبحانه وتعالى تقصر عنها عقول البشر بل العجز عن معرفة كنه الذات المقدسة هو عين المعرفة . فلسنا مكلفين بمعرفة حقيقة ذاته الكريمة وإنما كلفنا بمعرفة ماله تعالى من صفات الجلال والكمال .

وليعلم معتقداً يقيناً أن الله عز وجل واحد فرد صمد قديم أزلى أبدى وأن ما سواه فهو صنعته وخلقه . لاشريك له . ولا ضد له ولا ند له . ولا شبيه له . موصوف بكل ما وصف به نفسه كالحياة والعلم والقدرة والادارة والسمع والبصر والكلام . مسمى بكل ما سمى به نفسه . ليس بجسم . فإن الجسم ماكان مؤلفاً والمؤلف يحتاج إلى مؤلف . ولا هو بجوهر فإن الجوهر ما كان متحيز ويحل فى حيز من الفراغ . والرب سبحانه وتعالى ليس بمتحيز بل هو خالق كل متحيز وحيزه . ولا هو عرض . فإن العرض لا يبقى ولأنه يحتاج إلى الجوهر . وهو سبحانه وتعالى غنى لا يكفيه العقل ولا يمثله الفكر

ولا تلحقه العبارات . ولا تعينه الإشارات . ولا تحيط به الأفكار . ولا تدركه الأبصار ، العقول محجوبة عن إدراك حقيقته . إذ العقول للعبودية لا للاشراف على الربوبية ففى الحديث : إن الله تعالى احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه . رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول . فلم يكلفنا عز وجل معرفة كنه ذاته المقدسة وحقيقته المنزهة ، لأن العقول المركبة فى الأجسام البشرية لا تستطيع الوقوف على معرفة كنه ذاته وحقيقته لقصورها وعدم استطاعتها لضعفها .

ألا ترى أن الأجسام الحية إنما كانت حياتها بواسطة الأرواح الحالة فيها وفى كل جزء منها ولا تستطيع العقول المركبة فى تلك الأجسام معرفة كنه تلك الأرواح ولا حقيقتها التى بها قوامها . فكيف تعرف أو تصل إلى معرفة كنه ذات الخالق . تقدست وتعالت عن أن يحيط بمعرفتها مخلوق ؟ قال الإمام على كرم الله وجهه : —

كيفية النفس ليس المرء يعرفها فكيف كيفية الجبار فى القدم

هو الذى أنشأ الأشياء مبتدئاً فكيف يدركه مستحدث النسم

وقد قال الشيخ عبد الجبار فى المواقف . أوقفنى الحق تعالى وقال لى : وعزتى وجلالى ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهلوه .

وقال أيضا : قال لى الحق لى معرفة لا جهل فيها لا تقع . وجهل لا معرفة فيه لا يبدو وأنا أظهر من الظاهر وأخفى من الباطن . وأقرب إلى كل شىء من نفسه . وجميع ما أظهرته لعبادى من التعرفات لا يحتمل تعرفى الذى لا يبدو . فإنى لا أنا التعرف . ولا أنا العلم . ولا أنا كالتعرف . ولا أنا كالعلم . وليس القرب الذى عرفه عبادى هو القرب الذى أعرفه أنا . فلا قربى عرفوا ولا بعدى عرفوا . ولا وصفى كما يليق بجلالى عرفوا . فأنا قريب بعيد بلا مسافة . وهم لا يعرفون قربى وبعدى .

وقد فيها أيضا : أوقفنى الحق تعالى وقال لى : إن أردت أن أتعرف لك فارم علمك بى من وراء ظهرك . ولا تدخل حضرتى بعلم ولا جهل . وقف من وراء الكون واسأله عنى تجد الكون جاهلا بى . واسأل الجهل عنى تجده جاهلا بى . فإنى أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن . وشهود عبدى مع غيرى لا يصح . فإذا أردت أن أتعرف لك فلا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك . ولا عن يمينك ولا عن شمالك . ولا فى وجدك . ولا فى ذكرك . ولا فى فكرك . وانظر من قبل الكون فهناك مقامك فأقم فيه ناظراً إلى كيف أخلق الأمور .

أقوال صاحب المواقف . الحكم فى إيمان المقلد

وقد سئل الرملى . ما المعتمد فى إيمان المقلد من الخلاف المنتشر ؟ فأجاب : قال الأستاذ أبو منصور الماتريدى : اجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون وأنهم حشو الجنة . لكن منهم من قال : لابد من نظر عقلى فى العقائد وقد حصل لهم منه القدر الكافى فإن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث الموجودات وإن عجزوا عن التعبير عنه على اصطلاح المتكلمين . والعلم بالأدلة علم زائد لا يلزمهم .

وكذلك نقل الكيا(١) فى تعليقه إجماع الأصحاب على أنهم (أى المقلدون) مؤمنون . فالمعتمد فى هذه المسألة ما قاله بعضهم من أن أهل السنة كلهم من قال بإيمان المقلد ومن لم يقل به متفقون على أن مقابل التقليد هنا هو الاستدلال بالأثر على المؤثر وبالمصنوع على الصانع .

ولا يلزم من هذا الاستدلال والاقتدار على إيراد الحجج ودفع الشبهة لو اعترض عليه مبتدع بل ذلك من فروض الكفاية التى يقوم بها من كل ناحية عالم متبحر .

فالمراد بالاستدلال الانتقال من الأثر إلى المؤثر كما نقل عن الأعرابى من قوله : البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام على المسير . فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج كيف لا تدل على الصانع الخبير فإذا كان معنى الاستدلال ما ذكرناه ولا يحتاج فيه إلى تحرير الأدلة ودفع الشبهة لم يوجد من المسلمين مقلد قط إذا جهل من يتصور منهم كالرعاة وسكان البوادى إذا رأى شيئاً عجيباً يقول : سبحان من خلقه . وهذا استدلال منه على وجود الخالق عز وجل . وإذا كان هذا حال أجهلهم فكيف حال من نشأ بين المسلمين والوعاظ ولازم الجماعة والجمعة .

وقد قال رجل لسيدنا على : يا أمير المؤمنين أين الله ؟ فقال له : أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان .

وقد أخرج الطبرانى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى عنهما قال : أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام : إنى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى . وأنه لما رجع من المناجاة صار يسمع دبيب النملة من مسيرة عشرة فراسخ . فكيف بغير موسى أن يقف بالبحث على معرفة كنه الذات المقدسة المعظمة ؟

ولبعض أهل الاشارات

رأيت ربى بعين قلبى فقلت لا شك أنت أنت
أنت الذى حزت كل أين بحيث لا أين ثم أنت
فليس للأين منك أين فيعلم الأين أين أنت
وليس للوهم فيك وهم فيعلم الوهم كيف أنت
أحطت علماً بكل شىء فكل شىء أراه أنت(٢)
وعن فنائى فنى فنائى وفى فنائى وجدت أنت

---

(١) الكيا بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها الف . كان من رؤساء معيدى إمام الحرمين فى الدرس . وكان ثانى أبى حامد الغزالى بل أسل وأصلح وأطيب فى الصوت والنظر . وتوفى سنة ٥٠٤ ببغداد اه ابن خلكان.

(٢) أراه أنت ليس له وجود من نفسه وانما وجوده بك . ومحال أن يحل الله عز وجل فى شىء وهو تعالى قيوم كل شىء بلا كيف .

في محو اسمي ورسم جسمي سألت عني فقلت أنت
أشار سري إليك حتى فنى فنائي ودمت أنت
أنت حياتي وسر قلبي فحيثما كنتُ كنتَ أنت

وقد سئل القاضي علي بن ثور أبا الحسين النوري عن مسائل توحيدية على سبيل المناظرة ليقيم الحجة على الصوفية أنهم زنادقة . قال القاضي له : أين الله من مخلوقاته ؟ فقال له : كان الله ولا أين والمخلوقات في عدم . فكان حيث هو وهو الآن كان إذلا أين ولا مكان . فقال له القاضي : فما هذه الأماكن والمخلوقات الظاهرة ؟ فقال له : عز ظاهر وملك قاهر ومخلوقات ظاهرة به وصادرة عنه لا هي متصلة به ولا منفصلة عنه . لأنها لا وجود لها إلا به تبارك وتعالى من غير أن يحل فيها أو تحل فيه . فرغ من الأشياء ولم يفرغ منه لأنها تحتاج إليه وهو لا يحتاج إليها . قال له : صدقت . فأخبرني : ما مراده من خلقه ؟ قال له : ما هم عليه . قال له : أيريد من الكفرة الكفر ؟ قال أفيكفرون به وهو كاره[1] ثم قال له : أخبرني ماذا أراد الله باختلاف الشيع وتفريق الملل؟ قال له : أراد إبلاغ قدرته وبيان حكمته وإيجاب لطفه وظهور عدله وإحسانه — هذا — وقد قال القائل : —

لا يعلم الله إلا الله فاتئدوا والدين دينان إيمان وإشراك
وللعقول حدود لا تجاوزها والعجز عن درك الإدراك إدراك

وقال غيره : البحث عن ذات الله إشراك والعجز عن درك الإدراك إدراك

مبحث الاستواء على العرش

استوى على عرشه استواء لا تدركه العقول والأفهام . قال عنه الإمام مالك بن أنس حين سئل عن الاستواء . فقال : الاستواء معلوم والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة . وروى أنه قال للسائل بعد ذلك فلا أراك إلا خارجياً أخرجوه عني .

وسئل الامام أحمد عن الاستواء . فقال : استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر . وسئل الإمام الشافعي عن الاستواء . فقال : آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الادراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك .

وقال الإمام أبو حنيفة : من قال : لا أعرف الله في السماء هو أم في الأرض فقد كفر . لأن هذا القول يوهم أن للحق تعالى مكاناً فهو مشبه . وقد سئل مصباح التوحيد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : بم عرفت ربك ؟ فقال عرفت ربي بما عرفني به نفسه : لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب في بعده بعيد في قربه . فوق كل شيء ولا يقال تحته شيء . وأمام كل شيء . ولا يقال أمامه شيء وهو في كل شيء . لا كشيء في شيء فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره .

---

(١) إن الله عز وجل لا يرضى الكفر لعباده . وقد خلق لهم مصححات التكليف وكلفهم ما في وسعهم وعلم في الأزل ما سيعملونه غير مكرهين . وأرسل اليهم الرسل بالحجة . وقد شاء سبحانه أن يكرهون لهم مشيئة (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) ولولا أنه أعطاهم مشيئته واختياراً لما كانوا ذوي مشيئة ولا اختيار وبذلك قامت عليهم الحجة .

وقال الإمام عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي في كتابه حل الرموز ومفاتيح الكنوز سئل يحيى بن معاذ الرازي فقيل له : أخبرنا عن الله تعالى ؟ فقال : إله واحد . فقيل له : كيف هو ؟ فقال: إله قادر. قيل : أين هو ؟ قال : بالمرصاد . فقال السائل : لم أسألك عن هذا . فقال : ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق . فأما صفته فالذي أخبرت عنه .

وسئل بعض العارفين عن قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى . فقال : الحق سبحانه وتعالى عرفنا بهذا القول من هو ما عرفنا ما هو لأنه لا يعرف ما هو إلا هو . وقيل لصوفى : أين الله ؟ فقال قبحك الله : هل تطلب مع العين أين . قال تعالى (وهو معكم أينما كنتم) .

وسئل الشبلي عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث . فالعرش بالرحمن استوى . وسئل ذو النون عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال : أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والأشياء كلها موجودة بحكمه كما شاء .

واعلم أن الاستواء في اللغة على وجوه . وأصله افتعال من السواء . ومعناه أى السواء والعدل والوسط وله وجوه فى الاستعمال . منها الاعتدال . قال بعض بنى تميم استوى ظالم العشيرة والمظلوم أى اعتدلا . ومنها إتمام الشيء . ومنه قوله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى) . ومنها القصد إلى الشيء . ومنه قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) أى قصد خلقها . ومنها الاستيلاء . ومنه قول الشاعر :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وقال آخر : ـ

إذا ما غزى قوماً أباح حريمهم وأضحى على ما ملكوه قد استوى

ومنها بمعنى استقر . ومنه قوله تعالى : (واستوت على الجودى) وهذه صفة المخلوق الحادث كقوله تعالى : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره) وهو نزه نفسه سبحانه عن ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع .

ثم من المعلوم أن الاستواء من الألفاظ الموضوعة بالاشتراك وهو من قبيل المجمل فالادعاء بأنه بمعنى الاستقرار خاصة تحكم وجهل لجعل اللفظ المشترك دليلا على أحد أقسامه خاصة .

ومن المعلوم أنه عز وجل واجب الوجود كان ولا زمان . وهما أعنى الزمان والمكان مخلوقان . وبالضرورة أن من هو فى مكان فهو مقهور محاط به ويكون مقدراً ومحدودا وهو سبحانه وتعالى منزه عن التقدير والتحديد وعن أن يحويه شيء أو يحدث له صفة . تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علوا كبيراً .

وقال أهل التحقيق . ذكر العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته إذ الذات ممتنعة عن الاحاطة بها والوقوف عليها . كما اشار إلى ذلك فى قوله تعالى (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) فسبحانه هو المنزه عن التشبيه . القدوس المبرأ عن الآفات .

وتأمل فى قوله تعالى : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) فإن فى ذلك إشارة إلى عجز الخليقة ان تدرك بعض صفات ذواتها فى ذاتها أو تدرى كيف كنهها فى أنفسها بعدم

شهودهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسها . فلم تملك أن تحتوى علم أنفسها فى أنفسها . فكيف تدرك أو تدرى شيئاً من صفات موجدها من العدم . وبارئها ومالكها . جلت ذاته . وتعالت صفاته .

وقال أبو الحسن الأشعرى فى جوابه عن التوحيد :

الله أكبر أن يكون لذاته كيفية كذوات مخلوقاته
أو أن تقاس صفاتنا فى كل ما نأتيه من أفعالنا بصفاته
أبدا عقول ذوى العقول بأمرها متحيرات فى دوام حياته
لبديع صنعته عليه شواهد تبدو على صفحات مصنوعاته

ومعنى لفظ الجلالة (الله) فى اللغة السنسكيرية عندهم مالا يمكن إدراك حقيقته . ولله در القائل :

توهمت قدماً أن ليلى تبرقعت وأن حجاباً دونها يمنع اللثما
فلاحت فلا والله ماثم حاجب سوى أن طرفى كان عن حسنها أعمى

وقد طلب الزمخشرى من الغزالى أن يجيبه عن الاستواء بالتفصيل لا بالإجمال . فرد عليه بالتشنيع بقوله : —

قل لمن يفهم عنى ما أقول قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه قصرت الله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا تدرى من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفات ركبت فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها لا ولا تدرى متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا غلب النوم فقل لى يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه كيف يجرى منك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التى بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدرى من على العرش استوى لاتقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكى الرب أم كيف يرى فلعمرى ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له وهو فى كل النواحى لا يزول
جل ذاتاً وصفات وسما وتعالى قدره عما تقول

مستوى على العرش على الوجه الذى قاله . وبالمعنى الذى أراده . استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال . لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته . وهو فوق العرش والسموات وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى . فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسموات . كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى . وهو مع ذلك قريب من كل موجود . وهو أقرب

أقرب إلى العبد من حبل الوريد . وهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام . وأنه لا يحل فى شيء . ولا يحل فيه شيء . تعالى عن أن يحويه مكان . كما تقدس أن يحده زمان . بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان . وهو الآن على ما عليه كان .

فإذا حدثت النفس بخاطر الإمكان للذات المنزهة . قيل لها : إن ذلك يفتقر إلى المرجح . وهو تعالى واجب الوجود لنفسه . وإذا خطر لها أنه عز وجل جوهر . قيل لها : إن ذلك يفتقر إلى التحيز والوجود بالغير . وإذا خطر لها خاطر الجسمية . قيل لها إن ذلك يفتقر إلى الأداة والتركيب والأبعاد وإذا خطر لها خاطر العرضية . قيل لها إن ذلك يفتقر إلى المحل والحدوث . وإذا خطر لها خاطر العلية قيل لها إن ذلك يستوجب مساواة العلة للمعلول فى الوجود . وقد كان تعالى ولا شيء معه : وإذا خطر لها خاطر الطبيعة قيل لها : إن ذلك يستوجب نسبة الكثرة إليه وافتقار كل واحد من آحاد الطبيعة إلى الأمر الآخر فى الاجتماع به إلى اتحاد الأجسام الطبيعية . فإن مجموع فاعلين ومنفعلين حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة . ولا يصح اجتماعها لذاتها ولا افتقار لذاتها ولا وجود لها إلا فى عين الحار والبارد واليابس والرطب . فإذا حدثت بأنه إذا لم يكن هذا ولا ذاك . فما ثم شيء . قيل لها : هذه آثار فى الممكن ظاهرة للعيان إذ العدم لا أثر له .

وقد سئل إمام الحرمين رضى الله عنه : هل البارى سبحانه على العرش ؟ فقال : خلق العرش من درة . وهو بالنسبة إلى قدرته أقل من ذرة . فكيف يكون مستقره ؟ أجاب بهذا الجواب الوجيز البالغ المفحم الدامغ . فالعرش وإن كان أعظم المخلوقات فهو لا شيء فى جنب عظمة الخالق عز وجل .

ورفع الأيدى إلى السماء حال الدعاء لكونها قبلة الدعاء لا لأن الله فى السماء كما يظنه الجهلاء . ونظير ذلك الكعبة بالنسبة للصلاة . فهى قبلة الصلاة . ولا يجوز أن يقال : إن الله فى الكعبة أو فى جهتها لما علمت أن الله تعالى منزه عن الأمكنة والأزمنة وما هو من سمات الحوادث .

وإنما احتجب سبحانه لشدة ظهوره . وخفى عن الأبصار لعظيم نوره . ومما يقرب إليك فهم ذلك من غير تشبيه ولا تحديد بين المخلوق والخالق عز وجل (الشمس) فإنها وهى من جملة مصنوعاته ومخلوقاته لا تدرك حقيقتها لضعف بصر الرائى عن تحمل نورها مع قربه منها . فشدة القرب تكون حجاباً . كما أن شدة البعد حجاب . فقوة نورها هى التى حجبت الأبصار الضعيفة عن إدراك كنهها . فصار ظهورها الذى أوجبه نورها حجاباً لها . وليس الحجاب على الحقيقة منها . فإن الظاهر لذاته لا يحجب من ذاته . وإنما غيره الذى يحجب عنه . والحجاب هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور . فالحق تعالى احتجب عن الخلق بشدة ظهوره وخفى عن الأبصار لعظيم نوره وأنشدوا فى هذا المعنى : —

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد ... إلا على أكمه[1] لا يعرف القمرا

لكن بطنت بما أظهرت محتجباً ... وكيف يعرف من بالعزة[2] استترا

ويجب اعتقاد ان كلام الله قديم غير محدث . وأن رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة جائزة . وأن على المكلف الإقرار والايمان بجملة ما ورد فى الكتاب العزيز وجاءت به الروايات الصحيحة عن رسول

(١) الأكمه الذى ولد أعمى . وقيل هو الأعمى وإن كان أبصر وقيل هو الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل

(٢) العزة لله قهره وغلبته على من دونه .

الله صلى الله عليه وسلم من إعادة الأرواح إلى الأبدان وبعثها للحساب، والمجازاة، والجنة والنار، واللوح والقلم، والحوض والصراط والشفاعة، والميزان، والصور، وعذاب القبور، وسؤال منكر ونكير، وإخراج قوم من النار بالشفاعة. وأن أهل النار فيها مخلدون غير أهل الكبائر من المؤمنين فإنهم لا يخلدون في النار، وأن الله عز وجل خالق لأفعال العباد، كما هو خالق لذواتهم.

اللوح المحفوظ

أما اللوح المحفوظ فقد قال عنه الإمام الغزالي رضي الله عنه: إن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح، وتارة بالكتاب المبين، وتارة بإمام مبين، كما ورد في القرآن، فجميع ما جرى في العالم وما سيجرى مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين، ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم، أو أن الكتاب من كاغد أو ورق بل ينبغي أن تفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق، وكتاب الله تعالى لا يشبه كتاب الخلق، كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم، بل إن كنت تطلب مثالا يقرب إلى فهمك ما قلناه فاعلم: أن ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فإنه مسطور فيه حتى كأنه حيث يقرأ ينظر إليه، ولو فتشت في دماغه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك الخط حرفاً، فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله وقضاه.

قال عامر بن عبد الله قرأت ثلاث آيات من كتاب الله فاستغنيت بهن عما أنا فيه، فاستغنيت بقوله سبحانه وتعالى: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) فقلت: إن أرادني بضر لم يقدر أحد أن ينفعني وإن أعطاني لم يقدر أحد أن يمنعني، وقوله تعالى: (فاذكروني أذكركم)، فاستغنيت بذكره عن ذكر شيء سواه، وقوله سبحانه وتعالى: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)، فوالله ما اهتممت برزقي منذ قرأتها فاسترحت.

وفي شعب الإيمان للبيهقي عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعبد رجل في صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الأرض فرأى حماراً له يرعى فقال يارب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري. فبلغ ذلك نبياً من أنبياء بني إسرائيل فأراد أن يدعو عليه فأوحى الله إليه «إنما أجازي عبادي على قدر عقولهم»، وهو كذلك في الحلية لأبي نعيم.

وقد حكي عن إبليس لعنه الله أنه ظهر لسيدنا عيسى عليه السلام فقال له، ألست تقول: إنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليك؟ قال نعم. قال: فارم بنفسك من ذروة هذا الجبل فإنه إن يقدر لك السلامة تسلم، فقال له، ياملعون: إن لله أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه.

ويجب اعتقاد أن الخلق كلهم يموتون بآجالهم وأن المقتول يموت بأجله، وأن الشرك والمعاصي كلها بقضاء الله وقدره على مقتضى العلم من غير أن يكون لأحد من الخلق حجة فإن الجبر باطل بل لله عز وجل الحجة البالغة، ولا يرضى لعباده الكفر.

ويجب الإقرار بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء والرسل . وأنه ختم به النبوة . فهو صلى الله عليه وسلم إنسان عين الوجود . والسبب فى كل موجود ، وكل الأنبياء نوابه وخلفاؤه كما قال النابلسى : —

كل النبيين والرسل الكرام أتوا ... نيابة عنه فى تبليغ دعواه
فهو الرسول إلى كل الخلائق فى ... كل الدهور ونابت عنه أفواه

وقال الإمام فخر الدين الرازى :

أنت الذى لولاك ما خلق امرؤ ... كلا ولا خلق الورى لولاك
أنت الذى من نورك البدر اكتسى ... والشمس مشرقة بنور بهاك
أنت الذى لما رفعت إلى السما ... بك قد سمت وتزينت لسراكا
أنت الذى ناداك ربك مرحباً ... ولقد دعاك لقربه وحباكا
أنت الذى فينا سئلت شفاعة ... ناداك ربك لم تكن لسواكا
أنت الذى لما توسل آدم ... من ذنبه بك فاز وهو أباك
وبك الخليل دعا فعادت ناره ... برداً وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيوب لضر مسه ... فأزيل عنه الضر حين دعاك
وبك المسيح أتى بشيراً مخبراً ... بصفات حسنك مادحاً لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا ... بك فى القيامة مرتج لنداكا
والأنبياء وكل خلق فى الورى ... والرسل والأملاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الورى ... وفضائل جلت فليس تحاكا
قد فقت يا طه جميع الأنبيا ... نوراً فسبحان الذى سواكا
والله يا يس مثلك لم يكن ... فى العالمين وحق من ناجاكا
عن وصفك الشعراء يا مدثر ... عجزوا وكلوا عن صفات علاكا
إنجيل عيسى قد أتى بك مخبراً ... وأتى الكتاب لنا بمدح علاكا
ماذا يقول المادحون وما عسى ... أن يجمع الكتاب من معناكا
والله لو أن البحار مدادهم ... والعشب أقلام جعلن لذاكا
لم تقدر الثقلان تجمع ذرة ... أبداً وما استطاعوا لذا إدراكا
لى فيك قلب مغرم يا سيدى ... وحشاشة محشوة بهواكا
فإذا سكت ففيك صمتى كله ... وإذا نطقت فادحاً عليا كا
وإذا سمعت فعنك قولا طيبا ... وإذا نظرت فلا أرى إلا كا
يا أكرم الثقلين يا كنز الورى ... جدلى بجودك وارضنى برضاكا

أنا طامع فى الجود منك ولم يكن	لابن الخطيب من الأنام سواكا
فعساك تشفع فيه عند حسابه	فلقد غدا مستمسكا بعراكا
ولأنت أكرم شافع ومشفع	ومن التجى لحماك نال وفاكا
فاجعل قراى شفاعة لى فى غد	فعسى أن أرى فى الحشر تحت لواكا
صلى عليك الله يا خير الورى	ما حن مشتاق إلى مثواكا

وفى حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه مرفوعاً . قال صلى الله عليه وسلم : « يا عمر أتدرى من أنا ؟ أنا الذى خلق الله عز وجل أول كل شىء نورى فسجد لله فبقى فى سجوده سبعمائة عام . فأول شىء سجد لله نورى ولا فخر ، يا عمر أتدرى من أنا ؟ أنا الذى خلق الله العـــرش من نورى . والكرسى من نورى . واللوح والقلم من نورى . والشمس والقمر ونور الأبصار من نورى . والعقل من نورى . ونور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى ولا فخر » . أخرجه البيهقى فى دلائله والحاكم وصححه .

وقال أحد المحبين للذات المصطفوية :

أنت الملاذ لنا وأنت المرتجى	وبك اللياذ وأنت ملجأ من لجا
يا سيد الكونين يا من قد سما	معراجه فوق السماء وعرجا
يا سيد الثقلين والحكم الهدى	والمقصد الأسنى لأبواب الرجا
يا سيداً من أم باب مقامه	ألفاه خير مقام سؤل يرتجى
يا سيداً ما أمه من ضامه	ريب الزمان بخطبه إلا نجا
يا سيداً جعل الإله وجوده	للعالمين المرتجى والملتجى
يا خاتم الرسل الكرام ومن به	رب البرية كل هم فرجا

وقال غيره : —

وكن مستجيراً بالذى نال رفعة	إلى عزها ذل الملوك الأكاسر
نبى له جاه عريض ومنصب	عظم له تعزى العلا والمفاخر
جليل جميل راحم متعطف	فصيح مليح كامل الحسن باهر
ألا يا رسول الله يا غاية المنى	لقد نلت فخراً ما لأدناه آخر
أيا درة الأنبياء يا جوهر الورى	هنيئاً لنفس فى هواك تتاجر
لقد ربحت فى بيعها وتنعمت	وقد سعدت يادر والجواهر
حبيبى رسول الله كن لى شافعاً	أغثنى أجرنى يوم تبلى السرائر
بجاهك آمال الضعيف تعلقت	إذا نصب الميزان والعقل طائر
فكن شافعى عند الإله فإنه	حليم كريم غافر الذنب ساتر
مضى العمر فى لهو ولهو وغفلة	وإنى عن الفعل الحميد لقاصر

فيا رب داركنا بعفو ورحمة فأنت جميل العفو للكسر جابر
وخذ بنواصينا وطهر قلوبنا ومنّ بعفو منك فالعفو غامر
وصل على البدر الذي من جبينه بدا الشمس والأقمار والنجم زاهر

وقال غيره : —

سل عن فضائله الزمان لتخبرا فنظير مجدك يا محمد لا يرى
ولقد جمعت مناقباً ما استجمعت ما استجمعت يا سيدى فتفسرا
ما بين مجدك والمحاول نيله إلا كما بين الثريا والثرى

وقال غيره : —

غياث الملهوف وغيث لآمل وعين لظمآن وعون لذى جهد
له فوق اثوان الزمان مراتب يقصر عنها الأنبياء أولو المجد
فموسى وعيسى والخليل ونوحهم يقولون طه منتهى السؤل والقصد
حوى قصبات السبق من قبل آدم وكهلا وأيام الطفولة فى المهد
به طيبة طابت ولا غرو قد حوت طبيب قلوب الخلق من مرض الجحد
فلولاه ما أشتاقت قلوب نفيسة إلى الشيح من أرض الحجاز ولا الرند
ولا ذكرت سلع ونعمان والنقا ولا استعذبت من شدة الوجد للوجد

مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

ومن مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم كما ذكره المحب الطبرى فى مختصر السيرة النبوية أنه صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عريا إلى قباء وأبو هريرة معه . قال : يا أبا هريرة أأحملك ؟ فقال : ما شئت يا رسول الله . فقال : اركب . فوثب أبو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعاً . ثم ركب صلى الله عليه وسلم . ثم قال يا أبا هريرة أأحملك ؟ قال : ما شئت يا رسول الله . فقال : اركب . فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعاً . ثم قال : يا أبا هريرة أأحملك ؟ فقال : لا والذى بعثك بالحق لا رميتك ثالثاً . فهل أعطى الله أحداً من خلقه من الخلق الكريم مثل ما أعطاه لنبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ لا نظن ذلك . والله أعلم .

وقد دخل سيدنا الحسن بن الإمام على كرم الله وجهه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى وقد سجد فركب على ظهره فأبطأ فى سجوده حتى نزل الحسن . فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته قال له بعض أصحابه : يا رسول الله قد أطلت سجودك ؟ فقال : إن ابنى ارتحانى فكرهت أن أعجله ؛ أى جعلنى كالراحلة فركب على ظهرى . صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته إليه .

ولله در القائل :

لم لا يضىء بك الوجود وليله فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق وببدر وجهك كل ليل مقمر

قيل لابن عباس رضى الله عنه : كيف يبصر الهدهد الماء من تحت الأرض ولا يرى الفخ إذا غطى بقدر أصبع من تراب ؟ فقال ابن عباس : إذا نزل القضا عمى البصر . وأنشدوا فى ذلك لأبى عمر الزاهد : —

إذا أراد الله أمراً بامرىء   وكان ذا عقل ورأى وبصر
وحيلة يفعلها فى دفع ما   يأتى به محتوم أسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله   وسله من ذهنه سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه   رد إليه عقله ليعتبر

ويجب الإقرار أنه صلى الله عليه وسلم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأنه رفع إلى ما فوق السموات السبع حتى وصل إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام . وتجلى عليه مولاه بصفات الجلال والكمال . وفرض عليه ما فرض وأعطاه من العطايا والهبات ما لم يعطه لأحد من قبله ولا من بعده .

وقد رأى ربه عز وجل بعينى رأسه على الصحيح من غير إحاطة ولا كيفية ولا مثال وكلمه ربه ربما ستأتى الإشارة إليه . ورؤيته له فى الدنيا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم . وهى مستحيلة شرعاً على غيره فى الدنيا . وقد أثبتها له بعض الصحابة والمثبت مقدم على النافى . وقد أخرج الإمام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم « رأيت ربى عز وجل » وفى حديث صحيح « رأيته نوراً أنى أراه » وهى الرواية الكاملة المقدمة على ما عداها .

ولبعض أهل الإشارات : كأن الله عز وجل قال له : يا محمد قد أعطيتك نوراً تنظر به إلى جمالى وسمعاً تسمع به كلامى . يا محمد إنى أعرفك بلسان الحال معنى عروجك إلى . يا محمد : أرسلتك للناس شاهداً ومبشراً ونذيراً . والشاهد يطالب بحقيقة ما يشهد به فأريك جنتى لتشاهد ما أعددت فيها لأوليائى . وأريك نارى لتشاهد ما أعددت فيها لأعدائى . ثم أشهدك جلالى وأكشف لك عن جمالى لتعلم أنى منزه فى كمالى عن التشبيه والنظير والوزير والمشير فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور الذى قواه من غير إدراك ولا إحاطة فرداً صمداً لا فى شىء ولا من شىء ولا قائماً بشىء ولا على شىء ولا مفتقراً إلى شىء . ليس كمثله شىء . فلما كلمه شفاهاً وشاهده عياناً . قيل له : يا محمد لابد لهذه الخلوة من سر لا يذاع . ورمز لا يشاع . فأوحى إلى عبده ما أوحى . فكان سراً من سره لم يقف عليه ملك مقرب . ولا نبى وسل . وأنشد لسان الحال : —

بين المحبين سر ليس يفشيه   قول ولا قلم فى الكون يحكيه
سر يمازجه أنس يقابله   نور تحير فى بحر من التيه

ولما أراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال : يارب لكل قادم من سفر تحفة . فما تحفة أمتى ؟ قال الله تعالى : أنا لهم ما عاشوا وأنا لهم إذا ماتوا وأنا لهم فى القبور . وأنا لهم فى النشور .

كما يجب اعتقاد أن الرسل أفضل من الملائكة وأن بين الملائكة تفاضلا كما بين الأنبياء والرسل .

يجمع معاني هذه العقائد كلها : قول لا إله إلا الله محمد رسول الله . لأن الجملة الأولى نفت الألوهية عن غيره تعالى وأثبتها له : فثبت أنه تعالى هو الإله . والإله هو المعبود بحق . ويلزم منه أنه مستغن عن كل ما عداه ، ويلزم من استغنائه عن كل ما سواه وجوب وجوده أزلياً أبدياً . وهو المعبر عنهما بالقدم والبقاء . إذ لو يكن كذلك لكان مماثلا للحوادث . وكل ما كان مماثلا لها فهو حادث .

وقد أثبت ثقاة المؤرخين أن بعض الحكماء من اليونانيين ذهب في تقريره عن عقيدته إلى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها ، منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها . وأثبت أن سلسلة الموجودات تنتهي إلى موجود واحد من جميع الوجوه مبرأ الذات عن التأليف والتركيب . ومحال عند العقل تصور التركب فيه . وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده . وهو المصدر الأول والموجد الحقيقي والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت أو مادية .

ووجدت في بعض الكتب المعتمد عليها أن الحكيم أفلاطون كان يقول في صلاته هذه الكلمات : يا روحانيتي المتصلة بالروح الأعلى تضرعي إلى العلة التي أنت معلولة من جهتها لتتفرغ إلى العقل الفعال ليحفظ على صحتي النفسانية ما دمت في عالم التركيب ودار التكليف .

الرد على الدهريين

فقول الماديين أو الطبيعيين أو الدهريين كما يسمونهم أن الطبيعة هي الموجدة وهي المعدمة أو كما يقولون : إن هي إلا أرحام تدفع . وأرض تبلع . وما يهلكنا إلا الدهر . فقول باطل لما ثبت بالاستقراء أن الطبيعة إذا كانت موجدة على رأيهم كانت موجوداتها على نظام واحد لا يتغير . وهذا يخالف المشاهد ، فإن كثيراً من الحيوانات الناقصة الخلقة قد يتولد عنها حيوان تام الخلقة . وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها أو زائدها فهل هذا من فعل الطبيعة ؟ فنقـــول : كلا . لأن الموجودات المتغيرة في الصفات والذوات لابد لها من صانع حكيم . وهل رأينا بأعيننا أو سمعنا بآذاننا وجود موجودات على سبيل الصدفة ؟ أي بلا موجد . كلا . وهل في مقدور المادة أن توجد مثل السموات بعجائبها أو البحار الزاخرات بمياهها العذبة والملحة . أو الجبال الشاهقات بأحجارها الصلدة والرخوة . أو الأشجار المختلفة الأشكال . أو الثمار المتباينة في الطعوم ؟ وهل بعض المخلوقات من الآدميين المختلفي الأشكال والألوان واللغات . والحيوانات المتباينة في الخلقة . والسابحات وغيرها . كل هذا أوجدته الطبيعة وهي التي تعدمه ؟ كلا ثم كلا . فالموجودات جميعها لم توجد ولم تعدم بالصدفة . بل أوجدها الإله الحق العـــالم الحكيم جل وعلا . وهو الذي يميتها بعد أن أوجدها وأحياها .

وهل الرسل الذين أرسلهم الله تعالى بالرسالات لهداية الخلق كانوا بعد ما ظهر على أيديهم من المعجزات وخوارق العادات والدلائل القوية على أنهم رسل الله أيد صدقهم بخوارق العادات التي يألفها البشر . هل هؤلاء كلهم غير صادقين على كثرتهم وقد جاؤا من عند الله تعالى بما يطابق المعقول والمنقول ؟ كلا ؟ فهل نكذبهم ونصدق أقوال الماديين التي تحيلها العقول وتأباها الشرائع السماوية ؟ كلا . فإن أقوالهم

الباطلة مردودة عليهم بما ورد على ألسنة الرسل وبما جاء فى الكتب المنزلة من عند الله تعالى وخاصة القرآن الكريم المعجز الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتحدى به بلغاء العرب أن يأتوا بسورة أو آية تماثل ما جاء فيه فعجزوا . فكان ذلك أعظم دليل وبرهان على صدقه صلى الله عليه وسلم وصدق ما جاء به وصدق الرسل جميعاً . وأنه رسول الله حقاً . وأن الإله الذى أرسله لهداية الخلق هو الإله الحق وما سواه مما تتوهمه العقول الخاسرة فهو الباطل بعينه .

وقد جاءت آيات هذا الكتاب العظيم واضحة بينة معلنة أن الخالق الرازق المحيي المميت هو الله عز وجل . فقد قال تعالى : (إن الله خالق كل شىء) وقال تعالى : (وخلق كل شىء) وقال تعالى : (هو الأول والآخر) أى هو الأول قبل كل شىء والآخر بعد كل شىء . وقال : (ألا إلى الله تصير الأمور) وقال : (إليه مرجعكم جميعاً) وقال : (كل شىء هالك إلا وجهه) وقال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقال : ليس كمثله شىء) وقال : (وهو بكل شىء عليم) وقال : (فعال لما يريد) وقال : (وهو على كل شىء قدير) وقال : (وهو السميع البصير) وقال : (وكلم الله موسى تكليما) وقال : (قل هو الله أحد) وقال : (هو الواحد القهار) وقال : (والله خلقكم وما تعملون) وقال : (هل من خالق غير الله وقال : (ربك يخلق ما يشاء ويختار) وقال : (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله) وقال : (أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله) وقال: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله) وقال : (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله) وقال : (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) وقال : (عالم الغيب والشهادة) وقال : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وقال : (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله) وقال : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وقال : (من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقال : (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما . وقال : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال : (وكان الله على كل شىء مقتدرا) وقال : (هو الذى يحيى ويميت) وقال : وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور)

فدل مجموع هذه الآيات الكريمة على أن الله عز وجل متصف بكل كمال منزه عن كل نقص . لأن النقص محال عليه لاستلزامه الحدوث المستحيل على الله عز وجل . وعلى أن ما خالف هذه العقائد التى وردت على لسان الرسل فهو باطل لا يلتفت إليه ولا يوزن بوزن .

ومن الواجب اعتقاد مخالفته تعالى للحوادث . وقيامه تعالى بنفسه . والسمع والبصر والكلام . وكونه تعالى سميعاً وبصيرا ومتكلماً . إذ لو لم تجب له هذه الصفات لكان محتاجاً إلى المحدث أو المحل . أو من يدفع عنه النقص . وإذا وجبت له استحالت عليه أضدادها .

ويلزم منه أيضاً نفى وجوب شىء عليه تعالى وإلا لزم إفتقاره تعالى لغيره . ويلزم من افتقار كل ماعداه . إليه الحياة والقدرة والإرادة والعلم . وكونه حياً . وقادراً . ومريداً . وعالماً . والوحدانية. وينتفى عنه أضدادها .

ويجوز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه . والجملة الثانية . وهى محمد رسول الله أفادت الإقرار برسالته صلى الله عليه وسلم . ويلزم منه تصديقه فى كل ما جاء به . ويندرج فيه . وجوب صدق الرسل . وأمانتهم . وفطانتهم . وتبليغهم ما أمروا بتبليغه للخلق . واستحالة أضدادها . وجواز الأعراض البشرية عليهم .

وقد ألف ابن القيم كتباً كثيرة فى علم التوحيد وزنها السلطان ومشى معها العلماء ، فسألت امرأة ابن القيم وهو مع هذا الجمع وهى لا تعرفه ذاتا . سألته عن الجوع السائرة وعن الأحمال التى يزفونها محملة بالكتب فأخبرها خبر الأحمال وحقيقتها . فقالت : أفى الله شك ؟ فقال لا . ولكن ربما طرأت شبهة فندفع بالبراهين المسطرة فى هذه الكتب . فقالت : كل من جادل فى الله خرقت عينه بأصبعى .

وعن مقداد بن شريح البرهانى عن أبيه قال : قام رجل يوم الجمل إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين . تقول : إن الله واحد ؟ فحمل الناس عليه . فقال لهم : دعوه . ثم قال : يا هذا إن القول فى أن الله واحد على أربعة أقسام . فوجهان منها لا يجوزان على الله . ووجهان ثابتان له . فأما اللذان لا يجوزان عليه . فقول القائل : هو واحد يقصد به باب الاعداد . فهذا لا يجوز لأن ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد أما ترى أنه كفر من قال : إنه ثالث ثلاثة . وقول القائل هو واحد يريد به النوع من الجنس . فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه . جل ربنا عن ذلك . وأما الوجهان اللذان يثبتان له فقول القائل . واحد يريد ليس له فى الأشياء شبيه ولا مثل . كذلك الله ربنا . وقول القائل : إنه تعالى واحد يريد أنه احدى المعنى . يعنى أنه لا ينقسم فى وجود ولا عقل ولا وهم . كذلك الله ربنا عز وجل - ولله در القائل : —

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

وقد حكى أن دهرياً من علماء الروم ناظر بعض علماء الإسلام فألجمهم إلا حماد بن أبى سليمان فإنه ظهر عليه وألجمه . ونام حماد ليلته تلك على موعد من المناظرة فرأى فى منامه : أن خنزيراً أكل شعب شجرة وفروعها ولم يبق منها إلا أصلها . فخرج من أصل الشجرة أسد قتل الخنزير ، فلما أصبح زاره الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه فرآه مغتماً مهموماً من أجل الدهرى ولهذه الرؤيا التى رآها . فقال له الإمام معبرا للرؤيا : الخنزير هو ذلك الدهرى الخبيث . والشجرة والعلم . وفروعها غيرك من العلماء وأصلها أنت : والأسد أنا . وسأقهر الدهرى بمعونة الله تعالى . فذهب الإمام مع أستاذه حماد إلى الجامع وصعد الدهرى المنبر وطلب المناظرة . فتقدم إليه الإمام فاستصغره فى عينه . وابتدره الإمام قائلا : هات ما عندك ، فتعجب الدهرى من جرأته . ثم قال الدهرى : كيف يمكن أن يوجد شىء لا أول له ؟ فقال له الإمام :

هل تعرف العدد؟ قال: نعم. قال له: فما قبل الواحد؟ قال الدهرى: هو الأول ليس قبله شيء فقال الإمام: كذلك الله سبحانه وتعالى. ثم قال الدهرى: فى أى مكان هو؟ وكل موجود لابد له من مكان؟ فأتى الإمام « بلبن » ثم قال الدهرى: هل فى هذا اللبن سمن؟ قال، نعم. قال له: فى أى مكان منه؟ فقال له: لا يختص بمكان دون مكان. فقال له الامام: كذلك الله جل شأنه. ثم قال الدهرى فى أى جهة وجهه وكل شيء لا يخلو عن الجهات؟ فقال له الامام: إذا أشعلت السراج ففى أى جهة نوره؟ فقال الدهرى: تستوى لنوره الجهات. فقال له الامام: هكذا الله خالق السموات والأرض ثم قال له الدهري: وبماذا يشتغل هو؟ فقال له الامام سألت هذه الأسئلة وأنت على المنبر وأجبتك عنها وأنا على الأرض. والآن انزل وأصعد أنا المنبر لأجيبك. فنزل الدهرى وصعد الامام وقال إذا كان على المنبر كافر مثلك أنزله. وإذا كان على الأرض موحد مثلى رفعه «وكل يوم هو فى شأن» فبهت الذى كفر وانتصر عليه الامام. رضوان الله تعالى عليه.

وقد دخل جماعة من الدهريين على الامام أبى حنيفة رضى الله عنه يريدون قتله. فقال لهم: مكانكم اصبروا على حتى أسألكم عن مسألة ثم افعلوا ما بدا لكم. فقالوا له: سل ما تريد. فقال لهم: ما تقولون فى سفينة تجرى فى وسط بحر هائج وهى على احسن ما تكون فى سيرها. أيكون ذلك وليس فيها من دبر أمرها؟ فقالوا: هذا محال. فقال لهم: إذا كانت هذه سفينة. فكيف بالدنيا وبالسموات وبالأرض. فأقبلوا عليه يقبلون أقدامه وتابوا ورجعوا عن اعتقادهم الفاسد.

وقد سئل إمام الحرمين: هل البارى تعالى فى جهة؟ فقال: هو متعال عن ذلك. فقيل له ما الدليل على ذلك؟ فقال: قوله صلى الله عليه وسلم: لا تفضلونى على يونس بن متى. فقيل له: ما وجه ذلك؟ فقال: لا أقول حتى يأخذ ضيفى هذا ألف دينار يقضى بها دينه. فقام بها رجلان فقال: إن يونس بن متى رمى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت وصار فى قعر البحر فى ظلمات ثلاث ونادى أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم حين جلس على الرفرف الأخضر وانتهى إلى أن سمع صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجاه وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله تعالى من يونس ابن متى فى بطن الحوت فى ظلمة البحر.

دلائل وجود الصانع

وقد سأل هارون الرشيد الامام مالكاً عن الدليل على وجود الصانع؟ فاستدل على ذلك باختلاف الأصوات وتردد النغمات. وتفاوت اللغات.

ويروى أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند الامام جعفر الصادق رضى الله عنه عنه. فقال جعفر: هل ركبت البحر؟ قال: نعم. قال: هل رأيت أهواله؟ قال بلى: هاجت يوماً رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين. فتعلقت أنا ببعض ألواحها. ثم ذهب عنى ذلك اللوح فإذا أنا مدفوع فى تلاطم الأمواج حتى رفعت إلى الساحل. فقال له جعفر: قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح حتى تنجيك. فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك؟ أم كنت ترجو السلامة بعد؟ فقال: بل رجوت السلامة. فقال له الامام: ممن كنت ترجوها؟ فسكت الرجل. فقال له الامام

جعفر : إن الصانع هو الذى كنت ترجوه فى ذلك الوقت وهو الذى أنجاك من الغرق . فأسلم الرجل على يده .

وقد سئل الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه عن الدليل على وجود الصانع فقال : ورقة الفرصاد ، أى التوت ، طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم ؟ قالوا : نعم . قال : فتأكلها دودة القز فيخرج منها الأبريسم ، الحرير ، ويأكلها النحل فيخرج منها العسل . وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر . وتأكلها الظباء فينعقد فى نوافجها المسك . فمن الذى جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد . فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يده وهم سبعة عشر .

رد أقوال المعتزلة

واعلم أن ما يقوله المعتزلة من أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه . فكلام باطل . وكذا ما يزعمه كثير من الجهلة من أن الأكل يؤثر فى وجود الشبع والشرب فى وجود الرى . والنار فى وجود الإحراق . والسكين فى وجود القطع بقدرة جعلها الله فى جميعها فهو باطل أيضاً . فمن اعتقد أن الأسباب العادية تؤثر بطبعها وذاتها فهو كافر بالإجماع . أو بقوة خلقها الله فيها . فهو فاسق . مبتدع وقيل كافر . ومن اعتقد أن المؤثر هو الله عز وجل لكن جعل بين الأسباب ومسبباتها تلازماً عقلياً بحيث لا يصح تخلفه . فهو جاهل . وربما جره ذلك إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فإنه قد ينكر معجزات الأنبياء لكونها على خلاف العادة . وأما من اعتقد أن المؤثر هو الله تعالى وأن بين الأسباب ومسبباتها تلازماً عادياً بحيث يصح تخلفه فهو المؤمن الناجى إن شاء الله تعالى . فالشبع والرى ليس هو من فعل الطعام والماء وإنما أجرى الله العادة بخلق الشبع عند أكل الطعام وخلق الرى عند شرب الماء فالشبع والرى خلق الله تعالى . هذا مذهب أهل الحق ولا التفات لمن قال غير ذلك .

قال الزركشى فى جمع الجوامع بعد كلام طويل . وأحسن ما قيل فى تعريف الكسب أنه المقدور الحاصل بالقدرة القديمة فى محل القدرة الحادثة . فالذى يجب اعتقاده أن الله تعالى خالق أفعال العباد وأنها مكتسبة لهم . وأن حجة الله قائمة عليهم . وأنه لا يسئل عما يفعل . ولا يطلب الوصول إلى الغاية فى ذلك فلسنا مكلفين بها مع صعوبة مرامها . مع العلم أن القضاء لا يجبر على المعصية لأنه صفة القاضى والصفة لا تجبر أحداً على الفعل . كالعلم بالخياطة والتجارة لا يجبر الخياط أو التجار على تحصيل الفعل بل العبد مخير مستطيع . ولهذا المعنى استحق العقاب أو الثواب . كما لو قال لعبده إن دخلت الدار فأنت حر . فدخلها . يعتق .

وكذلك فى الطلاق يقع بدخول الدار : ولا يقال بأن اليمين تدل على الدخول أو أجبرته به . كذلك هاهنا وإن كان بقضاء الله . ولكن لا يقال بأن القضاء أجبره على الفعل . على أن القضاء سر الله تعالى أخفاه على الخلق . والأمر والنهى حجة الله تعالى على خلقه . فإذا ترك أمره الظاهر وهو مستطيع فبذلك المعنى يستحق العقوبة . ولله الحجة البالغة على عباده . فلو قدرنا أن عبداً قال : يارب كيف تؤاخذنى بما قدرته على ؟ بل إن أخلق ؟ لقال له الحق تعالى : وهل تعلق علمى بك إلا بما أنت عليه ولا أفتتاح لعلمى

ولا لمعلومي . ومعلوم أن علم الواجب جل وعلا محيط بما يقع من الانسان بإرادته . وبأن عمل كذا يصدر في وقت كذا وهو خير يثاب عليه . وأن عملا آخر شر يعاقب عليه عقاب الشر . والأعمال في جميع الأحوال حاصلة عن الكسب والاختيار . فلا شيء من العلم يسالب للتخيير في الكسب وكون ما في العلم يقع لا محالة إنما جاء من حيث هو الواقع . والواقع لا يتبدل . ولنا في علومنا الكونية أقرب الأمثال .

القضاء والقدر

شخص من أهل العناد يعلم علم اليقين أن عصيانه لأميره باختياره يحل به عقوبته لا محالة . لكنه مع ذلك يعمل ويستقبل العقوبة . وليس لشيء من علمه وانطباقه على الواقع أدنى أثر في اختياره لا بالمنع ولا بالإلزام . فانكشاف الواقع للعالم لا يصح في نظر العقل ملزماً ولا مانعاً . وإنما يريك الوهم تغيير العبارات وتشعب الألفاظ . هذا هو الذي لا يسمح العقل ولا الدين لأحد أن يذهب إلى غيره وهذا هو الذي قامت عليه الشرائع وبه استقامت التكاليف . وهذا هو النور الذي قذفه الله في قلوب من شاء . أو خص به أهل الولاية والصفا . وقد أفصح عن هذا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث قام إليه شيخ بعد انصرافه من صفين : فقال له : أخبرنا عن سيرنا إلى الشام . أكان بقضاء الله وقدره ؟ فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطناً ولا هبطنا وادياً ولا علونا قلعة إلا بقضاء الله وقدره . فقال الشيخ : عند الله احتسب عنائي . ما أرى من الأجر شيئاً . فقال له : مه أيها الشيخ عظم الله أجركم في سيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون . ولم تكونوا في شيء من حالتكم مكرهين ولا إليها مضطرين . فقال الشيخ : كيف والقضاء والقدر ساقانا ؟ فقال له : ويحك . لعلك ظننت قضاء لازماً . وقدراً حاتماً . لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب . والوعد والوعيد .والأمر والنهي ولم تأت لائمة من الله لمذنب . ولا محمدة لمحسن ولم يكن أولى بالمدح من المسيء . ولا المسيء أولى بالذم تلك مقالة عبدة الأوثان . وجنود الشيطان . وشهود الزور . وأهل العمى عن الصواب . وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها . إن الله تعالى أمر تخييراً . ونهى تحذيراً . وكلف يسيراً . ولم يعص مغلوباً . لم يطع مستكرهاً . ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً . ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا . ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . فقال الشيخ : وما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما ؟ قال : هو الأمر من الله والحكم ثم تلا قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) كذا في المقاصد للسعد .

وفي رسالة الجبر والقدر لابن كمال باشا : أن السائل شيخ من الشام . وفيها بدل وقضى ربك إلى آخره وكان أمر الله قدراً مقدوراً . أي قضاء مقضياً أو حكماً مثبوتاً . كما في أبي السعود . فقام الشامي فرحاً مسروراً لما سمع من المقال وقال : فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك . ثم أنشأ يقول : —

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ... جزاك ربك عنى منه إحسانا

هذا الذى قررناه هو الذى اهتدى إليه سلف الأمة وعول عليه من متأخرى أهل النظر القادة الأئمة.

الأحاديث الواردة فى القضاء والقدر

وقد ورد فى القدر أحاديث كثيرة. منها ما أخرجه بن عدى «من كذب بالقدر فقد كفر بما جئت به». وروى الطبرانى فى الأوسط «من لم يرض بقضاء الله ويؤمن بقدر الله فليلتمس إلهاً غير الله» وروى ابن عدى والطبرانى «خلق الله يحيى بن زكريا فى بطن أمه مؤمناً وخلق فرعون فى بطن أمه كافراً» ويروى الطبرانى «فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» وروى أبو نعيم «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت» وروى البيهقى «لا تكثر همك ما قدر يكون وما ترزق يأتيك» وروى الديلمى «إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره. فإذا مضى أمره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامة» وروى الطبرانى «اعملوا فكل ميسر لما خلق له. اعملوا فكل ميسر لما يهدى إليه من القول. من خلقه الله لواحدة من المنزلتين وفقه لعملها» وروى الدارقطنى والديلمى «إن الله من على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم فى رحمته وابتلى قوماً فخذلهم وذمهم على فعالهم فلم يستطيعوا أن يرحلوا عما ابتلاهم به فعذبهم وذلك عدله فيهم» وروى الإمام أحمد عن زيد بن ثابت وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والطبرانى فى الأوسط عنه وعن أبى بن كعب وحذيفة وبن مسعود: «لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهباً فى سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدرة فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار» وروى أحمد والشيخان والأربعة «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا كتبت شقية أو سعيدة. قيل: أفلا نتكل؟ قال: لا. اعملوا ولا تتكلوا فكل ميسر لما خلق له. أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة. وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة» وروى الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شىء فلا تقل. لو أنى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان» وروى الإمام أحمد ومسلم «يدخل الملك على النطفة بعدما استقرت فى الرحم بأربعين ليلة فيقول يارب ماذا؟ أشقى أو سعيد ذكر أو أنثى؟ فيقول الله. فيكتب ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص» وروى الإمام أحمد والترمذى والنسائى: «أتدرون ماهذان الكتابان. هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص وهذا كتاب رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً. سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل. وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير». وأخرج مسلم عن جابر أن سراقة بن مالك ابن جعشم قال «يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل؟ أفيما جفت به الأقلام؟ وجرت

به المقادير أم فيما يستقبل ؟ قال فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير . قال : ففيم العمل ؟ قال : أعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله .

وقد سئل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن قول الله عز وجل : ألست بربكم الآية . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال : خلقت هؤلاء إلى الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون . ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون . فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل ؟ فقال : إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة . وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار .

وقد سئل أيضاً الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه عن القدر فقال : هو والله طريق مظلم لا تسلكه . بحر عميق لا تلجه ، سر الله قد خفى عليك فلا تفشه أيها السائل إن الله قد خلقك لما شاء أو لما شئت ؟ قال : بل لما شاء . قال فيستعملك كما شاء .

وقال سيدى محيى الدين بن العربى قدس الله سره : قلت : سيدى ومولاى إذا كان الكل منك وإليك كان التكليف بمنزلة افعل يامن لا تفعل . فقيل له : إذا أمرناك بأمر فاقبله ولا تحاقق فإن حضرة الأدب لا تسع المخالفة . فقلت يا سيدى : هو نفس ما نحن فيه فإنك إن كنت قضيت على بالأدب أو بالمحاققة فلا خروج لى عن قضائك . فقيل لى : لن نوجدك إلا على ما علمنا ولم نعلمك إلا على ماأنت (أى عليه) ولنا الحجة البالغة .

وقال ابن العربى أيضاً ، قد غلب على شهود الجبر الباطنى حتى نبهنى تلميذى إسماعيل وقال لى : لو لم يكن للعبد أمر ظاهر ما صح كونه خليفة ولا متخلقاً بالأخلاق . فأدخل على بالكلام من الفرح والسرور مالا يعلمه إلا الله تعالى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو أن الماء الذى يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله تعالى منها ولداً وليخلقن الله تعالى نفساً هو خالقها .

وروى الخطيب : أحسنوا فإن غلبتم فكتاب الله تعالى وقدره . ولا تدخلوا — اللو — فإن من أدخل — اللو — دخل عليه عمل الشيطان . وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى : إن الله خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى . وهؤلاء فى النار ولا أبالى . وروى الإمام أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى وابن ماجه : احتج آدم وموسى . فقال موسى : أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم . قال آدم : يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وأنزل عليك التوراة أتلومنى على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقنى ، فحج آدم موسى . وفى رواية لأبى داود : أن موسى سأل ربه أن يريه آدم فأراه إياه ، فقال له : أنت أبونا آدم الذى نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال : نعم . قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : ومن أنت

قال : أنا موسى . قال : أنت نبى بنى إسرائيل الذى كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال : نعم . قال : فما وجدت أن ذلك فى كتاب الله قبل أن أخلق . قال : نعم قال فيم تلومنى فى شىء مسبق من الله فيه القضاء قال : فحج آدم موسى .

وروى أن سيدنا موسى عليه السلام قال : يارب دلنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله ؟ فأوحى الله تعالى إليه : إن رضاى فى كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره : قال : يارب دلنى عليه . قال : فإن رضاى فى رضاك بقضائى .

وفى الحديث القدسى قال الله تعالى : « أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليتخذ رباً سوائى » وقال تعالى فى الحديث القدسى « قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع . فمن رضى فله الرضا منى حتى يلقانى . ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى » وفى الخبر المشهور يقول الله تعالى « خلقت الخير والشر . فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه . وويل ثم ويل لمن قال : لم وكيف » :

وفى الأخبار السالفة أن نبياً من الأنبياء شكا إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد ، ثم أوحى الله تعالى إليه : كم تشكونى ؟ هكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض . وهكذا سبق لك منى . وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا . أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك ؟ أم تريد أن أبدل ماقدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب . ويكون ما تريد فوق ما أريد ؟ وعزتى وجلالى لئن تلجلج هذا فى صـــدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : ياداود إنك تريد وأريد وإنما يكون ما أريد فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما بقى لى سرور إلا فى مواقع القـدر ، وقيل له ؟ ما تشتهى ؟ فقال : ما يقضى الله تعالى .

وقال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء .

وقال عبد الله بن مسعود : لأن الحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشىء كان ليته لم يكن . أو لشىء لم يكن ليته كان .

وقال عمر رضى الله عنه : ما أبالى على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة او رخاء وقال الثورى يوماً عند رابعة : اللهم أرض عنا . فقالت : أما تستحى من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راضى . فقال استغفر الله . فقال جعفر بن سليمان : فمتى يكون العبد راضياً عن الله تعالى ؟ قالت : إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة .

قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه : إذا عمل العبد حسنة وقال يارب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت . شكر الله له ذلك وقال له : ياعبدى أنت أطعت وأنت تقربت . وإذا نظر إلى نفسه وقال : أنا عملت وأطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال له : يا عبدى : وأنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت ، وإذا عمل سيئة وقال . يارب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له : يا عبدى أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت . وإذا قال يارب : أنا ظلمت نفسى أو أنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال له : ياعبدى أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت .

قال فى لطائف المنن : اعلم أن قد قدرة الله عز وجل لا تتوقف على الأسباب . وإن العوائد هو حاكم عليه ليست هى حاكمة عليه . وإنما جعل العوائد والوسائط والأسباب حجب قدرته وسحب شمس أحديته . فالواقف عندها معزول . والنافذ منها إليه من هو بالعناية موصول .

ويحكى أن أبليس لعنه الله تمثل بين يدى الإمام الشافعى رضى الله عنه وقال يا أمام : ما تقول فيمن خلقنى لما اختار . واستعملنى فيما اختار . وبعد ذلك إن شاء أدخلنى الجنة وإن شاء أدخلنى النار . أعدل فى ذلك أم جار ؟ قال الإمام : فنظرت فى مسألته فألهمنى الله تعالى أن قلت له . يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وإن كان قد خلقك لما يريد هو يسئل عما يفعل وهم يسئلون . فاضمحل إبليس وتلاشى . ثم قال : والله ياشافعى لقد أخرجت بمسئلتى هذه سبعين ألف من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة .

وحكى أن القاضى عبد الجبار الهمدانى دخل على الصاحب بن عباد وعنده الأستاذ أبو إسحاق الاسفراينى . فلما رأى الاستاذ قال سبحان من تنزه عن الفحشاء . فقال الأستاذ . سبحان من لايجرى فى ملكه إلا ما يشاء . فقال عبد الجبار . أيريد ربنا أن يعصى ؟ فقال الأستاذ أنيعصى ربنا كرهاً ؟ فقال عبد الجبار : أرأيت إن منعنى الهدى وقضى على بالردى احسن إلى أم أساء ؟ فقال الأستاذ : إن منعك ماهو لك فقد أساء . وإن منعك ما هوله فهو يختص برحمته من يشاء .

وروى أن إبليس لعنه الله قال للملائكة : إنى أسلم أن لى إلها هو خالقى وموجدى وهو خالق الخلق . لكن لى على حكمة الله تعالى أسئلة سبعة : الأولى . ما الحكمة فى الخلق لا سيما إن كان عالما بأن الكافر لا يستوجب عند الخلق إلا الآلام ؟ الثانى . ثم ما الفائدة فى التكليف مع أنه لا يعود منه خير ولا نفع . وكل ما يعود على المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف ؟ الثالث : هب أنه كلفنى بمعرفته وطاعته فلماذا كلفنى السجود لآدم ؟ الرابع : ثم لما عصيته فى ترك السجود لآدم فلم لعننى وأوجب عقابى مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه ولى فيه أعظم الضرر ؟ الخامس : ثم لما فعل ذلك فلم مكننى من الدخول إلى الجنة ووسوست لآدم ؟ السادس : ثم لما فعلت ذلك فلم سلطنى على اولاده ومكننى من إغوائهم وإضلالهم ؟ السابع : ثم لما استمهلته المدة الطويلة فى ذلك فلم أمهلنى ؟ ومعلوم أن العالم لو كان خالياً من الشر لكان ذلك خيراً .

قال شارح الأناجيل : فأوحى الله تعالى إليه من سرادقات الجلال والكبرياء يا إبليس ، إنك ما عرفتنى ولو عرفتنى لعلمت أنه لا اعتراض على فى شىء من أفعالى . فإنى أنا الله لا إله إلا أنا : لا أسئل عما أفعل .

وقد ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى البحر المورود قال : وقفت مرة على شخص يصحن الحشيش وسألته الدعاء . فقال : ياولدى : ماذا رأيت من أحوالى حتى سألتنى الدعاء ؟ فقلت : رسوخك تحت قضاء الله وقدره من غير تملق ولا أستطيع أن أجلس مكانك أصحن الحشيش يوماً واحداً . فقال : ياولدى : نحن قوم أقمنا فى المراتب المزرية تحملا عن إخواننا أصحاب الرتب العالية من العلماء والقضاة والتجار حين رأينا تلك المراتب قد استحكمت من أزمان متعددة ولم يقدر أحد على إزالتها من الوجود كما هو مشاهد لا بد لها من أحد يتولى أمرها . فدخلنا فيها رجاء الأجر من الله عز وجل . فقلت له : وهل فى صحنك الحشيش أجر : قال نعم . من حيث الرضا بالتقدير لا من حيث الكسب مع أنى قائل : استغفر الله من حيث الكسب نادم على كل بيعة وقعت والندم توبة كما فى الحديث . فقلت له : شرط التوبة الإقلاع وأنت مصر على البيع ليلا ونهاراً ؟ فقال : من أين لى الإصرار وأنا أندم على كل فعل وقع كما نبهتك عليه آنفاً . والمستقبل ليس فى يدى حتى أتوب منه . والتوبة لا تكون إلا بعد وقوع الذنب . فأنا صابر تحت قضاء الله عز وجل حتى يحولنى منه . وقد قال تعالى : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فقلت له : إنما مدح الله الصابرين على المرض والبلاء بموت ولد أو ذهاب مال ونحو ذلك أما الصبر على الوقوع فى المعاصى فلا . فقال : الصبر : مطلق فى القرآن . ما قال : الصابرون على كذا دون كذا . فمن أين لك تقييده بما ذكرت ونحن ياولدى نرى بلاءنا بالمعاصى أشد من سائر ما يبتلى الله به عباده . وعظم الأجر لا يكون إلا مع عظيم البلاء . فنحن أولى بالمدح وتوفية الأجر بغير حساب إذ صبرنا تحت القضاء أشد ممن صبر تحت بلاء حسن أو موت ولده . فقلت له : أتبيع الحشيش فى مثل هذه الأيام الكثيرة النكد ؟ وكان ذلك أيام خروج التجار لبحر الهند سنة ٩٤٤ فقال وليس بيعها أخف حرمة إلا فى مثل هذه الأيام . فقلت لماذا ؟ فقال : لكثرة سخط الناس على ربهم واعتراضهم عليه فيما يقدره عليهم . ونسيان ذنوبهم واستحقاقهم الخسف بهم لولا عفو الله فإذا بلع أحدهم الحشيش ثقلت أعضاؤه ولسانه ونام فاستراح من ورطة السخط على الله عز وجل وقلة الأدب . وإن إثم السخط على الله يرجح على إثم بلع الحشيش . وإذا تعارض مفسدتان ارتكبنا الأخف منهما . فقلت : نعم فقال : والله إنى لا أقدر أن أسمع أحداً يعترض على ربه بل أكاد أذوب من الحياء فأبادر عند ذلك إلى بيعهم الحشيش . وأصبح مسحوباً كان فى عنق خنزيراً . فقلت له : صحيح هذا حكم الإرادة . ولكن قد جعل الله تعالى جزءاً اختيارياً . فقال صحيح . ولكن اختياره بحكم التبع للإرادة الإلهية لا استقلالا (لأن حقيقة من له اختيار أن يفعل باختياره ماشاء وليس كذلك إلا الله وحده . قال تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) ، يعنى من أين لهم معى اختيار وأنا أقلب قلوبهم وجوارحهم ليلا

ونهاراً فيم أريد لا فيما يريدون: فالعبد أحق وأدنى من أن يرد ما قدره الله عليه . فقلت له صحيح ما قلت . قال : فما يفيد قولك حينئذ : حرام عليك هذا الفعل ثم تذهب وتتركنى . فإن كان فى يدك قوة للجزء الاختيارى الذى تقوله فرد عنى التقدير . أنا فى حسبك . فإن ادعيت العجـــز عن ذلك مع ضخامتك وعلمك فهى مسألتى أنا بعينها . فأسكتنى ثم قلت له : إن الحق تعالى أوجب علينا أن ننهاك عن الوقوع فى المعاصى ولو كنا نعلم عجزك عن رد التقدير . فقال : صحيح هذا هو الذى تعبد الله به عباده ، ولكن يكون ذلك برحمة وشفقة وإقامة عذر لنا فى الباطن . فقلت له وقال لى . ثم قلت له : لا ينبغى لعبد أن يقف بنفسه فى مواطن السخط والغضب . فقال : أنا ما وقفت بنفسى فى تلك المواطن ولا أنا المقـدر للمعاصى على نفسى . وأنا أستحى من الله عز وجـــل أن يقيمنى فى أمر فأسأله التحويل لعلمى بأنه أعلم بمصالحى من نفسى . ربما علم منى العجب والزهو بأعمالى الصالحة فى وهمى فقـد قدر على تلك المعاصى ليذل نفسى . ويردنى إلى شهود ذلى وحقارة نفسى . والعبد عبد فى كل حال سواء كان فى وظيفة تقليب المسك أو تقليب الزبل : ويقول لسيده سمعاً وطاعة إلى آخر ما قال . فقال فأعجبنى كلامه واستفدت منه آداباً عظيمة كنت عنها غافلا . وعلمت أن لله تعالى فى كل شىء حكمة وأسراراً تدق على فحول العلماء فضلا عن أمثالنا ولم أزل بعد هذا ألين الكلام لأصحاب الكبائر وأخفض جناحى لهم .

فالحق الذى يجب علينا اعتقاده أنه تعالى فاعل بالإرادة والاختيار لا بالقهر والإجبار . فلا يجرى فى ملكه قليل أو كثير أو شر . نفع أو ضر . إيمان أو كفر . غنى أو فقر . طاعة أو عصيان . فوز أو خسران . إلا بقضائه وقـــدره . وحكمته ومشيئته وإرادته : فلو اجتمع الإنس والجن والشياطين والملائكة على أن يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها بدون إرادته لعجزوا . إلا أن الأدب عدم نسبة شىء من الشرور والقبائح إليه عز وجل . وإلى ذلك يشير قوله تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ؟ أى كسبا . بدليل قوله (قل كل من عند الله) . وانظر لقول الخضر عليه السلام : (فأردت أن أعيبها) حيث نسب العيب لنفسه أدباً مع الله . مع قوله : (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) .

وفى الطبقات الكبرى لابن السبكى عن الربيع بن سليمان قال : سئل الشافعى رضى الله عنه عن القدر فأنشأ يقول : —

ما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ... ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت ... وهــذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيـد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

وقد اهتم بعضهم بأمور الحياة فرأى فى نومه من يملى عليه البيتين الآتيين وهما لأبى الخير الكاتب الواسطى رحمة الله عليه : —

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق فى غشاوته الجنين

فانتبه من نومه مرضى القلب . والسعى غير المشكور هو الهرولة والجرى فى طلب الرزق وتحصيله وإنما المطلوب هو السعى فى طلب الرزق برفق .

ومما وجد مكتوباً بالقدرة فى حجر فى الكعبة : —

تذكر جميلى إذ كنت نطفة ولا تنس تصويرى لشخصك فى الحشا
وكن واثقاً بى فى أمورك كلها سأكفيك منها ما يخاف ويختشى
وسلم إلى الأمر واعلم بأننى أصرف أحكامى وأفعل ما أشا

وقد وقعت مناظرة بين الشيخ أبى الحسن الأشعرى وشيخه الجبائى . وذلك أن الشيخ أبا الحسن سأله عن ثلاثة إخوة . عاش أحدهم فى الطاعة حتى مات كبيراً . وعاش الثانى فى المعصية حتى مات كذلك . والثالث : مات صغيراً . فقال : يثاب الأول ويعاقب الثانى . والثالث لا يثاب ولا يعاقب . فقال له الشيخ أبو الحسن : قد يقول الثالث : يارب هلا أعمرتنى فأشتغل بالطاعة حتى أثاب . فقال الجبائى : يقول الله تعالى : علمت أنك لو عمرت لاشتغلت بالمعصيه فتعاقب . فقال الأشعرى : قد يقول الثانى : يارب لم تمتنى صغيراً حتى لا أعصى فلا أعاقب . فعجز الجبائى وبهت . وقال : أبك جنون يا أبا الحسن ؟ فقال : لا . ولكن وقف حمار الشيخ فى العقبة ثم تركه بعد ذلك واشتغل بإبطال رأى المعتزلة وإثبات ما وردت به السنة ومضى عليه الجماعة . فلذا سموا أهل السنة والجماعة .

فضل التفقه فى الدين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » أى يفهمه أحكامه وروى أن سيدنا عمر رضى الله عنه كان لا يخطب خطبة إلا قال ذلك . ثم يقول « يا أيها الناس تفقهوا وقال صلى الله عليه وسلم : « ما عبد الله بشىء أفضل من فقه فى الدين ولفقية واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » أى غير فقيه . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال (مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة) وورد « من احب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين فو الذى نفسى بيده ما من متعلم يسعى إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الأرض والأرض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له وتشهد الملائكة له بأنه من عتقاء الله من النار » وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : « الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سوى ذلك » وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : طلب العلم افضل من صلاة النافلة . وقال العلامة ابن رسلان : —

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

ذكر الطهارة للصلاة
وهى الركن الثانى من مبانى الإسلام

قال الله عز وجل : (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) وقال تعالى : (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) وقال تعالى : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور » وقال عليه الصلاة والسلام « الطهور نصف الإيمان » وقال : « مفتاح الصلاة الطهور » وقال عن ماء البحر « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » فكل ماء نزل من السماء أو نبع من الأرض باقياً على أصل خلقته لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة : وهى : اللون . والطعم . والرائحة . فهو صالح لرفع الحدث وإزالة النجس ما لم يستعمل فى أحد الأمرين فإنه لا يصح أن يرفع به الحدث وإن كان يزيل الخبث .

الاستنجـــاء

فيه فرضان . وأربع سنن . أحد الفرضين إزالة الخبث العينى والحكمى . والثانى : طهارة المزيل . وهو أن لا يكون رجيع دابة ولا مستعملا مرة ولا عظم ميتة ويكره الاستنجاء بفحمة .

والسنن الأربع هى : وتر الاستنجاء . والاستنجاء بالماء . ومباشرة الأذى بشماله . ومسح اليد بالتراب .

فأما كيفية الاستنجاء فهى : أن يأخذ الحجر بشماله ويمر به على مقعدته من مقدمها مسحاً إلى مؤخرها ثم يرمى به . ثم يأخذ الحجر الثانى : فيبتدىء به من مؤخرة المقعده فيمسحها مداً إلى مقدمها ثم يرمى به . ثم يأخذ الحجر الثالث فيديره حول المسربة إدارة . فإن احتاج إلى حجر آخر فليجعلها خمسة . وإن اكتفى بحجر واحد فلابد أن يكون له ثلاثة أطراف ، وفى الخبر : « من استجمر فليوتر » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الحاجة أبعد . وكان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل لأنه كان لا يقعد فى فضاء . بل كان ينصب وراءه شيئاً أو يقعد إلى حائط أو نشز من الأرض يستره أو كوم من الحجارة يحجبه . وكان صلى الله عليه وسلم لا يستقبل القبلة لغائط أو لبول ولم يكن يرفع ثوبه لقضاء الحاجة حتى يدنو من الأرض .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة . وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : إنك تأتى الخلاء فلا نرى منك شيئاً من الأذى فقال « يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شىء » .

ومن السنة أن يجلس الرجل على رجله اليسرى وينصب اليمنى فإذا انقطع الخارج على مهل استبرأ منه بالتنحنح أو بمد ذكره من أصله إلى الحشفة مرات حتى يتأكد انقطاعه . فيستنجى منه إما بالحجر بأن يأخذ الحجر بيمينه وذكره بشماله ويمده عليه حتى يرى موقعه جافاً . فهناك طهر حين انقطعت النداوة وهذا يكفيه عن الماء مالم ينتشر البول على الحشفة أو الغائط على المسربة فيتعين الماء .

ويستحب البول فى أرض رخوة أو على تراب مهيل . ويكره له أن يبول مستقبلا للريح أو على أرض صلبة كيلا يعود البول عليه . فإذا خشى الوسواس فلينضح فرجه بعد وضوئه . وهو أن يأخذ كفاً من ماء ويرشه عليه ، وفى خبر : أن النبى صلى الله عليه وسلم فعله ، ويكره مس الذكر باليمين تكريماً لليمين .

ويخرج من الذكر خمسة أشياء : البول : والمذى . وهو ماء رقيق فوق البول يخرج عقب ثوران الشهوة . والودى . وهو لزوجة تتعقب البول إذا طال حبسه أو إذا حمل شيئاً ثقيلا نزل . والريح . والمنى . وكلها توجب الوضوء إلا المنى . وهو الماء الدافق الذى ينزل بشهوة . ومنه يخلق الإنسان فإنه يوجب الغسل . وما يخرج من الذكر من ذلك من دود أو حصى . ففيه الوضوء وقد يخفى الريح . فلذلك يستحب الوضوء عند كل صلاة . وهو من المرأة أظهر .

ذكر فرائض الطهـــارة

من شروط الماء المراد به الطهارة أن لا يكون قد رفع به حدث أو يكون غير متنجس والمتنجس هو ما اتصل به نجس فتغير به . أو كان قليلاً مستعملاً . وفى مذهب الإمام مالك رضى الله عنه : أن الماء لا ينجس مطلقاً إلا بالتغير . أى سواء كان قليلاً أو كثيراً . إلا أنه يكره استعماله إن وجد غيره مراعاة لخلاف أئمة المذاهب الإسلامية . ولا يخفى ما فى ذلك من التسهيل على الناس .

وضابط القليل كما يراه الإمام الشافعى : هو ما نقص عن القلتين . والكثير ما بلغهما أو زاد عنهما . ومقدار القلتين بالوزن بالأرطال المصرية التى كل واحد منهما مائة وأربعة وأربعون درهماً . وأربعمائة وستة وأربعين رطلاً وثلاثة أسباع الرطل . ومقدارهما بالمساحة فى المربع : ذراع وربع طولاً وعرضاً وعمقاً بذراع اليد المعتدلة . وفى المكان المدور كالبئر . ذراع عرضاً وذراع ونصف ذراع عمقاً وثلاثة أذرع وسبع ذراع محيطاً . وفى مكان مثلث . ذراع ونصف عرضاً ومثل ذلك طولا وذراعان عمقا .

وقال السادة الحنفية : إن الماء ينقسم إلى قسمين : كثير وقليل . فالكثير كماء البحر والأنهار والترع والمجارى الزراعية . والقليل هو ما عدا ذلك .

وقال السادة المالكية : إن القليل هو مالم يزد عن كفاية الغسل . وقدر ذلك بملء صاع . وهو خمسة أرطال وثلث ، لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ، بمد ، واغتسل ، بصاع ، والكثير ما زاد على ذلك .

ولا يضر التغير بالمجاور ولو كان كثيرا كالتغير بالأخشاب التى تعطن فى الماء . ولا بورق الأشجار المتناثرة ولو أيام الربيع . ولا بالدهن والكافور الصلب . ولا بالقطران الذى له دهنية . بخلاف مالا دهنية له فانه يضر التغير به . ولا يضر التغير بما وضع لاصلاح المقر كالقربة وكذا بالطحلب . وكذا لايضر التغير بالجير الذى يصنع فى الفساق والصهاريج ونحوها . ولا بما ينفصل من أوساخ الأرجل المنغمسة فى الميض والمغاطس حيث لم يمنع إطلاق اسم الماء عليه . ولا يضر التغير ولو كثيراً بطول المكث .

وينبغى لمن يتوضأ أو يغتسل من إناء فيه ماء قليل ، نية الاغتراف . وهى قصد أخذ الماء من الإناء لا لرفع حدث . بل لنية أخرى . ومحلها فى الوضوء بعد غسل الوجه وإرادة غسل اليدين . وفى الغسل بعد نيته وقبل مماسة الماء لشىء من بدنه . وإذا لم ينو الاغتراف المذكور ووضع يديه فى الماء عند الوضوء لإرادة الوضوء أو وضع شيئا من بدنه عند الغسل فى الماء صار الماء مستعملا لايصلح للطهارة ولا لرفع الحدث . وقد تسقط نية الاغتراف فى الغسل إذا أخذ الماء بكفيه قبل نية الغسل ثم رفع بهما حدثهما خارج الاناء . وحينئذ يأخذ بهما الماء لباقى بدنه بدون نية الاغتراف . وإذا أشتبه ماء طهور بمتنجس أو طهور بمستعمل اجتهد بعد دخول الوقت وجوباً إن ضاق الوقت ولم يجد غيره .

ذكر فضائل الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ كما أمر وفى لفظ من توضأ فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين ولم يحدث فيهما نفسه بشىء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وفى لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه .

وأما قوله فى الحديث الشريف : ولم يحدث نفسه فيهما بشىء . المراد به الا يحدث نفسه بشىء من أمور الدنيا او بمالا يتعلق بالصلاة . ولو عرض له حديث فأعرض عنه بمجرد عروضه عفى عن ذلك وجعلت له فائدة الفضيلة إن شاء الله تعالى لأن هذا ليس من فعله . وقد عفى لهذه الأمة عن الخواطر التى تعرض ولا تستقر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا أنبئكم بما يكفر الله الخطايا به ويرفع به الدرجات . إسباغ الوضوء فى المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة . فذلكم الرباط » وتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال : هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به . ثم توضأ مرتين مرتين . فقال : من توضأ مرتين آتاه الله اجره مرتين . ثم توضأ ثلاثاً ثلاثاً . فقال هذا وضوئى ووضوء الأنبياء قبلى ووضوء إبراهيم عليه السلام .

فرائض الوضوء

الأصل فى فرضيته للصلاة قول الله عز وجل : (يا أيها الذين أمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله صلاة احدكم حتى يتوضأ » .

فعند السادة المالكية : فرائض الوضوء سبعة وهى : النية . وغسل الوجه . وغسل اليدين مع المرفقين . ومسح جميع الرأس ، وغسل الرجلين مع الكعبين . والفور ، والتدليك . على المعتمد عندهم

وعند السادة الشافعية : عدوا فرائض الوضوء ستة وهى النية . وغسل الوجه . وغسل اليدين مع المرفقين . ومسح بعض الرأس . وغسل الرجلين مع الكعبين . والترتيب .

وعند السادة الحنابلة : عدوا فرائض الوضوء ستة وهى : غسل الوجه . ومنه داخل الفم والأنف وغسل اليدين مع المرفقين . ومسح جميع الرأس . ومنها الأذنان . وغسل الرجلين مع الكعبين . والترتيب والموالاة . وأما النية فعدوها شرطاً فى صحته .

وعند السادة الحنفية : عدوا فرائض الوضوء أربعة . وهى : غسل الوجه . وغسل اليدين مع المرفقين ومسح ربع الرأس . وغسل الرجلين مع الكعبين .

والسادة الشافعية قالوا : . لابد من مقارنة النية لأول جزء من العمل كالوجه فى الوضوء والسادة الحنفية قالوا : إن النية سنة مؤكدة لمواظبته صلى الله عليه وسلم عليها .

وحد الوجه الواجب غسله : من منابت شعر الرأس إلى منتهى اللحيين طولا . وحده عرضاً ما بين وتدى الأذنين . والمرفقان الواجب غسلهما مع اليدين : هما العظمان البارزان فى مفصل الكف . أما مسح جميع الرأس : فإن السادة المالكية والسادة الحنابلة يقولون بوجوب مسح جميع الرأس من منابت شعرها المعتاد إلى نقرة القفا . وقال السادة الحنابلة ، الأذنان من الرأس فيفترض مسحهما والسادة الشافعية قالوا : المفروض مسح بعض الرأس وإن قــل . والسادة الحنفية قالوا : المفروض مسح ربع الرأس على المعتمد عندهم . وقالوا : إذا مسح بيده وجب عليه أن يمسح بثلاث أصابع لأجل أن يصيب الماء ربع الرأس .

أما الكعبان : وهما العظمان البارزان فى أسفل الساق فوق القدم فيجب تعهدهما بالغسل مع العقبين لقوله صلى الله عليه وسلم ، ويل للأعقاب من النار ، أما الترتيب بين الأعضاء . فقد جعله السادة المالكية والسادة الحنفية سنة . والمراد بالترتيب : هو أن يأتى بأعمال الوضوء على الوجه الذى جاء فى الكتاب العزيز . فيغسل الوجه أولا . واليدين ثانياً . ويمسح الرأس ثالثاً . ويغسل الرجلين أخيراً .

سنن الوضــوء

عند الإمام أبى حنيفة : التسمية . والنية . وغسل اليدين إلى الرصغين ، والرصغ مفصل الكف ، والسواك ولو بالأصبع . والمضمضة ثلاثاً . ولو بغرفة واحدة . والإستنشاق بثلاث غرفات أفضل . ومسح جميع الرأس . ومسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد . وتثليث كل من الغسل والمسح . والتيامن . والتدليك والموالاة .

وعند الإمام الشافعى التسمية . والسواك . والمضمضة . والاستنشاق . بثلاث غرفات أفضل .

ومسح جميع الرأس . ومسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وتثليث كل من الغسل والمسح . والتيامن . والتدليك . والموالاة .

وعند الإمام مالك : غسل اليدين إلى الكوعين . والمضمضة . والاستنشاق . والإستنثار . وهو جذب الماء من الأنف . ومسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما . وتجديد الماء لهما . ورد مسح الرأس ، وترتيب الفرائض .

وعند الإمام أحمد : غسل الكفين ثلاثاً إلا لقائم من نوم ليل ناقض لوضوئه فإنه يجب بنية وتسمية والبداءة قبل غسل الوجه بالمضمضة والإستنشاق لأنهما من فرائض الوضوء عنده لدخولهما فى حدود الوجه فى رأيه . والإستنثار . والتيامن . وأخذ ماء جديد للأذنين بعد مسح الرأس وقال : إن مسح الأذنين مع صماخيهما فرض لدخولهما فى حد الرأس . وأن يتشهد بعد الفراغ من الوضوء مع الاحتراس من الإسراف فى الماء والتقتير منه ، ويكره أن يكون الوضوء بماء مشمس . وقالوا إن كراهيته فى أرض الحجاز خاصة .

ومن سنن الوضوء غير ما تقدم : إسباغه فى الشتاء . فإنه من عزائم الدين . قال بعض السلف : وضوء المؤمن فى الشتاء بالماء البارد يعدل عبادة الرهبان كلها . وقد نهى عن الإعتداء فى الوضوء وفى الطهور جميعه . وهو أن يغسل كل عضو فوق الثلاث . والوضوء على الوضوء نور . وهو أن يتوضأ لكل صلاة من غير حدث فإن ذلك مستحب إذا أمكن . وله بكل وضوء عشر حسنات . ويستحب أن يتوضأ كلما بال مالم يشق ذلك عليه : وأن يصلى ركعتين كلما توضأ . ثم أن لا يتكلم فى حال الوضوء إلا بذكر الله تعالى لأنه ربما صرفه عن نية الوضوء . وإذا فرغ من وضوئه يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله . سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسى أستغفرك وأتوب إليك فاغفرلى وتب على إنك أنت التواب الرحيم . اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى شكوراً واجعلنى أذكرك كثيراً وأسبحك بكرة وأصيلا . يقال : إن من قال هذا الدعاء بعد فراغه من الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ذلك إلى يوم القيامة .

ومن سنن الوضوء السواك على ماتقدم لما روى الإمامان أحمد والنسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « السواك مطهرة الفم مرضاة للرب » وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » وفى رواية للنسائى « عند كل وضوء » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بلا سواك » .

والسواك يتخذ من الجريدة وغيره . والأراك أفضل .

وفى السواك ثلاثة عشر فائدة : يطهر الفم ، ويرضى الرب . ويبيض الأسنان ويطيب رائحة الفم ، ويشد اللثة ويصفى اللون : ويجرى اللسان . ويذكى الفطنة . ويقطع الرطوبة . ويحد البصر . ويبطىء

الشيب ، ويسوى الظهر ، ويضاعف الأجر ، وزاد الإمام البلقيني رحمه الله فى كتاب التدريب : أنه يسهل النزع ، ويذكر الشهادة عند الموت .

نواقض الوضوء

ينقض الوضوء أشياء : منها ما خرج من أحد السبيلين القبل والدبر . وهو إما أن يكون معتاداً كالبول . والمذى . والودى . والمذى ماء رقيق يخرج من القبل عند الملاعبة ونحوها . والودى ماء أبيض ثخين يخرج عقب البول غالباً . وعند حمل الأشياء الثقيلة ، والمنى ماء يخرج عن لذة بجماع ونحوه . وهو من الرجل عند اعتدال مزاجه أبيض غليظ . ومن المرأة أصفر رقيق . والغائط . والريح . وزوال التمييز والشعور بنحو إغماء أو سكر أو جنون . والنوم . إلا نوم الممكن مقعدته من الأرض . والتقاء بشرتى رجل وامرأة سواء أكانت بشهوة أو بغير شهوة . يستوى فى ذلك اللامس والملموس . ما عدا المحارم . وهن من حرم نكاحهن على التأبيد بسبب نسب أو رضاع أو مصاهرة . أما التى لا يحرم زواجها على التأبيد كأخت الزوجة وعمتها وخالتها . فإن لمس إحداهن ينقض الوضوء . وكذا ينقض بلمس الموطوأة بشبهة وبنتها فإن زواجهما وإن كان محرماً على التأبيد ولكن التحريم لم يكن بسبب نسب ولا رضاع لا مصاهرة . ومس فرج الآدمى قبلاً أو دبراً بباطن الكف بلا حائل . الماس دون الممسوس . كل هذا ينقض الوضوء عند الإمام الشافعى . إلا المنى فإنه لا ينقض الوضوء عنده بل يوجب الغسل . ولا ينتقض الوضوء عنده بمس فرج الآدمى بغير باطن الكف . وبه قال: سيدنا عمر بن الخطاب . وسعد بن أبى وقاص وابن عمر . وابن عباس . وأبو هريرة : والسيدة عائشة . وسعيد بن المسيب . وعطاء بن أبى رباح . وأبان ابن عثمان . وعروة بن الزبير . وسليمان بن يسـار . ومجاهد . وأبو العالية والزهرى . ومالك . وقال الأوزاعى : ينقض اللمس بالكف والساعد . وهو رواية عن الإمام أحمد . وعنده رواية أخرى أنه لا ينقض ظهر الكف وبطنها . وأخرى أن الوضوء مستحب . وأخرى بشرط اللمس بشهوة . وهى رواية عن مالك : وقالت : طائفة لا ينقض مطلقاً . وبه قال الإمام على بن ابى طالب . وابن مسعود . وحذيفه وعمار : وحكاه ابن المنذر عن ابن عباس . وعمران بن حصين . وأبو الدرداء . وربيعة . والثورى . وإليه ذهب الإمام أبو حنيفة . وابن القاسم . وسحنون . واختاره ابن المنذر . وقال بعض أهل العلم : ينقض بمس ذكر نفسه دون غيره .

وعند الإمام أبى حنيفة : ما خرج من السبيلين مطلقاً . ما عدا الريح الخارج من قبل المرأة وذكر الرجل . والخارج من غير السبيلين إذا سال بحيث تجاوز موضع خروجه . فليس فى النقطة والنقطتين من الدم وضوء . وزوال التمييز والشعور بنحو إغماء أو جنون أو سكر . والنوم إلا نوم الممكن مقعدته من الأرض . وقهقهة مصل بالغ بشرط أن تكون الصلاة ذات ركوع وسجود . والمباشرة الفاحشة . وهى تلاصق الفرجين من شخصين مشتهيين بلا حائل يمنع من حرارة البدن . أما اللمس مهما كان فإنه

لا ينقض عند إلا بشرط انتشار الذكر باللمس فينقض باللمس والإنتشار معاً . وقال محمد بن الحسن : إنه لا ينقض وإن انتشر ذكره . وقال عطاء : إن لمس أجنبية لا تحل له انتقض . وإن لمس زوجته أو أمته لم ينتقض .

قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم يقبل بعض نسائه (ويصلي ولا يتوضأ) من القبلة . قال المناوى : وذا من أدلة الحنفية .

ومس الذكر عند أبي حنيفة رضى الله عنه لا ينقض الوضوء أيضا ولو كان بشهوة سواء كان بباطن الكف أو بباطن الأصابع . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل كأنه بدوى . فقال : يارسول الله : ماتقول فى رجل مس ذكره فى الصلاة ؟ فقال : هل هو إلا بضعة منك . أو مضغة منك ولكنه يستحب منه الوضوء خروجا من خلاف العلماء فى هذه المسألة التى يقـــول فيها الامام الشافعى بنقض الوضوء باللمس مطلقا . ويقول الامام أبو حنيفة بعدم النقض مطلقا . وكمسألة نجاسة الكلب فإن الامام الشافعى يقول بنجاسته كله بجميع أجزائه . ويقول الامام مالك بطهارته كله بجميع أجزائه . فيجب مراعاة أمثال هذه المسائل خروجا من الخلاف لأن العبادة المتفق عليها خير من العبادة المختلف فيها

وعند الامام مالك ، ما خرج من السبيلين . والنوم الثقيل . وزوال العقل بسكر أجنون أو إغماء . والردة . والشك فى الحدث . ومس الذكر المتصل بباطن الكف . أو لمس أجنبية بشهوة .

وعند الامام أحمد : ما خرج من السبيلين . والنوم إلا النوم اليسير من القائم والقاعد . فلا ينتقض به الوضوء . ومس فرج الآدمى المتصل بلاحائل . ولمس امرأة أجنبية بشهوة لافرق بين كونها أجنبية أو محرما . شابة او عجوزا كبيرة . أما الملموس فإنه لا ينتقض وضوءه ولو وجد شهوة . وأكل لحم الجزور ، الإبل ، وغسل الميت . والردة . أما الأول : فلقوله صلى الله عليه وسلم ، من اكل لحم جزور فليتوضأ ، لما ورد ان ظهورها مأوى الشياطين . لا من حيث ذات اللحم . وأما الثانى : فلما رواه عطاء ابن عباس وابن عمر كانا يأمران غاسل الميت بالوضوء . وغاسل الميت : هو الذى يباشر تغسيله . لا من يصب الماء عليه .

وقال الامامان الشافعى وأحمد : ينقض الطهارة مش فرج غيره صغيرا كان الممسوش اوكبيرا حيا كان او ميتا . وقال الامام مالك : إنه لا ينقض مس فرج الصغير مع قول أبي حنيفة : إن مس الفرج لا ينقض مطلقا سواء منه أو من غيره وسواء كان صغيراً أو كبيرا .

والمحدث حدثا أصغر يحرم عليه عند الأئمة الأربعة مس المصحف أو بعضه ولو آية سواء كان المس مباشرة او بحائل . وكذا يمنع من حمله ولو بعلاقة . ويجوز عند الامام مالك مس المصحف لبالغ محدث إذا كان معلما او متعلما .

وقال داود بعدم الحرمة وجواز مسه . وحجة القائلين بالحرمة المبالغة فى التعظيم وعملا بظاهر قوله تعالى : (لا يمسه إلا المطهرون) وحجة الامام داود ان كلام الله تعالى ليس هو حالا فى الكتابة

التى فى الورق . وإنما هو بجلى لها كخيال النجوم على وجه الماء وكصورة الرائى المرتسمة فى المرآة فلا هى عين الرأى ولا هى غيره .

واختلف فى حمله حرزاً . وجاز باتفاق حمل بعضه حـــرزاً . بشرط أن يكون الحامل مسلماً والمحمول مستوراً بما يمنع من وصول القذر إليه .

ويمنع السادة الحنابلة المكلف من مس المصحف كلا أو بعضاً . ويجوز عندهم مس المصحف بحائل أو حمله بعلاقة أو فى خريطة ولو كان المصحف مقصودا بالحمل . ويجوز حمله حرزا إذا كان فى ساتر طاهر . وقال بعض السادة الشافعية : يجوز حمل ومس ما كتب فيه قرآن بقصد كونه تميمة للتبرك . ولو كان محدثا بشرط أن يحمل عليها ما يحفظها كجلد أو خرقة مشمعة .

التيمم وأحكامه

هو طهارة ترابية تتعلق بأعضاء مخصوصة على وجه مخصوص . تكون بضربتين على الصعيد يمسح بإحداهما وجهه . وبالأخرى يديه إلى المرفقين . وهما عبارة عن ثلاث عظام ، عظمة العضد . وعظمة الذراع . الداخلة بينهما المسماة بالإبرة .

واجمع الأئمة على ان المسافر إذا كان معه ماء وخشى العطش فله ان يحبسه ليشربه ويتيمم . وعلى أن المحدث إذا تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول فى الصلاة بطل تيممه ولزمه استعمال الماء . وعلى أنه إذا رأى الماء بعد فراغه من الصلاة التى تسقط بالتيمم لا يجب إعادتها وإن كان الوقت باقياً ، وعلى أن من خاف التلف من استعمال الماء جاز له تركه وأن يتيمم .

ويجوز التيمم بكل ماكان من جنس الأرض عند الامامين ابى حنيفة ومالك ولو بحجر لا تراب عليه . ورمل لا غبار فيه . وعند الامامين الشافعى واحمد : لا يجوز التيمم إلا بالتراب الطهور .

والنية فرض فى التيمم عند الامامين الشافعى ومالك . وشرط عند الامامين أبى حنيفة وأحمد . ويتيمم لكل فرض بعد دخول وقته عند الثلاثة . وقال الامام أبو حنيفة : لا يصح التيمم قبل دخول الوقت . ولا يصلى بتيمم واحد غير فرض واحد عند الامامين الشافعى ومالك . وعنـــد الامام ابى حنيفة يجوز أن يصلى به اكثر من فرض واحد كالضوء . وقال الامام أحمد : يصلى به ماشاء من الفرائض والنوافل ما دام الوقت باقياً .

وينقضه ما ينقض الوضوء . والقدرة على الماء . والردة عند الثلاثة خلافاً للمشهور من مذهب ابى حنيفة من أن الردة لا تنقض التيمم .

المسح على الجبيرة واللصوق

اللصوق معروف ، والجبيرة هى عيدان تلف بخرق أو ورق وتربط على العضو المكسور . ويجوز المسح على الجبيرة وإن شدها على غير وضوء . أوكان جنباً عند الإمامين أبى حنيفة ومالك إذا غلب على ظنه حدوث مرض باستعمال الماء أو زيادة مرض . أو تأخر شفاء إذا استند فى ذلك إلى تجربة أو إخبار طبيب حاذق ومثل ذلك ما إذا استند إلى القرائن العادية كتجربة فى نفسه أو فى غيره .

وقال الإمام أبوحنيفة : إذا جاوزت الجبيرة محل المرض فلا يخلو إما أن يكون حلها ضاراً به أو غير ضار . فإن كان غير ضار وجب حلها وغسل ما تحتها إن لم يضر الغسل . فإن كان الغسل يضر بمحل المرض وجب مسحه وغسل ما حوله من الأجزاء السليمة . والمسح على الخرقة التى على محل المرض فقط . وإن تعددت الخرقة فالمسح يكون على العليا . أما إذا كان حلها ضاراً فإنه يجب عليه أن يمسح على الجبيرة ولا يكلف حلها سواء كان غسل ما تحتها ضاراً أو لا . إنما يجب المسح على ما يستر الصحيح والسليم بحيث يكون الممسوح من مجموعها أكثر الجبيرة . وهذا هو المعتمد من أن يكتفى بمسح أكثر الجبيرة ونحوها . ولا يجب استيعابها . ومن صلى بطهارة فيها مسح على الجبيرة ونحوها صحت صلاته ولا إعادة عليه إذا صح العضو المريض ، اى شفى ، .

أما السادة الشافعية فقد قالوا : تجب إعادة الصلاة فيما إذا كانت الجبيرة فى أعضاء التيمم أو إذا كانت فى غير أعضاء التيمم وأخذت من الصحيح زيادة من المقدار الذى تستمسك به فى ربطها . أو إذا كانت فى غير أعضاء التيمم وأخذت بقدر الاستمساك فقط لكنها وضعت وهو محدث . أما إذا وضعها على طهر أو لم تأخذ من الصحيح شيئاً فلا إعادة عليه .

وقال السادة الشافعية : إن من كان بعضو من أعضائه جرح أو كسر أو قروح وألصق عليه جبيرة وخاف من نزعها التلف أنه يمسح على الجبيرة ويتيمم . وقال الإمامان ابو حنيفة ومالك إن كان بعض جسده صحيحاً وبعضه جريحاً ولكن الأكثر هو الصحيح غسله وسقط حكم الجريح ويستحب مسحه بالماء . وعند الإمام أحمد لا يمسح عليها إلا إذا وضعها على طهر وإلا تيمم . ولا يؤقت المسح عليها بوقت ولا تشترط النية فى المسح عليها إجماعاً .

الغسل واحكامه

هو تعميم الجسد والشعر بالماء الطهور بحيث يصل الماء إلى كل جزء من أجزاء البدن سواء كان ما يستتر منه عند الوقوف كالقبل والدبر أو غيره كالإبطين ونحوهما من كل ما يستتر إلا إذا تعهده بإيصال الماء إليه .

ففى الشعر المضفور : قال السادة الحنفية : إذا كان شعر المرأة مضفوراً لا يجب عليها نقضه فى الغسل إذا بلغ الماء إلى اصول الشعر . فإن كان شعرها غير مضفور وجب إيصال الماء إلى جميع

الشعر أصولا وفروعاً : ظاهراً وباطناً . أما الرجل : فيجب إيصال الماء إلى جميع شعره أصولا وفروعاً ظاهراً وباطناً فإن كان شعره مضفوراً فيفترض عليه نقضه .

وقال السادة الحنابلة : يجب فى الغسل على الرجل أن يغسل جميع شعره ظاهراً وباطناً أصولا وفروعاً ويجب عليه نقض ضفائره . أما المرأة : فإنه يجب عليها نقض شعرها فى الغسل من الحيض والنفاس دون الجنابة .

وقال السادة الشافعية : يجب تعميم الشعر بالغسل ظاهراً وباطناً خفيفاً كان أو غزيراً . ويجب نقض مضفوره إن توقف وصول الماء إلى باطنه على نقضه . ولا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة . أما الشعر المعقد بنفسه بدون ضفر فإنه يعفى عن إيصال الماء إلى باطنه .

وقال السادة المالكية : يجب إيصال الماء إلى البشرة التى تحت الشعر سواء كان الشعر خفيفاً أو غزيراً وسواء كان مضفوراً أو غير مضفور . ويجب نقض المضفور منه إن اشتد ضفره فإن لم يشتد ضفره فلا يجب نقضه . ويكفى جمعه وتحريكه ليدخل إليه الماء . قالت السيدة أم سلمة رضى الله عنها : قلت يارسول الله : إنى امرأة أشد ضفر رأسى أفأنقضه لغسل الجنابة ؟ فقال : لا إنما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات ، ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين . لمسلم وأصحاب السنن . وفى رواية واغمزى رأسك عند كل حفنة .

وروى مسلم أن عبد الله بن عمر رضى الله عنه : كان يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن . فسمعت السيدة عائشة رضى الله عنها بذلك فقالت : ياعجباً لابن عمر هذا يأمر النساء أن ينقضن رءوسهن . أفلا يأمرهن بحلق رءوسهن . لقد كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نغتسل من إناء واحد وما أزيد على أن أفرغ على رأسى ثلاث إفراغات .

وموجباته : التقاء الختانين . وخروج المنى . عند الثلاثة . وعند الإمام احمد : إذا فكر أو نظر فأحس بانتقال المنى من الظهر وجب الغسل ولو لم يخرج المنى . وإذا اغتسل وخرج المنى بلا شهوة لم يجب الغسل لذلك .

ويستحب التدليك فى الغسل عند الثلاثة . وقال الإمام مالك بوجوبه . ويجوز الوضوء والغسل من فضل ماء الجنب عند الإمام أبى حنيفة . وعند الإمام الشافعى يشترط عدم الاستعمال . وعند الإمام مالك : يشترط عدم التغيير . وعند الإمام احمد لا يجوز إذا كان المغتسل أمرأة مكلفة فى خلوة فلا يجوز للرجل خاصة أن يغتسل بفضل مائها .

ويجزىء فى الجنابة والحيض : غسل واحد إجماعاً .

ويحرم بالجنابة ، الصلاة . والطواف ودخول المسجد . واللبث (المكث) فيه . وقراءة القرآن إجماعا . وكذا حمل المصحف ومسه عند الثلاثة . وعند الامام أحمد : يباح : حمل المصحف ومسه بحائل طاهر . وقد تقدم الكلام على مس المصحف وحمله فى نواقض الوضوء فراجعه إن شئت .

وصفة الغسل : هى أن يضع الإناء عن يمينه . ثم يسمى الله تعالى ويفرغ الماء على يديه ثلاثاً قبل إدخالها الاناء . ثم يغسل ذكره ويستنجى متعهداً الأمكنة التى لا يصل الماء إليها من جسمه إلا بتعهده بنية الغسل . كالقبل والدبر . وما حولها . وكالابطين . والسرة . ثم يتوضأ وضوءه للصلاة . ثم يدخل يديه فى الاناء ثم يخرجهما بما حملتا من الماء فيصب على شقه الأيمن ثلاثاً ظهراً وبطناً إلى فخده وساقه . ويدلك ما أقبل من جسده وما أدبر بيديه معاً . ثم يدخـــل يديه فى الاناء ويخرجهما بما حملتا من الماء فيفيض على رأسه ثلاثاً . ثم يغسل قدميه . وإن فضل من الماء بقية أفاضها على سائر جسده وأمر بيديه على ما أدركتا من بدنه متعهداً شقه الأيسر وسائر بدنه ولا وضوء عليه بعد غسل جسده وتعميمه بالماء . وسواء فى ذلك الغسل من الجنابة . أو من الحيض والنفاس فكلها كما توضح .

الحيض والنفاس وأحكامهما

أما الحيض فهو ما ينفضه رحم امرأة بالغة بلا داء ولا إياس . وما يكون منه من غير البالغة . وهى مادون تسع سنين لا يكون حيضاً وكذا ما يكون من علة المرض والحمل والنفاس لا يكون حيضاً . وكذا ما يخرج من آيسة . وهى ما يكون منها ستين سنة أو خمسا وخمسين سنة على اختلاف القولين .

ودم الحيض يكون أسود لذاعاً كريه الرائحة . وقد يكون لونه لون الكدرة أو ترابياً . وقد يكون لونه مصفراً أو محمراً . وكانت النساء يبعثن إلى السيدة عائشة رضى الله عنها بالدرجة (خرقة) فيها الكرسف (القطن) فية الصفرة من دم الحيض لتنظر إليه فتقول : لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء .

واتفقت الأئمة على أن فرض الصلاة ساقط عن المرأة مدة حيضها وأنه لا يجب عليها القضاء .

وأقل سن تحيض فيه المرأة تسع سنين .

واختلف الأئمة : هل لانقطاعه أمد ؟ فقال الإمام أبو حنيفة : إلى الستين .

وقال الامام احمد إلى الخمسين . وقال الإمامان الشافعى ومالك : ليس له حد ؛ وإنما الرجوع فيه إلى العادات فى البلدان . فإنه يختلف باختلافها فى الحرارة والبرودة .

وأقل الحيض عند الإمامين الشافعى وأحمد : يوم وليلة . وأكثره خمسة عشر يوماً بلياليها . فإن زاد عليها فهو استحاضة . وغالبه ست أو سبع . والمعتمد فى ذلك الاستقراء .

والاستحاضة : هى الدم الخارج فى غير أيام الحيض والنفاس . فالمستحاضة تغتسل وتصلى وتصوم . فإن غلبها الدم تحتشى وتتحفظ وتتوضأ لكل صلاة .

ودم الاستحاضة : نتيجة نزف رحمى لا يمنع من الصوم والصلاة لحديث توضئ وصلى وإن قطر الدم على الحصير لأن ذلك يعتبر عذراً كمن به سلس البول .

وأما الجماع : فإنه ثبت طبياً حصول الضرر به للرجل والمرأة حين وجود الدم أياً كان نوعه بالرحم وبذلك تكون حرمة الجماع من حيث الضرر الصحى المترتب عليه .

وروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها : أنه لا يجوز وطء المستحاضة . وبذلك قال : النخعى والحكم .

وعند الإمام أبي حنيفة أقل الحيض ثلاثة أيام . وأكثره عشرة . وعند الإمام مالك : ليس لأقله حد . ويجوز أن يكون ساعة . وأكثره خمسة عشرة يوماً .

وأقل طهر فاصل بين الحيضتين خمسة عشرة يوماً عند الثلاثة . وقال الإمام أحمد ثلاثة عشر يوماً . ولاحد لأكثره بالإجماع .

واختلف الأئمة فى الحامل : هل تحيض ؟ فقال الإمامان الشافعى ومالك . تحيض . وقال الإمامان أبوحنيفة وأحمد . لاتحيض .

وسبب خروج الدم من الحامل : ضعف الولد فإنه يتغذى بدم الحيض . فإذاضعف الولد فاض الدم وخرج . ثم إن الضعيف لا يكون غالباً إلافى الأشفاع من الشهور . فإن الولد يقوى فى الفرد . ولذلك كان من ولد لسبعة أشهر يعيش . ومن ولد لثمانية أشهر لايعيش .

أما النفاس : فهو الدم الخارج عقب الولادة . فالخارج مع الولد أو قبله لايسمى نفاساً .

وابتداء النفاس من انفصال الولد . وأقله : لحظة . وأريد بها زمن يسير . وغالبه : أربعون يوماً . والمعتمد فى ذلك الإستقراء .

وأجمع الأئمة على أنه يحرم بالنفاس مايحرم بالحيض . واختلفوا فى أكثره . فقال الامام أبو حنيفة والامام أحمد : أربعون يوماً . وقال الامامان : الشافعى ومالك . ستون يوماً .

ولو انقطع دم النفاس قبل بلوغ الغاية : فقد أجاز الامامان الشافعى ومالك وطاها بعد الغسل من غير كراهية . وقال الامام أبو حنيفة : لا بد من الغسل أو ما يقوم مقامه من التيمم مع الصلاة أو مضى زمن يسع الغسل أو التيمم مع الصلاة إذا انقطع لتمام عادتها . وقال الامام أحمد : يكره وطؤها بعد الغسل قبل انتهاء المدة . وقال الأوزاعى وداود : إذا غسلت فرجها جاز وطؤها .

ويحرم بالحيض والنفاس ما يحرم بالجنابة عند الأئمة الثلاثة على القول بأن الحيض والنفاس خبث لاحدث . أما من يرى أنهما حدث لاخبث فلايرى المنع من قراءة القرآن للحائض والنفساء وهو الامام مالك حال نزول الدم سواء إكانت عليها جنابة أولا على المعتمد . وذلك لأنها صارت متمكنة من الاغتسال فلاتحل لهذا القراءة قبله .

اما قراءة القرآن للمحدث حدثاً أكبر او أصغر فإنها غير جائزة اى يمنع منها المحدث حدثاً أكبر إذا كانت القراءة بقصد القرآن . اما قرآة الشىء اليسير بقصد الحفظ من الشيطان فغير ممنوعة . وكذلك قراءتها للتحصن منه . اما المحدث حدثاً أصغر فلايشترط لقراءته القرآن ان يكون متوضأ لأن فى اشتراط ذلك الحرج والمنع من الترغيب فى قراءته وحفظه .

ويحرم على المحدث حدثاً أكبر اللبث فى المسجد لاعبوره . وقال المزنى وداود وابن المنذر : يجوز للجنب المكث فى المسجد مطلقاً . وحكاه الشيخ أبو حامد عن زيد بن اسلم .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه . أى بقلبه ولسانه . قال الدميرى : مقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله متطهراً ومحدثاً وقائماً وقاعداً ومضطجعاً وماشياً وراكباً . وإنما اختلف العلماء فى جواز القراءة للجنب والحائض . والجمهور على تحريم القراءة عليهما . وقال الرملى : لا تحرم القراءة عليهما إلا بقصد القراءة فإن قصد الذكر أو أطلقا لم تحرم القراءة . أما مس المصحف أو كتابته فإنه يجوز لهـا للتعلم والتعليم فقط . وزاد عليه الوطء ما دامت حائضاً أو نفساء فإنه لا يجوز اقترابها . والاعتكاف والصوم إجماعاً على ما تقدم .

والاستمتاع بما بين السرة والركبة محرم عند الثلاثة . ومباح عند الإمام أحمد . ويجب على المرأة بعد انقطاع دمها قضاء الصوم المفروض الذى فاتها زمن الحيض والنفاس . بخلاف الصلاة الفائتة زمنها فلا يجب عليها قضاؤها . لقول السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ، كنـا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » .

وروى أن امرأة دخلت فى مسجد أبى حنيفة رضى الله عنه وهو جالس بين أصحابه فأخرجت تفاحة أحد جانبيها أحمر والآخر أصفر فوضعتها بين يديه ولم تتكلم . فأخذها أبو حنيفة وشقها نصفين . فقامت المرأة وخرجت ولم يعرف أصحابه مرادها . فسألوه عن ذلك فقـــال : إنها ترى تارة أحمر مثل أحد جانبى التفاحة وتارة أصفر مثـل الجانب الآخر . سألت أيكون حيضا أم طهرا ؟ فشققت التفاحـة وأريتها باطنهـا وأدت بذلك أن لا تطهر حتى ترى البيـاض مثـل باطن التفاحة فقامت وخرجت .

نصائح طبيـــة جليـلة

روى أن الحارث بن كلدة الثقفى وفد على كسرى أنوشروان فأذن له بالدخول فانتصب بين يديه . فقال له كسرى : من أنت ؟ قال الحارث بن كلدة . قال : أعرابى ؟ قال نعم من صميمها . قال : فما صناعتك قال : طبيب . قال : وما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها ؟ قال : فذاك أجدر أيها الملك إذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل إسنادها . قال الملك كيف لها بأن تعرف ما تعهده عليهـا ولو عرفت الحق لم تنسب إلى الجهل . قال الحارث : أيها الملك : إن الله جل اسمه قسم العقول بين العباد كما قسم الأرزاق وأخـذ القوم نصيبهم ففيهم ما فى الناس من جاهل وعالم وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذى تجد فى أخلاقهم وتحفظ من مذاهبهم ؟ قال الحارث : لهم أنفس سخية وقلوب جرية وعقول صحية مرضية . وأحسـاب نقية فيمرق الـكلام من أفواههم مروق السهم من الوتر . ألين من الماء وأعذب من الهواء يطعمون الطعام ويضربون الهام وعزهم لا يرام وجارهم لا يضـام ولا يروع إذا نام . لا يقرون بفضـــل أحد من الأقوام ما خلا الملك الهمام الذى لا يقاس به أحد من الأنام . قال : فاسـتوى كسرى جالسا ، ثم التفت إلى من حوله فقـــال : أطرى قومه . فلولا أن تداركه عقله لذم قومه . ثم أذن له بالجلوس وقال له كيف

نظرك بالطب ؟ قال : ناهيك . قال : فما أصل الطب ؟ قال ضبط الشفتين . والرفق باليدين . قال : قد أصبت الدواء فما الداء : قال : إدخال الطعام على الطعام هو الذى افنى البرية وقتل السباع فى البرية . قال : أصبت . فما الجمرة التى تلهب منها الأدواء ؟ قال : هى التخمة إن بقيت فى الجوف قتلت وإن تحللت أسقمت . قال : فما تقول فى إخراج الدم؟ قال : فى نقصان الهلال فى يوم صحو لاغيم فيه والنفس طيبة والسرور حاضر . قال . فما تقول فى الحمام ؟ قال : لا تدخل الحمام شبعان . ولا تغش أهلك سكران . ولا تنم بالليل عريان . وارفق بجسمك يكن أرجى لنسلك . قال : فما تقول فى شرب الدواء ؟ قال : اجتنب الدواء مالزمتك الصحة فإذا احسست بحركة الداء فاحسمه بما يردعه فإن البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت وإن أفسدتها خربت . قال : فما تقول فى الشراب ؟ قال : أطيبه أهناه . وأرقه وأمراه . ولا تشرب صرفاً يورثك صداعاً ويثير عليك من الداء أنواعاً . قال : فأى اللحمان أحمد قال الضأن الفتى اسمنه وابدله واجتنب أكل القديد والمالح والمعز والبقر . قال : فما تقول فى الفاكهة ؟ قال : كلها فى إقبال دولتها واتركها إذا ادبرت وولت وانقضى زمانها . وأفضل الفاكهة الرمان والأترج وأفضل البقول الهندبا والخس وأفضل الرياحين الورد والبنفسج . قال : فما تقول فى شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن وبه قوته وينفع ماشرب منه بقدر . وشربه بعد النوم ضرر . وأفضل المياه مياه الأنهار العظام أبرده وأصفاه . قال : فما طعمه ؟ قال : شىء لا يوصف ومشتق من الحياة . قال : فما لونه ؟ قال : اشتبه على الأبصار . لونه يحكى لون كل شىء يكون فيه . قال: فاخبرنى عن أصل الإنسان ما هو ؟ قال . أصله من حيث يشرب الماء (يعنى رأسه) قال: فما هذا النور الذى يبصر به الأشياء ؟ قال : العين مركبة من أشياء . فالبياض شحمه . والسواد مائع . قال : فعلى كم طبع هذا البدن ؟ قال : أربع طبائع . على المرة السوداء وهى باردة يابسة والمرة الصفراء. وهى حارة يابسة . والدم . وهو حار رطب والبلغم . وهو بارد رطب. قال . فلم لم يكن من طبع واحد ؟ قال : لو خلق من شىء واحد لم ينحل ولم يمرض ولم يمت . قال : فمن طبعين ما حال الاقتصار عليهما ؟ قال : لم يجز لأنهما ضدان قبيلان ولذا لم يجز من ثلاثة متوافقة ومخالف . قال فأجمل لى الحار البارد فى أحرف جامعة . قال : كل حلو حار . وكل حامض بارد . وكل حريف حار . وكل مز معتدل . وفى المر حار وبارد . قال : فما أفضل ما عولج به المرة السوداء ؟ قال : بكل حار لين . قال فالرياح . قال : الحقن اللينة والأدهان الحارة . قال : أفتأمر بالحقن ؟ قال : نعم قرأت فى بعض الكتب أن الحقن تبقى الجوف وتكسح الأدواء عنه . وعجبت لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد . وإن الجهل كل الجهل من أكل ماقدعرف مضرته فيؤثر شهوته على راحة بدنه . قال : فما الحمية ؟ قال : الإقتصاد فى كل شىء فإنه إذا أكل فوق المقدار ضيق على الروح ساحته . قال : فما تقول فى إتيان النساء ؟ قال : كثرة غشيهن ردىء وإتيان المرأة المولية فإنها كالشن البالى تسقم بدنك وتجذب قوتك . ماؤهم سم قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك ولا تعطيك . عليك بإتيان الشباب . فإن الشابة ماؤها عذب زلال ومعانقتها طيب ودلال . فوها بارد وريحها طيب ورحمها حرج تزيدك قوة ونشاطاً . قال : فأى النساء القلب لها أبسط والعين برؤيتها أنسق؟ قال . إن أصابتها مديدة القامة عظيمة الهامة واسعة الجبين عريضة الصدر مليحة النحر ناهدة الثديين . ضيقة الخصر

والقدمين بيضاء فرعاء جعدة غضة تخالها فى الظلمة بدرا زاهرا تبسم عن أقحوان باهر وإن تكشف تكشف عن بيضة مكنونة . وإن تعانق تعانق ما هو ألين من الزبد وأحلى من الشهد وأبرد من الفردوس والخلد وأزكى ريحا من الياسمين والورد . فاستضحك كسرى حتى اختلفت كتفاه قال : فأى الأوقات أفضل ؟ قال : عند إدبار الليل يكون الجوف أخلى والنفس أشهى والرحم أدفأ . قال : فأى الأوقات ألذ وأطرب ؟ قال : نهار يزيدك النظر انتشارا . قال كسرى : لله درك من عربى لقد أعطيت علما نافعا وفضلا واسعا .

فائدة طبيعة أخرى : سر بعد الطعام ولو خطوة . ونم بعد الحمام ولو لحظة . وبل بعد الجماع ولو قطرة .

ذكر فرائض الصلاة قبل الدخول فيها

اتفق الأئمة على اشتراط طهارة المكان والثوب من النجاسة . وطهارة البدن من الحدث الأكبر والأصغر ومن النجاسة لصحة الدخول فى الصلاة .

أما النجاسة المفروض خلو المكان والثوب والبدن منها . فهى إما حكمية أو حقيقية . وقد عرف السادة الحنابلة النجاسة الحكمية بأنها الطارئة على محل طاهر قبل طروها . فيشمل النجاسة التى لها جرم وغيرها متى تعلقت بشىء طاهر . وأما النجاسة الحقيقية : فهى عين النجس (بفتح النون) .

وعرف السادة الشافعية . النجاسة الحقيقية بأنها التى لها جرم أوطعم أو لون أو ريح . وهى المراد بالعينية عندهم . والنجاسة الحكمية عندهم هى التى لا جرم لها ولا طعم ولا لون ولا ريح كبول جف ولم تدرك له صفة فإنه نجس نجاسة حكمية .

والسادة المالكية قالوا : إن النجاسة العينية هى ذات النجاسة . والحكمية أثرها المحكوم على المحل به .

وقال السادة الحنفية : إن النجاسة الحكمية هى الحدث الأصغر والأكبر . وهو وصف شرعى يحل بالأعضاء أو بالبدن كله يزيل الطهارة . والحقيقية هى الخبث . وهو كل عين مستقذرة شرعاً .

والأعيان النجسة لذاتها كثيرة . منها ميتة الحيوان البرى غير الآدمى إذا كان له دم ذاتى يسيل عند جرحه . بخلاف ميتة الحيوان البحرى فإنها طاهرة . وبخلاف ميتة الحيوان البرى الذى ليس له دم يسيل عند جرحه كالجراد فإنها طاهرة .

وقد قال السادة الشافعية بنجاسة ميتة مالا نفس له سائلة إلا ميتة الجراد ولكن يعفى عنها إذا وقع شىء منها بنفسه فى الماء أو المائع فإنه لا ينجسه إلا إذا تغير . أما إذا طرحه إنسان أو حيوان أو تغير ما وقع فيه فإنه ينجس ولا يعفى عنه .

ومنها أجزاء الميتة التى تحلها الحياة . فقال السادة المالكية عنها : إن أجزاء الميتة التى تحلها الحياة

هى اللحم والجلد والعظم والعصب ونحوها بخلاف نحو الشعر والصوف والوبر وزغب الريش فإنها لا تحلها الحياة فليست بنجسة .

وقال السادة الشافعية : إن جميع أجزاء الميتة من عظم ولحم وجلد وشعر وريش ووبر وغير ذلك نجس لأنها تحلها الحياة عندهم .

وقال السادة الحنفية : إن لحم الميتة وجلدها مما تحله الحياة . فهما نجسان بخلاف نحو العظم والظفر والمنقار والمخلب والحافر والقرن والظلف والشعر إلا شعر الخنزير . فإنها طاهرة لأنها لا تحلها الحياة لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى شاة ميمونة « إنما حرم أكلها » وفى رواية « لحمها » فدل على أن ما عدا اللحم لا يحرم فدخلت الأجزاء المذكورة مالم تكن بها دسومة فإنها تكون متنجسة بسبب هذه الدسومة والعصب فيه روايتان : المشهور أنه طاهر . وقال بعضهم : الأصح نجاسته .

وقال السادة الحنابلة : إن جميع أجزاء الميتة التى تحلها الحياة فهى نجسة إلا الصوف والشعر والوبر والريش فإنها طاهرة . واستدلوا على طهارتها بعموم قوله تعالى : (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين) لأن ظاهرها يعم حالتى الحياة والموت . وقيس الريش على هذه الثلاثة .

ومنها الدم بجميع أنواعه إلا الكبد والطحال : فإنهما طاهران . وما بقى فى لحم المذكاة وعروقها ودم السمك والقمل والبرغوث والبق . فهذه الدماء طاهرة .

وقد قال السادة الشافعية : بنجاسة جميع الدماء إلا أربعة أشياء . ابن المأكول إذا خرج بلون الدم والمنى إذا خرج بلون الدم أيضاً وكان خروجه من طريقه المعتاد . والبيض إذا استحال لونه إلى الدم بشرط أن يبقى صالحاً للتخلق . ودم الحيوان إذا انقلب علقة أو مضغة بشرط أن يكون من حيوان طاهر .

وقال السادة الحنفية : بطهارة الدم الذى لم يسل من الإنسان أو الحيوان . وبطهارة الدم إذا استحال إلى مضغة . أما إذا استحال إلى علقة فهو نجس .

وقال السادة المالكية : الدم المسفوح نجس بلا استثناء ولو كان من السمك . والمسفوح هو السائل من الحيوان . أما غير المسفوح كالباقى فى خلال لحم المذكاة أو عروقها فطاهر .

ومنها القيح : وهو المدة التى لا يخالطها دم . والصديد . وهو ماء الجرح الرقيق المختلط بدم . وما يسيل من القروح ونحوها . فقال السادة الحنفية إن ما يسيل من البدن غير القيح والصديد إن كان لعلة ولو بلا ألم فنجس . وإلا فطاهر . وهذا يشمل النفط . وهى القرحة التى امتلأت وحان قشرها . وماء السرة . وماء الأذن . وماء العين . فالماء الذى يخرج من العين المريضة نجس ولو خرج من غير ألم .

وقيد السادة الشافعية : نجاسة السائل من القروح غير الصديد والدم بما إذا تغير لونه أو ريحه . وإلا فهو طاهر كالعرق .

ومنها الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما ولو مع غيره وما يرشح منهما من لعاب ومخاط وعرق ودمع . فقد قال السادة المالكية : كل حى طاهر العين ولو كلباً أو خنزيراً . ووافقهم السادة الحنفية على طهارة عين الكلب مادام حيا على الراجح . إلا أنهم قالوا بنجاسة لعابه حال الحياة تبعا لنجاسة لحمه بعد موته . فلو وقع فى بئر وخرج حيا ولم يصب فمه الماء لم يفسد الماء . وكذا لو انتفض من بلله فأصاب شيئا لم ينجسه .

وقال السادة المالكية : إن كل حى وما رشح منه طاهر .

ومنها فضلة الآدمى من بول وعذرة فإنها نجسة وإن لم تتغير عن حالة الطعام . ولو كان الآدمى صغيرا لم يتناول الطعام .

ومنها فضلة مالا يؤكل لحمه فما له دم يسيل كالحمار والبغل فإنها نجسة .

وقد قال السادة الحنفية : إن فضلات غير مأكول اللحم فيها تفصيل .

فإن كان مما يطير فى الهواء كالغراب . فنجاستها مخففة وإلا فمغلظة . غير أنه يعفى عما يكثر منها فى الطرق من روث البغال والحمير دفعا للحرج .

وقال السادة الشافعية : بنجاسة فضلة مأكول اللحم بلا تفصيل .

وقال السادة الحنفية أيضا : إن فضلات مأكول اللحم نجسة نجاسة مخففة إلا أنهم فصلوا فى الطير فقالوا : إن كان مما يرزق ، رزق الطير خرؤه ، فى الهواء كالحمام والعصفور ففضلته طاهرة وإلا فنجسة نجاسة مخففة كالدجاج والبط الأهلى والأوز عند الصاحبين . ومغلظة عند الإمام . والمغلظة عنده : هى ما ورد فيها نص لم يعارض بنص آخر .

والمخففة : هى ما ورد فيها نص عورض بنص آخر كبول مايؤكل لحمه . وذلك لأن حديث استنزهوا من البول يدل على نجاسة كل بول . وحديث العرنيين يدل على طهارة بول مأكول اللحم . فلما تعارض الدليلان كانت نجاسته مخففة .

أما حديث العرنيين فهو ما جاء فى الصحيح : أن قوما من عرنية أتوا المدينة المنورة فلم توافقهم فاصفرت ألوانهم وانتفخت بطونهم فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى إبل الصدقة ويشربوا من أبوالها وألبانها . فخرجوا وشربوا فكان ذلك سببا فى شفائهم .

وقال السادة المالكية : بطهارة فضلة ما يحل أكل لحمه كالبقر والغنم إذا لم يعتد التغذى بالنجاسة .

أما إذا اعتاد ذلك يقينا أو ظنا ففضلته نجسة . وإذا شك فى اعتياده ذلك فإن كان شأنه التغذى به كالدجاج ففضلته نجسة . وإن لم يكن شأنه ذلك كالحمام ففضلته طاهرة :

وقال السادة الحنابلة : بطهارة فضلات ما يؤكل لحمه ولو أكل النجاسة ما لم تكن أكثر طعامه وإلا ففضلته نجسة وكذا لحمه فإن منع من أكلها ثلاثة أيام لا يتناول فيها إلا غذاء طاهراً ففضلته بعد الثلاثة أيام طاهرة وكذا لحمه .

والنجاسة المخففة عند السادة الحنفية : هي بول ما يؤكل لحمه . ومنه الفرس وذرق الطير الذي لا يؤكل . وكذا خرؤ كل حيوان غير الطيور . فيعفى منها عند أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة عما دون الربع من العضو كاليد والرجل إن كان المصاب عضواً وعما دون ربع الثوب إن كان المصاب ثوباً والمراد ربع طرف أصابته النجاسة كالذيل والكم . وقيل : بل عما دون ربع جميع البدن أو الثوب . ورجحه في النهر لكن الفتوى الأول . وعلى كل فالربع هو حد التفاحش الذي لا يعفى عنه .

وقال أبو بكر الرازي : حده شبر في شبر . وقال غيره : ذراع في ذراع . وفي شرح التنوير : أن بول ما يؤكل لحمه طهره محمد . وإن ذرق الطير الذي لا يؤكل لحمه قيل بطهارته .

وأوسع من ذلك كله ما يقرره السادة المالكية من القول : بأن إزالة النجاسة مطلقاً لا تجب . بل إزالتها سنة . ففي جواب سؤال رفع إلى الشيخ يوسف الزبات شيخ السادة المالكية بالجامع الأحمدي هذا نصه : -

ما تقول السادة المالكية فيمن صلى متلبساً بالنجاسة متعمداً : ما الحكم في صلاته ؟ ونص الجواب : إن في إزالة النجاسة عندنا . أعني السادة المالكية خلافاً على ثلاثة أقوال فقيل بالوجوب . وقيل بالسنية. وقيل بالاستحباب . والقول : بالسنية قوي في المذهب . قال به جمهور المالكية[1] وعليه فمن صلى بالنجاسة صحت صلاته . ولا فرق عند المالكية: بين المغلظة والمخففة ولا يرون هذا التقسيم أصلا . فينفع لمن عرض له الواسوس وتمكن منه أن يقلد هذا القول لأنه راجح في المذهب . بل ربما وجب عليه العمل به . لأن من قواعد الشرع : ارتكاب أخف الضررين ولو كان هذا المقلد شافعياً فيتوضأ على مذهبه فيمسح بعض رأسه ويقلد المالكية في القول: بسنية إزالة النجاسة لصحة صلاته . لأن المعتمد جواز التلفيق في العبادة بين مذهبين كما أفتى به العلامة العدوي . والتقليد في تلك الحالة جائز ولو بغير ضرورة . ولا يشترط في المقلد أن يعتقد أن مقلده أرجح بل لو اعتقد أنه راجح كفاه . وللمالكي ومن قلده أن يأكل بيده من غير غسل ولو خالط بها ريق الكلب . وله الصلاة بما مسه ريق الكلب من ثيابه وبدنه وعذرته وبوله كغيرهما من سائر النجاسات فيجري فيها القول بالسنية .

وبالجملة فدين الله يسر لا عسر . قال الله تعالى : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقال صلى الله عليه وسلم : « بعثت بالشريعة السمحة » (أي السهل) فينبغي لكل عاقل أن يدفع الوسواس عن نفسه بقدر ما يمكنه . فإذا حدثته نفسه ببطلان صلاته ووضوئه كذبه في ذلك ويحكم بصحة ذلك . انتهى الجواب بحروفه . وقوله : فيتوضأ على مذهبه فيمسح بعض رأسه مبني على مشهور مذهب الإمام مالك من وجوب مسح جميع الرأس . ومقابله الاكتفاء بمسح ثلث الرأس . أو مسح مقدمه . أو مسح ثلاثة أجزاء من ثلاث شعرات . أو مسح بعض شعره كمذهب الإمام الشافعي اهـ .

---

(1) وقد قال في شأن هذا القول سيدي وشيخي أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه - وقوله هو القول الفصل - لأنه بلغ في العلم والولاية مالم يبلغه غيره : لا تصح سنية إزالة النجاسة مع الذكر والقدرة ؛ بل هي واجبة . والأصل في وجوبها قوله تعالى (وثيابك فطهر) انتهى قوله رضي الله عنه .

هذا وقد قال : فى الميزان لسيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه : قد أجمع أهل الكشف على أن الأكل والشرب من سؤر الكلب يورث القساوة فى القلب حتى لا يصير العبد يحن إلى موعظة ولا فعل شىء من الخيرات وقد جرب ذلك شخص من المالكية شرب من لبن شرب منه كلب فمكث تسعة أشهر وهو مقبوض القلب عن كل خير حتى كاد أن يهلك . والشىء الذى يحصل منه ما ذكر يجب اجتنابه . اهـ من الميزان .

والواجب فى مثل هذه الأقوال من المذاهب الإسلامية مراعاة الخلاف بينها والعمل على العزيمة ، ولا يلجأ إلى العمل بالرخصة إلا لضرورة . وإن كانوا قد قالوا ، إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ، إلا أن العمل بالرخصة ربما جر إلى التهاون بأحكام الدين فيهلك المكلف بتتبعه الرخص . والشيطان غير غافل عن العبد . فلجوء المكلف إلى العزيمة أسلم وأنجى له . والله الموفق .

لم يجعل الله فى ذا الدين من حرج	لطفاً وجوداً على أحيا خليقته
وما التنطع إلا نزعة وردت	من كيد إبليس فاحذر سوء فتنته
إن تستمع قوله فيما يوسوسه	أو نصح رأى له ترجع بخيبته
القصد خير وخير الأمر أوسطه	دع التعمق واحذر داء نكبته

وقد أفتت مشيخة الأزهر بطهارة الكلب . ونشرت الفتوى بجريدة الأهرام فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٠ جاء فيها ما يأتى : —

قالت : أولا فى مذهب مالك رضى الله عنه إن اتخاذ الكلاب فى البيوت لجلب منفعة أو دفع مضرة جائز . ثانياً : إن جسد الكلب ولعابه ومخاطه وعرقه كل ذلك طاهر ما دام حياً . وعلى ذلك إذا جلس الكلب على السرير ولامس الشخص فإنه لا ينجسه . ولا يمنع ذلك من صحة صلاته وعبادته المتوقفة على طهارة كالطواف بالبيت الحرام . وسواء كان جسمه مبتلا أو غير مبتل . ثالثاً : إذا لحس الكلب بدن المصلى أو ثوبه فإن ذلك لا ينجسه ولا يبطل صلاته اهـ .

هذه هى فتوى مشيخة الأزهر . وهو رأى السادة المالكية .

أما رأى السادة الشافعية فإنهم يرون بما لديهم من أدلة : أن الكلب نجس بجميع أجزاء بدنه سواء كان مبللا أو جافاً . فإذا أصاب شيئاً وجب غسله سبع مرات إحداهن بالتراب . وقد تقدم الكلام على مثل هذه المسألة فى باب نواقض الوضوء ، فراجعه .

وقد قال فريق من العلماء عن الإمام الشافعى أن الكلاب نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير . وبه قال الأوزاعى وأبو حنيفة وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيدة . ولا فرق بين الكلب المأذون فى اقتنائه وغيره . ولا بين الكلب البدوى والحضرى لعموم الأدلة .

وفى مذهب مالك رحمه الله تعالى أربعة أقوال : طهارته ، ونجاسته . وطهارة سؤر المأذون فى

اتخاذه دون غيره . وهذه الثلاثة عن مالك . والرابع عن عبد الملك بن الماجشون : أنه يفرق بين البدوى والحضرى .

وقال الزهرى ومالك وداود إنه طاهر وإنما يغسل الإناء من ولوغه تعبداً ويحكى هذا عن الحسن البصرى وعروة بن الزبير محتجين بقوله تعالى : (فكلوا مما أمسكن عليكم) ولم يذكر غسل موضع إمساكها . وبحديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : «كانت الكلاب تقبل وتدبر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبول فلم يكونوا يرشون شيئا من ذلك » . ذكره البخارى فى صحيحه . واحتج غير هؤلاء بحديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليرقه وليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب قالوا ولو لم يكن نجسا لما أمر بإراقته لأنه حينئذ يكون إتلاف مال . وأما حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما . فقال البيهقى : أجمع المسلمون على أن بول الكلاب نجس وعلى وجوب الرش من بول الصبى والكلب أولى . فكان حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قبل الأمر بالغسل من ولوغ الكلب أو أن بولها خفى مكانه . فمن تيقنه لزمه غسله .

ومن الأعيان النجسة منى غير الآدمى : أما هو فقد قال الإمام الشافعى : منى الآدمى طاهر حيا وميتا . وقال السادة الحنابلة : إن منى الآدمى طاهر إن خرج من طريقه المعتاد دفقا . بلذة بعد استكمال السن تسع سنين للأنثى وعشر سنين للذكر ولو خرج على صورة الدم . واستدلوا على طهارة المنى بقول السيدة عائشة رضى الله عنها «كنت أفرك المنى من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يذهب فيصلى فيه » أما منى غير الآدمى : فاستثنى السادة الشافعية منه منى الكلب والخنزير وما تولد منهما . فقالوا بنجاسته تبعا لأصله . وقال السادة الحنابلة : إن منى غير الآدمى إن كان من حيوان مأكول اللحم فطاهر وإلا فنجس . كما قالوا بطهارة المذى والودى إذا كانا من مأكول اللحم .

ومنها القىء والقلس . فقال السادة الحنفية : إن القىء نجس نجاسة مغلظة إذا ملأ الفم . وقال السادة المالكية : إن القىء طعام خارج من المعدة بعد استقراره فيها . فحكموا بنجاسته بشرط أن يتغير عن حالة الطعام ولو بحموضة فقط بخلاف القلس . وهو الماء الذى تقذفه المعدة عند امتلائها فإنه لا يكون نجسا إلا إذا شابه العذرة ولو فى أحد أوصافها . وقال السادة الشافعية : بنجاسة القىء وإن لم يتغير كأن خرج فى الحال سواء كان طعاما أو ماء . بشرط أن يتحقق خروجه من المعدة . فإن شك فى خروجه منها فالأصل للطهارة . وجعلوا منه الماء الخارج من فم النائم إن كان أصفر منتنا . ولكن يعفى عنه فى حق من ابتلى به . وما تجتره الابل والغنم نجس قل أو كثر . وقال السادة الحنابلة : إن القلس والقىء نجسان بلا تفصيل .

وتجب إزالة النجاسة عن بدن المصلى وثوبه ومكانه إلا ما عفى عنه لتعذر إزالته أو عسر الاحتراز منه دفعا للحرج . أما عن الثوب : أى ثوب المصلى فلقوله تعالى (وثيابك فطهر) وأما عن البدن : فلأن البدن أولى بالطهارة من الثوب المنصوص على طهارته فى الآية الكريمة . وأما عن مكانه : فلأن

إزالة النجاسة يقصد منها تحسين حال المصلى وقت مناجاته لربه والمكان كالثوب فى ذلك .

وإذا تعلق الصبى بمن يصلى وتحققت نجاسته فلا يعفى عنه فتبطل صلاته . وأما إذا لم تتحقق نجاسته فلا تبطل . هذا رأى السادة الشافعية . وعند الإمام مالك يعفى عنه مطلقاً .

وقد عد السادة المالكية من المعفوات : سلس الأحداث كبول وغائط أو مذى أو ودى أو منى إذا سال شىء منها بنفسه فلا يجب غسله عن البدن أو الثوب أو المكان الذى لا يمكن التحول عنه إلى مكان آخر إذا حصل شىء منها ولو كل يوم مرة .

وكذا يعفى عن بلل الباسور إذا أصاب بدن صاحبه أو ثوبه كل يوم ولو مرة . وأما يده فلا يعفى عن غسلها إلا إذا كثر استعمالها فى إرجاعه بأن يزيد على مرتين كل يوم . وإنما اكتفى فى الثوب والبدن بمرة واحدة فى اليوم ولم يكتف فى اليد إلا بما زاد على اثنتين لأن اليد لا يشق غسلها إلا عند الكثرة بخلاف الثوب والبدن .

وكذا يعفى عما يصيب ثوب أو بدن المرضعة من بول أو غائط رضيعها ولو لم يكن وليدها إذا اجتهدت فى التحرز عنهما حال نزولهما . ويندب لها إعداد ثوب الصلاة .

وكذا يعفى عما يصيب ثوب أو بدن الجزار ونازح المراحيض والطبيب الذى يعالج الجروح . ويندب لهم إعداد ثوب للصلاة .

وكذا يعفى عما يصيب ثوب المصلى أو بدنه أو مكانه من دمه أو دم غيره آدمياً كان أو غيره ولو خنزيراً إذا كانت مساحته لا تزيد على قدر الدرهم البغلى : والدرهم البغلى (أى قدره) هو الدائرة السوداء التى تكون فى ذراع البغل . ولا عبرة بالوزن . ومثل الدم فى ذلك القيح والصديد . وكذا يعفى عما يصيب ثوبه أو بدنه أو مكانه من بول أو روث خيل أو بغال أو حمير إذا كان ممن يباشر رعيها أو علفها أو ربطها أو نحو ذلك . فيعفى عنه لمشقة الاحتراز .

وكذا يعفى عن أثر ذباب أو ناموس أو نمل صغير يقع على النجاسة ويرفع شيئاً منها برجله أو فمه ثم يقع على ثوبه أو بدنه لمشقة الاحتراز . أما النمل الكبير فلا يعفى عنه لقدرته .

وكذا يعفى عن أثر دم الحجامة بعد مسحه بخرقة ونحوها فيعفى عنه إلى أن يبرأ فيغسله .

وكذا يعفى عما يصيب ثوبه أو رجله من طين المطر أو مائه المختلط بنجاسة مادام موجوداً فى الطرق ولو بعد انقطاع المطر . فيعفى عنه بشروط ثلاثة :

الأول : أن لا تكون النجاسة المخالطة أكثر من الطين او الماء تحقيقاً أو ظناً .

والثانى : أن لا تصيبه النجاسة بدون ماء أو طين .

والثالث : أن لا يكون له مدخل فى الإصابة بشىء من ذلك الطين أو الماء كأن يعدل عن طريق خالية من ذلك إلى طريق فيها ذلك .

وكذا الماء الباقي في المستنقعات :

وكذا يعفى عن المدة السائلة من دمامل أكثر من الواحد سواء سالت بنفسها أو بعصرها ولو غير محتاج إليه لأن كثرتها مظنة الإحتياج إلى العصر . فيعفى عما سال عنها ولو زاد على قدر الدرهم .

أما الدمل الواحد فيعفى عما سال منه بنفسه أو بعصر احتيج إليه . فإن عصر بغير حاجة فلا يعفى إلا عن قدر الدرهم . ويقدر في النجاسة الكثيفة بما يزن عشرين قيراطاً . وفي النجاسة الرقيقة بعرض مقعر الكف .

أما القيراط فهو زنة خمس شعيرات غير مقشورة . والمعروف في زماننا أن زنة القيراط تساوي « خروبة » بذرة من بذور الخروب المتوسطة . وإن الدرهم ستة عشر قيراطا . والخروبة . زنة أربع قمحات من القمح البلدي القديم .

وكذا يعفى عن أثر النجاسة على السبيلين بعد إزالة عين النجاسة بما يزيلها من حجر ونحوه فيعفى عنه ولا يجب غسله بالماء مالم ينتشر كثيراً فإن انتشر تعين غسله بالماء كما يتعين الماء في إزالة النجاسة عن قبل المرأة إذا انتقل البول من محل خروجه وأصاب ظاهر فرجها أكثر من الدرهم فإنه يفترض غسله بالماء .

كيفية إزالة النجاسة

قال السادة الحنفية : يطهر الثوب المتنجس بغسله ولو مرة متى زالت عين النجاسة المرئية . ولكن هذا إذا غسل في ماء جار أو صب عليه الماء . أما إذا غسل في وعاء فإنه لا يطهر إلا بغسل ثلاثا بشرط أن يعصر في كل واحدة منها .

ويطهر البدن بزوال عين النجاسة في المرئية وبغلبة الظن في غيرها .

وأما المائعات المتنجسة كالزيت والسمن فإنها تطهر بصب الماء عليها ورفعه عنها ثلاثا . أما إذا كانت جامدة فيقطع منها المتنجس ويطرح .

وقال السادة المالكية : يطهر محل النجاسة بغسله بالماء الطهور ولو مرة إذا انفصل الماء عن المحل طاهراً . ولا يضر تغيره بالأوساخ الطاهرة . ويشترط زوال طعم النجاسة عن محلها ولو عسر لأن بقاءه دليل على تمكن النجاسة منه . وكذا يشترط زوال لونها وريحها إذا لم يتعسر زوالهما عن المحل كالمصبوغ بنجس حكم بطهارته .

وقد قال ابن حجر الهيتمي في فتاويه : نعم لمالك قول مشهور يجوز الإفتاء والعمل به : أن إزالة النجاسة سنة لا واجبة فيجوز تقليد هذا القول لكن بشرط أن يلتزم أحكام الطهارة والصلاة على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه . وإلا جاء تلفيق التقليد وهو باطل بالإتفاق اهـ رأي ابن حجر . وقد تقدمت فتوى شيخ السادة المالكية بالجامع الأحمدي وهي تخالف رأي ابن حجر في عدم التزام أحكام الطهارة في المذهب المقلد . فراجعها إن شئت .

وقال السادة الحنابلة : كيفيه التطهير بالماء الطهور فى غير الأرض ونحوها أن يغسل المتنجس سبع مرات منقية بحيث لا يبقى للنجاسة بعد الغسلات السبع لون ولا طعم ولا ريح . وإن لم تزل النجاسة إلا بالغسلة السابعة فإن كانت النجاسة من كلب أو خنزير أو ما تولد منهما أو من أحدهما فإنه يجب أن يضاف إلى الماء فى إحدى الغسلات تراب طهور أو صابون أو نحوه . والأولى أن يكون مزج التراب ونحوه بالماء فى الغسلة الأولى فإن بقى للنجاسة أثر بعد الغسل سبعاً زيد فى عدد الغسلات بقدر ما تزول به النجاسة . فإن تعذر زوال طعمها لم يطهر وعفى عنه . وإن تعذر زوال لونها أو ريحها أو هما معاً فالمحل المتنجس يصير طاهراً . ويشترط فى تطهير المتنجس الذى تشرب النجاسة أن يعصر كل مرة خارج الماء الذى يغسل فيه إن أمكن عصره . ويقتصر فى العصر على القدر الذى لا يفسد الثوب . أما ما لا يتشرب النجاسة كالآنية فإنه يطهر بمرور الماء عليه وانفصاله عنه سبع مرات . وأما مالا يمكن عصره مما يتشرب النجاسة فإنه يكفى دقه أو وضع شىء ثقيل عليه أو تقليبه بحيث ينفصل الماء عنه عقب كل غسلة من السبع .

وقال السادة الشافعية : كيفية التطهير بالماء الطهور فى النجاسة المغلظة وهى ما كانت من كلب أو خنزير أو ما تولد منهما أو من أحدهما هى : أن يغسل موضعها سبع مرات وأن يصاحب ماء إحدى الغسلات تراب طهور أى غير نجس .

أما النجاسة المخففة فكيفية تطهيرها أن يرش على محلها ماء يعم النجاسة وإن لم يسل . والنجاسة المخففة هى : خصوص بول الصبى إذا كان غلاماً لم يبلغ الحولين ولم يتغذ إلا باللبن . بخلاف الأنثى . فإن بولها يجب غسله لقوله صلى الله عليه وسلم « يغسل من بول الجارية ويرش من بول الغلام » .

أما النجاسة المتوسطة : فإنها تنقسم إلى حكمية : وهى التى ليس لها جرم أو طعم أو لون أو ريح . وكيفية تطهير الحكمية أن يصب الماء على محلها ولو مرة واحدة . وإلى عينية . والعينية فكذلك . لكن بشرط زوال عين النجاسة . أما أوصافها : فإن بقى منها الطعم وحده فإن بقاءه يضر مالم تتعذر إزالته .

وضابط التعذر : أن لا يزول إلا بالقطع . وحينئذ يكون المحل نجساً معفواً عنه . فإن قدر على الإزالة بعد ذلك وجبت . ولا تجب إعادة ما صـــلاه قبل . فإن تعسر زواله وجبت الاستعانة بصابون ونحوه إلى أن يتعذر . وإن بقى اللون والريح معاً فالحكم كذلك . وإن بقى اللون فقط أو الريح فقط . فان المحل يطهر إذا تعسر زواله . وضابط التعسر أن لا يزول بالحت بالماء ثلاث مرات . فاذا قدر على إزالته بعد ذلك فلا تجب .

ويشترط فى إزالة النجاسة بأنواعها أن يكون الماء وارداً على المحل إذا كان الماء قليلا لئلا يتنجس مع قلته بمجرد الملاقاة .

ومن شروط الصلاة قبل الدخول فيهـا ستر العورة بلباس طاهر . وهى من الرجل والأمة : ما بين السرة والركبة . ومن الحرة جميع البدن ما عدا الوجه والكفين عند الإمامين الشـــافعى وأبى حنيفة .

وعند الإمام أحمد الكفان من العورة يجب سترهما فى الصلاة . وعند الإمام مالك : عورة الحرة ما عدا الصدر والأطراف وما حاذاه من الظهر . وكذا الذراعين والعنق والرأس وإلى آخر القدم أما الوجه والكفان ظهراً وبطناً فهما ليستا من العورة مطلقاً . وفى رواية عن الإمام أبى حنيفة : أن قدمى الحرة ليستا بعورة . ورواية عن الامام أحمد كذلك . وعن أم سلمة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتصلى المرأة فى درع وخمار ليس عليها إزار ؟ قال : نعم إذا كان الدرع سابغاً يغطى ظهور قدميها . ووقفه جماعة على أم سلمة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقبل صلاة الحائض إلا بخمار » والخمار هو ما يخمر به الرأس أى يستر . والمراد بالحائض فى الحديث البالغ . سميت بذلك لأنها بلغت سن الحيض . والتقييد بالحائض خرج مخرج الغالب . وهو أن التى دون البلوغ لا تصلى . وإلا فلا تقبل صلاة الصبية المميزة إلا بخمار . والحديث مخصوص بالحرة . فأما الأمة فتصح صلاتها مكشوفة الرأس .

ومن شروط الصلاة قبل الدخول فيها العلم بدخول الوقت ولو بالاجتهاد . والمراد الوقت المحدد لها شرعاً . وهو فى الظهر من عقب وقت زوال الشمس أى ميلها عن وسط السماء إلى جهة الغرب حتى يصير ظل كل شىء مثله غير ظل الزوال .

قال السادة المالكية : صيرورة ظل كل شىء مثله غير ظل الزوال هو وقت الظهر الاختيارى . أما وقته الضرورى : فهو من دخول وقت العصر الاختيارى ويستمر إلى وقت الغروب وفى العصر من آخر وقت الظهر إلى تمام الغروب . أى غروب الشمس .

وذهب الامام مالك : إلى أن الوقتين مشتركان فى قدر أربع ركعات . ووافقه المزنى من أئمة الشافعية . وقال السادة المالكية : للعصر وقتان : ضرورى ، واختيارى . أما وقته الضرورى . فيبتدىء باصفرار الشمس فى الأرض والجدران لا باصفرار عينها . لأنها لا تصفر حتى تغرب ويستمر إلى الغروب . وأما وقته الاختيار . فهو من زيادة الظل عن مثله ويستمر لاصفرار الشمس والمشهور عندهم أن بين الظهر والعصر اشتراكا فى الوقت بقدر أربع ركعات فى الحضر . واثنتين فى السفر . وهل اشتراكهما فى آخر وقت الظهر فتكون العصر داخلة على الظهر آخر وقته . أو فى أول وقت العصر فتكون الظهر داخلة على العصر فى أول وقته ؟ وفى ذلك قولان مشهوران . فمن صلى العصر فى آخر وقت الظهر وفرغ من صلاته حين بلوغ ظل كل شىء مثله . كانت صلاته صحيحة على الأول . باطلة على الثانى . ومن صلى الظهر فى أول وقت العصر كان آثما على الاول لتأخيرها عن الوقت الاختيارى . ولا يأثم على القول الثانى . لأنه أوقعها فى الوقت الاختيارى المشترك بينهما .

وقال السادة الحنابلة : إن للعصر وقتين : اختيارى وضرورى . فالأول ينتهى بصيرورة ظل كل شىء مثليه . والثانى : ما بعد ذلك إلى غروب الشمس . ويحرم عندهم إيقاع الصلاة أى صلاة العصر فى هذا الوقت الضرورى وإن كانت أداء .

وقال الإمام أبو حنيفة : إن وقت الظهر لا يخرج إلا بمصير ظل كل شيء مثليه . وبه قال المزني في ثاني قوليه .

وفي شأن فضيلة وقت الزوال قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبواب السماء تفتح عند زوال الشمس فلا ترتج أي لا تغلق حتى يصلي الظهر فأحب أن يصعد لي فيها أي في تلك الساعة خير . أي عمل صالح .

وفي المغرب : من تمام الغروب إلى مغيب الشفق الأحمر لا الأصفر ولا الأبيض الذي يرى الوقت إليه الامام الشافعي والامام أحمد وبعض أصحاب أبي حنيفة . وعند الامام أبي حنيفة إلى مغيب الشفق الأبيض . وعند الامام مالك : يمتد وقتها بمقدار ارتفاعها بعد ذلك عنده إلى طلوع الفجر أداء مع الحرمة إلا إذا كان التأخير لعذر فلا حرمة . وهناك قول صحيح عند السادة المالكية : أن وقتها ويمتد إلى مغيب الشفق . فعلى هذا تبتدىء الحرمة بعد مغيب الشفق لغير المعذور . وعلى كل تكون أداء عندهم إلى الفجر .

وفي العشاء : إذا غاب الشفق الأحمر عند الامام الشافعي وبعض السادة المالكية ومن وافقهم من أصحاب الامام أبي حنيفة فهو أول وقتها . وإذا غاب الشفق الأبيض عند الامام أبي حنيفة وبعض من السادة المالكية فهو أول وقتها .

وعند الامام أحمد : لها وقتان . مختار . وضرورة . ويمتد وقتها عند الأئمة إلى طلوع الفجر الصادق .

وفي الصبح : طلوع الفجر الصادق هو أول وقتها . ويمتد إلى طلوع الشمس عند الأئمة . ويكون أداء بلا حرمة إلا عند الامام مالك فإنه يقول : إن وقوعها بعد الاسفار أداء مع الحرمة لغير المعذور .

وإنه لينبغي للمؤمن أن لا ينام بعد تأدية فريضة الصبح حاضرة أي قبل طلوع الشمس لأن النوم في هذا الوقت غير محمود . فقد قال صلى الله عليه وسلم : (الصبحة) بضم الصاد المهملة وبفتح وسكون أي نوم أول النهار (تمنع الرزق) أي بعضه . أو تمنع البركة منه لأنه وقت الذكر والفكر وتفرقة الأرزاق الحسية والمعنوية كالعلوم والمعارف ، وقد دخل صلى الله عليه وسلم على السيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها فوجدها نائمة وقت الصبح . فقال لها . قومي لتتلقي رزق ربك .

وقد روى البيهقي عن السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها قالت : رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجعة فحركني صلى الله عليه وسلم برجله فقال : يا بنية قومي أشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين فإن الله تعالى يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . وكان الخواص رحمه الله تعالى يقول : إن الله تعالى يقسم الأرزاق المحسوسة بعد صلاة الصبح والأرزاق المعنوية بعد صلاة العصر . ولذا نهينا عن النوم في هذين الوقتين لأن النوم فيهما يشعر بعدم النفاقة . فضلا عن أن النوم بعد صلاة الصبح يورث وجع الجنب لحديث ورد فيه أ هـ .

ومن شروط الصلاة قبل الدخول فيها

استقبال عين القبلة في القرب وظناً في البعد لا جهتها عند الامام الشافعي على المعتمد عنده . وعند الأئمة الثلاثة المكي إصابة عينها ولغيره إصابة جهتها إذا كان بعيداً عن مكة . فلو انحرف يسيراً عن

الكعبة يميناً أو يساراً بحيث لا تزول به المقابلة بالكلية فإنه لا يضر . ومثله من كان بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم فإن قبلته هي عين الكعبة لأن محراب مسجده عليه الصلاة والسلام وضع مسامتاً لعين الكعبة بالوحي . فيجب استقبال عين المحراب .

ويستدل بالشمس على القبلة في كل جهة بحسبها لأن مطلع الشمس يعين المشرق . ومغربها يعين جهة المغرب . ومتى عرف المشرق والمغرب عرف الشمال والجنوب . وبهذا يتيسر لأهل كل جهة معرفة قبلتهم . فمن كان في مصر فقبلته جهة المشرق مع انحراف قليل إلى جهة اليمين . لأن الكعبة بالنسبة لمصر واقعة بين المشرق والجنوب وهي للمشرق أقرب . فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بين المشرق والمغرب قبلة » وعن نافع أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما بين المشرق والمغرب قبلة إذا توجه قبل البيت .

أركان الصلاة وأحكامها

وهي الركن الثاني من أركان الإسلام ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة والإجماع ــ أما بالكتاب . فقد قال الله تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا) وأما بالسنة فقد قال صلى الله عليه وسلم « خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » . رواه أبو داود .

فأركانها عند الإمام الشافعي : النية . ومحلها القلب . ويشترط أن يعينها من ظهر أو عصر . والقيام مع القدرة ، فإن عجز صلى قاعداً . فإن عجز صلى مستلقياً . فإن عجز أومأ . ولا تسقط الصلاة عنه بحال من الأحوال ما دام عقله ثابتاً . وتكبيرة الإحرام ويجب أن تكون بلفظ : الله أكبر . مقترنة بالنية . وقراءة الفاتحة في كل ركعة سرية أو جهرية إماماً كان أو مأموماً . وبسم الله الرحمن الرحيم. آية منها .

ويسن الافتتاح قبلها وقراءة سورة أو آية بعدها في الركعتين الأوليين في الرباعية والثلاثية والثنائية .

ودعاء الافتتاح يكون عقب التكبير وهو : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين .

والركوع مع الطمأنينة فيه . خلافاً للإمام أبي حنيفة حيث قال : الطمأنينة لا تجب بل هي سنة كما في رحمة الأمة وأقل الركوع عند السادة الحنفية يحصل بطأطأة الرأس بأن ينحني انحناء يكون إلى حال الركوع أقرب . فلو فعل ذلك صحت صلاته . أما كمال الركوع فانحناء الصلب حتى يستوي الرأس بالعجز . وهذا في ركوع القائم .

وأما القاعد . فركوعه يحصل بطأطأة الرأس مع انحناء الظهر . ولا يكون كاملاً إلا إذا حاذت جبهته قدام ركبتيه . وقال الإمام أبو يوسف ، إن الطمأنينة فرض . وأقلها أن تسكن اعضاؤه فيه . أى بقدر قول المسبح : سبحان الله . فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله تعالى إلى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود » وروى عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود » ورأى صلى الله عليه وسلم رجلا يصلى لا يقيم ظهره فى ركوعه وسجوده فقال له : ارجع فصل فإنك لم تصل ثم رآه لا يطمئن فى الركوع والسجود فأمره أيضاً بإعادة الصلاة . ثم علمه الطمأنينة بينهما والقيام فيهما فقال : حتى تطمئن مفاصلك وتسترخى .

والحديث الوارد فى هذا الشأن هو أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يطمئن فى صلاته فقال له صلى الله عليه وسلم مرتين أو ثلاثا أرجع فصل فإنك لم تصل . ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم: إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع رأسك حتى تستوى قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها . وفى رواية للترمذى : فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك .

ورأى حذيفة وابن مسعود رجلاً يصلى لا يتم ركوعه ولا سجوده . فقالا :لو مات هذا مات على غير فطرة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم وفى حديث لأحدهما وقد سأل المصلى فقال له : منذ كم تصلى هذه الصلاة ؟ فقال منذ أربعين سنة . فقال له : ما صليت منذ أربعين سنة .

ويقال : من لم تقبل صلاته ردت أعماله كلها عليه .

وروى أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى عن الباقر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالساً فى المسجد فدخل رجل فصلى فلم يتم ركوعه ولا سجوده . فقال صلى الله عليه وسلم : نقرة كنقرة الغراب لئن مات هذا وهذه صلاته ليموتن على غير دينى .

قال أبو حمزة الثمالى : رأيت على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما يصلى وقد سقط رداؤه عن منكبيه فلم يسوه حتى فرغ من صلاته . فقلت له فى ذلك . فقال : ويحك أتدرى بين يدى من كنت أقوم ؟ إن العبد لا تقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها . فقلت : جعلت فداك هلكنا إذن ؟ فقال : كلا . إن الله يتم ذلك بالنوافل .

وقد خفف أعرابى صلاته فلاموه على ذلك . فقال : الغريم كريم .

وفى النهى عن المرور بين يدى المصلى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه (أى من الإثم) لكان أن يقف اربعين (أى سنة كما قاله العلماء) خيراً له من أن يمر بين يديه » .

وعن النعمان بن مرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « ما ترون فى الشارب والسارق والزانى ؟ وذلك قبل أن ينزل فيهم : قالوا الله ورسوله أعلم . قال : هن فواحش وفيهن عقوبة . وأسوأ

السرقة الذى يسرق صلاته . قالوا : كيف يسرق صلاته يا رسول الله ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وروى أن سعيد بن المسيب نظر إلى رجـــل يعبث بلحيته فى صلاته . فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه .

وقيل أوحى الله إلى بعض الأنبياء فقال : إذا دخلت فى الصلاة فهب لى من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فإنى قريب .

وقال أبو الخير الأقطع : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله أوصنى : فقال : يا أبا الخير عليك بالصلاة فانى استوحيت ربى فأوصانى بالصلاة وقال لى : إنى أقرب ما أكون منك وأنت تصلى .

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه .

فالمطلوب فراغ القلب من كل شىء إلا الصلاة فإذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فليبدأ بالعشاء ليكون القلب فارغاً إلا من الحضور بين يدى الله عز وجل . فاذا كان الوقت ضيقاً فان الصلاة لا تؤخر لأجل العشاء . فلو أخرها حتى خرج وقتها حرم عليه التأخير .

ويسن أن يقول إماماً ومأموماً : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد . والسجود مرتين مع الطمأنينة فيه ومع وضع اليـدين والركبتين وأطراف القدمين والجبهة على الأرض . خلافاً للإمام أبى حنيفة حيث قال : إن الطمأنينة لا تجب بل هى سنة . وقال الإمام أبو يوسف : إنها فرض وأقلها أن تستقر أعضاؤه فيه . بقدر قول المسبح : سبحان الله . قبل هويه للسجدة الثانية . فان لم يستو جالسا لم يصح ، وإن صار إلى الجلوس أقرب منه إلى السجود . خلافا للشيخ الجوهرى حيث جرى فى شرح المنهج على أنه يكفى حينئذ . وقال الإمام أبو حنيفة يكفى أن يرفع رأسه عن الأرض أدنى رفع كحد السيف . وعند السادة الشافعية قول بأنه يكفى ذلك فى النفل فقط .

ويسن أن يقول فى حالة سجوده : سبحان ربى الأعلى ثلاثا .

الجلوس بين السجدتين مع الطمأنينة فيه : ويسن أن يكبر الرفع من السجود أن يدعو وهو جالس بما شاء من الدعاء . والأفضل أن يقول : اللهم اغفر لى وارحمنى .

والجلوس الأخير والتشهد فيه . وهو المروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه أخذ الإمام الشافعى رضى الله عنه . وهذا نصه :

التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله والسلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . اشهد أن لا إله إلا الله وأشهـــد محمداً عبده ورسوله . والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عقب التشهد . وأكملها اللهم صل على محمد[1] وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى

---

(١) انظر الآن فى هذا الكتاب من ذكر أفضلية كلمة السيادة مع اسم الرسول ﷺ كاما ذكر سواء داخل الصلاة أو خارجها وفى الأذان والاقامة .

آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

والتسليمة الأولى : ويسن تسليمة ثانية على اليسار . وأقله : السلام عليكم . وأكمله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والترتيب : أما التشهد الأول فى الرباعية والثلاثية فهو سنة يجبر تركه بسجود السهو .

وعند الإمام أبى حنيفة : أركان الصلاة هى : التحريمة . والقيام فى الفرض للقادر عليه . والقراءة للمنفرد بما تيسر من القرآن ولو آية مختصرة . أما المأموم فلا يقرأ شيئاً . والركوع . بحيث لو مد يديه نال ركبتيه . والسجود بجبهته وقدميه ووضع أصبع واحد منها شرط . ولا يضر السجود على كور عمامته . إلا أن السادة الشافعية يرون أن السجود على كور العمامة ونحوها كالعصابة إذا ستر كل الجبهة فإن السجود عليها وهى مستورة كلها يبطل الصلاة إن كان عامداً عالماً إلا لعذر كأن كانت به جراحة وخاف من نزع العصابة حصول مشقة شديدة . فإن السجود عليها فى هذه الحالة لا تبطل معها الصلاة . والقعود الأخير قدر التشهد . والخروج بالصنع . بأن يأتى بمناف لها عند انتهائها . والتشهد المروى عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبه أخذ الإمام أبو حنيفة . وهذا نصه :

التحيات لله والصلوات والطيبات . السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وواجباتها عنده : قراءة الفاتحة وضم سورة فى الأوليين من الفرض . وفى جميع ركعات النفل والوتر . وتقديم الفاتحة على السورة . والطمأنينة . والقعود الأول : والتشهد الأول والأخير . ولفظ السلام . وقنوت الوتر . والجهر والإسرار فيما يجهر فيه ويسر . والنية عنده شرط لاركن . فمن ترك من الواجبات عنده شيئاً . فإن كان سهواً وجب عليه سجود السهو . وإن كان عمداً وجب عليه إعادة الصلاة . فإن لم يعد كان آثماً وإن كانت الصلاة صحيحة .

وأركان الصلاة عند الإمام مالك هى : النية . وتكبيرة الإحرام . والقيام لها فى الفرض . وقراءة الفاتحة . والقيام لها . والركوع من القيام فى الفرض والنفل الذى صلاه من قيام والرفع منه . والسجود على أيسر جزء من جبهته . والجلوس بين السجدتين والسلام والجلوس له . والطمأنينة فى جميع الأركان . والإعتدال بعد الركوع والسجود . وحال سلامه . وترتيب هذه الأركان . بأن يقدم النية على تكبيرة الإحرام . أما تكبيره للقيام والتشهد الأول والثانى فسنة . والتشهد المروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أخذ به الإمام مالك . وهذا نصه :

التحيات لله الزاكيات لله الطيبات الصلوات لله . السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

وأركان الصلاة عند الإمام أحمد القيام فى الفرض للقادر عليه . وتكبيرة الإحرام . ويسن أن يأتى بدعاء الاستفتاح فيقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك(١) ولا إله غيرك وقراءة الفاتحة . والركوع والرفع منه . والاعتدال قائماً . والسجود . وأقله : وضع جزء من كل عضو من أعضاء السجود : وأكمله . تمكين جبهته . وأنفه . وركبتيه . وأطراف قدميه من محل سجوده . والرفع من السجود والجلوس بين السجدتين . وكيف جلس كفى . والطمأنينة فى كل ركن فعلى كالركوع والسجود . والتشهد الأخير الذى يعقبه السلام . والتشهد عند الامام أحمد كالتشهد عند الامام أبى حنيفة . وهو المروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم ذكره . والجلوس للتشهد الأخير . والتسليمتين . والمراد بهما السلام الذى يخرج به من الصلاة وهو أن يقول مرتين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ويكفى فى صلاة الجنازة والنفل وسجود التلاوة والشكر تسليمة واحدة . وترتيب الأركان .

وواجباتها عنده : تكبير الانتقال من ركن إلى ركن : وقول الامام المنفرد سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد : وسبحان ربى العظيم مرة فى الركوع : أما المأموم فيقول : ربنا لك الحمد فقط : وما زاد على مرة فى تسبيح الركوع فهو سنة : ثم التشهد الأول والجلوس له : والنية عنده شرط لا ركن : والواجب عنده ما تبطل الصلاة بتركه عمداً ولا تبطل بتركه جهلا أو سهواً . ويجب عليه السجود فى حالة السهو : والأركان يجبر تركها بتداركها وجوبا كما عرف الشرع : أما صلاة النافلة فتجوز من قيام ومن قعود ، والقيام ، فيها أفضل لقول النبى صلى الله عليه وسلم : من صلى قائماً فهو أفضل ومن صلى قاعداً فله أجر نصف القائم ، والسنن الخ :

والسنن منها أبعاض ، وهيئات ، فالأبعاض يجبر تركها بسجود السهو .

والهيئات . ينقص تركها من الفضل . ويرى السادة الشافعية أن المصلى إذا ترك شيئاً من هيئات الصلاة فصلاته صحيحة ولا يسجد للسهو عنها .

وهى كثيرة . منها : رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام وعند كل ركوع واعتدال . وعند القيام من التشهد الأول . منها وضع بطن كف اليمنى على ظهر كف اليسرى تحت صدره وفوق سرته فى القيام . ومنها الجلوس للاستراحة بعد كل سجدة ثانية يقوم عنها . ومنها أن يقول عند تكبيرة الإحرام : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا ومنها التعوذ قبل الفاتحة . والتأمين بعدها فى كل ركعة . ومنها قراءة شىء من القرآن بعد التأمين فى الصبح وأولى غيرها . ومنها الجهر بالفاتحة والقراءة بعدها فيما ذكر ليلا ووقت صبح ويسر بها نهاراً . ومنها التكبير فى الهوى لكل ركوع

(١) الجد بالفتح . معناه الغنى وروى بالكسر بمعنى الاجتهاد . وقوله تعالى جدك أى عظم علاك . أو لا ينفع صاحب الغنى منك غناه . بل ينفعه العمل بطاعتك .

وسجود . وفى الرفع من كل سجود وتشهد أول . ومنها أن يقول فى الركوع : سبحان ربى العظيم ثلاثاً . وفى الرفع منه : سمع الله لمن حمده . وفى الإعتدال : ربنا لك الحمد . وفى السجود : سبحان ربى الأعلى ثلاثاً. وفى الجلوس بين السجدتين : رب اغفرلى وارحمنى واجبرنى وارفعنى وارزقنى واهدنى وعافنى واعف عنى. ومنها الإتيان بأكمل التشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الركعة الأخيرة .

حكم صلاة المريض

من كان مريضاً لايستطيع أن يصلى الصلاة المفروضة قائماً صلى قاعداً فإذا أمكنه القيام ولكن يلزم من قيامه حدوث مرض آخر أو زيادة مرضه أو تأخر شفائه فله أن يصلى قاعداً أيضاً . وإذا كان مرضه سلس بول مثلا وعلم أنه لو صلى قائماً نزل منه البول وإن صلى قاعداً بقى على طهارته فإنه يصلى قاعداً أيضاً. وكذلك الصحيح الذى علم بتجربة أو غيرها أنه إذا صلى قائماً أصابه إغماء أو دوار فى رأسه فإنه يصلى من جلوس . وإذا عجز عن القيام ولكنه يقدر عليه مستنداً إلى حائط أو عصا أو نحو ذلك تعين عليه القيام مستنداً . ولا يجوز له الجلوس .

والصلاة من جلوس تكون بدون استناد إلى شىء حال الجلوس متى قدر . فإن لم يقدر على الجلوس إلا مستنداً تعين عليه الاستناد . ولا يجوز له الإضطجاع . فإن عجز عن الجلوس بحالتيه صلى مضطجعاً أو مستلقياً .

أحكام سجود السهو

عند الإمام أبى حنيفة : محله بعد السلام الأول مطلقاً سواء أكان السهو بالزيادة أو بالنقصان . وهذا هو الأولى عنده فلو سجد قبل السلام أجزأه ولا يعيده .

وصفته : أن يسجد سجدتين بعد أن يسلم عن يمينه ويتشهد بعدهما وجوباً ويسلم كذلك . ولا يجوز له أن يؤخر سجود السهو إلى مابعد التسليمتين . فلوفعل ذلك سقط عنه سجود السهو لأن التسليمة الثانية بمنزلة الكلام الأجنبى .

وعند الإمام مالك : إن كان سببه نقصاً فقط أو نقصاً وزيادة فمحله قبل السلام . وإن كان سببه الزيادة فقط سجد بعد السلام .

وصفته : سجدتان وإن تكرر سببه ويتشهد بعدهما بدون دعاء وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويعيد السلام وجوبا إن كان بعدياً . فإن لم يعده فلا تبطل صلاته .

ثم إن سجود السهو لا يحتاج إلى نية إذا كان قبل السلام لأن نية الصلاة منسحبة عليه نظراً لكونه بمثابة جزء من الصلاة . وأما إن كان بعد السلام فيحتاج لنية لكونه خارجا عن الصلاة .

وعند الامام الشافعى : يسجد للسهو فى جميع الأحوال التى يطلب فيها التشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وآله وقبل السلام .

وصفته عنده : سجدتان كسجود الصلاة ولو كثر مقتضيه . ويحتاج لنية وتكون بقلبه لا بلسانه فلو سجد بدون نية عامداً عالماً بطلت صلاته . كما لو تلفظ بالنية . وإنما تشترط النية لغير المأموم . وأما هو فلا يحتاج لها اكتفاء بنية الإقتداء .

والأليق إذا كان سببه سهواً أن يقول فى سجوده : سبحان الذى لا ينام ولا يسهو . وإذا وقع عمداً فالأليق الإستغفار .

وعند الإمام أحمد : جواز سجود السهو قبل السلام وبعده . ولكن الأفضل ان يكون قبل السلام مطلقاً إلا فى صورتين : إحداهما أن يسجد لنقص ركعة فأكثر فى صلاته فإنه يأتى بالنقص ثم يسجد بعد السلام . وثانيتهما : ان يشك الإمام فى شىء من صلاته ثم يبنى على غالب ظنه . فإن الأفضل فى هذه الحالة أيضاً أن يسجد بعد السلام .

ويكفيه لجميع سهوه سجدتان وإن تعدد موجبه . وإذا اجتمع سجود قبلى وبعدى رجح القبلى .

وصفته عنده : أن يكبر ثم يسجد سجدتين كسجود الصلاة . فإن كان السجود بعدياً أتى بالتشهد قبل السلام . وإذا كان قبلياً لا يأتى بالتشهد . فلو شك فى عــدد ركعات الصلاة بنى على اليقين وهو الأقل ثم يسجد للسهو .

وهو سنة : عند الإمامين الشافعى ومالك . واجب عند الإمام أبى حنيفة . وعند الإمام أحمد : يكون واجباً إذا فعل أو ترك ما يبطل الصلاة عمده . ومسنوناً . إذا أتى بقول مشروع فى غير محله . ومباحاً . إذا ترك مسنونا .

وعن أبى هريرة وابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سجدتا السهو بعد التسليم ، وفيهما تشهد وسلام .

وقد كان سيدنا عبد الله بن عباس وجماعة يسجدون عقب كل فريضة للسهو وإن لم يقع منهم خلل فى ترك شىء من السنن الظاهرة ويقولون : صلاة أمثالنا لا تسلم من الخلل . نقله الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الأصول .

ونظير ذلك قول عطاء : إنه لا نافلة لأمثالنا وإنما هى جوابر للخلل . فإن النوافل لا تكون إلا لمن كملت فرائضه كالأنبياء .

وقد اتفق الأئمة على أنه إذا ترك سجود السهو سهواً لم تبطل صلاته إلا فى رواية عن الإمام أحمد . وقد قال الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وأحمــد فى إحدى رواياته : إن المأموم يسجد للسهو إذا سها إمامه لم يسجد إمامه للسهو . وقال الامام أبو حنيفة : إن المأموم لا يسجد للسهو إلا إن سجد إمامه .

عدد الصلوات المفروضة
فى الأيام العادية وأيام الدجال

خمس إذا كان اليوم كأيامنا هذه فإن لم يكن كأيامنا بل كان مثل أيام الدجال الثلاثة . فإن أول يوم من أيامه كسنة وثانى يوم كشهر . وثالث يوم كأسبوع . وباقى الأيام كأيامنا . فاليوم الذى كسنة يقدر له قدره . فتجب الصلاة فى أوقاتها أى المقدرة . حتى المغرب أو العشاء . ولو كان نهاراً لأنه زمن خارق للعادة . وتعلم الأوقات بالساعات مثلا . ويصام رمضان إذا جاء وقته . أى المقدار . ويحج البيت إذا جاء وقته أى المقدر كذلك . فتعمل فى ذلك اليوم أعمال السنة بتمامها .

ولما سمع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بخبر الدجال وأن ايامه الأولى مخالفة للأيام المعهودة سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عما يفعلونه فى الأيام الثلاثة ومنها اليوم الأول فقالوا : اليوم الذى كسنة يكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا . اقدروا له قدره .

فتحرر الأوقات بنحو الساعات كما تقدم للصلوات والصوم وسائر العبادات الزمنية بل وغير العبادات كحلول الآجال . ويقاس باليوم الأول اليومان التاليان له .

ويجرى ذلك فيما لو مكثت الشمس عند قوم مدة من غير غروب . أى تقدر الأوقات لتلك المدة كما مر .

والصلوات الخمس المفروضة : هى صلاة الظهر . وصلاة العصر . وصلاة المغرب وصلاة العشاء . وصلاة الصبح . أما صلاة الظهر فعدد ركعاتها المفروضة أربع بتسليمة واحدة . ويتبعها عند الامام الشافعى أربع ركعات رواتب مؤكدات . ركعتان قبلها وركعتان بعدها . ويتبعها اربع ركعات غير مؤكدات .

وعند الامام أحمد : أربع ركعات راتبة . ركعتان قبلها . وركعتان بعدها .

وعند الامام مالك : يستحب أربع قبلها . وأربع بعدها .

وأما صلاة العصر : فعدد ركعاتها المفروضة أربع بتسليمة واحدة . ويتبعها أربع ركعات قبلها عند الأئمة الثلاثة مندوبة وعند الامام أحمد : لا راتب لها .

وأما صلاة المغرب . فعدد ركعاتها المفروضة ثلاث بتسليمة واحدة . ويتبعها عند الامام الشافعى ثنتان قبلها غير مؤكدتين . وثنتان بعدها مؤكدتان .

وعند الامام أحمد : يتبعها ركعتان بعدها راتبه .

وعند الامام أبى حنيفة يسن بعدها ركعتان .

وعند الامام مالك : ركعتان بعدها مستحبة .

وعند الأئمة الثلاثة ما عدا الامام أحمد ست ركعات بعدها مستحبة تسمى صلاة الأوابين . قيل إنها المراد بقوله عز وجل : تتجافى جنوبهم عن المضاجع وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال

« من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين » وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقاً على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراساً لو طافه أهل الأرض لوسعهم » .

وللامام الشافعى فى القول الجديد : أن وقت المغرب ينقضى بمقدار الأكل بقدر الشبع الشرعى ولبس الثياب وقضاء الحاجة والتطهر والأذان والإقامة وصلاة الفرض مع الرواتب القبلية والبعدية . والعبرة فى ذلك بالوسط المعتدل من غالب الناس . فإذا مضى هذا المقدار صارت المغرب قضاء .

ولا يدخل وقت العشاء إلا بمغيب الشفق الأحمر . فيكون الزمن الذى قبل مغيب الشفق وبعد مضى هذا المقدار فاصلا بين الوقتين لا من وقت العشاء ولا من وقت المغرب كالزمن الذى بين طلوع الشمس وزوالها فإنه فاصل بين وقت الصبح ووقت الظهر لا من هذا ولا من هذا .

والأحب المبادرة فى صلاة المغرب خاصة . وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء . ولكنه مكروه . وأخر سيدنا عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة . وأخرها ابن سيدنا عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين .

وعن الحرث بن مسلم بن الحرث التميمى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسر إليه فقال : إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل قبل أن تكلم أحداً : اللهم أجرنى من النار سبع مرات . فإنك إذا قلت ذلك ثم مت فى ليلتك كتب لك جوار منها . وإذا صليت الصبح : فقل كذلك فإنك إذا مت فى يومك كتب لك جوار منها .

وأما صلاة العشاء : فعدد ركعاتها المفروضة أربع بتسليمة واحدة . ويتبعها عند الإمام الشافعى ركعتان قبلها غير مؤكدتين . وركعتان بعدها مؤكدتان .

وعند الإمام أحمد : ركعتان بعدها راتبة .

وعند الإمام أبى حنيفة : ركعتان مؤكدتان بعدها . ويستحب أربع قبلها . وأربع بعدها بتسليمة واحدة .

وعند الإمام مالك : يستحب بعدها الشفع . وأقله . ركعتان .

وأما صلاة الصبح : فعدد ركعاتها المفروضة اثنتان بتسليمة واحدة . ويتبعها عند الأئمة الثلاثة ركعتان مؤكدتان قبلها .

وتسمى عند الامام مالك : رغيبة ومرتبتها فوق المستحب ودون السنة . وهو اصطلاح للسادة المالكية . وتحتاج الرغيبة لنية تميزها عن مطلق النافلة بخلاف غيرها من النوافل .

الصلوات النوافل

فمنها صلاة الوتر : وهي واجبة عند الامام أبي حنيفة . سنة مؤكدة عند غيره . يدخل وقتها بفعل العشاء . وأكثره . إحدى عشرة ركعة . وأقله ركعة عند الامامين الشافعي وأحمد . وعند الامام أبي حنيفة ثلاث ركعات متصلة . وعند الامام مالك واحدة .

وأول من صلى الوتر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج عند وصوله إلى حضرة العرش الرحماني .

والقنوت عند الامام أبي حنيفة في الركعة الأخيرة من الوتر قبل الركوع . ولا يقنت عنده في غير الوتر إلا لنازلة والقنوت عند الامام الشافعي في الصبح بعد الرفع من ركوع الركعة الثانية . وبعد الرفع من ركوع الركعة الأخيرة من الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان . وفي كل صلاة مفروضة عند النازلة . وعند الامام أحمد يقنت المصلي في الوتر في الركعة الأخيرة في جميع السنة بعد الركوع استحباباً . وعند الامام مالك : لا يقنت إلا في الصبح فقط قبل الركوع وبعده يجوز .

وصيغة القنوت المشهورة عند الامام الشافعي هي : اللهم أهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني واصرف عني شر ما قضيت فإنك سبحانك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ما قضيت نستغفرك ونتوب اليك . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ويسن للامام الاتيان فيه بضمير الجمع بأن يقول : اللهم أهدنا الخ .

وصيغته عند الامام أبي حنيفة والامام مالك هي . اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب اليك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله ونشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يكفرك . اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد . وإليك نسعى ونحفد (أي نسرع) نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد (أي الحق) بالكفار ملحق . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وصيغته عند الامام أحمد . كما هي عند الامام الشافعي إلا عند قوله : تباركت ربنا وتعاليت . يزاد : اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ومنها صلاة التراويح : وهي سنة مؤكدة عند الأئمة في ليالي رمضان . ووقتها بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر . ويسن أن يوتر بعدها . وهي عشرون ركعة كل ركعتين بتسليمة . ويسن الاستراحة بين كل أربع ركعات منها . ويسن الجماعة فيها للرجال والنساء .

وقد أثبت سنتيها جماعة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم . فقد روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل ليالي من رمضان . وهي ثلاث متفرقة . ليلة الثالث والخامس والسابع والعشرين وصلى في المسجد وصلى الناس بصلاته فيها . وكان يصلي بهم ثمان ركعات ويكملون باقيها في بيوتهم . وكان يسمع لهم أزيز كأزيز النحل .

ومن هذا يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم سن لهم التراويح والجماعة فيها . ولكنه لم يصل بهم عشرين ركعة كما جرى عليه العمل من عهد الصحابة ومن بعدهم إلى الآن . ولم يخرج إليهم صلى الله عليه وسلم بعد ذلك خشية أن تفرض عليهم . كما صرح به فى بعض الراويات .

ويتبين أيضاً أن عددها ليس قاصراً على الثمانى ركعات التى صلاها بهم بدليل أنهم كانوا يكملونها فى بيوتهم وقد بين فعل سيدنا عمر رضى الله عنه أن عددها عشرون حيث إنه جمع الناس أخيراً على هذا العدد فى المسجد ووافقه الصحابة على ذلك ولم يوجد لهم مخالف ممن بعدهم من الخلفاء الراشدين .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » رواه أبو داود .

وقد سئل الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه عما فعله سيدنا عمر رضى الله عنه فقال : التراويح سنة مؤكدة ولم يتحرجه عمر من تلقاء نفسه ولم يكن فيها مبتدعاً ولم يأمر به إلا عن أصل لديه وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعم زيد فيها فى عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فجعلت ستا وثلاثين ركعة . وكان القصد من هذه الزيادة مساواة أهل مكة فى الفضل لأنهم كانوا يطوفون بالبيت بعد كل اربع ركعات مرة . فرأى رضى الله عنه أن يصلى بدل كل طواف أربع ركعات .

ومنها صلاة العيدين : وهى ركعتان بلا أذان ولا إقامة . وهى واجبة عند الإمام أبى حنيفة . فرض كفاية عند الإمام أحمد . سنة مؤكدة عند الإمام الشافعى الإمام مالك . يحرم بها فى عيد الفطر بنية عيد الفطر . وفى عيد الأضحى بنية عيد الأضحى . كأن يقول : نويت أصلى ركعتين سنة عيد الفطر أو الأضحى الله أكبر . ويأتى بدعاء الاستفتاح فيقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك[1] ولا إله غيرك . ويكبر فى الركعة الأولى سبعاً سوى تكبيرة الإحرام وفى الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام عند الإمام الشافعى . وقال الإمامان مالك وأحمد : يكبر فى الأولى ستا سوى تكبيرة الإحرام . وفى الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام . وعند الإمام أبى حنيفة ثلاث تكبيرات فى كل منهما سوى تكبيرة الإحرام والركوع .

ويسن التكبير فى أيام العيدين : والتكبير مرسل . ومقيد . فالمرسل هو مالا يكون عقب صلاة . وهو التكبير ليلة الفطر والأضحى حتى يحرم لصلاة العيدين عند الإمام الشافعى . وعند الإمام أحمد يبتدى من ليلتى العيدين إلى فراغ الامام من الخطبة . ويسن أيضاً فى عشر ذى الحجة . وعند الامام مالك . يبتدىء فى العيدين من طلوع الفجر لمن بعدت داره عن المصلى . ومن بعد طلوع الشمس لمن

---

(١) الجد بالفتح معناه الغنى . وروى بالكسر بمعنى الاجتهاد .
أى عظم علاك : أولا ينفع صاحب الغنى منك غناه بل ينفعه العمل بطاعتك .

قربت داره . إلى الشروع فى الصلاة . وعند الامام أبى حنيفة : يكبر فى الأضحى جهراً . وفى الفطر على أحد القولين من الغدو إلى الشروع فى الصلاة .

والتكبير المقيد : هو مايكون عقب الصلوات مرة واحدة . وهو مختص بعيد الأضحى بالاتفاق فيكبر عقب كل صلاة عند الامامين أبى حنيفة ومالك . أو فائتة . أو نافلة . أو حاضرة . إذا فعلتا فى جماعة عند الامام أحمد . أو حاضرة . أو فائتة . أو نافلة . عند الامام الشافعى . وأول وقته من صبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق الثلاثة . وهى التى تلى يوم العيد عند الأئمة الثلاثة . وعند الامام مالك : من ظهر يوم النحر إلى صبح اليوم الرابع .

وصفته المختارة هى : الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله . الله أكبر ولله الحمد . الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا . وسبحان الله بكرة وأصيلا . لا إله إلا الله وحده . صدق وعده . ونصر عبده وأعز جنده . وهزم الأحزاب وحده . لا إله إلا الله . ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويسن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وصيغتها : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد . وعلى أنصار سيدنا محمد : وعلى أزواج سيدنا محمد . وعلى ذرية سيدنا محمد . وسلم تسليما كثيرا .

ويسن أن يأكل قبل الصلاة فى عيد الفطر . وأن يمسك فى عيد الأضحى حتى يصلى . ووقت صلاة العيدين بعد ارتفاع الشمس قدر رمح (من رماح العرب) وهو إثنا عشر شبراً بالأشبار المتوسطة . وآخر وقتها زوال الشمس عن وسط السماء . فلا تصح بعده لفوات وقتها عند الامامين أبى حنيفة ومالك . وعند الامام الشافعى يسن قضاؤها . وعند الامام أحمد : يسن لمن فاتته مع الامام قضاؤها فى يومها . وقال الامام الشافعى : إنه يقضيها ركعتين كصلاة الامام . وقال الامام أحمد : إنه يقضيها أربعاً كصلاة الظهر وهذه الرواية هى المختارة عند محقق أصحابه . والرواية الأخرى عنه : إنه مخير بين قضائها ركعتين أو أربعاً . وقال الامامان : أبو حنيفة ومالك : إن من فاتته صلاة العيد مع الامام لا يقضيها . مع قول الامامين الشافعى وأحمد : إنه يقضيها فرادى كما تقدم تفصيله عنهما .

ومن ترك السنن المؤكدة استحق عتاب النبى صلى الله عليه وسلم فى المحشر حتى يتساقط لحم وجهه من العتاب . ومن ترك سنته لم ينل شفاعته .

أما ترك السنن غير المؤكدة : وهى التى فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمره مرة أو مرتين ولم يواظب عليها لئلا تلزم الناس رحمة بهم . فتركها خلاف الأولى فقط .

ويشترط فى صحة صلاة العيد الجماعة عند الامام أبى حنيفة . ولا تشترط عند الامامين الشافعى ومالك بل هى سنة . وعند الامام أحمد . يشترط لها عدد الجمعة .

ويسن أن يرفع يديه إلى منكبيه فى كل تكبيرة عند الامام مالك . وأن يخطب بعدها خطبتين عربيتين كخطبتى الجمعة يعلم الناس فيهما أحكام صدقة الفطر فى عيد الفطر . وأحكام الأضاحى فى عيد الأضحى عند الجميع .

وفضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل الصلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت . فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة فى غيره من المساجد . وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى . وأفضل من ذلك كله رجل يصلى فى زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما إلا الله عز وجل . وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه فى الجمع ويأمن منه فى الوحدة .

وقد قال الأئمة إن صلاة العيدين بالصحراء بظاهر البلد أفضل من فعلها فى المسجد . خلافاً لقول السادة الشافعية بأن فعلها فى المسجد أفضل إذا كان واسعاً . وقال الأئمة : إنه يستحب أن ينادى لها : الصلاة جامعة . مع قول ابن الزبير .

إنه يؤذن لها . قال ابن المسيب : وأول من أذن لصلاة العيد معاوية .

ومنها صلاة خسوف القمر وكسوف الشمس : وهى سنة مؤكدة . وأقلها ركعتان كسنة الظهر. وأكملها زيادة قيام وقراءة وركوع فى كل ركعة ويقرأ فى القيام الأول من الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة البقرة أو قدرها . ثم يركع . ثم يقوم ثانياً ويقرأ بعد الفاتحة سورة آل عمران أو مائتى آية . ثم يركع ثانياً . ثم يعتدل . ثم يسجد سجدتين . ثم يقوم للركعة الثانية يقرأ بعد الفاتحة سورة النساء أو مائة وخمسين آية . ثم يركع . ثم يقوم ثانياً يقرأ بعد الفاتحة سورة المائدة أو مائة آية . ويطول الركوع الأول بالتسبيح قدر مائة آية . والثانى قدر ثمانين آية . والثالث قدر سبعين . والرابع قدر خمسين .

ويسن الجهر فى خسوف القمر . والسر فى كسوف الشمس . والأفضل أن تصلى فى المسجد جماعة . ويخطب لها الامام خطبتين بعد الصلاة كخطبتى الجمعة وأن يحث فيهما على فعل الخير والتوبة . وتدرك الركعة بإدراك الركوع الأول . وتفوت صلاة الخسوف بالانجلاء أو بطلوع الشمس لا بغروبه كاسفاً ولا بطلوع الفجر . وتفوت صلاة الكسوف بالانجلاء أو بغروبها كاسفة .

وإنما كانت الصلاة حين الخسوف والكسوف لما يشعر القلب من الرهبة من عذاب الله القاهر فوق عباده القادر على أكبر المخلوقات شأناً وقدراً وأعظمها أثراً . حتى قهرها وكسف شمسها وخسف قمرها . فيكون ذلك الوقت أنسب الأوقات لخشوع القلب من خشية الله . والعبادة أنجح وأنجع .

وإن كسوف الشمس ينشأ من توسط القمر بينها وبين الأرض فيحول ظل القمر بين الأرض وبين ضوء الشمس . وذلك الكسوف . إما جزئى . وإما كلى فالجزئى : إذا حجب جزء من الشمس فقط . والكلى : يكون حائلا بين ضوء الشمس كله وبين الأرض .

وأما خسوف القمر : فيكون من توسط الأرض بين ضوء الشمس وبين القمر . فيحجب ظلها ضوء الشمس عن أن يصل إلى القمر .

وكل من الكسوف والخسوف : له حساب دقيق معروف فى علم الفلك . ويعرف الفلكيون

بحسابهم المواعيد التى يبدأ فيها كل منهما والتى ينتهيان فيها : ويعرفون متى يتم كل منهما بالساعة والدقيقة بدون أى خطأ أو غلط مما يدل على أن حصول الكسوف والخسوف شىء له قواعد ثابتة اقتضتها حكمة الحكيم العليم .

ومنها صلاة الاستسقاء . أى طلب سقيا العباد من الله عز وجل عند حاجاتهم . وهى سنة مؤكدة عند الحاجة من انقطاع مطر أو نضوب عين ماء مالم يأمر بها الامام وإلا وجبت فيحرم بها بنية صلاة الاستسقاء . ويدخل وقتها للمنفرد بإرادة فعلها . وللجماعة باجتماع غالبهم . ويأمرهم الامام أو نائبه بصيام أربعة أيام متتالية وبأمره يجب صومها ، ويأمرهم بالتوبة والصدقة ورد المظالم . ويأمرهم بالخروج إلى الصحراء فى اليوم الرابع بثياب خلقة بالتضرع والابتهال إلى الله تعالى ويخرجون ومعهم الصبيان والشيوخ والعجائز والبهائم . ويصلى الامام بهم أو نائبه ركعتين كصلاة العيدين فى كيفيتهما من الافتتاح والتكبير . سبعاً فى الركعة الأولى وخمسا فى الركعة الثانية . ثم يخطب الامام خطبتين كخطبتى العيدين لكن يفتتح الخطبة الأولى بالاستغفار تسعا . والثانية سبعا . وصيغة الاستغفار : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه . ويدعو فى الخطبة الأولى جهراً ويقول : اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئامريئا مربعا سحاعاما غدقا طبقا مجللا دائما إلى يوم الدين . اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والجوع والضنك ما لا نشكو منه إلا إليك . اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع وأنزل علينا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك . إلا أنت إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدرارا .

ويسن للخطيب أن يستقبل القبلة بعد مضى ثلث الخطبة الثانية ويحول رداءه بأن يجعل يمين ردائه يساره وأعلاه أسفله . ويفعل الناس مثله ويتركون الرداء كذلك حتى يسقوا .

الأضحية وأحكامها
وأحكام الذبح الشرعى

مشروعة بأصل الشرع بالاجماع . واختلف هل هى سنة واجبة ؟ فقال الأئمة الثلاثة وصاحبا أبى حنيفة : إنها سنة مؤكدة . وقال الامام أبو حنيفة : هى واجبة على المقيمين من أهل الأمصار . واعتبر فى وجوبها النصاب . ويدخل وقتها عند الامام الشافعى بطلوع شمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والخطبتين صلى الامام أو لم يصل . وعند الامام أحمد : أول وقتها بعد صلاة العيد إن صليت أو قدرها إن لم تصل . وعند الامام مالك : وقتها بالنسبة للامام الفراغ من الخطبة . وبالنسبة لغيره يدخل وقتها بذبح أضحية الامام إن ضحى . وإلا فبقدره . وعند الامام أبى حنيفة : لغير أهل السواد يدخل وقتها بعد صلاة الامامين فقط . وآخر وقتها عند الامام الشافعى : آخر أيام التشريق . وعند الامامين أبى حنيفة ومالك آخر اليوم الثانى من أيام التشريق وإذا كانت الأضحية واجبة لم يسقط

ذبحها بفوات أيام التشريق بل يذبحها ويكون قضاء عند الأئمة الثلاثة . وقال الإمام أبو حنيفة : يسقط الذبح إذا كان فقيراً واشتراها أو عينها بالنذر . أما الغنى فيجب عليه التصدق بالقيمة مطلقاً .

ويستحب أن يقول : اللهم إن هذا منك وإليك فتقبل منى . وإذا كانت الأضحية تطوعاً يستحب أن يأكل منها عند الأئمة الثلاثة . وعند الإمام الشافعى : له أن يأكل الثلث . ويهدى الثلث . ويتصدق بالثلث . ولا يأكل من لحم المنذورة شيئاً عند الأئمة الثلاثة . وعند الامام أحمد : إذا نذر أن يضحى بمعينة فله أن يأكل منها .

والأضحية تكون عند الامام مالك من الغنم بشرط أن يكمل سنة ويدخل فى الثانية ولو بيوم واحد. ومن الماعز بشرط أن يدخل فى الثانية بشهر ومن البقر والجواميس بشرط أن يدخل فى الرابعة وعند الامام الشافعى : يجزىء من الضأن الجزعة وهو ماله سنة وطعن فى الثانية . ومن المعز والبقر الثنى ، وهو ماله سنتان وضعف فى الثالثة . وعند الامام أبى حنيفة : يجزىء من الضأن والمعز الثنى ، وهو ماله سنة . والثنى من البقر . وهو ماله . سنتان . ويجزىء الجذع من الضأن . وهو ماله ستة أشهر ومن الابل الثنى وهو مايدخل فى السادسة عند الأئمة الثلاثة وعند الامام أحمد : يجزىء من الضأن ماله نصف سنة ومن المعز ماله سنة . ومن البقر ما تم له سنتان . ومن الابل ماله خمس . ولا يجوز بيع شيء من الأضحيه والهدى نذراً كان أو تطوعا . ولا يبيع الجلد بالاتفاق .

والذبح المعتبر شرعا : يكون بقطع الحلقوم . وهو مجرى النفس . وقطع المرىء . وهو مجرى الطعام والشراب . سواء كان قطع الحلقوم من أعلى العنق أم من أسفله تحت الجوزة المعروفة أو فوقها . لكن بشرط إذا كان فوقها أن يبقى شيء متصل بأصل العنق وجدوره كتدويرتان كاملتان إحداهما من أعلى والثانية من أسفل . فلو لم يبق إلا العروق التى اتصلت بها الجوزة كانت ميته . ويسن قطع الودجين . وهما عرقان فى صفحتى العنق محيطان بالحلقوم من الجانبين .

وليعلم أنه إذا تقدم سبب يحال عليه الهلاك . كأن أكل ما يراد ذبحه نباتاً مضراً وكما لو جرحه ذئب أو انهدم عليه نحو بناء . فلا بد أن يكون فيه أول الذبح حياة مستقرة . بأن يكون فيه إبصار وحركة اختيارية . وعلامة ذلك أن يوجد بعد الذبح حركة شديدة أو انفجار الدم . فيكفى أحدهما على الصحيح أما إذا لم يتقدم السبب المذكور فلا يشترط وجود الحياة المستقرة . بل تكفى الحياة المستمرة . وعلامتها وجود النفس فقط . ويفهم من ذلك أنه لو ذبحت حمامة جرحتها هرة . فإن وجد بعد ذبحها الحركة الشديدة . أو انفجار الدم حلت . وإلا فلا . ولو ذبحت شاة مريضة آخر رمق حلت وإن لم تتحرك ولم ينفجر الدم .

وإنما يشترط الذبح بهذه الصفة فى الحيوان المستأنس المقدور عليه .

أما غير المستأنس كغنم وبقر توحش . وبعير نفر وغزال فى الصحراء وبهيمة سقطت فى بئر ولا يمكن الوصول إلى ذبحها . فذكاته عقره فى أى موضع من بدنه بشيء يجرح ينسب إليه زهوق الروح فإذا زهقت الروح بالجرح الذى قصد به عقره حل أكله .

العقيقة وأحكامها

سنة مشروعة عند الأئمة الثلاثة مباحة عند الإمام أبي حنيفة : وهي أن يذبح عن الغلام شاة كما يذبح عن الجارية . والذبح يكون في اليوم السابع من الولادة بالاتفاق . ولا يمس رأس المولود بدم العقيقة بالاتفاق . وقال الإمامان الشافعي وأحمد : يستحب ان لا يكسر عظام العقيقة . بل تطبخ بجملتها تفاؤلا بسلامة المولود .

ومن السنة الأذان والإقامة في أذني المولود . فيؤذن في اليمنى . ويقيم في اليسرى . لخبر ابن السني عن الحسن بن علي : « من له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى لم تضره أم الصبيان » وهي التابعة من الجن . وهي المسماة عند الناس بالقرينة . ولا يشترط في هذا الأذان ذكورة . بل يصح من امرأة . ويطلب أيضا أن يقرأ في أذنه اليمنى : إنا أنزلناه . لأن من فعل به ذلك لم يقدر الله عليه زنا طول عمره . ويطلب أيضا تحنيكه بتمر .

والعق عنه لما ورد : أن الغلام مرهون بعقيقته . يعني أنه لا ينمو نمو أمثاله حتى يعق عنه . وقيل معناه . أنه لا يشفع في والديه يوم القيامة . كما ذهب إليه الإمام أحمد . وتكفي عقيقة واحدة عن أولاد تعددوا .

والإحسان إلى البنات في القيام على تربيتهن فيه فضل عظيم وخير عميم . قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأنه « ما من مسلم تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة » أي أدخله قيامه على تربيتهما والإحسان إليهما الجنة . اى مع السابقين أو بغير عذاب . وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم » وليبدأ بالاناث قبل الذكور فإنه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار .

وقد قالت السيدة (سلامة) حاضنة سيدنا إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : تبشر الرجال بكل خير ولا تبشر النساء ؟ فقال : أما ترضى إحداكن . والخطاب لنساء هذه الأمة — أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها أي مدة حملها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله أي في الجهاد . وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفى لها من قرة أعين . فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص أي الولد من ثديها مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة . فإن أسهرها ليله كان لها مثل سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله . سلامة .

أى يا سلامة التى هى حاضنة ولده إبراهيم : تدرين : أى تعلمين من أعنى بهذا ؟ الممتنعات الصالحات المطيعات لأزواجهن اللواتى لا يكفرن العشير .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعاً : « من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار » وروى مسلم والترمذى مرفوعاً : « من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو . وضم أصابعه . وفى رواية للترمذى مرفوعاً : « من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بأصابعه يعنى السبابة والتى تليها . كما فى رواية ابن حبان فى صحيحه . وروى ابن ماجه مرفوعاً : ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة وروى البزار والطبرانى مرفوعاً : « من سعى على ثلاث بنات فهو فى الجنة وكان له كأجر مجاهد فى سبيل الله صائماً قائماً » . زاد فى رواية فقالت له امرأة: واثنتان ؟ قال : واثنتان . وشواهده كثيرة . وفى رواية للترمذى وأبى داود مرفوعاً : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهما واتقى الله فيهن فله الجنة » وروى أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً : « من كان له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده الذكور عليها أدخله الله الجنة » ومعنى لم يئدها أى لم يدفنها حية كما كانوا فى الجاهلية يدفنون البنات أحياء . ومنه قوله تعالى(وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) وروى الحاكم وصححه « من كان له ثلاث بنات يصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن أدخله الله الجنة برحمته إياهن » . فقال رجل : وابنتان يارسول الله؟قال: وابنتان . قال رجل يا رسول الله : وواحدة ؟ قال : وواحدة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : زوجوا أبناءكم وبناتكم . تمامه عند مخرجه . قيل يا رسول الله : هذا أبناؤنا نزوج . فكيف بناتنا ؟ قال : حلوهن بالذهب والفضة وأجيدوا لهن الكسوة وأحسنوا إليهن بالتحلية ليرغب فيهن .

ووقت العقيقة من حين الوضع إلى البلوغ . والأفضل أن تكون فى اليوم السابع . ومن لم يعق عنه والده . يسن له أن يعق عن نفسه بعد البلوغ .

وكما أن الإحسان إلى البنات مطلوب وكذلك الإحسان إلى النساء وملاطفتهن فى الحدود التى لا تخرج بهن من دائرة الفضيلة إلى دائرة الفساد مطلوب وفيه فضل كبير وثواب جزيل . وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف النساء ويكرمهن . فقد قالت له السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها وقد غضبت منه : أتزعم أنك نبى ؟ فتبسم صلى الله عليه وسلم فى وجهها . وأدخل صلى الله عليه وسلم يوماً أبا بكر لها وقال له : إنى أريد أن تحكم بيننا فإن بينى وبينها سراً . وسترها صلى الله عليه وسلم بظهره لتنظر لعب الحبشة . وكانت رضى الله عنها إذا شربت الماء أخذ الإناء ووضع فمه موضع ما شربت . وإذا أكلت لحماً أخذ العظم ومص موضع فمها جبراً لها . ووقع أنه صلى الله عليه وسلم وضع ركبته الشريفة للسيدة صفية زوجته صلى الله عليه وسلم . لتركب . فوضعت ساقها على ركبته وركبت ولم تضع قدمها أدباً معه صلى الله عليه وسلم . ووقع أن بعض زوجاته غضبت منه صلى الله عليه وسلم ندفعته فى صدره . فزجرتها أمها . فقال لها : صلى الله عليه وسلم : دعيها فإنهن يفعلن أكثر من ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم : خيركم خيركم للنساء وقال خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى : ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم .

والختان واجب عند الإمام الشافعي سنة عند الأئمة الثلاثة . وقد عد بعض العلماء ترك الختان من الكبائر لما يترتب عليه من المفاسد التي من جملتها ترك الصلاة غالباً لأن غير المختون لا يصح استنجاؤه حتى يغسل الحشفة التي هي داخل قلفته . لأنها لما كانت مستحقة الازالة كان ما تحتها في حكم الظاهر فوجب غسله . والغالب من أحوال غير المختونين التساهل في ذلك وعدم الاعتناء به فلا تصح صلاتهم .

قال بعض شراح المنهاج كالكمال الدميري : والصحيح إنا أوجبنا الختان فتركه بلا عذر فسق .

والحكمة في الختان أن رأس ذلك العضو جسم شديد الحس ولأجله عظم الالتذاذ عند الوقاع . فلو بقيت تلك الجلدة على ذلك العضو بقي ذلك العضو على كمال القوة وشدة الاحساس فيعظم الالتذاذ . أما إذا قطعت تلك الجلدة بقي ذلك العضو عارياً فيلقى الثياب وسائر الأجسام فيتصلب ويضعف حسه ويقل شعوره فيقل الالتذاذ بالوقاع فتقل الرغبة فيه . فكأن الشريعة أمرت بالختان سعياً في تقليل تلك اللذة حتى يصير ميل الانسان إلى قضاء شهوة الجماع إلى حد الاعتدال وأن لا تصير الرغبة فيه غالبة على الطبع . هذا في الحكمة في ختان الذكر .

أما في ختان الأنثى : فقد قال في شأنه صلى الله عليه وسلم لأم عطية التي كانت تختن الاناث بالمدينة : (إخفضي) بكسر الهمزة والفاء والضاد المعجمة وسكون الخاء المعجمة بعد الهمزة والخفض للنساء كالختان للرجال (ولا تنهكي) بفتح المثناة الفوقية وسكون النون وكسرى الهاء أي لا تبالغي في استقصاء الختان (فإنه) أي عدم المبالغة (انضر للوجه) النضارة حسن الوجه (وأحظى عند الزوج) أي سعدت به ودنت من قلبه وأحبها . رواه الطبراني في الكبير عن الضحاك بن قيس . قال الشيخ حديث صحيح . وقوله صلى الله عليه وسلم لأم عطية إخفضي أي أختني النساء بقطع البظر لأن ترك قطعه يكثر الشهوة فيحمل على الزنا . وقوله صلى الله عليه وسلم : ولا تنهكي أي لا تبالغي في استقصاء محل الختان بالقطع لأن ذلك يزيل الشهوة فتكره الجماع حينئذ فيفوت حظ الزوج منها . فإبقاء بعض البظر يبقي بعض الشهوة ويحسن جمال الوجه . فهو إرشاد وتعليم منه صلى الله عليه وسلم لأمته فيما ينفعهم في دنياهم . فإنه صلى الله عليه وسلم ساع في كل ما ينفعهم دنيا وأخرى .

والبظر : قطعة لحم مثل نواة البلح الصغيرة أو عرف الديك في باب الفرج من أعلى مدخل الذكر فيه من شدة الحس أضعاف ما عند الرجل من شدة الحس في رأس ذكره . مقطع جزء من البظر أي حد التوسط يقلل من رغبة الأنثى في طلب الرجل للجماع . والبظر : هو ما يظهر من المرأة عند جلوسها على عقبيها .

والختان أيضاً من سنن المرسلين . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم والقدوم آلة النجار . لحديث أبي يعلى ، أمر إبراهيم بالختان فاختتن بقدوم فاشتد عليه فأوحى الله إليه : عجلت قبل أن آمرك بآلته . فقال يارب كرهت أن أؤخر أمرك ، وفي رواية أبي هريرة : واختتن بالناس . والختان موضع القطع من الذكر والفرج .

وفى هذا الكفاية فى الرد على من يقولون بعدم ختان البنات لأن تشريع الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته فى غاية الحكمة — وهو الذى لا ينطق عن الهوى — لأنه يهدف إلى عفة البنات بتقليل دواعى الشهوة عنهن بالختان .

فمن الواجب على المؤمن المتدين أن لا يلتفت لأى رأى بعد وقوفه على رأى رسولنا صلى الله عليه وسلم وعمل المرسلين من قبله .

وقد ذهب إلى وجوب الختان الامام الشافعى وجمهور أصحابه وعند الامام أحمد بن حنبل وبعض السادة المالكية القول بوجوبه . وعند الامام أبى حنيفة واجب . وحجة القائلين بعدم فرضيته حديث شداد بن أوس : الختان سنة للرجال مكرمة للنساء وهذا لا حجة فيه لما تقرر أن لفظ السنة إذا ورد فى الحديث لا يراد به التى تقابل الواجب .

واختلف فى الوقت الذى يشرع فيه الختان . فقد قال الماوردى : له وقتان وقت وجوب . ووقت استحباب . فوقت الوجوب : البلوغ . ووقت الاستحباب قبله . والاختيار فى اليوم السابع من الولادة فإن أخر ففى الأربعين يوماً . فإن أخر ففى السنة السابعة .

وفى شأن العفة عن ارتكاب المحرم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا رأى أحدكم إمرأة حسناء فأعجبته فليأت أهله » . أى فليجامع حليلته (فإن البضع) أى الفرج ، واحد ومعها مثل الذى معها » أى مع حليلته فرج مثل فرج تلك الأجنبية ولا مزية لفرج مثل تلك الأجنبية عليه . والتمييز بينهما من تزيين الشيطان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء عشرة أجزاء فتسعة فى النساء وواحد فى الرجال ، ولولا ذلك لتخطفن الرجال فى الأزقة لشدة شهوتهن .

ومنها صلاة الضحى : وهى سنة مؤكدة عند الأئمة الثلاثة مندوبة عند الامام أبى حنيفة . ووقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح إلى زوالها . وروى عن الامام على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم : كان يصلى الضحى ستا فى وقتين : إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين . وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً . فالأول إنما يكون إذا أرتفعت قيد نصف رمح . والثانى : إذا مضى من النهار ربعه . بإزاء صلاة العصر . فإنه وقته أن يبقى من النهار ربعه . والظهر على منتصف النهار . ويكون الضحى على منتصف مابين طلوع الشمس إلى الزوال . كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب . وهذا أفضل الأوقات . ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت الضحى على الجملة .

وأقل صلاة الضحى ركعتان : وأكثرها ثمان ركعات . فينبغى المحافظة على فعلها لقوله عليه الصلاة والسلام : من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر . والشفعة هى الركعتان .

الأذان والإقامة وفضل التطوع بهما

قد جاء فى فضل التطوع بالأذان أحاديث : منها قول النبى صلى الله عليه وسلم : « المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط – أى المتلطخ – فى دمه إذا مات لم يدود فى قبره » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « من أذن خمس صلوات إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « من أذان سنة لا يطلب عليه أجراً دعى يوم القيامة ووقف على باب الجنة فقيل له أشفع لمن شئت » ومنها قوله صلى عليه وسلم « من أذان سبع سنين محتسباً كتب الله له براءة من النار » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « المؤذن يغفر له مدى صوته وأجره مثل أجر من صلى معه » وفى رواية : « المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس » أى بالأذان . وفى رواية : لا يسمع مدى صوت المؤذن لا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة أى وشهادتهم له سبب لقربه من الله عز وجل . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أخذ المؤذن فى أذانه وضع الرب يده فوق رأسه » كناية عن إدرار الرحمة والإحسان وإفاضة البر والمدد عليه . فلا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه وإنه ليغفر له مدى صوته والمعنى لو كانت ذنوبه تملأ هذا المكان لغفرت له . او يغفر له من الذنوب ما فعله فى زمان مقدر بهذه المسافة . فإذا فرغ أى من اذانه – قال الرب : صدق عبدى وشهدت بشهادة الحق وهى أن لا إله إلا الله محمد رسول الله . فأبشر . أى بما يسرك من الثواب والفضل . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم . « إذا أذن فى قرية أمنها الله من عذابه ذلك اليوم » أى أمن أهلها من إنزال عذاب لهم . بأن لا ينزل عليهم بلاء ولا يسلط عليهم عدوا ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « ساعتان لا يرد على داع دعوته حين تقام الصلاة وساعة الصف فى سبيل الله تعالى » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يلهو لهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس . رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم بقوم هم به راضون . ورجل أذن فى مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله . ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة » .

وقال سعيد بن المسيب : من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عند أذان المؤذن يستجاب الدعاء . فإذا كانت الأقامة لا ترد دعوته » أى الداعى . كأنه يقول : الدعاء عند الإقامة أرجى قبولا عند الأذان . وقال رسول الله صلى عليه الله وسلم « لو يعلم الناس مالهم فى التأذين . أى من الثواب . لتضاربوا عليه بالسيوف . لما ورد لا يسمع مدى صوت المؤذن إنس ولا جن ولاشىء إلا شهد له يوم القيامة .

أما الأذان فهو سنة عند الإمامين أبى حنيفة والشافعى . وفرض كفاية فى المصر عند الإمام مالك . وفرض كفاية عند الإمام أحمد . والأذن هو الإعلام . وشرعاً : إعلام مخصوص لوقتية أو فائتة أو بين يدى خطيب على وجه مخصوص بأن يكون على مكان عال من رجل جهير الصوت عالماً بالوقت مستقبلا للقبلة . فإذا قال : حى على الصلاة حول وجهه يميناً . وإذا قال حى على الفلاح حول وجهه شمالا من غير أن يحول قدميه . وأن يتمهل فيه بأن يفصل بين كل كلمتين . ويسرع فى الإقامة

ويجلس المؤذن بين الأذان والإقامة فى جميع الصـــلوات إلا المغرب فإنه يكتفى فيها بأدنى الفصل لكراهة الوصل ليتأهب الناس للصلاة .

ولا يصح الأذان قبل الوقت إلا فى الفجر فقط . وإن فعل ذلك أعيد فى الوقت . لقوله صلى الله عليه وسلم « يا بلال لا تؤذن حتى يطلع الفجر » ويسن الأذان والإقامة للرجال لكل صلاة من الصلوات الخمس والجمعة ولو منفرداً أو مسافراً .

ويشترط لصحتهما : الإسلام والتمييز والولاء بين كلماتها ودخول الوقت إلا فى أذان الصبح فإنه فى نصف الليل . والمراد به التسبيح .

ويسن الترجيع فى الأذان عند الامامين الشافعى ومالك . وهو أن يأتى بالشهادة مرتين سراً قبل أن يأتى بهما جهراً . إشارة إلى أن الدين كان خفياً ثم ظهر . ويسن التثويب عند الأئمة بعد الحيعلتين فى أذان الصبح فقط بأن يقول : الصلاة خير من النوم . لما روى أن بلالا جاء إلى حجرة السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها بعد الأذان . فقال : الصلاة يا رسول الله . فقالت : إن الرسول نائم . فقال : الصلاة خير من النوم . فلما انتبه صلى الله عليه وسلم من نومه أخبرته بذلك فاستحسنه صلى الله عليه وسلم وقال : اجعله فى أذانك . ولأنه وقت غفلة ونوم فخص بزيادة الاعلام . وقال عليه الصلاة والسلام : اجعل أصبعيك فى أذنيك فإنه أرفع لصوتك .

ويستحب أن يكون المؤذن هو المقيم . ويجوز تعدد المؤذنين فى مكان واحد على حسب سعة الوقت . ويجوز اجتماعهم فى أذان دفعة واحدة . لكن كل واحد على أذان نفسه . لأن أذانهم على صوت واحد من البدع المكروهة .

وأول من أحدث هذا الأذان جماعة هشام بن عبد الملك .

وقد اختلف الأئمة فى أخذ الأجرة على الأذان . فقال الامامان أبو حنيفة وأحمد : لا يجوز . وقال الامام مالك وأصحاب الامام الشافعى يجوز .

وقد رزق الأئمة الراشـــدون المؤذنين . وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا محذورة مرة (صرة) فيها فضة فكان الصحابة يرون أن ذلك بسبب أذانه .

وقد نقل الحافظ السخاوى عن الخضر عليه الصلاة والسلام أنه قال : من قال حين يسمع قول المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله : مرحباً بحبيبى وقرة عينى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ثم يقبل إبهاميه ويجعلهما على عينيه لم يعم ولم يرمد أبداً ، ولم يبين موضع التقبيل من الابهامين إلا أنه نقل عن الشيخ العالم المفسر نور الدين الخراسانى . قال بعضهم : لقيته وقت الأذان . فلما سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله . قبل إبهامى نفسه ومسح بالظفرين أجفان عينيه من الموق إلى ناحية الصدغ ثم فعل ذلك عند كل شهادة مرة . فسألته عن ذلك . فقال : كنت أفعله ثم تركته فرضت عيناى فرأيته صلى الله عليه وسلم مناماً فقال لى : لم تركت مسح عينيك عند الأذان . إن أردت أن تبرأ عيناك فعد إلى المسح فاستيقظت ومسحت فبرئت ولم يعاودنى مرضهما إلى الآن .

والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عقب الأذان من الأمور المستحسنة بل أفتى بعض العلماء بأنها سنة استناداً على قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » والمؤذن سامع لأذان نفسه فيصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم مع المخاطبين بقوله صلى الله عليه وسلم : ثم صلوا على ولو كانت صلاته وسلامه جهراً برفع الصوت .

وصيغة الأذان عند الأئمة هي الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله . وأشهد أن محمداً رسول الله . حي على الصلاة . حي على الفلاح . الله أكبر . لا إله إلا الله . فالتكبيرة الأولى أربع مرات عند الأئمة الثلاثة . ومرتان عند الإمام مالك . والشهادتان أربع مرات عند الامامين مالك والشافعي اللذين يقولان بالترجيع دون السادة الحنفية والحنابلة . فعندهما مرتان . والحيعلتان والتثويب والتكبيرة الأخيرة مرتان . ولا إله إلا الله مرة واحدة عند الجميع .

وأما الاقامة : فهي كالأذان عند الامام أبي حنيفة إلا بعد الحيعلتين فيقول : قد قامت الصلاة مرتين . وعند الامام الشافعي فرادى ما عدا التكبير وقد قامت الصلاة فإنها مثنى . وعند الامام مالك فرادى ما عدا التكبير . وذلك بخلاف الأذان : وعند الامام أحمد : الاقامة تخالف الأذان في التكبير الأول وفي الشهادتين والحيعلتين . فجعل الأذان عنده خمس عشرة كلمة وجعل الاقامة : إحدى عشرة كلمة .

ويسن لسامع الأذان أن يحكيه بأن يقول كما يقول المؤذن لكن إذا حيعل المؤذن حوقل السامع . يكررها أربع مرات على عدد الحيعلات . ويسن عند سماع التثويب في أذان الفجر أن يقول السامع : صدقت وبررت . صدق رسول الله .

وعند سماع الاقامة : أدامها الله وأبقاها . هكذا ورد . ويطلب الدعاء بين الأذان والاقامة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة » .

صلاة الجمعة وآدابها وهيئاتها

صلاة الجمعة فرض عين مستقل . وليست ظهراً مقصورة . وسنتها القبلية والبعدية كالظهر . فعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أيها الناس إن الله قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في يومي هذا في شهري هذا في عامي هذا إلى يوم القيامة فريضة مكتوبة لمن وجد إليها سبيلا . قال ابن عباس رضي الله عنهما : أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في المسجد الذي في بطن وادي بني سالم . وهي أول جمعة جمعت بالمدينة لأنه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة يوم الاثنين فأقام الثلاثاء والأربعاء والخميس في بني عمرو بن عوف وأسس مسجدهم ثم خرج من عندهم فأدركته الجمعة في بني سالم فصلاها في مسجدهم .

وصلاة الجمعه ثابتة بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) ولقوله عليه الصلاة والسلام « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم » .

والجمعة شروط وجوب . وشروط صحة . فأما شروط وجوبها . فمنها المذكورة فلا تجب على الأنثى لكنها لو حضرت وأدتها أجزأتها عن الظهر . ومنها الحرية . فلا تجب على من فيه رق ولكنه لو أداها أجزأته عن الظهر . ومنها الاقامة فى المحل الذى تقام فيه الجمعة أو فى محل متصل به بحيث لا يكون بعيداً عنه ولم يكن مصراً . وقد قال السادة الحنفية : إن الاقامة من شروط وجوب الجمعة ولو من مسافر إذا نوى أن يقيم خمسة عشر يوماً . أما الاستيطان أى دوام الاقامة فليس شرطاً لوجوبها عندهم . كما يشترط أيضاً عندهم المصر . فلو كان مقيماً بقرية فلا تجب عليه الجمعة : لقول الامام على : لا جمعة ولا تشريق ولا صلاة فطر ولا أضحى إلا فى مصر جامع أو مدينة عظيمة . ومثل الاقامة فى المصر الجامع الاقامة بمكان قريب منه بحيث لا يبعد عنه أكثر من غلوة . وهى أربعمائة ذراع .

والفرق بين القرية والمصر : أن المصر هى مالا يسع أكبر مساجدها أهلها المكلفين بالجمعة . والقرية بخلافها . هذا فتوى أكثر الفقهاء . وإن كان مشهور المذهب . أن المصر : هو كل موضع له أمير وقاض لاقامة الحدود وإن لم ينفذها بالفعل .

وقال السادة الحنابلة : تجب الجمعة على المقيم ببلدة تقام بها الجمعة ولو كان بينه وبين المسجد الذى تقام فيه أكثر من فرسخ . والفرسخ ثلاثة أميال . والميل ألف باع . والباع أربعة خطوات . والخطوة ذراع ونصف . والذراع قدمان . والقدم اثنا عشر أصبعاً . والأصبع ست شعيرات والشعيرة ست شعرات من شعر البغل .

وكما أن الاقامة بالمصر شرط فى الوجوب فالمصر أيضاً شرط فى الصحة . فلا تصح من أهل القرى إلا إذا استوطن القرية الواحدة أربعون رجلا فأكثر ممن تجب عليهم بحيث لا يفارقونها صيفا ولا شتاء . فإن كان مقيما خارجاً عن البلد الذى تقام به الجمعة فإنها لا تجب عليه إلا إذا كان بينه وبين الموضع الذى تقام فيه فرسخ فأقل . فإن كان بينه وبين الموضع أكثر من فرسخ فإنها لا تجب عليه . وكذا تجب على المسافر إذا نوى الإقامة أكثر من أربعة أيام بشرط أن يكون بينه وبين موضع إقامته فرسخ فأقل أيضاً .

وقال السادة المالكية . من شروط وجوب الجمعة : الإقامة بالبلد الذى تقام فيه أو بقرية أو بخيمة بعيدة عنه بثلاثة أميال وثلث فقط . وتعتبر هذه المسافة من المنارة التى فى طرف البلد أو من منارة الجامع الذى أقيمت فيه الجمعة أولا إذا تعددت المساجد . أما الاستيطان : وهو الإقامة بنية التأبيد فهو شرط لوجوبها ابتداء واصحتها . فلا تجب الجمعة ابتـــداء إلا على قوم أقاموا فى بلدة على التأبيد بحيث يمكنهم حمايتها والذود عنها من الطوارىء الغالبة . ولا يشترط فى بلد الجمعة أن يكون مصراً فتصح فى القرية وفى الأخصاص . وهى البيوت المبنية من الجريد أو القصب الفارسى « الغاب » المسمى بالبوص . وأما بيوت الشعر . فلا تجب الجمعة على أهلها ولا تصح لأن الغالب عليهم الارتحال إلا إذا كانوا قريبين من بلدها فتجب عليهم تبعاً .

وقال السادة الشافعية : يشترط لوجوب الجمعة الاقامة بمحلها أو بمحل قريب منه بحيث يسمعون النداء فيه إلا إذا بلغ عددهم أربعين فتجب عليهم إقامتها بمحلهم . ولا يجب عليهم السعى للبلد القريب منهم . ومتى تحققت الاقامة وجبت الجمعة ولوكان الشخص مسافرا ونوى إقامة أربعة أيام فإنها تجب عليه . وأما الاستيطان وهو الاقامة على التأبيد بحيث لا يظعنون عن محلهم صيفاً ولا شتاء إلا لحاجة فليس شرطا لوجوب الجمعة . وإنما هو شرط للانعقاد . فلا تنعقد الجمعة إلا بمن كان متوطنا . فلو حضر من المتوطنين أقل من الأربعين وكمل العدد . بمقيم غير متوطن فلا تصح الجمعة . ولا يشترط فى الجمعة المصر . فالقرية والبلد وغيرهما سواء فى وجوب الجمعة وصحتها متى تمت شروطها . وإنما الشرط أن تقع فى بناء كما سيأتى .

ومن شروط وجوب الجمعة عدم العذر المبيح لتركها فتسقط عن المريض الذى يتضرر بالذهاب لحضورها ماشيا أو راكبا أو محمولا . فإن قدر على السعى لها راكبا وجبت الجمعة .

وقال السادة الحنفية : إذ لم يقدر على المشى بأى وجه سقطت عنه الجمعة لأنه حينئذ غير قادر على السعى . فلا تجب عليه وإن وجد من يحمله أما الأعمى فالامام يقول : إنها تسقط عنه كذلك ولو وجد قائداً . وقال الصاحبان : إن قدر على الذهاب ولو بقائد متبرع أو بأجر يقدر عليه لزمته .

وقال السادة الحنابلة : لا تجب الجمعة على الأعمى إلا إذا وجد قائدا . أما إذا لم يجد القائد فلا تجب عليه وإن أمكنه للوصول إلى المسجد بدون مشقة .

وأما شروط صحتها . فمنها إيقاعها فى وقت الظهر . وهو من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شىء مثله بعد ظل الاستواء . فلا تصح الجمعة قبل هذا الوقت ولا بعده .

وقال السادة الحنابلة : يبتدىء وقت الجمعة من ارتفاع الشمس قد رمح وينتهى بصيرورة ظل كل شىء مثله سوى ظل الزوال . ولكن ما قبل الزوال وقت جواز يجوز فعلها فيه وما بعد الزوال وقت وجوب يجب إيقاعها فيه . وإيقاعها فيه أفضل .

وقال السادة المالكية : وقت الجمعة من زوال الشمس إلى غروبها بحيث يدركها بتمامها مع الخطبة وقت الغروب بمقدار ما يسع ولو ركعة من العصر . فإن علم أن الوقت الباقى إلى الغروب لا يسع إلا ركعة منها بعد الخطبة فلا يشرع فيها بل يصلى الظهر ويعقبه بالعصر . فإن شرع فيها لا تصح .

ومن شروط الجمعة : أن تكون فى جماعة فلا تصح إذا صلوها منفردين .

قال السادة المالكية : أقل الجماعة التى تنعقد بها الجمعة اثنى عشر رجلا غير الامام . ويشترط أن يكونوا ممن تجب عليهم الجمعة . فلا يصح أن يكون منهم عبد أو صبى أو امرأة . وأن يكونوا متوطنين فالمقيم للتجارة أو المسافر لا يصح أن يكون منهم . وأن يحضروا من أول الخطبتين إلى تمام الصلاة فلو بطلت صلاة واحد منهم ولو بعد سلام الامام وقبل سلامه هو فسدت الجمعة على الجميع . وأن يكونوا مالكيين أو حنفيين . فإن كانوا من الشافعية أو الحنابلة الذين يشترطون أن يكون عدد الجماعة أربعين فلا تنعقد الجمعة بهم إلا إذا قلدوا الامام مالك أو الامام أبى حنيفه .

وقال السادة الحنفية : يشترط فى الجمعة التى تصح بها الجمعة أن تكون بثلاثة غير الإمام وإن لم يحضروا الخطبة . فلو خطب بحضور واحد ثم انصرف قبل الصلاة وحضر ثلاثة رجال بعد ذلك وصلى بهم صحت صلاتهم من غير أن يعيد عليهم الخطبة ويشترط فيهم أن يكونوا رجالا ولو كانوا عبيداً أو مرضى أو مسافرين أو أميين أو بهم صمم لأنهم يصلحون للإمامة فى الجمعة إما لكل أحد وإما لمثلهم فى الأمى والأخرس بعد أن يخطب واحد غيرهم إلا يشترط أن يكون الخطيب هو إمام الجمعة . فصلاحيتهم للاقتداء لغيرهم أولى . بخلاف النساء والصبيان فإن الجماعة لا تصح بهم وحدهم لعدم صلاحيتهم للإمامة بمثلهم فيها .

ويشترط فى الإمام أن يكون ولى الأمر الذى ليس فوقه ولى أو من يأذنه بإقامة الجمعة . وهذا شرط فى صحة الجمعة . فلو لم يكن الإمام ولى الأمر أو نائبه لم تنعقد الجمعة . وصلاها الناس ظهراً . ويجوز لمن أذنه الإمام بإقامة الجمعة أن ينيب غيره وأن يصرح له بذلك .

وقال السادة الشافعية : يشترط فى الجماعة التى تصح بها الجمعة أن يكونوا أربعين ولو بالإمام . فلا تنعقد الجمعة بأقل من ذلك : فإن نقص العدد عن الأربعين جاز تقليد إمام لا يشترط ذلك العدد بشرط أن يحترز المقلد عن التلفيق . كأن يكون فى طهارته موافقاً لذلك المذهب .

ويشترط فيها أن يكونوا ممن تنعقد بهم الجمعة بأن يكونوا أحراراً ذكوراً مكلفين متوطنين بمحل واحد . فلا تنعقد بالعبيد والنساء والصبيان والمسافرين . وأن يستمروا مع الإمام فى صلاة صحيحة مغنية عن القضاء إلى أن تنتهى الركعة الأولى أما الركعة الثانية : فلا يشترط فيها بقاء الجماعة . بمعنى أنهم لو نووا مفارقة الإمام فيها وأتموا صلاتهم لأنفسهم صحت جمعتهم . وكذلك الإمام إذا نوى مفارقتهم وأتم لنفسه . أما إذا فسدت صلاة واحد منهم قبل سلام الامام أو بعده فإن صلاة الجمعة تبطل على الجميع لأنه يشترط دوام العدد إلى تمامها . فإن أمكنهم إعادتها جمعة لاتساع الوقت وجبت وإلا صلوها ظهراً .

ويشترط أن ينوى الإمام الإمامة وكذا يشترط فى المقتدين أن ينووا الاقتداء . فإن لم ينو الامام أو المقتدون ذلك لم تنعقد .

وقال السادة الحنابلة : يشترط فى جماعة الجمعة أن لا يقل عددهم عن أربعين ولو بالامام . وأن يكونوا ممن تجب عليهم الجمعة بأنفسهم وهم الأحرار الذكور البالغون المستوطنون بالمحل الذى يصح أن تقام فيه الجمعة . وهو البلد المبنى بناء معتاداً . فلا يصح أن يكون من جماعة الجمعة رقيق ولا أنثى ولا صبى ولا مسافر ولا مقيم غير مستوطن ولا مستوطن بمحل خارج عن بلد الجمعة وإن وجبت عليه تبعاً . وأن يكونوا قد حضروا الخطبه والصلاة . ولا يشترط أن يحضروا جميع الصلاة . فلو حضر الأربعون جميع الخطبة وبعض الصلاة ثم انصرفوا بعد مجىء بدلهم صحت . أما لو نقص العدد عن الأربعين فى أثناء الصلاة قبل حضور ما يكمله فإنها تبطل وتجب إعادتها جمعة إن أمكن .

ومما ذكروه فى حكمة هذا العدد أنه مقدار ميقات سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم . والجمعة ميقات المؤمنين . وقيل إنه لم يجتمع أربعون إلا وفيهم ولى الله سبحانه وتعالى .

ثم إن اشتراط هذا العدد لصحة الجمعة قول من خمسة عشر قولا للعلماء . فقد قالوا : إنها تصح بواحد عند ابن حزم . وعليه فلا يشترط لها الجماعة . فتصح فرادى على هـذا القول . وباثنين عند النخعى . وكذا عند أبى ثور وعند الإمام أبى حنيفة . قال الناقل عنه . وجوازها الامام أبو حنيفة بإمام ومأموم . وحكى عن القديم عند السادة الشافعية . وبثلاثة عند أبى يوسف ومحمد والليث والأوزاعى وعند الامام أبى حنيفة أيضاً . وحكى عند السادة الشافعية عن القديم . وبأربعة عند الامام أبى حنيفة وسفيان الثورى والليث ومحمد . وهو قول قديم للسادة الشافعية . رجحه المزنى وابن المنذر . ومال إليه جمع من المحققين المتقدمين والمتأخرين . منهم الامام السيوطى . وبسبعة عند عكرمة : وبتسعة عند ربيعة . وباثنى عشر عند الامام مالك . وكذا عند ربيعة فى رواية . وبثلاثة عشر عند إسحاق . وبعشرين فى رواية عند الامام مالك . وبثلاثين فى رواية أخرى عنه . وبأربعين بالامام عند الامام أحمد وهو أصح القولين عند الامام الشافعى . وبأربعين غير الامام وهو القول الآخر عند الامام الشافعى . وبه قال عمر بن عبد العزيز وطائفة . وبخمسين فى رواية عند الامام أحمد وحكيت عن عمر بن عبد العزيز . وبثمانين كما حكاه المازرى أو المازنى . والقول الخامس عشر . إنها لا تصح إلا بجمع كثير من غير حصر .

ومن شروط صحة الجمعة : الخطبتان : قال السادة الحنفية : الخطبة لها ركن واحد وهو مطلق الذكر الشامل للقليل والكثير . فيكفى لتحقيق الخطبة المفروضة تحميدة أو تسبيحة أو تهليلة . ويكره الاقتصار على ذلك . والمشروط عندهم هو الخطبة الأولى . وأما تكرارها فهو سنة .

وقال السادة الشافعية : أركان الخطبة خمسة حمد الله تعالى فى الأولى والثانية . ويشترط أن يكون من مادة الحمد . وأن يكون مشتملا على لفظ الجلالة . فلا يكفى أن يقول : أشكر الله أو أثنى عليه . أو الحمد للرحمن أو نحو ذلك . والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى كل من الخطبتين . ولا بد من لفظ الصلاة . فلا يكفى : رحم الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم . والوصية بالتقوى فى كل من الخطبتين ولو بغير لفظها . فيكفى نحو : أطيعوا الله ولا يكفى التحذير من الدنيا وغرورها فى ذلك من غير حث على الطاعة . وقراءة آية من القرآن فى إحداهما وكونها فى الأولى أولى . والدعاء للمؤمنين والمؤمنات فى خصوص الثانية .

ولو سرد الخطيب الاركان أولا ثم أعادها مبسوطة كأن قال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أوصيكم بتقوى الله وطاعته لقوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) الحمد لله إلى آخره اعتد بما أتى به أولا وما يأتى به ثانيا بعد ذلك يعد تأكيدا فلا يضر الفصل به وإن طال .

وقال السادة المالكية : الخطبة لها ركن واحد. وهو أن تكون مشتملة على تحذير أو تبشير :ولا يشترط السجع فيها على الأصح : فلو أتى بها نظما أو نثراً صح .

وقال السادة الحنابلة . أركان الخطبه أربعة . الحمد لله فى أول كل منهما بهذا اللفظ . فلا يكفى أحمد الله مثلا . والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويتعين لفظ الصلاة . وقراءة آية من كتاب الله تعالى . ويلزم أن تكون مستقلة بمعنى أو حكم .

والوصية بالتقوى . وأقلها أن يقول : اتقوا الله .

والتقوى : عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ظاهراً وباطناً مع استشعار التعظيم لله تعالى والهيبة منه . وهى وصية رب العالمين للأولين والآخرين . قال الله تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) .

ومن دخل الإمام يخطب صلى ركعتين خفيفتين كاملة الأركان والشروط قبل أن يجلس .ومن جلس لا يجوز له أن يبتدىء صلاة مطلقاً . فإن ابتدأها بطلت . ويسن الإنصات وقت سماع الخطبة . كما يسن الغسل فى يومها وإزالة الروائح الكريهة . ولبس النظيف من الثياب . والبياض أفضل .

ويكره تخطى الرقاب قبل جلوس الخطيب على المنبر . أما بعد الجلوس فحرام .

ويتعين على الناس ترك ما يشغلهم عن سماع الخطيب متى قصد المنبر لقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا خرج الإمام فلا صلاة ولا كلام » .

ويكره العمل يوم الجمعه . والتنفل عند الأذان الجالس .

ويحرم السفر عند الزوال . ويكره قبله . وللعلماء فى جواز السفر وعدمه ثلاثة أقوال . وهى روايات منصوصات عن الإمام أحمد . أحدها : لا يجوز . والثانى : يجوز . والثالث : يجوز للجهاد خاصة .

وأما مذهب الإمام الشافعى رحمه الله : فيحرم عنده إنشاء السفر يوم الجمعة بعد الزوال . ولهم فى سفر الطاعة وجهان . إحداهما : تحريمه وهو اختيار النــــووى . والثانى : جوازه وهو اختيار الرافعى . وأما السفر قبل الزوال . فللامام الشافعى فيه قولان . القديم : جوازه والجديد : أنه كالسفر بعد الزوال .

وأما مذهب الإمام مالك رحمه الله : فقال صاحب التفريع : ولا يسافر أحد يوم الجمعة بعد الزوال حتى تصلى الجمعة . ولا بأس أن يسافر قبل الزوال . والاختيار أن لا يسافر إذا طلع الفجر وهو حاضر حتى يصلى الجمعة .

وذهب الإمام أبو حنيفه رحمه الله : إلى جواز السفر مطلقا .

وقد روى الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قاله : من سافر من دار إقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة أن لا يصحب فى سفره . وذكر عن معمر قال : سألت يحيى بن أبى كثير هل يخرج الرجل يوم الجمعة ؟ فكرهه . فجعلت أحدثه بالرخصة فيه . فقال لى : قلما يخرج رجل فى يوم الجمعة إلا رأى ما يكرهه . لو نظرت فى ذلك لوجدته كذلك . وذكر ابن المبارك عن الامام الأوزاعى رحمه الله عن حسان ابن أبى عطية قال : إذا سافر الرجل يوم الجمعة دعا عليه النهار أن لا يعان على حاجته ولا يصاحب فى سفره .

ويحرم الكلام حال الخطبتين ولو لم يسمع . والسلام من داخل أو جالس على أحد ورده . وتشميت عاطس .

وترك صلاة الجمعة مقت وهلاك . لقوله صلى الله عليه وسلم : « من ترك ثلاث جمع متواليات من غير عذر طبع الله على قلبه » وفى لفظ آخر . فقد نبذ الاسلام وراء ظهره ولقوله عليه الصلاة السلام « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة من غير ضرورة كتب منافقاً فى كتاب لا يمحى ولا يبدل » .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ضمن خطبة خطبها : واعلموا أن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة فى مقامى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة من وجد إليها سبيلا . فمن تركها فى حياتى أو بعد مماتى جحودا بها أو استخفافاً بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره . ألا ولا صلاة له ، ألا ولا وضوء له . ألا ولا صوم له . ألا ولا زكاة له ، ألا ولا حج له . ألا ولا بركة له ، حتى يتوب . فإن تاب تاب الله عليه .

فأفضل ما يعمله العبد فى يوم الجمعة البكور إلى المسجد ففى كل ساعة من الأولى إلى الخامسة ثواب يختلف عن بعضه فى الساعة الأولى قدم بدنة . وفى الثانية كأنه قدم بقرة . وفى الثالثة كأنه قدم كبشاً أقرن وفى الرابعة كأنه أهدى دجاجة . وفى الخامسة كأنه أهدى بيضة .

ويقال : إن الناس يكونون فى قربهم من الله عز وجل عند الزيارة له يوم القيامة للنظر إليه تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة .

وقد دخل ابن مسعود يوم الجمعة إلى المسجد مبكرا فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فوجم لذلك وجعل يقول أربعة — يعنى نفسه — وما رابع من الله ببعيد . وقد ذكر البيهقى فى الشعب عن عن علقمة بن قيس قال : رحت مع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إلى جمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال : رابع أربعة ببعيد . ثم قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس يجلسون يوم القيامة من الله على قدر رواحهم إلى الجمعة . الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع . وما رابع أربعة ببعيد .

وقد جاء فى الأثر أن الملائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فسأل بعضهم بعضا

عنه . ما فعل فلان ؟ وما الذى أخره عن وقته ؟ فيقولون : اللهم إن كان أخره فقر فاغنه وإن كان أخره مرض فاشفه . وإن كان أخره شغل ففرغه لعبادتك . وإن كان أخره لهو فاقبل بقلبه على طاعتك .

وفى خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضو الإبل فى طلبهن الأذان . والصف الأول . والغدو إلى الجمعة » وقال الإمام أحمد وقد ذكر هذا الحديث : أفضلهن الغدو إلى الجمعة . وروى فى خبر آخر : إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم . أى فى البكور . وروى البخارى والترمذى عن يزيد بن أبى مريم قال : لحقنى عبادة بن رفاعة بن رافع وأنا أمشى إلى الجمعة فقال : أبشر فإن خطاك هذه فى سبيل الله . قال : فإنى سمعت أبا عيسى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اغبرت قدماه فى سبيل الله فهما حرام على النار » وفى رواية للبخارى : حرمه الله على النار . وفى الخبر : إن لله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار .

ولا يدع الغسل للجمعة يوم الجمعة إلا من ضرورة فإنه عند بعض العلماء فرض . والاغتسال فى البيت أفضل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اغتسل يوم الجمعة ثم لبس ثيابه ومس طيباً إن كان عنده ثم مشى إلى الجمعة وعليه السكينة ولم يتخط أحداً ولم يؤذه وركع ما قضى له ثم انتظر حتى ينصرف الامام غفر له ما بين الجمعتين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ودنا من الإمام فأنصت كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها . وذلك على الله يسير . وقوله : من غسل بالتشديد جامع أهله . وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » قال ابن عبد البر : ليس المراد أنه واجب فرضا بل هو مؤول أى واجب فى السنة أو فى المروءة أو فى الأخلاق الجميلة . كما تقول العرب : حقك واجب على : أى متأكد والصارف له عن الوجوب حديث : « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت . ومن اغتسل فالغسل أفضل » وكان أهل المدينة النبوية يتسابون بينهم فيقولون : لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة .

وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنهما لما دخل المسجد وهو يخطب . أهذه الساعة ؟ فقال : مازدت بعد أن سمعت الأذان أن توضأت وخرجت . فقال له سيدنا عمر : والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل . وترك سيدنا عمر : عثمان رضى الله عنه للغسل لابد أن يكون لسبب قوى . على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت . ومن اغتسل فالغسل أفضل .

قال عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبى قلابة عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ودنا من الإمام فأنصت كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها وذلك على الله يسير . ورواه الإمام أحمد فى

مسنده . وقد ذكرت هذه الرواية بسندها بعد الرواية الخالية من السند ليطمئن القلب على تحقق الثواب والأجر .

وروى أن بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قال : أمرنا بالغسل يوم الجمعة فى الصيف فلما جاء الشتاء كان من شاء غسل ومن لم يشأ ترك الغسل .

ومن اغتسل من جنابة أجزأه لغسل الجمعة إذا نواه .

وقد قال الإمام مالك فى موطئه : إن غسل الجمعة واجب . وهو ظاهر الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم : غسل الجمعة واجب على كل محتلم .

واختلف العلماء فى ذلك هل هو واجب وجوب الفرائض . أو وجوب السنن المؤكدة ؟ انظره .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة : اغتسل للجمعة ولو اشتريت الماء بعشائك » .

وما من نبى إلا وقد أمره تعالى أن يغتسل للجمعة .

ويستحب أن يقلم أظفاره لما رواه ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منها داء وأدخل شفاء » .

وليخرج من بيته إلى المسجد خاشعاً متواضعاً ذا سكينة ووقار للتقرب إلى الله عز وجل بأداء فريضته . ولينو الاعتكاف فى المسجد بعد دخوله فيه إلى حيث انقلابه منه : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة » — أى نفسا . وفواق الناقة : هو الزمن الذى بين الحلبتين .

وليتق أن يتخطى رقاب الناس . فقد جاء فيه وعيد شديد أن من فعل ذلك جعل جسراً يوم القيامة على جهنم تتخطاه الناس . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم وجلس . فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقية فقال له : يافلان ما منعك أن تجمّع اليوم معنا ؟ فقال : يانبى الله قد جمعت . فقال له : أو لم أرك تتخطى رقاب الناس ؟ وفى حديث مسند أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : ما منعك ان تصلى معنا الجمعة ؟ فقال : أولم ترنى ؟ قال قد رأيتك تأنيت وآذيت . أى تأخرت عن البكور وآذيت بالحضور .

وقد روى عن بعض السلف من العلماء قال : إن لله تعالى فضلا من الرزق سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة .

وقد قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : بلغنى أن الدعاء يستجاب فى ليلة الجمعة ولرجاء أن يصادف ساعة الإجابة فيها .

وفى الخبر المشهور : إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئاً إلا أعطاه وفى لفظ آخر لا يصادفها عبد يصلى . واختلف فى وقت هذه الساعة . فقيل إنها عند طلوع الشمس

وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة . وقيل عند الزوال . وقيل مع الأذان . وقيل هي إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الذكر . بعد العصر من آخر أوقاتها . وقيل عند غروب الشمس إذا تدلى حاجبها الأسفل .

وكانت السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار في ذلك الوقت إلى أن تغرب الشمس وتخبر أن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم .

وليكثر الراجي الدعاء والتضرع في وقتين خاصة عند صعود الإمام المنبر إلى أن تقام الصلاة ويدخل فيها . وعند آخر ساعة وقت تدلى الشمس للغروب . فهذان الوقتان من أفضل أوقات يوم الجمعة . ويقوى في النفس ان في أحدهما الساعة الموجودة لصحة الأخبار الواردة في هذا . وقد اجتمع كعب الأحبار مع أبي هريرة وقال : إنها آخر ساعة من يوم الجمعة . فقال أبو هريرة : كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة ؟ فقال كعب : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة ؟ قال بلى . قال : فذاك صلاة . فسكت أبو هريرة . فكأنه وافقه .

وقد قال مطلع من السادة الأولياء : إن أوقات الاجابة أربع ساعات قبيل طلوع الشمس . وبعيد استوائها . وبعد غروبها . وفي نصف الليل إلى السحر . ففي تلك الأوقات وقبلها بقليل وبعدها بقليل تنتشر الروحانية وتظهر البركة .

فعن زرارة عن أبي جعفر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال . « إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان واستجيب الدعاء فطوبى لمن رفع له عمل صالح » .

وعن جابر رضى الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئاً إلا آتاه إياه فالتمسوا آخر ساعة بعد العصر . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الساعة التي يتحرى فيها الدعاء يوم الجمعة هي آخر ساعة من الجمعة » .

وروى الأصبهاني مرفوعا : الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعه آخر ساعة من يوم الجمعة قبل غروب الشمس أغفلما يكون الناس . وروى سعيد بن منصور في سننه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة . وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال : قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس : إنا لنجد في كتاب الله - يعني التوراة - في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلى يسأل الله عز وجل شيئاً إلا قضى الله له حاجته . قال عبد الله : فأشار إلى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعض ساعة . قلت : صدقت يارسول الله أو بعض ساعة . قلت : أى ساعة هي ؟ قال : هي آخر ساعة من ساعات النهار . قلت إنها ليست ساعة صلاة . قال : بلى إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه إلا الصلاة فهو في صلاة .

وفى دلائل الإمامة عن الامام الحسين بن الامام على رضى الله تعالى عنهما عن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها أنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن فى الجمعة (أى فى يومها) لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه . قالت فقلت يا رسول الله : أى ساعة هى ؟ قال : إذا تدلى نصف عين الشمس للغروب . قال : وكانت السيدة فاطمة رضى الله عنها تقول لغلامها : اصعـــد على السطح فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلى للغروب فأعلمنى حتى أدعو .

وكان بعض الشيوخ ممن يقتدى به فى علمى الشريعة والحقيقة ظاهراً وباطناً يقول لأصحابه : من أصابته منكم شدة أو صدمته محنة فليقل : الله الحى القيوم . فإنه الاسم الأعظم .

وسئل سيدى عبد العزيز بن مسعود الدباغ رضى الله عنه عن ساعة يوم الجمعة فقال : إنها قليلة جداً إنما هى قدر الركوع مع طمأنينته وذلك قدر ما يرجع كل عضو من المتحرك إلى موضعه ويسكن فيه وتسكن عروقه وجوارحه من الحركة الناشئة عن التحريك السابق . وهذه الساعة تنتقل ولكن فى يوم الجمعة خاصة . فمرة تكون قبل الزوال تنتقل فى ساعاته إلى غروب الشمس وتبقى قبل الزوال ستة أشهر . وبعد الزوال ستة أشهر . وإنها كانت فى زمنه صلى الله عليه وسلم فى الوقت الذى كان يخطب فيه وذلك عند الزوال .

وفى زمن سيدنا عثمان رضى الله عنه انتقلت فصارت بعد الزوال وصار وقت الخطبة وقت اجتماع الناس للصلاة فارغاً منها مع أن الخطبة والاجتماع إنما شرعه النبى صلى الله عليه وسلم لادراك الساعة المذكورة . قال رضى الله عنه : ولكن لما كان قيام النبى صلى الله عليه وسلم ووقوفه خطيباً متفرغاً خاشعاً لله تعالى لا يعادله شىء حصل للوقت الذى قام فيه صلى الله عليه وسلم شرف عظيم ونور كثير فصار ذلك الوقت بمثابة ساعة الجمعة أو أفضل . فمن فاتته ساعة الجمعة وأدرك ساعة وقوفه صلى الله عليه وسلم لم يضع له شىء . ولهذا لم يأمر النبى صلى عليه الله وسلم بنقل الخطبة إلى ساعة الجمعة كلما انتقلت لأن ساعته صلى الله عليه وسلم لا تنتقل فكانت أولى بالاعتبار من ساعة الجمعة التى تنتقل لما فى ذلك أعنى عدم نقل الخطبة من الرفق بالأمة المشرفة .

وسئل سيدى عبد العزيز بن مسعود رضى الله عنه : عن تغير الزوال بتغير البلدان . فقال رضى الله عنه : سر ساعته صلى الله عليه وسلم سار فى سائر الزوالات مطلقاً فلا يعتبر زوال دون زوال كما لا يعتبر غروب دون غروب وطلوع دون طلوع بل المعتبر طلوع كل قطر وغروب كل مكان . فإنا نصلى الصبح على فجرنا لا على فجر المدينة ونفطر على غروبنا لا غروبها . وهكذا سائر الأحكام المضافة إلى الأوقات ومن جملة ذلك الزوال .

وليكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم الجمعة وليلتها . وأقل ذلك أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة مرة . وقد جاء فى الخبر من صلى على فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له

ذنوب ثمانين سنة . قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ فقال : تقول اللهم صل على محمد[1] عبدك ونبيك وحبيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم وتعقدها واحدة ، أي تعدها واحدة . والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي صيغة فيها الثواب الجزيل والفضل العميم . تعرفه من ذكر فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الآتي في هذا الكتاب .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال يوم الجمعة سبعين مرة : اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك لم تمض عليه جمعتان حتى يغنيه الله تعالى » ، قال ابن عبد الحكيم : جربته فوجدته كذلك .

وليحذر أن يمر بين يدي المصلي . فقد جاء فيه وعيد شديد : لأن يكون الرجل رماداً تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي .

وليدن المصلي من اسطوانة أو جدار . فإنه إن فعل ذلك فلا يدعن أحداً أن يمر بين يديه . وليدفعه ما استطاع . فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان . فإن لم يتفق له اسطوانة فليجعل شيئاً بين يديه طوله طول عظم الذراع . وقد قيل : ولو كان حبلا ممدوداً فحاجز بينه وبين المارة .

وقد كان الحسن يقول : تخطوا رقاب الذين يقعدون على أبواب المساجد يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم .

ولا يلغو ولا يتكلم حال خطبة الإمام وإن بعد . ولا يقول لآخر : اسكت ولكن يومىء له أو يحصبه بحصاة . فإن لغا والإمام يخطب بطلت جمعته .

وقد روى عن وسيدنا علي سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنهما : من استمع وأنصت فله أجران . ومن لم يستمع وأنصت فله أجر . ومن سمع ولغا فعليه وزران . ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد .

وفي حديث أبي ذر لما سأل أبياً والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : متى أنزلت هذه السورة ؟ فأومأ إليه أن اسكت . فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قال له أبي : اذهب فلا جمعة لك . فشكاه أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : صدق أبي . وكذلك جاء في الخبر : من قال لصاحبه والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت أو صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له .

وقد كان جماعة من العلماء والعباد يصلون في أواخر الصفوف إيثاراً للسلامة . وقيل لبشر بن الحارث : نراك تبكر يوم الجمعة وتصلي في أواخر الصفوف ؟ فقال : يا هذا إنما هو قرب القلوب لا قرب الأجساد .

وقد روى عن أبي الدرداء فضيلة في الصف المؤخر . قال سعيد بن عامر صليت إلى جنبه فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف . فلما صلينا قلت له : أليس يقال : خير الصفوف أولها ؟

---

(١) يلاحظ المصلي عليه ذكر سيادته صلى الله عليه وسلم في صلاته ليكمل ثوابه .

قال : نعم . إلا أن هذه أمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم . وإن الله عز وجل إذا نظر إلى عبد منهم فى الصلاة غفر لمن وراءه من الناس . فإنما أخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله تعالى إليه . وقد رفعه بعض الرواة أن أبا الدرداء سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذلك .

والصدقة مستحبة مفضلة يوم الجمعة خاصة فإنها تضاعف . فقد روى عن كعب الأحبار : من شهد الجمعة ثم انصرف يتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما ثم يقول : اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه . وقد روى هـذا عن بعض السلف على غير هذا الوصف قال : من أطعم مسكيناً فى يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام : اللهم إنى أسألك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم أن تغفر لى وترحمنى وأن تعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له .

ثم من وجد فى مكان لم تستكمل فيه شروط صحة إقامة الجمعة كما هى مقررة فى كتب الشريعة الإسلامية فالسنة أن يصلى الظهر بعد صلاة الجمعة التى تستكمل فيها شروط الصحة احتياطاً للأمر وخروجا من خلاف العلماء القائل منهم بالصحة والقائل منهم بالبطلان لأن مثل هذا تجب مراعاته .

ومن أحب أن يقف على مفصلات هذا الحكم الشرعى فلينظر كتب الفقه فى المذاهب الإسلامية فإن فيها الغنية .

وقد سئل الشهاب الرملى كما فى فتاويه : عمن يصلى الجمعة فى مصر مع ما فيها من تعدد الجمع وعدم العلم بالسابقة واللاحقة . هل يجب عليه أن يصلى الظهر بعـدها ليتحقق براءة ذمته أم الجمع الواقعة فيها كلها صحيحة ولا يجب عليه ذلك ؟ فأجاب رضى الله عنه : بأن الجمع الواقعة فى مصر صحيحة سواء أوقعت معاً أم مرتبا إلى أن ينتهى عسر الاجتماع بأمكنة تلك الجمع فلا يجب على أحد من مصليها صلاة ظهر يومها . لكنها تستحب خروجا من خلاف من منع تعدد الجمعة بالبلد وإن عسر الإجتماع فى مكان فيه . ثم الجمع الواقعة بعد انتفاء الحاجة إلى التعدد غير صحيحة فيجب على مصليها صلاة ظهر يومها : ومن لم يعلم هل جمعته من الصحيحات أو من غيرها وجب عليه ظهر يومها اه .

وقال الرملى فى فتاويه أيضا : وقد سئل عمن شك فى تعدد الجمعة هل هو لحاجة هل تجب عليه صلاة الظهر أم لا ؟ فأجاب بأنه يجب على مصلى الجمعة إعادة الظهر إن لم يعلم أن جمعته هى السابقة اه .

ولو صادف يوم الجمعة يوم عيد فمذهب السادة الأحناف وجوب الجمعة على أهـل البلد والقرى التابعة لها . ومذهب السادة الحنابلة : سقوطها عنهما سوى الإمام ووجوب الظهر . ومذهب عطاء بن أبى رباح : سقوط الجمعة والظهر عنهما . ومذهب السادة الشافعية : سقوط الجمعة عن أهل القرى ووجوبها على أهل البلد .

صلاة الجماعة وأحكامها

قد أجمع الأئمة على أن صلاة الجماعة مشروعة وأنه يجب إظهارها فى الناس لأنها من شعائر الاسلام . وأجمعوا على أن أقل الجمع الذى تنعقد به صلاة الجماعة فى الفرض غير الجمعة اثنان إمام ومأموم. والأفضل أن يكون المأموم قائماً عن يمين الامام عند الأئمة الثلاثة . خلافاً للإمام أحمد القائل : إذا صلى المقتدى الواحد خلف الامام أو على يساره ركعة كاملة لم تصح صلاته بل يشترط لصحة الاقتداء أن يقف المأموم وإن كان واحداً عن يمين الامام .

واختلفوا هل الجماعة واجبة فى الفرائض غير الجمعة ؟ فقال الامام الشافعى : إنها فرض على الكفاية على الأصح وهو المرضى عند بعض المحققين من أصحابه . وقيل سنة . وهو المشهور عنهم . وقيل فرض عين . وقال الإمامان أبو حنيفة ومالك : إنها سنة : وقال الإمام أحمد : هى واجبة على الأعيان وليست شرطاً فى حق الصلاة . فإن صلى منفرداً مع القدرة على الجماعة أثم وصحت صلاته .

والجماعة للنساء فى بيوتهن أفضل . وهى سنة لهن عند الإمامين الشافعى وأحمد . وقال الإمام أبو حنيفة : تكره الجماعة للنساء . وقال الإمام مالك : لا تصح .

ولا بد من نية الجماعة فى حق المأموم بالاتفاق ونية الإمامة لا تجب . بل هى مستحبة عند الامامين مالك والشافعى إلا فى الجمعة .

وقال الامام أبو حنيفة إن كان من خلفه نساء وجبت النية . وإن كانوا رجالاً فلا . واستثنى الجمعة وعرفة والعيدين . فقال : لا بد من نية الامامة فى هذه الثلاثة على الاطلاق .

وقال الامام أحمد نية الامامة شرط قال الله عز وجل (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) دلت هذه الآية على أن الجماعة مشروعة فى حالة الخوف فتكون فى الأمن أولى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » .

وشرطها أن يكون الامام مسلماً . وأن يكون بالغاً . فلا يصح أن يقتدى بالغ بصبى مميز فيها . وأن يكون عاقلاً . فلا تصح إمامة المجنون . وأن يكون الامام ذكراً محققاً . فلا يصح أن تكون المرأة ولا الخنثى المشكل إماماً لرجل لا فى فرض ولا فى نفل . أما إذا كان المقتدى نساء فلا تشترط الذكورة . وأن يكون قارئاً . فلا يجوز أن يقتدى قارىء بأمى . أما اقتداء أمى بمثله فصحيح وإن وجد قارىء يصلى بهما . وأن لا يكون من أصحاب الأعذار كالرعاف الدائم . وانفلات الريح . وسلس البول ونحوها . فلا تصح إمامة من قام به عذر من الأعذار إلا المعذور مثله بشرط أن يتحد عذرهما . فلا يصح اقتداء مبطون بمن به سلس بول مثلا : وأن يكون متطهراً من الحدث والخبث . وأن يكون صحيح اللسان بحيث ينطق بالحروف على وجهها فإن لم يكن كذلك كأن يبدل الراء غيناً أو السين ثاء . أو الذال زاياً . فإنه لا تصح إمامته إلا لمثله ، وأن لا يتقدم المأموم على إمامه فى غير الصلاة حول الكعبة ،

وقال السادة المالكية : لايشترط فى الإقتداء عدم تقدم المأموم على الإمام . فلو تقدم المأموم على إمامه ولو كان المتقدم جميع المأمومين صحت الصلاة على المعتمد ، على أنه يكره التقدم لغير ضرورة .

ويؤيد السادة المالكية فى ذلك اختلاف الصحابة فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر . فإن طائفة من الصحابة كانت تقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إماما مع تقدم أبى بكر عليه فى الموقف وتقريره له على ذلك . وهذا أعظم شاهد لصحة صلاة المأموم مع تقدمه فى الموقف على إمامه .

لكن لما تطرق إليه احتمال أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مأموماً سقط الإحتجاج به عند الأئمة الثلاثة .

ومن شروط صلاة الجماعة : أن يتمكن المأموم من ضبط أفعال إمامه برؤية أو سماع ولو بمبلغ . فمتى تمكن المأموم من ضبط أفعال إمامه صحت صلاته .

ومنها أن يتابع المأموم إمامه فى أفعال الصلاة : والمتابعة : هى أن يكون فعل المأموم عقب فعل الإمام . فلايسبق ولايساويه ولايتأخر عنه . بحيث لايركع مثلا حتى يرفع الإمام من ركوعه . ولا يسجد حتى يرفع الإمام من السجود . فعلى المأموم أن يكبر ويركع ويسجد ويرفع ويضع بعد الإمام . ولايخرون سجداً حتى يضع الإمام جبهته على الأرض وهم قيام ثم يخرون بعدة . وكذلك كانت صلاة الصحابة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى مسابقة المأموم لإمامه فى الصلاه وعيد شديد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار » رواه البخارى ومسلم . وروى الطبرانى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما يؤمن أحدكم إذا رفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس كلب » .

وقد قال العلماء : إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام . طائفة بخمس وعشرين وهم الذين يتمون صلاتهم بعد ركوع الامام وسجوده . وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يكبرون ويركعون ويسجدون مع الامام مواصلة له ومبادرة . وطائفة تخرج بغير صلاة وهم الذين يرفعون ويضعون قبل الامام فيسابقون إمامهم .

وقد قال الفقهاء فى المستحب من القراءة بعد سورة الفاتحة من الزيادة عليها أن يقرأ ثلاث آيات من سورة . وبعضهم يقول : آيتين من سورة . فإن اكتفى بسورة الفاتحة أجزأته .

وقد روى أن جابر بن زيد فقيه أهل البصرة وكان ابن عباس يستخلفه فى الفتيا أنه افتتح الصلاة ثم قرأ الفاتحة . ثم قال (مدهامتان) وركع . وهذه أقصر آية فى كتاب الله تعالى . وقال أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالتخفيف فى الصلاة وإن كان ليؤمنا بسورة . والصافات . وقد

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : «فإذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة . وإذا صلى لنفسه فليطول ماشاء » .

وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها . فقيل له : خففت يا أبا اليقظان . فقال : هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أبادر سهو الشيطان . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها . وكان يقول : إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها .

ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضى الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة . وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان .

وقد كان معاذ بن جبل يصلى بقومه صلاة العشاء فافتتح بسورة البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه ثم انصرف . فقالوا : نافق الرجل . ثم تشاكيا إلى رسول صلى الله عليه وسلم . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أفتان أنت . اقرأ بسورة سبح . والسماء والطارق . والشمس وضحاها .

وقد كره سهل بن سعد الساعدى الإمامة . قال أبو حازم : قلت لسهل بن سعد وكان يقدم فتيان قومه يصلون به . فقلت : أنت صاحب رسول الله ولك من السابقة والفضل لو تقدمت فصليت بقومك . فقال : يا ابن أخى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الإمام ضامن . فأكره أن أكون ضامناً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أم قوماً فإن أتم فله التمام ولهم التمام . وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الإثم . وفى رواية للطبرانى مرفوعاً : من أم قوماً فليتق الله وليعلم أنه ضامن مسئول لما ضمن فإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً وما كان من نقص فهو عليه .

والصلاة التامة : هى ماجمعت الشروط والأركان من غير أن ينقص منها شىء فإن نقص منها شىء تحمله الإمام سواء فى ذلك سهو المأمومين أو النقصان الواقع منهم فى صلاتهم .

وكان الشيخ جلال الدين السيوطى يصلى الظهر فأحرم خلفه رجل فلما سلم قال للرجل الذى صلى خلفه : لا تعد تصلى خلفى أبداً فإنى عاجز عن تحمل نقص صلاتى فكيف أقدر على تحمل نقص صلاة غيرى . فقال له الرجل : إنما قصدت حصول فضل الجماعة لكم فقال له الشيخ : عدم تحمل نقص صلاتك أرجح عندى من حصول فضل جماعتك .

وقد روى عن أبى عمر بن العلاء أنه قدم للإمامة فقال : لا أصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشى عليه فقدموا إماما آخر . فلما أفاق سئل . فقال : لما . قلت : استووا هتف بى هاتف . هل استويت أنت مع الله قط ؟

والقراءة خلف الإمام مختلف فيها عند الأئمة . فالإمام أبو حنيفة يرى عدم وجوب القراءة على المأموم سواء جهر أو أسر . بل لا تسن له القراءة خلف الإمام بحال . وكذلك قال الإمامان مالك

وأحمد : أنه لا تجب القراءة على المأموم بحال ، بل يكره الامام مالك للمأموم أن يقرأ فيما يجهر به الإمام سواء سمع قراءة الامام أو لم يسمع . واستحب الامام أحمد القراءة فيما خافت فيه الامام . وقال الامام الشافعي : تجب على المأموم القراءة فيما يسر به الامام جزماً . وفى الجهرية فى أرجح القولين .

فضل صلاة الجماعة

وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة . منها ما ورد فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ ـ أى المنفرد ـ بسبع وعشرين درجة . وفى رواية : بخمس وعشرين درجة أى صلاة . ولا منافاة بين الروايتين لاحتمال أنه أخبر أولا بالقليل ثم أخبره الله بزيادة الفضل . فأخبر بها . أو أن الفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين . فمن زاد خشوعه وتدبره وتذكر عظمة من تمثل فى حضرته فله سبع وعشرون . ومن ليست له هذه الهيئة له خمس وعشرون . وروى الطبرانى عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مشى إلى صلاة مكتوبة فى الجماعة فهى كحجة . ومن مشى إلى صلاة تطوع فهى كعمرة نافلة » وروى الترمذى عن أنس أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى أربعين يوماً فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان . براءة من النار وبراءة من النفاق » . وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام الليل كله » .

وقد ذكر صاحب الجواهر فى تنبيه البصائر أن عبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فى منزله وكان أعمى . فقال له : إن بين منزلى ومسجدك وادياً . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : تسمع النداء ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : إن ذلك أن تأتى المسجد . فلو كان فى التخلف عن المسجد والجماعة رخصة لرخص صلى الله عليه وسلم فى ذلك لابن أم مكتوم .

وفيه أيضاً ما معناه : تنزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد لو أن رجلا من أمتك يصلى صلاة أمتك ويصوم صوم أمتك كلها ويتصدق بصدقة أمتك كلها ويحج حج أمتك كلها ويقرأ كل كتاب أنزله الله ولا يشهد الجماعة ولا يرى صلاة فى جماعة إلا يقال له يوم القيامة أين كنت ؟ وما علمت فينكب على وجهه فى النار إلا ان يتلافاه الله برحمته .

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله تبارك وتعالى ليعجب من الصلاة فى الجمع . وعن سيدنا عثمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من توضأ فأسبغ الوضوء ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاها مع الامام غفر له ذنبه وعن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتانى الليلة آت من ربى .

وفى رواية : رأيت ربى فى أحسن صورة . فقال لى يا محمد . فقلت : لبيك رب وسعديك . قال : هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أعلم . فوضع يده على كتفى حتى وجدت بردها بين ثدبى .

أو قال في نحرى . فعلمت ما في السموات وما في الأرض . أو قال : ما بين المشرق والمغرب . قال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم . في الدرجات والكفارات ونقل الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في السبرات وانتظار الصلاة بعد الصلاة . ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير . وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه . قال : يا محمد قلت : لبيك وسعديك . فقال : فإذا صليت فقل : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون . قال : والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام . رواه الترمذى . واليد الواردة في الحديث ليست هى الجارحة المعروفة بل هى صفة منزهة . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر خطبة خطبها على المنبر قال : أيها الناس من صلى الصلوات الخمس في جماعة حيثما كان في أوقاتها جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة من السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان له بكل يوم حافظ فيه على الجماعة أجر قتيل قتل في سبيل الله . وروى أبو داود مرفوعا : « الصلاة في الجماعة تعدل خمساً وعشرين صلاة . فإذا صلاها في فلاة فأتم ركوعها وسجودها بلغت خمسين صلاة » . وفي رواية لأبى داود أيضاً : صلاة الرجل في الفلاة تضعف على صلاته في الجماعة . وفي رواية أخرى لأبى داود أيضاً : فإن صلاها بأرض قى فأتم ركوعها وسجودها كتب له صلاته بخمسين درجة . والقى بكسر القاف وتشديد الياء هو الفلاة كما هو مفسر في رواية أخرى لأبى داود . وروى أبو يعلى مرفوعاً : ما من عبد يقوم بفلاة من الأرض يريد الصلاة إلا تزخرفت له الأرض » . وحديث لأبى داود والنسائى مرفوعاً : يعجب ربك من راعى غنم في رأس شظية يؤذن ويصلى . فيقول الله عز وجل : انظروا إلى عبدى هذا يؤذن ويصلى ويخاف منى . قد غفرت لعبدى وأدخلته الجنة . والشظية رأس الجبل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان . فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » رواه أبو داود والنسائى والحاكم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم انطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » . لفظ مسلم .

وقد ذهب عطاء والأوزاعى وأحمد وأبو ثور وابن المنذر وابن خزيمة وداود إلى أن الجماعة فرض عين . واحتجوا بهذا الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم : « من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم . ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة . فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الغدو والرواح إلى المساجد من الجهاد في سبيل الله . لأنه جهاد للشيطان » .

وقد كان السلف الصالح يعدون فوات صلاة الجماعة مصيبة . وقال بعض السلف : ما فاتت أحداً

صلاة الجماعة إلا بذنب ارتكبه . وقد كانوا يعزون أنفسهم سبعة أيام إذا فاتت أحدهم صلاة الجماعة . ويعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم تكبيرة الإحرام . فكانوا يقولون : ليس المصاب من فقد الأحباب . بل المصاب من حرم الثواب .

وقد وقع أن بعضهم خرج إلى حديقة له . فرجع وقد صلى الناس صلاة العصر . فقال: إنا لله فاتتني صلاة الجماعة أشهدكم على أن حديقتي على المساكين صدقة . وفاتت سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما صلاة العشاء فى الجماعة فصلى تلك الليلة حتى طلع الفجر جبراً لما فاته من صلاة العشاء فى الجماعة .

وعن عبيد الله بن عمر القواريرى رحمه الله تعالى قال : لم تكن تفوتنى صلاة فى الجماعة فنزل بى ضيف فشغلت بسببه عن صلاة العشاء فى المسجد . فخرجت أطلب المسجد لأصلى فيه مع الناس فإذا المساجد كلها قد صلى أهلها وغلقت فرجعت إلى بيتى حزين على فوات صلاة الجماعة . فقلت : ورد فى الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفذ سبعاً وعشرين درجة . فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة ثم نمت فرأيتنى فى المنام على فرس مع قوم على خيل وهم أمامى وأنا أركض فرسى خلفهم فلا ألحقهم فالتفت إلى واحد منهم وقال : تتعب فرسك فلست تلحقنا . فقلت : ولم يا أخى ؟ قال : لأنا صلينا العشاء فى الجماعة وأنت صليت وحدك . فاستيقظت وأنا مهموم حزين .

وأفضل الجماعة جماعة الجمعة . ثم صبحها . لخبر : ما من صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة فى جماعة وما أحسب من شهدها منكم إلا مغفوراً له . ثم صبح غيرها : لأنها فيه أشق منها فى بقية الصلوات ثم العشاء لأنها أشق بعد الصبح . ثم العصر . لأنها الصلاة الوسطى عند الجمهور . ثم الظهر . ثم المغرب . قال بعض العلماء : ولا يبعد أن كلا من عشاء الجمعة ومغربها وعصرها جماعة آكد من عشاء ومغرب وعصر غيرها على قياس ما قيل فى صبحها .

فضل الصلوات الخمس
وفضل من يواظب عليهن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول ربكم عز وجل : « من صلى الصلاة لوقتها وحافظ عليها ولم يضيعها استخفافا بحقها فله على عهد أن أدخله الجنة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهى بيضاء مسفرة تقول : حفظك الله كما حفظتنى . ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى . حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه » :

قصر الصلاة وجمعها

أما قصر الصلاة الرباعية ، وهي الظهر والعصر والعشاء فثابت بالكتاب والسنة والإجماع . قال الله تعالى : وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا الصلاة من إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً) .

وقصر الصلاة واجب عند الإمام أبي حنيفة . سنة مؤكدة عند الإمام مالك . مباح عند الإمام أحمد . جائز عند الإمام الشافعي . والإتمام أفضل من القصر إلا إذا بلغ السفر ثلاث مراحل فإن القصر أفضل . فمن نوى سفراً مباحاً مسافة ثلاثة أيام عند الإمام أبي حنيفة و يومين أو يوم وليلة عند الأئمة الثلاثة . له أن يقصر صلاته الرباعية ركعتين فقط إلا أن السفر المباح ليس بشرط عند الإمام أبي حنيفة . كما أن القصر ليس بواجب عند غيره . فيقصر إذا فارق بيوت قريته العامرة سواء كانت داخل السور أو خارجه .

ولا يعيد من قصر ثم رجع قبل استكمال المسافة . ومن سافر أقل من ذلك أتم الصلاة . ولا يقصر إذا كانت المسافة ليست مسافة قصر . إلا أهل مكة والمحصب ومنى والمزدلفة إذا خرجوا من أوطانهم إلى عرفة بقصد الحج فإنهم يقصرون ذهاباً وإياباً عند الإمام مالك للسنة : وعند الإمامين أبي حنيفة والشافعي مسافة القصر شرط للقصر على الإطلاق . وعند الإمام أحمد لا يقصر الصلاة إلا من نوى قطع مسافة القصر مطلقاً .

وقيد الفقهاء مسافة القصر بأربعة برد (١) وهي عبارة عن سير يوم وليلة . أو يومين معتدلين بسير الابل المثقلة بالأحمال ودبيب الأقدام وليس على المسافر أن يسير كل اليوم من الفجر إلى الليل . بل إلى الزوال سيراً وسطاً بسير الأقدام والابل في البر . وباعتدال الريح في البحر مع مراعاة الاستراحات المعتادة كالأكل والشرب والوضوء والصلاة ونحوها .

ولو قطع المسافر تلك المسافة في بضع ساعات بواسطة مركب تجاري أو طيارة أو قطار يقصر صلاته أيضا .

ومسافة القصر تعادل مائة واثنين كيلومتراً كالمسافة التي بين مصر ومحلة روح . وبين محلة روح ودمياط . وبين كفر الزيات والاسكندرية . وبين أشاص والمنصورة . وبين مصر المنيا ومنفلوط . وبين منفلوط والمراغة .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر في السفر تارة ويتم تارة أخرى . ويصوم تارة . ويفطر أخرى . وكان أكثر أحواله القصر والفطر ويقول : هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته . فإن الله يحب أن تؤتى عزائمه .

---

(١) البرد بضمتين جمع بريد . وهو أربعة فراسخ : والفرسخ ثلاثة أميال.

وأما الجمع بين الصلاتين المفروضتين المشتركتين فى الوقت فإنه رخصة للمسافر فى البر دون البحر عند الإمام مالك . وعند الأئمة الثلاثة : لا فرق بين البر والبحر ولا اشتراك عندهم . كما أن جواز الجمع عندهم مشروط بمسافة القصر . وجوز الإمام مالك الجمع ولو لم تكن المسافة مسافة قصر . وتجب نية الجمع عند الأولى من الصلاتين المشتركتين ويستمر للثانية .

وقال النووى فى شرح مسلم : ذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع فى الحضر للحاجة لمن لم يتخذه عادة . وهو قول ابن سيرين وربيعة وأشهب من أصحاب الإمام مالك . وحكى عن القفال الكبير من أصحاب الإمام الشافعى عن المروزى عن جماعة من أصحاب الحديث واختاره ابن المنذر . وقال أيضاً فى جواز الجمع فى السفر القصر قولان للإمام الشافعى . أصحهما لا يجوز . ومذهب داود جوازه فيه ولو ثلاثة أميال .

ويجوز للمقيم جمع التقديم بشرط المطر . فيجوز الجمع بين الظهر والعصر . والمغرب والعشاء فى وقت الأولى منهما .

ولا يجوز أن يجمع بالمطر جمع تأخير عند الإمامين الشافعى ومالك . وعند الإمام أحمد لا يباح الجمع الجمع للمطر إلا بين العشاءين تقديماً وتأخيراً . وعند الامام أبى حنيفة : لا جمع للمطر مطلقاً .

وفى شرحى الرملى والجلال : أنه يترخص بهذا الجمع مطلقاً لإطلاق الحديث الذى رواه الشيخان عن سيدنا ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بالمدينة الظهر والعصر جميعاً . والمغرب والعشاء جميعاً . زاد مسلم من غير خوف ولا سفر . وفى روايه : ولا مطر . قيل لابن عباس ما أراد النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ؟ قال أراد أن لا يخرج أمته . رواه مسلم والترمذى وأبو داود والنسائى والإمام أحمد بن حنبل . وقال الإمام الشافعى كما قال الإمام مالك رضى الله عنهما أرى ذلك بعذر المطر . وأرى بضم الهمزة . أى أظن أو أعتقد .

واعلم أنه لا جمع بنحو مرض ووحل أو ريح وظلمة وخوف على المشهور عند السادة الشافعية . وحكى عن جماعة منهم جوازه بالمذكورات . وفى قول قوى جوازه بالمرض والوحل . قال الأسنوى فى المهمات : وقد ظفرت بنقله عن الشافعى . وهذا هو اللائق بمحاسن الشريعة .

وعليه يسن للمريض أن يراعى الأرفق بنفسه . أى الأسهل عليها من التقديم أو التأخير : فإن كان يزاد مرضه فى وقت الثانية كأن كان يحم فى وقتها زيادة عن المرض الكائن به قدمها بشروط جمع التأخير .

وشروط جمع التقديم خمسة : الأول ظن صحة الأولى ولو مع لزوم الإعادة . فيجمع فاقد الطهورين . والمقيم بمحل يغلب فيه وجود الماء .

والثانى البداءة بها أى الصلاة الأولى لأنها صاحبة الوقت والثانية تابعة لها . والثالث نية الجمع فيها . أى الأولى . وتكفى فى أى جزء منها ولو مع السلام . والرابع الموالاة بينهما . أى بين الأولى والثانية .

بأن لا يطول الفصل بينهما عرفاً . فإن طال ولو بعذر كسهو ونوم ضر ووجب تأخير الثانية إلى وقتها . والخامس : دوام المقتضى إلى عقد الثانية . أى إلى تمام الإحرام بها .

وشروط جمع التأخير : اثنان . نية التأخير . أى تأخير الأولى لأجل الجمع بأن يقصد إيقاعها فى وقت الثانية . ودوام المقتضى إلى تمام الصلاتين .

والموض المبيح للجمع قيل عنه . إنه ما يشق معه فعل كل فرض فى وقته كمشقة المشى فى المطر . وقال آخرون : لابد من مشقة ظاهرة بحيث تبيح الجلوس فى الفرض . وقيل هو المبيح للفطر .

وليس لمن يريد الجمع أن يتنفل بين الفرضين ولا بعدهما عند الإمامين أبى حنيفة ومالك . وعند الإمام الشافعى : يجوز التنفل بعدهما . كما أنه يجوز فى جمع التأخير فقط التنفل بينهما . وعند الامام أحمد له أن يفعل سنة الظهر بعد العصر المجموعة . وأن يصلى بعد العشاء المجموعة مع المغرب ما شاء . وله أن يتنفل بين الفرضين فى جمع التأخير .

وحكم الجمع الاباحة مطلقاً إلا فى جمعى عرفة ومزدلفة فإنه فيهما سنة ويؤذن ويقيم لكل منهما ويصليهما بلا فصل بينهما عند الإمام مالك . وعند الإمام أحمد : يؤذن للأولى فقط مطلقاً . وعند الامام أبى حنيفة : يؤذن للأولى ويقيم لكل منهما فى جمع التقديم . ويؤذ يقيم للأولى فى جمع التأخير وعند الامام الشافعى يؤذن للأولى فقط ويقيم لكل منهما .

ويسن للحاج أن يجمع الظهر مع العصر جمع تقديم بعرفة . وأن يجمع المغرب والعشاء جمع تأخير بمزدلفة بعد الافاضة من عرفات .

والجماعة شرط فى جمع التقديم بعرفة عند الامام أبى حنيفة . وليست شرطاً عند الامامين مالك وأحمد مطلقاً . وعند الامام الشافعى : ليست بشرط بل المدار عنده على مسافة القصر . وكل صلاة كانت الجماعة شرطا لصحتها كانت نية الامامة شرطاً فيها كالجمعة .

مبطلات الصــــلاة

عند الامام الشافعى : الكلام العمد . أى النطق والتلفظ بكلام غير قرآن وذكر ودعاء . ولا فرق فى الكلام بين أن يكون كثيراً أو قليلا . حتى إن الصلاة تبطل بالنطق بحرفين أفهما . كقم . أولا . أو بحرف مفهم . ولو حصل فى تنحنح أو نحوه كضحك وبكاء وأنين وتأوه ونفخ بفم أو أنف وسعال وعطاس وتثاؤب بلا غلبة فى الكل . وقيل : لا تبطل بالتنحنح ونحوه مطلقاً غلب أولا . ظهر حرفان أو لا . لأنه ليس من جنس الكلام : فلا يعتبر ما اشتمل عليه . وفى البجرمى على الخطيب أنها لا تبطل عند الامامين مالك وأبى حنيفة وبعض أصحاب الامام الشافعى بالبكاء والأنين والتأوه إذا كانت من خوف الآخرة .

وذكر فى رحمة الأمة عن الامام مالك أن كلام العامد لمصلحة الصلاة لا يبطلها كإعلام الامام

بسهوه إذا لم يتنبه إلا بالـكلام وعن الامام الأوزاعى أن كلام العامد فيما فيه مصلحة وإن لم تـكن عائدة إلى الصلاة كإرشاد ضال وتحذير ضرير لا يبطل الصلاة .

نعم : تصح صلاة نحو المبلغ والفاتح على الإمام بقصد الإعلام والفتح إذا كان يجهل امتناع ذلك وهو من العوام لمزيد خفاء ذلك عليهم وعدم تقصيرهم لأنهم إنما يجب عليهم تعلم المسائل الظاهرة دون الخفية .

وصوب الأسنوى وغيره فى التنحنح والسعال الغلبة انها لا تبطل بهما الصلاة وإن كثرتا . إذلا يمكن الاحتراز منهما . وبحث الأذرعى جواز التنحنح عند تزاحم البلغم بحلقه إذا خشى أن يختنق .

ويبطل الصلاة العمل الـكثير كثلاث خطوات متواليات . وكهز الرأس ثلاث مرات متواليات أيضاً . أما ما كان أقل من ثلاث كضربة أو ضربتين أو خطوة أو خطوتين فلا بطلان به . نعم : لو فعل القليل بقصد اللعب فإنه يضر .

واعلم أن الخطوة : هى نقل القدم إلى أى جهة كانت . فإن نقلت الأخرى ولو مع التوالى عدت ثانية . واعتمد ابن حجر . أن نقل الرجل الأخرى إلى محاذاة الأولى مع التوالى ليس خطوة ثانية . بل هو مع النقل الأول خطوة واحدة وإن لم يكن إلى محاذاة الأولى . أو كان ولـكن ليس على التوالى فخطوة ثانية .

وأفاد القليوبى على الجلال أن ذهاب الرجل وعودها على التوالى يعد مرة كاليد .

وخرج بالـكثير القليل الخفيف كتحريك الأصابع مع سكون الراحة فإنه لا يضر .

وخرج بالمتوالى المتفرق فلا بطلان به وإن كثر .

وضابطه : أن يعد كل فعل منقطعاً عما قبله عرفاً . وقيل أن يكون بين الفعلين زمن يسع ركعة بأخف ممكن :

وقيل يكفى السكون بينهما والمعتمد الأول .

ويبطل الصلاة كذلك : الحدث ، أصغر وأكبر ، عمداً أو سهواً . وطروء النجاسة على ثوبه أو بدنه أو مكانه . وانكشاف العورة . وتغير النية . واستدبار القبلة والانحراف عنها بصدره . والأكل والشرب ولو يسيراً . والقهقهة . والردة .

وعند الإمام أبى حنيفة : الـكلام عمداً أو سهواً . والتنحنح بلا عذر . والدعاء بما يشبه كلام الآدميين مما لا يستحيل طلبه من العباد . نحو اللهم أطعمنى تفاحاً . أو زوجنى بفلانة . فإنه يبطل الصلاة . والأنين . والتأوه . والتأفيف . والبكاء . وتشميت العاطس . وكل ما قصد به الجواب والخطاب . والأكل والشرب مطلقاً . وانتقاله من صلاة إلى مغايرتها . وقراءته من مصحف . والعمل الـكثير . وهو ما لا يشك الناظر فى فاعله أنه ليس فى صلاة . وسجوده على نجس . وأداء ركن أو تمكنه من أدائه مع كشف العورة . وطروء النجاسة . وتحويل صدره عن القبلة بغير عذر .

وعند الإمام مالك : الكلام قليله وكثيره لغير إصلاح صلاة . ونية إلغاء ما فعل منها . وترك ركن عمداً . وزيادة ركن فعلى كركوع وسجود عمداً . والأكل والشرب . والتصويت . والنفخ بالفم . والقىء إلا إذا غلب عليه فابتلع منه . والسلام عمدا عند شكه فى الإتمام وإن ظهر له بعد ذلك كمال الصلاة . وطروء النجاسة . وناقض الوضوء . وكشف العورة . وإرشاد غير إمامه إذا أخطأ فى القراءة . والقهقهة . والعمل الكثير عمداً أو سهواً . وتعمد زيادة أربع ركعات فى الرباعية أو الثلاثيـــة . وركعتين فى الثنائية سهواً .

وعند الإمام أحمد : ما أبطل الطهارة . وكشف العورة . واستدبار القبلة . والعمل الكثير عمداً او سهواً . وتعمد زيادة ركن فعلى ، وتقديم بعض الأركان على بعض . والسلام قبل إتمامها . وفسخ النية . والشك فيها . والقهقهة . والكلام ولو سهواً . وتقدم المأموم على إمامه . والسلام قبله . والأكل والشرب . واتصال نجاسة غير معفو عنها بالمصلى إن لم يزلها فى الحال . والتنحنح بلا عذر . وتعمد لحن يغير معنى القراءة . وتبطل صلاة المأموم ببطلان صلاة إمامه .

ذكر فضائل الصلاة وآدابها
وأحوال الخاشعين والخائفين فيها

قال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكرى) وقال تعالى (ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) قيل سكارى من حب الدنيا . وقيل من الاهتمام بها . وقال جل ثناؤه (الذين هم على صلاتهم دائمون) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشىء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه . وقال صلى الله عليه وسلم : إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتباؤس وتنادم وترفع يديك وتقول : اللهم . فمن لم يفعل فهى خداج أى ناقصة . وروى عن الله عز وجل فى الكتب السالفة أنه قال : ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على وأطعم الفقير الجائع لوجهى .

فمن الإقبال على الصلاة أن لا تعرف من على يمينك ولا عن شمالك من حسن القيام بين يدى القائم على كل بما كسبت . وكذلك فسروا قوله تعالى (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .

قال سعيد بن جبير : ما عرفت من على يمينى ولا عن شمالى فى الصلاة منذ أربعين سنة . أى منذ سمعت ابن عباس يقول : الخشوع فى الصلاة أن لا يعرف المصلى من على يمينه وعن شماله . وروى عن بشر بن الحارث قال : قال سفيان : من لم يخشع فسدت صلاته . وروى عن معاذ بن جبل قوله : من عرف من على يمينه وشماله فى الصلاة متعمدا فلا صلاة له . وقد أسنده إلى إسماعيل بن زياد عن بشر ابن الحارث وغيره . وعن الثورى قال : من قرأ كلمة مكتوبة فى حائط أو بساط فى صلاته فصلاة باطلة وقال بشر : يعنى بذلك أنه عمل فى الصلاة .

ومن الدوام فى الصلاة . السكون فيها ، وعلى ذلك فسر قوله تعالى : (الذين هم على صلاتهم دائمون) قيل هو السكون والطمأنينة فى الصلاة . وقال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيآتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء . ومن وجود النعيم بها واللذة . ثم إصغاء القلب للفهم . وخشوعه للتواضع . وسكون الجوارح للهيبة . ثم الترتيل فى القراءة . والتدبر لمعانى الكلام .

وقد نقل عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه خر مغشياً عليه وهو فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها . وقالوا : إن الموقن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين فى أقطار الأرض خوفاً منه لأنه يتأهب للدخول على الملك . فإذا كبر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر إليه . وواجهه الجبار بوجهه . فإذا قال : الله أكبر اطلع الملك فى قلبه فإذا ليس فى قلبه أكبر من الله تعالى فيقول : صدقت . الله تعالى فى قلبك كما تقول . قال : فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك حسنات . قال : وإن الغافل الجاهل إذا قام للوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل . وإذا كبر اطلع الملك فى قلبه فإذا كل شىء فى قلبه أكبر من الله تعالى عنده . فيقول له : كذبت . ليس الله فى قلبك كما تقول . قال : فيثور فى قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه . قال: فيرد ذلك الحجاب صلاته ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين له حتى ينصرف من صلاته ولا ليقل ما كان فيه .

وقد جاء فى الخبر : لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى نخامة فغضب غضباً شديداً . ثم حكها بعرجون كان فى يده وقال : ائتونى بعبير فلطخ أثرها بزعفران . ثم إلتفت إلينا فقال : أيكم يحب أن يبزق فى وجهه ؟ فقلنا : لا أينا . قال : فإن أحدكم إذا دخل فى صلاته فإن الله عز وجل بينه وبين القبلة . وفى لفظ آخر : واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه . ولكن عن شماله أوتحت قدمه اليسرى فإن بدرته بادرة فليبصق فى ثوبه وليقل به هكذا . ودلك بعضه ببعض .

وروى : إذا قام العبد فى صلاته فقال : الله أكبر . قال الله تعالى لملائكته : ارفعوا الحجاب بينى وبين عبدى . فإذا التفت يقول الله تعالى : عبدى إلى من تلتفت ؟ أنا خير لك ممن تلتفت إليه . ثم إذا قام المقبل على صلاته شهد قلبه قيامه لرب العالمين فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . ثم شهد وقوفه بالحضرة بين يدى الملك الجبار إذ ليس هو من الغافلين . فتأخذه غيبة الحضور وبرهقة إجلال الحاضر ويستولى عليه تعظيم القريب ويجمعه خشية الرقيب . فإذا تلا وقف همه مع المتكلم ماذا أراد واشتغل قلبه بالفهم عنه والإنبساط منه . فإن ركع وقف قلبه مع التعظيم للعظيم . فلا يكون فى قلبه أعظم من الله وحده فإن رفع من الركوع شهد الحمد للمحمود . فوقف مع الشكر للودود . فاستوجب منه المزيد . وسكن قلبه بالرضا لأنه حقيقة الحمد وإن سجد سما قلبه فى العلو فقرب من الأعلى بقوله واسجد واقترب فى مثل صلاة هذا العبد وردت الأخبار أن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الحجاب

بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء . فيصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه . وإن المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد : لو علم المناجى من يناجى ما انفتل . وإن أبواب السماء تفتح للمصلين . وإن الله تعالى يباهى ملائكته بصفوف المصلين .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شىء أحب إليه من الصلاة لتعبد به ملائكته . منهم راكع وساجد وقائم وقاعد . أو كما قال بعض العلماء : الصلاة خدمة الله عز وجل فى أرضه .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة لمواقيتها . فإذا صلى المؤمن صلاة وتقبلت منه خلق الله عز وجل من صلاته صورة فى ملكوته راكعة ساجدة إلى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة .

وإقامة الصلاة : حفظ حدودها ظاهراً وباطناً ، وعن سيدنا عمر رضى الله عنه قال : إذا رأيت الرجل حافاً لصلاته فظن به خيرا . وإن رأيته مضيعاً لصلاته فهو لما سواها أضيع . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الصلاة عماد الدين من تركها فقد كفر ، وفى حديث آخر : بين الكفر والإيمان ترك الصلاة . وفى الخبر أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته فلا يتم ركوعها ولا سجودها .

وقد روى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر : إن الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها .

وسئل أبو العالية عن قوله تعالى : (الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال : هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف ؟ أعلى شفع أم على وتر . وقال الحسن : هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال بعضهم : هو الذى إن صلاها فى أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا . ولا تأخيرها إثماً .

وفى الخبر : إذا صلى العبد فى الملأ فأحسن وأساء فى الخلا فتلك استهانة يستهين بها ربه عز وجل . وقال مالك بن دينار وإبراهيم بن أدهم : إنى لأرى الرجل يسىء صلاته فأرحم عياله . وروى عن عدى بن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها ونظروا إليها واستنشقوا ريحها وما أعد الله لأهلها نودوا : اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها . قال : فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها . فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا . قال : ذلك أردت بكم . كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم . وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين . وتراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وركنتم إلى الناس ولم تركنوا

إلى . فاليوم أذيقكم أليم العذاب . مع ما حرمتم من الثواب .

وقد ورد فى بعض الأخبار : أن الله تعالى يحفظ الأولاد وأولاد الأولاد بطاعة الأجداد . قال الله تعالى (وكان أبوهما صالحاً) فقد حفظ الحق جل ثناؤه كنزهما بصلاح أبيهما . وأنه كان جدهم السابع . وكان سعيد بن المسيب يقول لولده . إنى لأطيل الصلاة من أجلك . ومعناه : أنى أعبده مخلصاً لعله يحفظك .

وكان على بن الحسين عليه السلام : إذا توضأ تغير لونه واصفر وأرعد . فقيل له فى ذلك . فقال أتدرون بين يدى من أريد أن أقف وعلى من أدخل ولمن أخاطب . وكان ابن مسعود إذا نظر إلى الربيع بن خيثم يقول : وبشر المخبتين . أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك . وفى لفظ آخر لأحبك . يقال إنه كان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة لاتحسب جارية ابن مسعود إلا أنه أعمى لشدة غض بصره وطول إطراقه إلى الأرض بنظره . وكان إذا دق الباب عليه تخرج إليه الجارية فإذا رأته قالت لعبد الله : صديقك ذاك الأعمى قد جاءك . فكان ابن مسعود يضحك ويقول : ويحك ذاك الربيع بن خيثم ومشى ذات يوم مع ابن مسعود فى الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النيران تلتهب صعق وسقط مغشياً عليه . وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق . فحمله ابن مسعود على ظهره إلى منزله . فلم يزل مغشياً عليه إلى الساعة التى صعق فيها حتى فاتته خمس صلوات . وابن مسعود عند رأسه يقول: هذا والله الخوف . وكان هذا يقول : ما دخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها إلا ما أقول وما يقال لى .

وقد كان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين . كان إذا دخل فى صلاة ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يرون فى البيت ولم يكن يشعر بشىء من ذلك ولا يسمعه . وقيل له ذات يوم : هل تحدث نفسك فى الصلاة بشىء ؟ قال : نعم . بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى إلى إحدى الدارين . الجنة أو النار . وقيل له : هل تجد شيئاً مما نجده من أمور الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف الأسنة فى أحب إلى من أن أجد شيئاً فى الصلاة مما تجدون . وكان يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

ويروى فى خبر : يقول الله تعالى فى الحديث القدسى « ليس كل مصل اتقبل صلاته إنما اتقبل صلاة من تواضع لعظمتى وخشع قلبه لجلالى وكف شهواته عن محارمى وقطع ليله ونهاره بذكرى ولم يصر على معصيتى ولم يتكبر على خلقى ورحم الضعيف وواسى الفقير من اجلى على ان جعل الجهالة له علماً والظلم له نوراً يدعونى فألبيه ويسألنى فأعطيه ويقسم علىّ فأبره اكاؤه بقوتى واباهى به ملائكتى لو قسم نوره عندى على اهل الأرض لوسعهم مثله كمثل الفردوس لا يتسنى ثمرها ولا يتغير حالها » .

واعلم ان عماد الصلاة الخشوع . وكل صلاة لا يحضر القلب فيها فهى إلى العقوبة اسرع . فمن عبد الله بن ابى بكر ان رجلا من الأنصار كان يصلى فى حائط له بالعف فى واد من اودية المدينة فى زمن التمر . والنخل قد ذللت فهى مطوقة بثمرها . فنظر إليها فأعجبه ما رآى من ثمرها . ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدرى كم صلى . فقال : لقد اصابتنى فى مالى هذا فتنة . فجاء إلى سيدنا عثمان بن عفان

عفان رضى الله عنه وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك . ثم قال : هو صدقة فاجعله فى سبيل الخير فباعه سيدنا عثمان بخمسين ألفاً . سمى ذلك المال الخمسينى .

وروى أن سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم مر برجل يدعو ويتضرع . فقال موسى: إلهى لو كانت حاجته بيدى لقضيتها . فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى : أنا أرحم به منك . ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه عند غنمه وأنا لا أستجيب العبد يدعونى وقلبه عند غيرى . فذكر موسى للرجل ذلك . فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته .

وكان سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما لا يعجبه شىء من ماله إلا خرج عنه لله تعالى . وكان رقيقه يعلمون منه ذلك . فربما لزم أحدهم المسجد فإذا رآه سيدنا عبد الله بن عمر على تلك الحالة الحسنه أعتقه . فيقول له أصحابه : إنهم يخدعونك . فيقول: من خدعنا بالله انخدعنا له . وطلب منه خادم بثلاثين ألفاً . فقال : أخاف أن تفتننى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له . وقال : اذهب فأنت حر . وكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر لما جرى من نقصان الصلاة .

وحكى أن سيدنا عيسى عليه السلام مر على قرية كثيرة الأشجار والأنهار فأكرمه أهلها . فتعجب من حسن طاعتهم ، ثم مر عليها بعد ثلاث سنين فرأى الأشجار يابسة والأنهار ناشفة وهى خاوية على عروشها فتعجب من ذلك . فأوحى الله تعالى إليه : إنه قد مر على القرية رجل تارك للصلاة فغسل وجهه فى عينها فنشفت الأنهار . ويبست الأشجار . فخربت القرية . ياعيسى : لما كان ترك الصلاة سبباً لهدم الدين كان سبباً لخراب الدنيا .

وحكى أن بعض الأكابر ركب البحر فرأى السمك يأكل بعضه بعضاً . فتوهم أن القحط وقع فى البحر فهتف به هاتف : إنه قد شرب من البحر رجل تارك للصلاة فلما علم ملوحة الماء قذفه من فمه فى البحر . فوقع القحط فى البحر من نجاسة فمه .

ويقال إن الله عز وجل أوحى إلى سيدنا نوح عليه السلام بعد الطوفان . إنى خلقت خلقى وأمرتهم بطاعتى فانتهكوا معصيتى فاشتد لذلك غضبى فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصنى . وعذبت بذنوب بنى آدم جميع خلقى . فبى حلفت أنى لا أعذب بمثل هذا العذاب أحداً من خلقى بعدها . ولكن أجعل الدنيا دولا بين عبادى ثم أجزيهم بأعمالهم إذا اجتمعوا عندى .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنى لأحبك يا معاذ . فقلت : وأنا أحبك يارسول الله . قال : فلا تدع أن تقول فى دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسى لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت .

ذكر وعيد تارك الصلاة
وأحكام ترك المكلف لها كسلا أو تهاوناً

أعلم أن ترك الصلاة من الكبائر . وكذا تأخيرها عن وقتها بغير عذر . ومما جاء في ذم تاركها ماروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان » وروى أن الله تعالى أنزل في بعض كتبه : « تارك الصلاة ملعون وجاره إن رضى به ملعون . ولولا أني حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره ملعون إلى يوم القيامه » وورد أن الملائكة تقول لتارك صلاة الفجر يا فاجر . ولتارك صلاة الظهر يا خاسر . ولتارك صلاة العصر ياعاصي . ولتارك صلاة المغرب يا كافر . ولتارك صلاة العشاء يا مضيع ضيعك الله .

ويقتل حداً تاركها كسلا أي تساهلا وتهاونا بها بأن يعد ذلك سهلا هيناً مع اعتقاده لوجوبها عليه . والصحيح كما في المنهاج : أنه يقتل ولو بترك صلاة واحدة بشرط إخراجها عن جميع أوقاتها حتى وقت العذر فيما له وقت عذر . فلا يقتل بترك الظهر حتى تغرب الشمس . ولا بترك المغرب حتى يطلع الفجر . ويقتل في الصبح بطلوع الشمس . وفي العصر بغروبها . وفي العشاء بطلوع الفجر .

ويشترط لجواز قتله أن يطالبه الإمام او نائبه بأدائها إذا ضاق وقتها ويتوعده بالقتل على تركها فإن أصر على الترك بأن لم يفعلها حتى خرج وقتها استحق القتل .

وتندب استتابته قبل قتله . وقيل تجب . ويستتاب في الحال فإن تاب وصلى ما تركه خلى سبيله من غير قتل . وإن لم يتب ولم يمتثل أمر الإمام أقيمت عليه الحدود الشرعية .

وما تقرر من أن تارك الصلاة بعد أمر الإمام يقتل بضرب عنقه بنحو السيف هو المعتمد عند السادة الشافعية . وبه قال الامام مالك والامام أحمد كما في رحمة الأمة .

وقيل : لا يقتل لانتفاء الدليل الواضح على قتله . بل ينخس بحديدة حتى يصلي أو يموت . وقيل يضرب بخشبة حتى يصلي أو يموت أيضاً . لأن المقصود حمله على الصلاة لا قتله . وعند الإمام أبي حنيفة يحبس أبداً حتى يصلي .

ونقل الشيخ شهاب الدين الأذرعي رحمه الله تعالى عن فتاوى جمال الدين بن البرزى أنه يجب على الرجل أن يأمر زوجته بالصلاة في أوقاتها وضربها عليها .

وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى : يجب على الرجل أن يأمر زوجته بالصلاة وقد قال الله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وقال تعالى : (يا أيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) قال : فإن أصرت على تركها فعليه أن يفارقها .

وحكمه بعد القتل أو الموت حكم المسلم الذى لم يترك الصلاة فيغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ولا يطمس قبره بل يرفع قدر شبر . وقيل : لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه . وإذا دفن في مقابر المسلمين يطمس قبره حتى ينسى ولا يذكر .

والمختار عند أصحاب الإمام أحمد : أنه يقتل بكفره كالمرتد . وتجرى عليه أحكام المرتدين .

ويجب قضاء الفرائض الفائتة متى تذكرها . وتستحب المبادرة بقضاء الفائتة بعذر كنوم أو نسيان تعجيلا لبراءة الذمة : ويسن ترتيب قضاء الفوائت . فيقضى الصبح ثم الظهر وهكذا . فيقدم الفائتة على الحاضرة التى لايخاف فوتها وإن خاف فوت الجماعة . وأما إن خاف فوتها ولو بخروج جزء منها عن الوقت فإنه يقدم الحاضرة لحرمة إخراج بعضها عن الوقت .

وتجب المبادرة بالفائتة إن فاتته بغير عذر . ويجب تقديمها على ما فاته بعذر وإن فقد الترتيب لأنه سنة . والمبادرة واجبة . ويجب عليه أيضاً أن يصرف لها سائر زمنه إلا ما يضطره لصرفه فى تحصيل معاشه ومعاش من تلزمه نفقته . ولا يجوز له أن يتنفل حتى تفرغ ذمته من جميع الفوائت التى فاتت بلا عذر وإلا أثم .

اخشع لربك فى الصلاة طويلا ... واذكر وقوفك للحساب ذليلا
أطل البكاء على الذنوب فربما ... كان البكاء على النجاة سبيلا
واذكر نزولك جوف قبر مظلم ... للدود صرت به إذاً مأكولا
وعليك أطباق الثرى قد طبقت ... لا تستطيع إلى الرجوع سبيلا
وجفاك كل مصاحب صاحبته ... ونسيك من بالأمس كان فى خليلا
وخلوت بالفعل الذى قدمته ... رهناً تروح وتغدو بكرة وأصيلا
أحبابنا كانوا نزولا فى الحشا ... منا فصاروا فى القبور نزولا
يا غافلا والموت يهدم عمره ... لا تحسبن الموت عنك غفولا

ذكر ما يتعلق بالميت

وهو من فارقته الحياة بسبب خروج روحه من بدنه . واختلف فى حقيقة الروح . فقال أكثر أهل السنة والجماعة : الأولى أن نمسك المقال عنها ونكف عن البحث فيها ولا نعبر عنها بأكثر من موجود يحيا به الإنسان . لأنها مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه .

وقال جمهور المتكلمين : هى جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر . وهو باق لا يفنى .

ثم إن الأرواح خمسة أقسام . أرواح الأنبياء . وأرواح الشهداء . وأرواح المطيعين . وأرواح العصاة من المؤمنين . وأرواح الكفار . فأما أرواح الأنبياء فتخرج من أجسادها وتصير على هيئتها وصورتها وتكون فى الجنة تأكل وتتنعم وتأوى بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش . وأما أرواح الشهداء إذا خرجت من أجسادها فإن الله يجعلها فى أجواف طيور خضر تدور بها فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مائها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش . هكذا قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما أرواح المطيعين من المؤمنين فهى فى رياض الجنة لاتأكل ولاتتنعم لكن تنظر فى الجنة فقط وأما أرواح العصاة من المؤمنين فبين السماء والأرض فى الهواء . وأما أرواح الكفار فهى فى أجواف طيور سود فى سجين . وسجين تحت الأرض السابعة . وهى متعلقه بأجسادها فتعذب أرواحها فيتألم بذلك الجسد . كالشمس فى السماء الرابعة ونورها فى الأرض كما أن أرواح المؤمنين فى عليين متنعمة ونورها متصل بالجسد .

وقد قال المحقق القسطلانى نقلا عن الحافظ بن كثير ما يفيد تمتع أرواح المؤمنين وإن لم يكونوا شهداء بالأكل والتلذذ ورؤية منازلهم فى الجنة لا بالنظر فقط .

وقال الشيخ أبو جعفر الطوسى فى كتاب تهذيب الأحكام فى أواخر المجلد منه عن الصادق جعفر ابن محمد رضى الله عنهما أنه قال ليونس بن ظبيان : ما يقول الناس فى أرواح المؤمنين ؟ فقال يونس : يقولون تكون فى حواصل طيور خضر فى قناديل تحت العرش . فقال أبو عبد الله : سبحان الله : المؤمن أكرم على الله من ذلك أن يجعل روحه فى حوصلة طائر أخضر . يا يونس : المؤمن إذا قبضه الله تعالى صير روحه فى قالب كقالبه فى الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التى كانت فى الدنيا .

وروى بعد هذا الحديث أن أبا بصير قال: سألت أبا عبد الله رضى الله عنه عن أرواح المؤمنين فقال: فى الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان .

واعلم أنه يتأكد على كل مكلف أن يكثر من ذكر الموت بلسانه وبقلبه بأن يستحضره بين عينيه لأنه يعين على امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه .

وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكره فقال : أكثروا من ذكر هاذم اللذات ، يعنى الموت ، فإنه ما ذكر فى كثير إلا قلله . ولا فى قليل إلا كثره . أى إنه إذا ذكر مع كثير من أمر الدنيا والأمل فيها كان سبباً لتقليله بأن يتصدق بما عنده . وإذا ذكر مع قليل من العمل كان سبباً لتكثيره والاجتهاد فيه . وهاذم : أى قاطع .

والموت لا ينجو منه أحد . قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه (إنك ميت وإنهم ميتون) وطول العمر إذا صاحبه التوفيق الإلهى للأعمال الصالحة كان من الفضل بمكان عظيم . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه أبو هريرة رضى الله عنه : إن العبد إذا بلغ أربعين سنة وهو العصر أمنه الله تعالى من الخصال الثلاث . الجنون . والجذام والبرص . فإذا بلغ خمسين سنة وهو الدهر خفف الله تعالى عنه الحساب . فإذا بلغ ستين سنة وهو فى إدبار قوته رزقه الله تعالى الإنابة إليه فيما يحبه . فإذا بلغ سبعين سنة وهو الحقب أحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين وهو الحرف أثبتت حسناته ومحيت سيئاته . فإذا بلغ تسعين سنة وهو القر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فى أهل بيته وسماه أهل السماء أسير الله تعالى فى أرضه . فإذا بلغ مائة سنة سمى حبيب الله فى الأرض وحق على الله تعالى أن لا يعذب حبيبه .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما . فإذا بلغ الستين حببه الله تعالى إلى أهل أرضه وسمائه . فإذا بلغ السبعين صار أسير الله تعالى فى أرضه ولم يخط القلم عنه بحرف .

وفى الجامع : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله فى أبناء الأربعين من أمتى . فقال : يا محمد قد غفرت لهم قلت : فأبناء الخمسين . قال : فإنى قد غفرت لهم . قلت : فأبناء الستين . قال : قد غفرت لهم . قلت : فأبناء السبعين . قال يا محمد : إنى لأستحى من عبدى أرى عمره سبعين سنة يعبدنى لا يشرك بى شيئاً أن أعذبه بالنار . فأما أبناء الأحقاب أبناء الثمانين والتسعين فإنى واقف يوم القيامة فقائل لهم : أدخلوا معكم من أحببتم الجنة .

فمن أعظم نعم الله تعالى على العبد أن يقصر أمله ويطول عمره ويحسن عمله . وهناك ينشد لسان حاله للمحجوبين عنه .

لا تظنـوا الموت موتاً إنه لحيـــاة هى غايات المنى
لا ترعكم فجـــأة الموت فما هى إلا نقلة من ها هنـــا

أى من دار الدنيا إلى الدار الآخرة .

وفى حديث عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال : إنما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار إلى دار . قال الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه :

ولو أنا إذا متنا تركنـا لكان الموت راحة كل حى
ولكنا إذا متنـــا بعثنا ونسئل بعد ذا عن كل شىء

قيل : كان بمكة مقعدان لهما ابن شاب فإذا أصبح نقلهما فأتى بهما المسجد . فكان يكتسب يومه فإذا كان المساء احتملهما ففقده النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عنه . فقيل له : مات : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو ترك أحد لأحد لترك ابن المقعدين . أى لهما .

وعن أبى النضر السلمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار . فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أو اثنان ؟ قال : أو اثنان . ويستثنى طالب العلم . فلا يسن له ذكر الموت لأنه قد يقطعه عنه . ذكر ذلك الشبراملسى والبجرمى .

وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مات العالم صور الله عمله فى قبره يؤنسه إلى يوم القيامة ويدرأ عنه هوام الأرض . وأخرج الإمام أحمد عن الزهرى عن كعب قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : تعلم العلم وعلمه للنـاس فإنى منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جاءه اجله وهو يطلب العلم لقى الله ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجـــة النبوة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طالب العلم افضل عند الله من المجاهد فى سبيل الله . قال المناوى : لأن المجاهد يقاتل

طائفة مخصوصة فى قطر مخصوص . والعالم حجة الله على كل معاند ومبتدع فى كل قطر . وقال صلى الله عليه وسلم : طالب العلم كالغادى والرائح فى سبيل الله . أى فى قتال أعداء الله بقصد إعلاء كلمته . وقال صلى الله عليه وسلم . طالب العلم طالب الرحمة . طالب العلم ركن الإسلام ويعطى أجره مع النبيين . أى لأنه وارثهم وخليفتهم . فثوابه من جنس ثوابهم . وروى صاحب البستان : أن لله مدينة تحت العرش من مسك أزفر على بابها ملك ينادى كل يوم : ألا من زار عالماً فقد زار أنبيائى . ألا من زار أنبيائى فقد زارنى . ألا من زارنى فله الجنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أكرم عالماً فقد أكرم سبعين نبياً . ومن أكرم متعلماً فقد أكرم سبعين شهيداً . ومن أحب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة . وروى : العالم سلطان الله فى الأرض . فمن وقع فيه فقد هلك . وروى : العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء ورثتى وورثة الأنبياء . وروى : اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة . وروى : يشفع يوم القيامة ثلاثة . الأنبياء . ثم العلماء . ثم الشهداء . وروى : إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط . قيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك . وقيل للعالم : قف هنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت . فقام مقام الأنبياء .

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهموا على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

ومن إكرام الخواص من الخلق أن لا تأكل الأرض أجسامهم . وهم المذكورون فى البيتين الآتيين .

لا تأكل الأرض جسماً للنبى ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارىء قرآن ومحتسب آذانه لإله مجرى الفلك

ذكر : أن عشرة لا تبلى أجسادهم وهم . الغازى . والعالم . والمؤذن . وحامل القرآن . والنبى . والشهيد . والمرأة إذا ماتت فى نفاسها . وأهل السنة ومن قتل مظلوماً . ومن مات يوم الجمعة .

كما ذكر أن سؤال القبر ليس عاماً لكل أحد . بل يستثنى من ورد الأثر بعدم سؤالهم . كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وكالصديقين . والشهداء . والمرابطين . والملازمين لقراءة سورة تبارك الملك كل ليلة من حين وصول الخبر إليهم سواء قرأها الشخص عند نومه أو قبله . ومن قرأ فى مرض موته سورة الاخلاص . ومن مات بمرض بطنه . والميت فى زمن الطاعون صابراً محتسباً سواء طعن أو لم يطعن . والميت ليلة الجمعة أو يومها ولو لم يدفن إلا يوم السبت مثلا .

وقد احتضر بعض المسرفين وكان كلما قيل له : قل لا إله إلا الله يقول :

يارب قائلة يوما وقد سألت أين الطريق إلى حمام منجاب ؟

وسبب ذلك : أن امرأة عفيفة حسناء خرجت يوما إلى حمام معروف بحمام منجاب . فلم تعرف

طريقة وقد تعبت من المشي : فرأت رجلا على باب داره فسألته عن الحمام . فقال لها : هو هذا وأشار إلى باب داره . فلما دخلت أغلق الباب عليها . فلما عرفت أنه مكر بها أظهرت له كمال السرور والرغبة ، وقالت له : اشتر لنا شيئاً من الطيب والطعام وعجل العود إلينا . فلما خرج واثقاً بها وبرغبتها خرجت وتخلصت منه .

فانظر كيف منعته هذه الخطيئة عن الإقرار بالنطق بالشهادة عند الموت مع أنه لم يصدر منه إلا إدخال المرأة بيته وعزمه على الزنا من غير وقوعه منه . عافانا الله من الوقوع فى الخطايا بمنه وكرمه .

فائدة : من داوم على قراءة سورة تبارك الذى بيده الملك كل ليلة لم يعذب فى قبره . ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر . أى عن قارئها المداوم على قراءتها إذا مات ووضع فى قبره .

وروى الترمذى بإسناد حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : استحيوا من الله تعالى حق الحياء . قالوا : إنا نستحى يا نبى الله والحمد لله . قال : ليس كذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا . ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء . والمراد من قوله : وما وعى . أى ما اشتمل عليه من السمع والبصر واللسان . ومن قوله : وليحفظ البطن وما حوى . ما يشمل القلب والفرج . والمراد بحفظ البطن أن يصونه عن الحرام من المطعم والمشرب .

ويستحب الإكثار من ذكر هذا الحديث كما قاله الإمام أبو حامد الغزالى . وكذلك الرملى نقلا عن المجموع .

قال سيدى محى الدين بن العربى فى فتوحاته : أعلم أن كل مسلم استحيا من الله تعالى فى الدار الدنيا ومن لقائه يوم القيامة فلابد أن يؤنسه الحق تعالى يوم القيامة ويزيل خجله . وأصل الاستحياء يكون من المخالفة أو التقصير فى خدمة الله تعالى وما ثم غير هذين الطريقين . قال : وصورة تأنيس الحق تعالى لعبده المؤمن أن يقول له : عبدى ما كان الذى وقع عنك فى دار الدنيا إلا بقضائى وقدرى لأنك موضع جريان أحكامى فيأنس العبد بهذا القول أشد الأنس . ولو أن العبد قال هذا القول لله تعالى ابتداء لأساء الأدب مع الله ولم يسمع منه .

ويتأكد الإستعداد للموت . أى التأهب للقائه بفعل الأعمال الصالحة واجتناب الأعمال القبيحة والمبادرة إلى التوبة المتوفرة للشروط . وهى الإقلاع عن الذنب . والندم عليه . والتصميم على عدم العود إليه . ورد المظالم إلى أهلها . وقضاء نحو صلاة وصوم . واستحلال من نحو غيبة وقذف . ومحل توقف التوبة على رد المظالم حيث قدر عليه . وإلا كفاه العزم على الرد متى قدر . ومحله أيضاً حيث عرف المظلوم وإلا فيتصدق بما ظلم به عن المظلوم . كذا قيل . محل التوقف على الاستحلال حيث لم يترتب عليه ضرر . فمن زنى بامرأة فلا ينبغى أن يطلب من زوجها وأهلها الاستحلال لما فيه من هتك عرضهم . فيكفيه الندم والعزم على أن لا يعود .

ولو كان عليه فوائت كثيرة وكان يستغرق قضاؤها زمناً طويلا فيكفى فى صحة توبته عزمه على

قضائها مع الشروع فيه حتى لو مات فى زمن القضاء لم يمت عاصياً . وقد تقدم شىء من الكلام على التوبة فى أول هذا الكتاب فانظره .

ويسن للمريض الصبر على المرض . ويكره له الجزع والتضجر مطلقاً والشكوى إلا لنحو طبيب ليداويه أو صديق يدعو له أو يتعهده . وأن يكثر من الذكر لاسيما تلاوة قل هو الله أحد وآية الكرسى وآخر سورة الحشر . ولا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . فإن من أكثر من ذلك فى مرض موته تكون خاتمته حسنة إن شاء الله وفيه ثواب عظيم .

وقد ذكر فى فتح المعين : أن من قرأ قل هو الله أحد فى مرض موته مائة مرة لم يفتن فى قبره . وأمن من ضغطه القبر وجاوز الصراط على أكف الملائكة . ومن قال لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين أربعين مرة فى مرضه فمات فيه أعطى أجر شهيد . وإن برىء برىء مغفوراً له .

وورد فى أثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من مريض يقرأ عنده سورة يس إلا مات ريان ودخل قبره ريان وحشر يوم القيامة ريان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه يئن فإن الأنين اسم من أسماء الله تعالى يستريح إليه العليل قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا عليل يئن فقلنا له : اسكت . فذكره صلى الله عليه وسلم . وقد قال السادة الصوفية : إن لفظ آه من أسماء الله تعالى ويذكرون له أسرارا . ولم يرد به توقيف من حيث الظاهر .

ولو ماتت امرأة حامل بجنين حى . فإن كان لا يرجى حياته . اى بأن يبلغ ستة أشهر أخر دفنها إلى موته ولو تغير وإلا شق جوفها وأخرج . وما يقع من وضع نحو حجر عليه ليموت فحرام وإن لم ترج حياته .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر .

ومن السنة تغميض البصر فإن لم يغمضه بنفسه فليجذب برفق شخص عضديه وآخر إبهامى رجليه فإنه يغلق بصره . مجرب .

وأما علامات الخير عند خروج روحه . فمنها عرق جبينه . ومنها سيلان دموعه . ومنها انتشار منخريه . ويدل لهذا ما أخرجه الترمذى والحاكم وصححه ابن ماجه والبيهقى فى الشعب عن بريده قال : المؤمن يموت بعرق الجبين . وأخرج الترمذى فى نوادر الأصول عن سلمان الفارسى قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ارقبوا الميت عند موته ثلاثاً . إن رشحت جبينه . وذرفت عيناه . وانتشر منخراه . فهى رحمة من الله قد نزلت به . وإن غط غطيط البكر واحمر لونه وأزبد شدقاه . فهو عذاب من الله قد حل به . وقوله : ذرفت . أى سالت دموعه . وقوله وانتشر

الانتشار الإنتفاخ . وقوله : غط . الغطيط . ترديد الصوت حيث لا يجد له مساغاً . والبكر : هو الشاب من الإبل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارقبوا الميت عند ثلاث . إذا رشح جبينه ، ودمعت عيناه . ويبست شفتاه فهى من رحمة الله قد نزلت به . وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وأربدت شفتاه . فهو من عذاب الله قد نزل به .

وقد دخل سيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه يعود مريضاً وهو فى النزع . فقال : أيها الملك ارفق به . فقال المريض : إنه يقول : أنا بكل مؤمن رفيق .

وقد روى ابن عمر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه . فقالت السيدة عائشة رضى الله عنهـــا : إنه لم يأت بالحديث على وجهه . فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها أهلها فقال : إنهم يبكون عليها وإنها تعذب فى قبرها . فظن العذاب معلولا للبكاء وظن الحكم عاماً على كل ميت يبكى عليه أهله .

ويجب غسله وتعميم بدنه بالماء مرة واحدة شعراً وبشراً من غير حائل بين البدن والماء . ولا تجب فيه نية عند الإمامين الشافعى وأبى حنيفة . وقال الإمام مالك بوجوبها لأنه غسل واجب يفتقر إلى نية كغسل الجنابة . بخلاف وضوئه فتجب فيه النية .

ويجب تكفينه بعد غسله . فإن كان من ماله وجب ثلاث لفائف تعم كل واحدة منها جميع بدنه . وإن كان من مال غيره فالواجب ثوب واحد يستر جميع البدن .

وجاز الإعلام بموت الميت بصوت خفى للإكثار من المصلين فى الصلاة عليه قال الشيخ عبد الباقى : بل هذا يقتضى ندبه لأن وسيلة المطلوب مطلوبة لخبر : لا يموت أحد فيصلى عليه أمة من الناس يبلغون مائة فيشفعون له إلا شفعوا فيه . بل فى البخارى : أى مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة فقلنا : وثلاثة يا رسول الله ؟ قال : وثلاثة . فقلنا : واثنان ؟ قال واثنان . ثم لم نسأله عن الواحد .

وقد اتفق الأئمة على أن غسل الميت فرض كفاية . وعلى أن للزوجة أن تغسل زوجها .

وعلى أن السقط إذا لم يبلغ أربعة أشهر لا يغسل ولا يصلى عليه .

وعلى أنه إذا استهل وبكى يكون حكمه حكم الكبير .

وعن سعيد بن جبير : أنه لا يصلى على الصبى ما لم يبلغ . وعلى أن النفساء تغسل ويصلى عليها .

والصلاة على الميت فرض كفاية إذا قام به البعض واحداً كان أو جماعة ذكراً أو أنثى سقط عن الباقين . وإذا تركه الكل أثموا . وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا فاتته الصلاة على الميت قبل أن يدفن صلى على قبره . ولم يوقت فى ذلك . فصلى مرة بعد ليلة . وأخرى بعد ثلاث . وثالثة بعد شهر . وعند الإمام أحمد : لا يصلى بعد شهر .

والسنة عند الإمام الشافعى : أن يقف المصلى عند رأس الرجل وعجز المرأة . وعند الإمام مالك :

يقف عند منكبي المرأة ووسط الرجل . وعند الإمام أحمد : يقوم عند صدر الرجل ووسط المرأة . وعند الإمام أبى حنيفه : يقوم بحذا صدر الميت ذكراً كان أو أنثى . وكان صلى الله عليه وسلم : يصلى على الطفل ويقول : صلوا على أطفالكم فإنهم من أفراطكم .

وفى حال وقوف المصلى على الميت يكون رأس الميت على يمين الامام رجلا كان أو امرأة إلا فى الروضه الشريفة فإنه يكون عن يساره ليكون جهة القبر الشريف . واما المأموم فيقف خلف الإمام كما يقف فى غيرها من الصلاة .

والمقصود من الصلاة هو الدعاء للميت: وهى أربع تكبيرات بتكبيرة الاحرام . يقرأ بعد التكبيرة الأولى الفاتحة . وبعد التكبيرة الثانية الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وأقلها : اللهم صل على سيدنا محمد . وأكملها : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد . كالصلاة التى تقرأ فى التشهد . ويقرأ بعد التكبيرة الثالثة الدعاء للميت . وأقله : اللهم اغفر له وارحمه . وأكمله : اللهم إن هذا عبدك وابن عبدك خرج من روح الدنيا وسعتها إلى ظلمة القبر وما هو لاقيه . كان يشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وأنت أعلم به منا . اللهم إن كان محسناً فزد فى إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه وخصه بالروح والراحة والمغفرة والرضوان برحمتك يا أرحم الراحمين .

ويكفى فى الصغير أن يقول : اللهم اجعله لوالديه فرطاً وذخراً وعظه واعتباراً وسلفاً وشفيعاً وثقل به موازينهما وأفرغ الصبر على قلوبهما ولا تفتنهما بعده ولا تحرمهما أجره . وبعد التكبيرة الرابعة يسلم كسلام الخروج من الصلاة . وكان صلى الله عليه وسلم : يقول عند وضع الميت فى القبر : باسم الله وعلى ملة رسول الله .

ونهى عن دفنه عند طلوع الشمس وعند غروبها . وعند الظهيرة . ونهى عن نعيه وقال : هذا من عمل الجاهلية .

والشهادة للميت بالخير والثناء عليه ينفعه . قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن العبد ليموت فيثنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره . فيقول الله تعالى لملائكته : أشهدكم أنى قبلت شهادة عبيدى على عبدى وتجاوزت عن علمى فى عبدى .

وقد سئل أبو على النجاشى عن وقوف الجنازة ورجوعها . فقال : متى رأت الملائكة بين يديها رجعت . ومتى كثرت خلفها أسرعت .

ويحتمل أن النفس تلوم على الجسد . ويلوم الجسد على النفس فيختلف حالها فتارة تتقدم وتارة تتأخر .

ويحتمل أن يكون بقاؤها فى حال رجوعها ليتم أجل بقائها فى الدنيا .

وسئل عن خفة الجنازة وثقلها . فقال : إذا خفت فصاحبها شهيد لأن الشهيد حى . والحى أخف من الميت .

هبك بلغت كلّ ما تشتهيه　　وملكت الزمان تحكما فيه
هل قصارى الحياة إلا ممات　　يسلب المرء كل ما يقتنيه

وروى الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ببعض نواحى المدينة وإذا بقبر يحفر . فأقبل عليه . فقال : لمن هذا ؟ فقيل لرجل من الحبشة . فقال : لا إله إلا الله : سيق من أرضه وسمائه حتى دفن فى الأرض التى خلق منها . وأنشد بعضهم :

مشيناها خطا كتبت علينا　　ومن كتبت عليه خطا مشاها
وأرزاق لنا متفــرقات　　فمن لم تأته منها أتاها
ومن كتبت منيته بأرض　　فليس يموت فى أرض سواها

وكان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام يخاف من الموت . فأراد الله عز وجل أن يخفف عنه وقع الموت فى نفسه بمثال عملى . قال وهب : خرج موسى عليه السلام ليقضى حاجة فمر برهط من الملائكة فعرفهم . فأقبل إليهم حتى وقف عليهم فإذا هم يحفرون قبرا لم ير شيئا قط أحسن منه ولم ير مثله قط فى الخضرة والنضرة والبهجة . فقال لهم : ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ فقالوا : نحفره لعبد صالح كريم على ربه . فقال موسى : إن هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة . مارأيت كاليوم أحسن منه مضجعاً . فقالت الملائكة : ياصفى الله أتحب أن يكون لك ؟ قال : وددت ذلك: قالوا فأنزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك ثم تنفس أسهل نفس تتنفسه . فنزل فاضطجع فيه . ثم توجه إلى ربه . ثم تنفس فقبض روحه . ثم سوت الملائكة عليه التراب .

وقيل : إنه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه .

ويروى أن يوشع بن نون رأى سيدنا موسى عليه السلام بعد موته فى المنام فقال له : كيف وجدت الموت يانبى الله ؟ فقال له : كشاة تسلخ وهى فى الحياة .

ويجب دفنه فى قبر . وأقله : حفرة تمنع رائحته وتقيه من السباع . وأكمله أن يعمق القبر بقدر قامة رجل معتدل وبسطه يديه إلى أعلى . وذلك نحو أربعة أذرع ونصف بذراع الآدمى .

ويستحب أن يدفن فى وسط قوم صالحين لقول النبى صلى الله عليه وسلم : ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين ، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء .

ويسن أن يمكث جماعة بعد الدفن ساعة يسألون له التثبيت ويستغفرون له ، لأنه حينئذ فى سؤال منكر ونكير .

ويندب تلقين البالغ بعد تمام الدفن ، وقيل : إن الأطفال يسألون فيسن تلقينهم لأن النبى صلى الله عليه وسلم لقن ولده إبراهيم .

قال بعضهم : مات أخ لى فرأيته فى المنام ، فقلت : ما كان حالك حيث وضعت فى قبرك ؟ فقال :

أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعا لى لرأيت أنه سيضربنى به ، ومن هـذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له .

قال سعيد بن عبد الله الأودى : شهدت أبا أمامة الباهلى وهو فى النزع ، فقال : يا سعيد إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول : يافلان ابن فلانة ، فإنه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعداً ، ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة الثالثة ، فإنه يقول : أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون ، فيقول له : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن إماما فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما ، فيقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ، ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما ، فقال رجل يارسول الله فإن لم يعرف اسم أمه ، قال : فلينسبه إلى حواء .

ويجب وضع الميت فى قبره مستقبل القبلة ، ويسن أن يكون على جنبه الأيمن ويسند وجهه ورجلاه إلى جدار القبر ، كما يسند ظهره بنحو لبنة لئلا ينكب على وجهه أو على قفاه ، وأن يقول مدخله : بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن قيل له ذلك عنـــد دفنه أمن من العذاب أربعين سنة .

ويحرم نبش القبر قبل بلى الميت إلا لضرورة كأن دفن غير موجه للقبلة ولو بعد إهالة التراب عليه كما رآه السادة الشافعية والحنابلة .

ومن المستحسن والنافع بإذن الله تعالى أن يأخذ بعض المشيعين الميت الحافظين للقرآن الكريم شيئا من تراب القبر غير المنبوش ويقرأ عليه سورة القدر سبع مرات ، ثم يوضع التراب فى الكفن أو فى القبر ، فقد ورد أن الميت الذى يفعل له ذلك لا يعذب فى قبره .

ويستحب زيارة الميت لمن كان يزوره حياً لقرابة أو صلاح أو صداقة ولقصد ترحم عليه أو اعتبار به أو نحو ذلك ، ويستحب الإكثار منها ومن الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل وتتأكد فى عشية الخميس ويوم الجمعة بتمامه وبكرة يوم السبت لأن الأموات يعلمون بزوارهم فى هذه الأوقات وألحق بعضهم بها ليلة الإثنين .

وقال القليوبى : إن روح الميت لها ارتباط بقبره لا تفارقه أبداً ، لكنها أشد ارتباطا به من عصر يوم الخميس إلى طلوع شمس يوم السبت .

وقال ابن القيم : الأحاديث والأخبار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع كلامه وأنس به ورد عليه . وهذا عام فى حق الشهداء وغيرهم . وأنه لا توقيت فى ذلك .

وينبغى للزائر أن يسلم عليهم ويقرأ عندهم شيئاً من القرآن ويدعو لهم .

وصيغة السلام هى : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . نسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم .

وروى أن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قلت : يا رسول الله كيف أقول ؟ تعنى إذا زارت القبور . قال : قولى : السلام على أهل الدار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .

وإن زيارة النساء للمقابر اليوم غير مستحسنة ، لأنهن يخرجن إلى المقابر وخلف الجنائز بهيئة قبيحة مقرونة بالنياحة وهن مزينات بزينة يخشى منها الفتنة خشية قوية . وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن زوارات القبور .

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قبرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ميتاً — فلما فرغنا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفنا معه . فلما حاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابه وقف . فإذا نحن بامرأة مقبلة . قال : أظنه عرفها . فلما ذهبت فإذا هى فاطمة رضى الله تعالى عنها . فقال لها صلى الله عليه وسلم : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت يا رسول الله أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم . أو قالت : عزيتهم به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعلك بلغت معهم الكدى « بكاف مضمومة » المقابر . فقالت معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر فقال : لو بلغت معهم الكدى . فذكر تشديداً فى ذلك . ورواه النسائى إلا أنه قال فى آخره : لو بلغتيها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك .

وروى ابن ماجه وأبو يعلى عن على كرم الله وجهه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بنسوة جلوس . قال : ما يجلسكن ؟ قلن : ننتظر الجنازة . قال : هل تغسلن ؟ قلن لا . قال : هل تحملن ؟ قلن لا . قال : هل تدلين فيمن يدلى ؟ قلن لا . قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات . هذا فى زمنه صلى الله عليه وسلم والدين فى أوج رفعته . فما بالك اليوم وقد تغير كل شىء . نسأل الله السلامة من شر الفتن والمحن ما ظهر منها وما بطن .

وقد قال الأئمة الثلاثة بكراهة الجلوس للتعزية مع قول أبى حنيفة بعدم الكراهة لأن الجلوس يخفف على المعزين بخلاف ما إذا لم يجلس فربما جاءوا يعزونه فلا يجدوه فيحتاج أحدهم إلى مجىء آخر بعد ذلك لاسيما من ورائه شغل مهم دائم .

قال القائل الناصح :

أفلست تدرى أن يومك قد دنا	أو لست تدرى أن عمرك ينفد
فعلام تضحك والمنية قد دنت	وعلام ترقد والثرى لك مرقد

قال أنس رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . يحث على تعزية المصاب بمصيبته

ويقول : ما من رجل يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة وصلى على روحه فى الأرواح وكان له مثل أجره .

وروى أن أبا رزين قال يا رسول الله : إن طريق على الموتى . فهل لى كلام أتكلم به إذا مررت عليهم ؟ قال : قل السلام عليكم يا أهل القبور من المسلمين والمؤمنين أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع . وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . قال أبو رزين : يسمعون قال : يسمعون ولكن لا يستطيعون ان يجيبوا . أى جوابا يسمعه الحى . قال يا أبا رزين : الا ترضى أن ترد عليك بعددهم الملائكة .

وأخرج ابن أبى شيبة عن الحسن قال : من دخل المقابر فقال : اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحاً منك « بفتح الراء » أى رحمة . وسلاما منى . كتب له بعددهم حسنات . وفى رواية ، استغفر له كل مؤمن مات منذ خلق الله آدم . وأخرجه ابن أبى الدنيا بلفظ ، كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات .

وورد أن من قرأ آية الكرسى وجعل ثوابها لأهل القبور أدخل الله فى كل قبر من المشرق إلى المغرب أربعين نوراً ووسع الله عليهم مضاجعهم . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما الميت فى قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له : فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار .

وقد ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتاب الأجوبة عن أئمة الفقهاء والصوفية أن أئمة الفقهاء والصوفية يشفعون فى مقلديهم ويلاحظون أحدهم عند طلوع روحه وعند سؤال منكر ونكير له وعند النشر والحشر والحساب والميزان والصراط ولا يغفلون عنهم فى موقف من المواقف وقال لما مات شيخنا شيخ الإسلام ناصر الدين اللقانى رآه بعض الصالحين فى المنام . فقال له ما فعل الله بك ؟ فقال لما أجلسنى الملكان فى القبر ليسألانى أتاهم الإمام مالك . فقال مثل هذا يحتاج إلى سؤال فى إيمانه بالله ورسوله تنحياً عنه . فتنحيا عنى . وقال وإذا كان مشايخ الصوفية يلاحظون أتباعهم ومريديهم فى جميع الأهوال والشدائد فى الدنيا والآخرة . فكيف بأئمة المذاهب الذين هم أوتاد الأرض وأركان الدين وأمناء الشارع على أمته رضى الله عنهم أجمعين .

وقد قال سيدى وشيخى السيد أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه لبعض من سأله قائلا له يا سيدى سمعنا أن المشايخ تحضر مع أصحابهم عند الموت وعند السؤال . وأنت نسيتنى . فقال له رضى الله عنه كفانى صلى الله عليه وسلم الحضور مع أصحابى عند الموت وعند السؤال ا ه .

ويتأكد زيارة الأقارب خصوصاً الوالدين ، فقد ورد أن من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة مرة غفر الله له وكان باراً بوالديه . وفى رواية : من زار قبر والديه كل جمعة أو أحدهما فقرأ عنده يس والقرآن الحكيم غفر له بعدد ذلك آية أو حرفا ، وفى رواية من زار قبر والديه أو أحدهما يوم الجمعة كان كحجة .

وقد اتفق العلماء على وصول ثواب الصدقة للأموات . ولا فرق بين أن تكون بعيدة عن القبر أو عنده . وكذا الدعاء والاستغفار وغيره . قال النبي صلى الله عليه وسلم : لوكان « أي الميت » مسلماً فأعتقتم عنه أو تصدقتم عنه أو حججتم عنه « أي نفعه » ذلك . فالميت المسلم ينفعه الدعاء والصدقة .

واختلفوا فى القراءة « أى فى ثوابها » فقيل : يصل للميت . وعليه جمهور العلماء . وقيل : لا يصل ونسب ذلك لابن عبد السلام ، عملا بظاهر قوله تعالى (وإن ليس للإنسان إلا ما سعى) وهو خلاف التحقيق ، والتحقيق وصولها مطلقا . والآية مجاب عنها بأن اللام فى للانسان بمعنى على . أو هى حكاية لما فى صحف موسى وإبراهيم . وشرع من قبلنا ليس شرعا لنا لأن قوم إبراهيم وموسى كان لهم بحسب شريعتهم ما سعوا وما سعى لهم . أو المراد بالإنسان الكافر كما قال الربيع عن أنس . أو أن حكم الآية منسوخ بقوله تعالى (والذين ءامنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان) .

وقد ألف العلامة شهاب الدين بن إبراهيم بن عبد الغنى الروحى الحنفى فى هذه المسألة رسالة سماها نفحات النسمات ، فى إهداء الثواب للأموات . حقق فيها وصول الثواب ، وإن الميت ينتفع بالقراءة قرئت على القبر أو فى البيت أو فى بلاد إلى بلاد ووهب له الثواب اه . قال ابن هلال : الذى أفتى به ابن رشد وذهب إليه غير واحد من أئمتنا : أن الميت ينتفع بقراءة القرآن الكريم ويصل إليه نفعه إذا وهب القارىء ثوابه له ، وبه جرى عمل المسلمين شرقا وغربا ووقفوا على ذلك أوقافاً واستمر الأمر عليه من أزمنة سالفة .

وكان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه يقول : إذا دخلتم المقابر فاقرءوا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم .

وحكى عنه أنه كان قبل ذلك ينكر وصول ثواب القراءة من الأحياء للأموات . فلما حدثه بعض الثقات أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة . قال : بما تقدم .

وحكى أن ابن عبد السلام رؤى فى المنام بعد موته . فقيل له : ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى ؟ فقال : هيهات . وجدت الأمر على خلاف ما كنت أظن .

قال العلامة الأمير : ويلحق بالقراءة التهليل الذى يفعل . أى فيصل إلى الميت ثواب ما يذكرونه لانهم يهبون ثوابه ويجعلونه مخرجاً مخرج الدعاء . وهو بهذه الكيفية يصل باتفاق الجميع . ذكر ذلك العلامة العدوى فى مشارق الأنوار .

وقد سئل الرملى عمن قرأ شيئاً من القرآن وأهدى ثوابه للنبى صلى الله عليه وسلم ، مثل وأوصل إلى حضرته أو زيادة فى شرفه او مقدما بين يديه او غير ذلك كما جرت به العادة . هل ذلك جائز مندوب يؤجر فاعله اولا ؟ ومن منع ذلك متمسكا بأنه امر مخترع لم يرد به أثر . ولا ينبغى ان يجترأ على مقامه الشريف إلا بما ورد كالصلاة عليه وسؤال الوسيلة . وهو مصيب اولا ؟ فأجاب : نعم ذلك جائز بل

مندوب قياساً على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وسؤال الوسيلة والمقام المحمود ونحو ذلك بجامع الدعاء بزيادة تعظيمه . وقد جوزه جماعة من المتأخرين . وعليه عمل الناس . وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن . فالمانع من ذلك غير مصيب اهـ .

وروى عن على بن موسى الحداد قال : كنت مع أحمد بن حنبل فى جنازة ومحمد بن قدامه الجوهرى معنا . فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر . فقال له الإمام أحمد : ياهذا إن القرآن عند القبر بدعة . فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامه للامام أحمد : يا أبا عبد الله : ما تقول فى مبشر ابن إسماعيل الحلبى ؟ قال : ثقة . قال : هل كتبت عنه شيئاً ؟ قال : نعم : قال : أخبرنى مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها . وقال : سمعت ابن عمر يوصى بذلك . فقال له الإمام أحمد . فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ .

وقد سئل الشيخ حسنين مخلوف عن حكم قراءة القرآة الكريم وهبة ثوابها للميت : وعن حكم إعطاء الصدقة للفقير وهبة ثوابها للميت . وهل ذلك يختص بيوم العيد أو فى سائر أيام السنة ؟ فأجاب بقوله : قال ابن تيمية من أئمة الحنابلة : إن الميت ينتفع بقراءة القرآن كما ينتفع بالعبادات المالية من الصدقة ونحوها . وقال ابن القيم فى كتاب الروح : أفضل ما يهدى إلى الميت الصدقة والاستغفار والدعاء له والحج عنه . وأما قراءة القرآن وإهداؤها إليه تطوعا بغير أجر . فهذا يصل إليه . كما يصل إليه ثواب الصوم والحج . وقال فى موضع آخر من كتابه : والأولى أن ينوى عند الفعل أنها للميت . ولا يشترط التلفظ بذلك .

وذهب السادة الأحناف إلى أن كل من أتى بعبادة سواء كانت صدقة أو قراءة قرآن أو غير ذلك من أنواع البر له جعل ثوابها لغيره ويصل ثوابها إليه .

وفى فتح القدير . روى عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال . من مر على المقابر وقرأ : قل هو الله أحد . إحدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للأموات أعطى من الأجر بعدد الاموات . وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل . فقال السائل . يا رسول الله إنا نتصدق عن موتانا ونحج عنهم وندعو لهم . هل يصل ذلك إليهم ؟ قال . نعم . إنه ليصل إليهم وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدى إليه .

ومذهب السادة الشافعية . أن الصدقة يصل ثوابها إلى الميت باتفاق . وأما القراءة . فالمختار كما فى شرح المنهاج وصول ثوابها إلى الميت وينبغى الجزم به لأنه دعاء .

ومذهب السادة المالكية . أنه لا خلاف فى وصول ثواب الصدقة إلى الميت . واختلف فى جواز القراءة للميت . فأصل المذهب كراهتها . وذهب المتأخرون إلى جوازها . وهو الذى جرى عليه العمل فيصل ثوابها إلى الميت . ونقل ابن فرحون أنه الراجح . وأن كل ذلك ليس مختصاً بوقت معين . بل يوم العيد كغيره من سائر الأيام . والله أعلم .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء: ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب وإنه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال .

وقال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء . فدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول : هذه هدية لك من عند أخيك فلان : من عند قريبك فلان . قال : فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية .

ونقل أن رجلا كان يشهد الجنائز فإذا أمسى وقف على المقابر فقال : آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم . لايزيد على هذا شيئاً : قال : فأمسيت ليلة ولم أدع . فبينما أنا نائم إذا خلق كثير جاءونى . فقلت : من أنتم ؟ قالوا أهل المقابر . قلت ما حاجتكم ؟ قالوا إنك كنت عودتنا هدية عند انصرافك إلى أهلك . قلت : وما هى ؟ قالوا : الدعوات التى كنت تدعو . قلت فإنى أعود لذلك . فما تركتها بعد ذلك .

ولسيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

انظر لنفسك يا مسكين فى مهل	مادام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها	لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يامغرور موعظة	وفيهم لك يا مغتر معتبر

وقال أيضا لبعض جلسائه : يافلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه . إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب . ثم شهق شهقة وخر مغشياً عليه .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة . فلما نظر إلى القبور بكى . ثم أقبل على فقال : ياميمون : هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشتهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلا فى أبدانهم . ثم بكى . ثم قال : والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله .

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت	أن السلامة فيها ترك ما فيها
لادار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه	وإن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التى كانت مسلطنة	حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها	ودورنا لخراب الدهر نبنيها

كم من مدائن فى الآفاق قد بنيت أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
لكل نفس وإن كانت على وجل من المنيـة آمال توفيهـا
فالمرء يبسطها والدهر يقبضها والنفس تنشرها والموت يطويها

الثالث من مبانى الإسلام

الزكــاة

وهى تمليك جزء مخصوص من مال مخصوص لشخص مخصوص إذا بلغ قدراً مخصوصاً فى وقت مخصوص . وهى فرض عين كالصلاة . ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة والإجماع . قال الله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

وقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال : ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم .

والزكاة نوعان . زكاة المال ، وزكاة البدن وهى صدقة الفطر . وزكاة المال نوعان . زكاة الذهب والفضة . وأموال التجارة والسوائم . وزكاة الزروع والثمار .

وشرط وجوبها . الإسلام والبلوغ والعقل والحرية عند الإمام أبى حنيفة وعند الأئمة الثلاثة : البلوغ والعقل ليسا شرطاً فى وجوبها عندهم فتجب فى مال الصبى والمجنون . وأن لا يكون عليه دين مطالب به من جهة العباد عند الإمام أبى حنيفة . وعند الإمام الشافعى : الدين لا يمنع وجوب الزكاة . وعند الإمام مالك : الدين يسقط الزكاة فى العين فقط . أى فى الذهب والفضة . إذا كان عليه دين ينقص النصاب وليس عنده ما يفى به من غير مال الزكاة مما لا يحتاج إليه فى ضرورياته كدار السكنى . وعند الإمام احمد : الدين يمنع وجوب الزكاة مطلقا متى نقص فى النصاب ولو لم يطلب به . وأن يكون المال سائماً أو للتجارة .

والحول شرط فى وجوبها .

وعلى القول بعد وجوب الزكاة على المدين الذى ستغرق الدين جميع ماله . لأن حق الدائنين مقدم على حق الفقراء . ويصبح المال ملكا للدائنين . وقد قال عليه الصلاة والسلام (إنها صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) والمدينون بدين مستغرق لمالهم ليسوا من الأغنياء فتسقط عنهم الزكاة .

أما من عليه دين غير مستغرق لماله فإن الزكاة تجب فى الجزء الذى لم يشمله الدين إن بلغ نصاباً وحال عليه الحول .

وهذا الدين يشمل الدين الخالص للعباد كالقرض وثمن مبيع أو نقود او مكيل او موزون

أوحيوان . ويشمل أيضاً الدين الذى هو من حق الله تعالى ولكن له مطالب من جهة العباد كدين الزكاة. فإن الزكاة حق الله وتعلق بها حق العباد . فهذان النوعان من الديون يمنعان وجوب الزكاة بجميع أنواعها إلا زكاة الزروع والثمار .

وتجب زكاة الدين على الدائن إذا كان ثابتاً على المدين ولوكان مفلسا. ولكن لايجب عليه أن يخرج الزكاة عن ذلك الدين إلا بعد قبضه إذا بلغ المقبوض نصابا .

وإذاكان لشريكين مال فلايجب على أحدهما زكاة حتى يكمل لكل منهما ملك نصاب بشروطه لأن مفهوم اشتراط النصاب هو الرفق . فوجب أن يكون من شرط النصاب كونه مملوكاً لواحد .

وهذا هو الظاهر .

وشرط أداء الزكاة: النية بالإجماع . ومن وجبت عليه وقدر على إخراجها لم يجز له تأخيرها .

ومن وجبت عليه ومات قبل أدائها أخذت من تركته عند الأئمة الثلاثة . وعندم الإمام أبى حنيفة : تسقط بالموت . ومن امتنع عن إخراجها بخلا أخذت منه وبعذر .

وتجب فى مال الصبى والمجنون عند الإمامين الشافعى ومالك . وعند الإمام أحمد : تجب فى مال الصغير والمجنون . والمخاطب بإخراجها وليهما . وعند الامام أبى حنيفة : لا زكاة فى مالهما . ويجب العشر فى زرعهما .

والمكاتب لاتجب عليه الزكاة عند الأئمة الثلاثة . وعندالامام أبى حنيفة : يجب العشر فى زرعه لأنهما سواء. والمرتد لايسقط ماوجب عليه فى حال إسلامه عند الأئمة الثلاثة وعند الامام أبى حنيفة . يسقط ولا شيء عليه .

وتعجيلهاجائز قبل الحول إذا وجد النصاب عند الأئمة الثلاثة . وعند الامام مالك لايجوز .

زكاة النعم — أجمعوا على وجوب الزكاة فى النعم . وهى الابل والبقر والجواميس والغنم والمعز بشرط كمال النصاب واستقرار الملك وكمال الحول . وكون المالك حراً مسلما .

واتفقوا على وجوبها فى السوائم . وهى التى ترعى الكلأ المباح . إلاالامام مالك فإنه قال: بوجوبها فى العوامل من الابل والبقر والمعلوف من الغنم . كإيجابه ذلك فى السائمة .

وأجمعوا على أن النصاب فى الابل خمس وفيه شاة : وفى عشر شاتان . وفى خمسة عشر ثلاث شياه وفى العشرين أربع شياه . وفى خمس وعشرين بنت مخاض ، وهى مالها سنة كاملة ، وسميت بذلك لأن أمها آن لها أن تحمل مرة أخرى فتصير من المخاض ، أى الحوامل ، وفى ست وثلاثين بنت لبون . وهى مالها سنتان كاملتان . سميت بذلك لأن أمها آن لها أن تلد فتصير لبوناً . أى ذات لبن . وفى ست وأربعين : حقة . وهى مالها ثلاث سنين تامة . سميت بذلك لأنها استحقت أن تركب ويحمل عليها. أو أن يطرقها الفحل . وفى إحدى وستين : جذعة ، وهى مالها اربع سنين تامة ، سميت بذلك لأنها

أجذعت أى أسقطت مقدم أسنانها . وفى ست وسبعين بنتا لبون . وفى إحدى وتسعين حقتان . فإذا زادت على عشرين ومائة اختلفوا فى ذلك . فقال الإمام أبو حنيفة : تستأنف الفريضة بعد العشرين ومائة . فإذا بلغت مائه وستا وتسعين ، ففيها أربع حقاق إلى مائتين . ثم تستأنف الفريضة أيضاً . وقال الإمامان الشافعى وأحمد : فى مائة وإحدى وعشرين ثلاث بنات لبون . ثم يستمر ذلك إلى مائة وثلاثين فيتغير الواجب فيها . وفى كل عشر بعدها . فى كل أربعين حقة : وفى خمسين بنت لبون . وعند الإمام مالك ؛ إذا زادت على عشرين ومائة فالساعى بالخيار بين أن يأخذ ثلاث بنات لبون . أو حقتين .

واتفقوا على أن النصاب فى البقر . والمراد بالبقر ما يشمل الجواميس ثلاثون . وفيها تبيع . وهو ماله سنة كاملة . سمى بذلك لأنه يتبع أمه فى المرعى . فإذا بلغت أربعين . ففيها : مسنة ، وهى مالها سنتان كاملتان . سميت بذلك لتكامل أسنانها . وفى ستين . تبيعان . وفى سبعين : تبيع ومسنة . وعلى هذا أبدا . كل ثلاثين . وفى كل أربعين مسنة .

وأجمعوا على أن نصاب الغنم : أربعون . وفيها شاة . ثم لا شىء فيما زاد حتى تبلغ مائة وإحدى وعشرين . ففيها شاتان . وفى مائتين وواحدة . ثلاث شياه .

والضأن والمعز سواء . وما بين الفريضتين معفو عنه . فلا زكاة فيه .

واتفقوا على أن الخيل إذا كانت معدة للتجارة ففى قيمتها الزكاة إذا بلغت نصاباً . أى القيمة . فإن لم تكن للتجارة فلا زكاة فيها عند الأئمة الثلاثة . وعند الإمام أبى حنيفة : إذا كانت سائمة ففيها الزكاة إذا كانت ذكوراً وإناثاً أو إناثاً فقط . وإن كانت ذكوراً منفردة فلا زكاة فيها .

زكاة الذهب والفضة : أجمعوا على أنه لا زكاة فى غير الذهب والفضة من الجواهر كاللؤلؤ وغيره عند سائر الفقهاء . وأجمعوا على أن النصاب فى الذهب والفضة مضروباً أو غير مضروب : عشرون مثقالا من الذهب . ومائتا درهم من الفضة . فإذا بلغت ذلك وحال عليها الحول ، ففيها : ربع العشر .

واختلفوا فى زيادة النصاب ؛ فقال الأئمة الثلاثة : تجب الزكاة فى الزيادة بالحساب . وقال الإمام أبو حنيفة : لا زكاة فيما زاد على المائتى درهم والعشرين مثقالا حتى يبلغ الزائد أربعين درهما فيكون فيها درهم وأربعة مثاقيل . فيكون فيها قيراطان .

وقيمة العشرين مثقالا ذهباً : تعادل أحد عشر جنيهاً مصرياً ونصفاً وربعاً وثمناً . وقيمة ذلك بالقرش المصرية ١١٨٧ قرشا ونصف قرش ، وقيمة المائتى درهم : ستة وعشرين ريالا مصريا وتسعة قروش وثلثى قرش . وقيمة النصاب بالجنيه الإنجليزى : اثنا عشر جنيها وثمن جنيه إنجليزى . وقيمة النصاب بالبنتو : خمسة عشر بنتو وخمسا خمس . وقيمة النصاب من المجر ؛ خمسة وعشرون مجراً وثمانية أتساع . وقيمة النصاب من البندق : خمسة وعشرون بندقيا ونصف بندق .

والواجب فى الزكاة : هو إخراج اثنين ونصف فى المائة من المال ما لم يقل عن النصاب المقرر

شرعاً فلا زكاة فيه . ولا تجب الزكاة إلا على من ملك نصاباً خالياً من الديون وغير محتاج إليه فى لوازمه الضرورية . بشرط أن يحول عليه الحول ويقدر على استثماره ولو تقديراً عند الإمام أبى حنيفة . وعند الإمامين الشافعى ومالك : لا يمنع وجوبها عندهما كما سبق . وعند الامام أحمد : يجب على من ملك نصاباً خالياً من الدين إذا حال عليه الحول .

والحلى المباح المصنوع من الذهب والفضة إذا كان مما يلبس ويعار فلا زكاة فيه عند الأئمة الثلاثة . فعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن السيدة عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تلى بنات أخيها يتامى فى حجرها لهن الحلى فلا تخرج عن حليهن الزكاة : وعن نافع أن عبد الله بن عمر : كان يحلى بناته وجواريه الذهب ثم لا يخرج من حليهن الزكاة : وعند الإمام أحمد وبعض أصحاب الإمام مالك إذا كان معداً للاجارة فتجب فيه الزكاة .

وتمويه السقوف بالذهب والفضة ، واتخاذ الأوانى من الذهب والفضة واقتناؤهما محرم عند الامامين الشافعى وأحمد وعند الإمامين أبى حنيفه ومالك جائز مع الكراهة .

وقد جاء فى كتاب المواهب اللدنية للقسطلانى الجزء الأول منه ما يأتى :

النهى عن التختم بالذهب وهو مذهب الأئمة الأربعة مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد وأكثر العلماء .

ورخصت فيه طائفة . منهم إسحاق بن راهوية . قال : مات خمسة من أصحابه عليه الصلاة والسلام خواتيمهم من الذهب ، قال مصعب بن سعد رأيت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم من ذهب . وعن حمزة بن أبى أسيد والزبير بن المنذر بن أبى أسيد : أنهما نزعا من يد أبى أسيد خاتماً من ذهب حين مات . وكان بدرياً . رواهما البخارى فى تاريخه . وروى النسائى عن سعيد بن المسيب .

قال قال : عثمان لصهيب : ما لى أرى عليك خاتم الذهب ؟ فقال : قد رآه من هو خير منك فلم يعبه . قال : من هو ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زكاة التجارة : أجمعوا على أن الزكاة واجبة فى عروض التجارة . والواجب فيها ربع العشر . وزكاة التجارة تتعلق بالقيمة وتمام الحول . بأن تقوم بما اشتريت به من ذهب أو فضة . وإن بلغت نصابا وجب فيها ربع العشر . وما زاد فبحسابه . وليس فى دار السكنى وثياب البدن وأثاث المنازل ودواب الركوب وعبيد الخدم وسلاح الاستعمال زكاة إجماعا . ولا زكاة فى عروض التجارة إلا إذا بلغت نصابا مقوما من الذهب أو الفضة . وتقوم بالمضروبة منها . وله تقويمها بأى النوعين شاء .

زكاة الزروع والثمار : اتفقوا على أن النصاب فى الزروع والثمار . خمسة أوسق . وما زاد فبحسابه والوسق ستون صاعا . والصاع أربعة أمداد . والمد ملء اليدين المتوسطتين . ومقدارها بالكيل أربعة أرادب وسدس . وأن المقدار الواجب من ذلك : العشر إن شرب الزرع من مطر أو من نهر بغير عمل . وإن شرب بالنضح أو بالدولاب أو بماء اشتراه . فنصف العشر عند الأئمة الثلاثة وعند الإمام

أحمد : إذا كان السقى بلا كلفة ولو بماء اشتراه . فالواجب العشر . والنصاب معتبر فى الثمار والزروع إلا عند الإمام أبى حنيفة . فيجب عنده العشر فى القليل والكثير .

واختلفوا فى الجنس الذى تجب فيه الزكاة . فقال الإمام أبو حنيفة فى كل ما أخرجت الأرض من الثمار والزروع سواء سقته السماء أو سقى بنضح إلا الحطب والحشيش ، أى النبات الأخضر الذى تأكله الدواب ، والقصب الفارسى . وقال الإمامان مالك والشافعى . تجب فى كل ما ادخر واقتيت به كالحنطة والشعير وثمرة النخل والكرم . وقال الإمام أحمد : تجب فى كل ما يكال ويدخر من الثمار ، والزروع ، ولا زكاة فى القطن بالاتفاق .

واختلفوا فى العسل . فقال الإمامان أبو حنيفة وأحمد ، فيه العشر : وقال الإمام مالك والإمام الشافعى . لا زكاة فيه . ولا تجب الزكاة إلا فى نصاب من كل جنس فلا يضم جنس إلى جنس آخر عند الأئمة الثلاثة . وعند الإمام مالك تضم الحنطة إلى الشعير فى إكمال النصاب . وإذا أخرج العشر من الثمار أو الحب وبقى عنده بعد ذلك سنين لا يجب فيه شىء آخر بالإتفاق .

وقد قال الأئمة الثلاثة : إن مالك الأرض إذا أجرها فزكاتها أى ما يستحق عليها من الزكاة على الزارع . وقال الإمام أبو حنيفة : إن زكاة الأرض المؤجرة على صاحب الأرض .

زكاة الفطر : واجبة على الكبير والصغير بالاتفاق ، وعن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنها تجب على كل من أطاق الصلاة والصوم . وعن سعيد بن المسيب ، إنها لا تجب إلا على من صام وصلى .

ويجب على الزوج فطرة زوجته كما تجب نفقتها عند الأئمة الثلاثة . وعند الامام أبى حنيفة : لا تجب عليه زكاة زوجته . ولا تطلب إلا ممن كان قادراً على قوت نفسه وقوت عياله يوم العيد وليلته عند الأئمة الثلاثة . وعند الامام أبى حنيفة : لا تجب إلا على من ملك نصاباً . أى من الذهب والفضة . فاضلا عن مسكنه وعبده وفرسه وسلاحه .

وتجب على من مات بعد الغروب ، بخلاف ما إذا ولد بعده . واختلفوا فى وقت وجوبها . فقال الامام أبو حنيفة : تجب بطلوع فجر أول يوم من شوال . وقال الائمة الثلاثة : تجب بغروب الشمس ليلة العيد .

واتفقوا على أنها لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب بل تصير ديناً حتى تؤدى .

ولا يجوز تأخيرها عن يوم العيد بالاتفاق . خلافا لقول ابن سيرين والنخعى من جواز تأخيرها عن يوم العيد : قال الامام أحمد ، وأرجو أن لا يكون به بأس ، وحجتهم أنه لم يرد فى ذلك نص بوجوب تخصيص اليوم عند القائل بذلك . وأما خبر أغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم فهو محمول عنده على الاستحباب .

واتفقوا على أنه يجوز إخراجها من خمسة أصناف : البر والشعير والتمر والزبيب والأقط إذا كان

قوتا وقال الإمام أبو حنيفة ، الأقط ، وهو طعام يعمل من اللبن المخيض ، لا يجزىء أصلا بنفسه .

ويجزىء قيمته وقال الإمام الشافعى ، كل ما يجب فيه العشر فهو صالح لإخراجها ، وجوز الإمام أبو حنيفة إخراج القيمة عن الفطرة ، وإخراج التمر فى الفطرة أفضل عند الإمامين مالك وأحمد ، وعند الإمام الشافعى ، البر أفضل ، والمعتمد عنده أن زكاة الفطر تخرج من غالب قوت البلد . وقيل من غالب قوت الشخص نفسه ، وقيل يتخير بين جميع الأقوات التى تخرج منها الفطرة ، وهى . البر ثم السلت ، وهو الشعير النبوى ، ثم الشعير ثم الذرة ثم الأرز ثم الحمص ثم العدس ثم الفول ثم التمر ثم الزبيب ثم الأقط ثم اللبن ثم الجبن ، ويجزىء الأعلى منها عن الأدنى ، ولا يجوز تبعيض الصاع من قوتين وإن كان أحدهما أعلى من الواجب كأن وجب الشعير فأخرج نصف صاع منه ونصف من البر وعلى القول بالتخيير بين الأقوات ، له الإخراج من جنسين ، وفى القليوبى على الجـلال أنه يجزىء الاخراج من المختلط إذا كانت حبات الشعير أكثر أو مساوية لحبات البر . أما إذا كانت حبات البر أكثر فلا يجزىء إلا إذا كان خالص البر منه قدر الواجب . وأفاد الشرقاوى على التحرير أنه لو كان فى البر قليل من الشعير تسومح به أى بالشعير القليل فيجزىء إخراجه .

وقال الامامان مالك والشافعى . أنه لا يجزىء دقيق ولا سويق . وقال الامام أبو حنيفه إنهما يجزئان أصلاً بأنفسهما . وبه قال الأنماطى من أئمة الشافعية .

والمراد بالبلد ، المحل الذى يكون فيه وقت الوجوب بلدا كان أو غيره . فمن غربت عليه شمس آخر يوم من رمضان بمحل وجب عليه أن يخرج فطرته من غالب قوت ذلك المحل . ويلزمه صرفها لمستحقيه . نعم لو عجلها بمحل ثم سافر منه لآخر فغربت عليه الشمس فيه آخر يوم من رمضان أجزأت . ولا يلزمه أن يخرجها فى المحل الآخر ثانيا .

وعند السادة المالكية . تخرج الفطرة من تسعة أصناف هى . القمح والشعير والسلت والذرة والدخن والأرز والتمر والزبيب والأقط . فإن وجدت كلها مع اقتيات جميعها تخير فى الاخراج من أيها شاء . وإن وجدت مع غلبة اقتيات واحد منها تعين الاخراج من ذلك الأغلب . ويجزىء الأعلى والمساوى منه .

وقالت السادة الحنفية والحنابلة : لايجب الاخراج من غالب قوت أهل المحل بل يخير بين الأصناف الواردة فى الحديث . وهى : البر والزبيب والتمر والشعير ومثل البر والشعير دقيقهما وسويقهما كما قال الحنفية .

واتفق الأئمة على أن الواجب صاع إلا الحنفية فيجزىء عندهم من الزبيب نصف صاع . وكذلك البر ودقيقه وسويقه . والصاع بالكيل المصرى قدحان وثلث عند الامام أبى حنيفة . وعند الامام الشافعى قدحان . قال الشرقاوى : ومن المعلوم أن القدحين الآن يزيدان على ذلك الكيل . ثم وجدنا فى حاشية الصفتى نقلا عن الأجهورى أن الصاع بالكيل المصرى قدح وثلث . أن الربع المصرى أى نصف الكيلة يجزىء عن ثلاثة .

وتصرف الزكاة المذكورين في الآية الكريمة في قول الله عز وجل (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل (فعند الإمام أبي حنيفة : أن الفقير هو الذي يملك أقل من النصاب أو يملك نصاباً غير تام يستغرق حاجته وصرفها للفقير العالم أفضل . والمسكين هو الذي لا يملك شيئاً أصلا . والعامل هو الذي نصبه الإمام لأخذ الصدقات والعشور . والمؤلفة قلوبهم تأنيهم منعوا من الزكاة في خلافة سيدنا أبي بكر الصديق والرقاب . هم الأرقاء المكاتبون . والغارم . هو الذي عليه دين ولا يملك نصابا كاملا بعد دينه . وفي سبيل الله . هم الفقراء المنقطعون للغزو في سبيل الله . وابن السبيل ، هو الغريب المنقطع عن ماله .

وعند الإمام مالك : الفقير هو من يملك من المال أقل من كفاية العام . والمسكين هو من لا يملك شيئاً أصلا ، والعامل على الزكاة كالساعي والكاتب والمفرق ، وفي الرقاب . الرقبة رقيق مسلم يشترى من الزكاة ويعتق ويكون ولاؤه للمسلمين . والغارم ، هو المدين الذي لا يملك ما يوفى به دينه . والمجاهد يعطى من الزكاة . وابن السبيل ، هو الغريب المحتاج لما يوصله لوطنه .

وعند الإمام أحمد . الفقير . هو من لا يجد شيئا أو لم يجد نصف كفايته . والمسكين . هو من يجد نصفها أو أكثر ، والعامل عليها . هو كل من يحتاج إليه في تحصيل الزكاة . والمؤلف ، هو السيد المطاع في عشيرته ممن يرجى إسلامه أو يخشى شره أو يرجى قوة إيمانه أو إسلام نظيره من الكفار أو يحتاج إليه في جبايتها ممن لا يعطيها . والرقاب ، هو المكاتب ولو قبل حلول شيء من دين الكتابة . والغارم ، هو من استدان للاصلاح بين الناس أو استدان لإصلاح نفسه من أمر مباح أو محرم وتاب . وفي سبيل الله ، هو الغازي إن لم يكن هناك ديوان ينفق منه عليه .

وقد قال الأئمة الأربعة : إنه يجوز صرف الزكاة وإخراجها لبناء مسجد أو تكفين ميت ، قاله في الميزان للشعراني .

وقد كان مكتوباً على أحد سيوف النبي صلى الله عليه وسلم البيت الآتي :

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وعند الإمام الشافعي : الفقير . هو من لا مال له أصلا ولا كسب من حلال أو له مال أو كسب من حلال لا يكفيه . والمسكين . هو من قدر على مال أو كسب حلال يساوي نصف ما يكفيه في العمر الغالب . أو أكثر من النصف والعامل . هو من له دخل في جمع الزكاة . والمؤلفة قلوبهم . هم ضعيف الإيمان الذي أسلم حديثا ومن أسلم وله شرف في قومه . ومسلم قوى الايمان يتوقع بإعطائه أن يكفينا شر من وراءه من الكفار . ومن يكفينا شر مانع الزكاة . والرقاب ، هو المكاتب ، والغارم ، هو المدين وفي سبيل الله ، هو المجاهد المتطوع للغزو وليس له نصيب من المخصصات للغزاة في الديوان وابن السبيل هو المسافر من بلد الزكاة أو المار بها فيعطى منها ما يوصله لمقصده أو لماله .

واتفقوا على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلى الوالدين وإن علوا ، والمولودين وإن سفلوا .

إلا الإمام مالكا فإنه أجازها إلى الجد والجدة وبنى البنين لسقوط نفقتهم عنده . واتفق الأئمة الثلاثة على جواز صرف فطرة جماعة إلى مسكين واحد ، خلافا للإمام الشافعي فإنه قال : لابد من تعميم الأصناف . ولا يقتصر على أقل من ثلاثة من كل صنف ، واختار آخرون منهم الشيرازي وابن المنذر جواز صرف الزكاة لواحد قال الأذرعي : وعليه العمل في سائر الأعصار والأمصار . قال : وهو المختار ، لكن الأحوط دفعها إلى ثلاثة .

وفى التحفة والنهاية نقل الروياني عن الأئمة الثلاثة وآخرين دفع زكاة المال أيضاً إلى ثلاثة من أهل السهمان . قال : وهو الاختيار ، أى من حيث الفتوى لتعذر العمل بمذهب الشافعي ، ولو كان حياً لأفتى به .

وإذا أخرج فطرته جاز له أخذها إذا دفعت إليه وكان محتاجا عند الأئمة الثلاثة ، وعند الإمام مالك لا يجوز .

وقد سئل ابن حجر الهيتمي كما جاء فى فتاويه عما حكى عن الفقيه أحمد بن موسى أنه قال : ثلاث مسائل لا يفتى بها على مذهب الإمام الشافعي بل على مذهب الإمام أبي حنيفة . وهن نقل الزكاة ودفع زكاة شخص إلى صنف واحد ، وإلى شخص واحد .

وقال الأصبحي فى فتاويه فى الجواب عن ذلك ، أعلم أن ماحكى عن الفقيه أحمد بن موسى قد حكى مثله عن غيره من أكابر الأئمة كالشيخ أبي إسحاق والشيخ يحيى بن أبي الخير والفقيه الأحنف وغيرهم وإليه ذهب أكثر المتأخرين . وإنما دعاهم إلى ذلك عسر الأمر . وقد قال الله تعالى : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) فهل مانقل عن هؤلاء صحيح ؟ فما تحقيق ذلك ؟ وهل يجوز تقليدهم فى ذلك أم لا ؟ فأجاب مانقل عن الأئمة المذكورين لا بأس به فى التقليد فيه لعسر الأمر فيه سيما الأخيرتان . ومعنى القول بأنها لا يفتى فيها على مذهب الامام الشافعي أنه لا بأس لمن استفتى فى ذلك أن يرشده مستفتيه إلى السهولة والتيسير ويبين له وجه ذلك بذكر الشروط عند الشافعي . فإن وطن نفسه على تحمل تلك المشاق ورعاية مذهبه فهو الأولى لكثرة الخلاف فى جواز التقليد وعسر استيفاء شروطه . إذ يلزم من قلد إماماً فى مسئلة أن يعرف جميع ما يتعلق بتلك المسألة فى مذهب ذلك الامام . ولا يجوز له التلفيق مثال ذلك من قلد مالكا فى طهارة الكلب . لزمه أن يجرى على مذهبه فى مراعاة سائر ما يقول به من النجاسات ويلزمه أن يراعى مذهبه فى الطهارة كالوضوء والغسل . فيمسح رأسه كلها فى وضوئه ويوالى فى وضوئه وغسله ويدلك أعضاءه فيهما . وكذلك يلزمه أن يراعى مذهبه فى الصلاة فيأتى بجميع ما يوجبه فيها . ومتى لم يفعل ذلك كأن مسه كلب فلم يسبع ثم مسح بعض رأسه فى وضوئه وصلى كانت صلاته باطلة بالاجماع لأنه لم يجر على ماقاله الشافعي وحده ولا على ماقاله مالك وحده وإنما لفق بين المذهبين وهذا رأى الامام ابن حجر . أما رأى غيره من العلماء فأفتوا بأنه وإن كان شافعياً فله تقليد الامام مالك ويمسح بعض رأسه على مذهبه لموافقة القول الذى قال به الامام مالك من الاكتفاء بمسح بعض الرأس أنظر الفتوى التى تقدمت بهذا الكتاب فى التحدث عن النجاسات .

واتفقوا على أنه يجوز تعجيل صرف الزكاة . أى زكاة الفطر . قبل العيد بيوم أو يومين . واختلفوا فيما زاد على ذلك . فقال الإمام أبو حنيفة : يجوز تقديمها على شهر رمضان . وقال الإمام الشافعى : يجوز التقديم من أول الشهر . وقال الامامان مالك وأحمد : يجوز التقديم باليوم واليومين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر .

قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه : قد كنت أترخص فى ترك إخراج زكاة فطرى مدة عمرى لكونى ما ملكت قط نفقة يوم وليلة فى ليلة العيد . إلى أن دخلت سنة خمسين وتسعمائة . فرأيت فى واقعة عقب العيد . أننى فى أرض فضاء واسعة وفيها خلق كثير معهم شىء كالأرائك التى يتكأ عليها وكل واحد يرمى أريكته نحو السماء فتصعد نحو أربعة أذرع وترجع إلى الأرض . فرميت أنا الآخر أريكتى فصعدت يسيرا ورجعت . فقلت للملك من الملائكة بجنبى : ما هذا ؟ فقال لى : تنظر هذه الأرائك كلها وأصحابها ؟ فقلت : نعم . فقال : هؤلاء الذين صاموا رمضان ولم يخرجوا زكاة فطرهم . فتطور صومهم كالأريكة جلداً محشواً لا روح فيه . فقلت له : أنا لم أملك قوت يوم وليلة . فقال : أما عندك قميص زائد ؟ أما عندك رداء زائد ؟ أما عندك قبقاب زائد ؟ تبيع ذلك وتشترى به قمحاً وتخرج به زكاتك ؟ فقلت : نعم . فأخرج فإن مثلك لا ينبغى له الأخذ بالرخص . فتذكرت قبقاباً جديداً كان عندى فى صندوق أهداه إلى بعض التجار فبعته . وأخرجت به زكاتى . ومن تلك السنة وأنا أخرج زكاتى وزكاة من تلزمنى نفقته . وتقوى بذلك عندى الحديث الوارد فى أن صوم رمضان موقوف بين السماء والأرض حتى يخرج العبد صدقته .

ويسن لمخرج الزكاة إظهارها وأن يفرقها بنفسه أو بواسطة وكيله ليكون على يقين من وصولها لمستحقيها . ويشترط لصحة إخراجها النية . بأن ينوى مخرجها أن هذا القدر المعين زكاة . وتكون النية عند تفريقها إن لم ينو عند العزل . فإن نوى عند عزل مقدار الزكاة أنه زكاة كفاه ذلك . فإن تركت النية أصلا فلا يعتد بما أخرجه من الزكاة .

ولا يلزم إعلام الآخذ بأن ما أخذه أو ما يعطاه هو من الزكاة . بل يكره لما فيه من كسر قلب الفقير . هذا رأى السادة المالكية . ويرى السادة الأحناف : أنه إذا نوى الزكاة بما يعطيه لصبيان أقاربه أو لمن يأتيه ببشارة ونحوها أجزأه . وكذا ما يدفعه للفقراء من الرجال والنساء فى المواسم والأعياد .

وتكفى النية المقارنة للأداء ولو حكما عند الامام أبى حنيفة كما إذا دفع من غير نية ثم حضرته النية والمال قائم فى يد الفقير فإنه يجزيه .

ونقل صاحب كتاب رحمة الأمة عن الامام الأوزاعى أن إخراج الزكاة لا يفتقر إلى نية .

ويجوز نقل الزكاة من محل وجوبها إلى مكان آخر عند الامام أبى حنيفة مع الكراهة إلا أن ينقلها إلى قرابة محتاجين أو قوم أمس حاجة من أهل بلده فلا يكره النقل . وعند الامام أحمد : لا يجوز

نقلها إلى بلد تقصر فيه الصلاة . ويجوز إلى ما دون ذلك . وقال السادة المالكية : إن النقل يجوز لدون مسافة القصر مطلقاً . وأما نقلها إلى ما فوق مسافة القصر فلا يجوز إلا إذا كان المنقول إليه أحوج من أهل بلد الزكاة . وإلا فلا يجوز . واختاره كابن الصلاح وابن الفركاح وغيرهم . ويجوز للشخص العمل به فى حق نفسه . ذكره القليوبى على الجلال .

ذكر وعيد مانع الزكاة

وفضل الصدقة وآداب العطاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فتكوى بها جبهته وجنباه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . وأخرج البخارى والنسائى عن أبى هريرة مرفوعاً : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك .

والشجاع من الحيات الذى يواثب الفارس والراجل ويقوم على ذنبه ويكون فى الصحارى . وقيل كل حية شجاع . والأقرع من الحيات الذى تمعط رأسه وابيض من السم . والزبيبتان . نقطتان سوداويتان فوق عينيه . ويقال بجانب فمه . وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه . واللهزمتان : شدقاه . وهما جانب الفم .

وكان فى زمن ابن عباس رضى الله عنهما رجل كثير المال فلما مات حفروا له قبراً فوجدوا فيه ثعباناً ثم حفروا غيره فوجدوا ذلك الثعبان فيه حتى حفروا سبع قبور . فسأل ابن عباس أهله عن حاله فقالوا إنه كان يمنع الزكاة فأمرهم بدفنه معه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مانع الزكاة يوم القيامة فى النار أى يكون فيها خالداً إن منعها جاحداً وجوبها ، أو حتى يطهر من خيانته إن لم يجحد وجوبها .

قال المناوى : وفى حلية الأبرار للنووى : أن الله ينزل فى كل سنة ثنتين وسبعين لعنة . لعنة على اليهود ولعنة على النصارى . وسبعين لعنة على مانع الزكاة .

وقال أبو ذر رضى الله تعالى عنه : بشر الذين لا يخرجون الزكاة بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم . وبكى فى أقفائهم يخرج من جباههم .

وروى أن رجلا أودع آخر مائتى دينار ثم مات . فجاءه ولده وطلب الوديعة فدفعها إليه . فادعى الولد الزيادة على ذلك ، فترافعا إلى الحاكم . فقال : احفروا قبر الميت . فحفروه فرأوا مائتى كية بالنار فقال الحاكم : إن الكيات على قدر المال لأنه كان يمنع الزكاة . وروى أنه يجىء مال مانع الزكاة يوم القيامة طوقاً فى عنقه من نار لو أن ذلك الطوق وضع فى الدنيا لا احترقت منه وتقطعت بجبالها وبست

أنهارها وبحارها ، وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب نفس إلا جاء عقداً من نور فى رقبته يشرق ذلك العقد على المؤمنين يوم القيامة حتى يمشى فى نوره على الصراط ويدخل الجنة .

وحكى أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبى سنان . فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال : قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه . قال محمد بن يوسف الفريابى : فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه . فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء . فقلنا له : أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه ؟ قال : بلى . ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب . فقلنا له : قد أطلعك الله على الغيب ؟ قال : لا . ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره . وإذا صوت من قبره يقول : آه . أفردونى وحيداً أقاسى العذاب . قد كنت أصوم . قد كنت أصلى . قال : فأبكانى كلامه . فنبشت عنه التراب لأنظر حاله . وإذا القبر يلمع عليه ناراً وفى عنقه طرق من نار . فحملتنى شفقة الأخوه ومددت يدى لأرفع الطوق من رقبه فاحترقت أصابعى ويدى . ثم أخرج إلينا يده فإذا هى سوداء محترقة . قال : فرددت عليه التراب وانصرفت . فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه . فقلنا : فما كان أخوك يعمل فى الدنيا ؟ قال : كان لا يؤدى الزكاة من ماله . قال : فقلنا هذا تصديق قول الله تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وأخوك عجل له العذاب فى قبره إلى يوم القيامة . قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له قضية الرجل . وقلنا له : يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك . فقال : أولئك لا شك أنهم فى النار . وإنما يريكم الله فى أهل الإيمان لتعتبروا . قال الله تعالى (فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) .

فمنع الزكاة موجب لغضب الله تعالى . وسالب للبركة . وسبب لضياع المال براً وبحراً . وأداؤها موجب لرضا الله تعالى . وسبب لتحصين المال ونموه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ضاع مال فى بر أو بحر إلا من عدم الزكاة وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لم يخرج زكاة ماله سلط الله عليه وجوهاً من الظلم أو الهلكة يصرفه فيها وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة .

وحكى أن نصرانياً سمع هذا الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم فأدى زكاة ماله وقال : لئن صدق فى قوله يظهر ويصير مالى مع شريكى محصناً . وكان شريكه خارجاً فى تجارة لمصر . ولئن ظهر صدق مقالته أسلمت وآمنت . وإن ظهر كذبه خرجت عليه بالسيف وقتلته ، فجاء كتاب من شريكه أن الطريق قطع وسلبت الابل والأموال وكل شىء معنا . فقال : كذب فى قوله : حصنوا أموالكم بالزكاة وقد اديتها ولم يحصن مالى ، فخرج يسعى ومعه سيف مسلول إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليقتله فورد عليه كتاب آخر يقول فيه شريكه : لا تهتم فإنى كنت امام الركب فاستبق نوم إبلى فلاقيتها فى رباط كذا ومضى الركب فقطع عليهم الطريق وانا فى سلامة ومامعى من جميع الأموال والتجارة ، فقال : صادق إنه نبى

حق . وجاءه وقال : يا نبي الله يا محمد عليك السلام أعرض على الإسلام . فعرض عليه فأسلم وحسن إسلامه .

فضل الصدقة وآداب العطاء

أما فضل الصدقة فعظيم وجليل . وقد جاء فى الحديث الشريف : عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال . ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة . أما التى فى الدنيا فتزيد فى الرزق وتكثر المال وتعمر الديار . وأما التى فى الآخرة . فتستر العورة وتصير ظلا فوق الرأس وتكون ستراً من النار . وقال صلى الله عليه وسلم : الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار . وقال صلى الله عليه وسلم : كل امرىء فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس . وقال صلى الله عليه وسلم : من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه باعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين خمسمائة عام . وقال صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يتصدق يوماً أو ليلة إلا حفظ أن يموت من لدغة وهدمة أو موت بغتة . وفى الحديث القدسى : ابن آدم أنفق أنفق عليك . وقد ورد أن ثواب صدقة السر يضاعف على ثواب الصدقة الظاهرة سبعين ضعفاً .

وعد النبى صلى الله عليه وسلم من السبعة الذين يستظلون بظل العرش : من أخفى صدقته حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . وتمام السبعة . إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى . ورجل قلبه معلق بالمساجد . ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال.فقال : إنى أخاف الله . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ردوا مذمة السائل ولا بمثل رأس الطائر من الطعام . وقال صلى الله عليه وسلم : « لو صدق السائل ما أفلح من رده » .

وقال سيدنا عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائباً من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام .

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين إلى غيره . كان يضع طهوره بالليل ويخمره . أى يغطيه . وكان يناول المسكين بيده . وقال صلى الله عليه وسلم : ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان : إنما المسكين المتعفف . اقرؤا إن شئتم : لا يسألون الناس إلحافاً وقال صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا إلا كان فى حفظ الله ما دامت عليه منه رقعة .

وفى الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضى الله تعالى عنها بخمسين ألفاً وإن درعها لمرقع وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يقول : اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا .

وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق . والصوم يبلغك باب الملك

والصدقة تدخلك عليه . وقال ابن مسعود : إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله . ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال يحيي ابن معاذ : ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة . وقال عبد العزيز بن أبي رواد : كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة . كتمان المرض . وكتمان الصدقة وكتمان المصائب .

وكان سيدنا عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول : سمعت قول الله تعالى : (ان تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) . والله يعلم أني أحب السكر . وقال الحسن : لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض .

وقال بعضهم : الصدقة أربعة حروف . صاد . ودال . وقاف . وهاء . فالصاد تصون صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة . والدال تكون دليله على طريق الجنة غداً عند تحير الحلق . والقاف للقربة تقرب صاحبها إلى الله تعالى . والهاء للهداية يهدى الله صاحبها للأعمال الصالحة ليستوجب بها رضوان الله الأكبر .

وروى أن امرأة من بنى إسرائيل كان لها زوج وله أم تكرهها . فلما غاب زوجها كتبت أمه كتاباً على لسانه أنه فارق زوجته . وكان لها ابنان من زوجها . فلما انتهى ذلك الكتاب إليها لحقت بأهلها مع بنيها . وكان لهم ملك يكره إطعام المساكين . فمر بها مسكين ذات يوم وهى تخبز . فقال لها : أطعميني من خبزك . فقالت له : أما علمت أن الملك حرم إطعام المساكين ؟ فقال : بلى . ولكني هالك إن لم تطعميني . فرحمته وأعطته قرصين وقالت له : لا تعلم أحدا . فانصرف بهما . فمر بالحرس . ففتشوه وإذا بالقرصين معه . فقالوا له من أين لك هــذا ؟ فقال : من فلانة . فانصرفوا به إليها . فقالوا لها : أنت أعطيتيه هذين القرصين ؟ قالت : نعم . فقالوا لها : أو ما علمت أن الملك حرم إطعام المساكين ؟ قالت : بلى قالوا : فما حملك على ذلك ؟ قالت : رحمته ورجوت أن يخفي ذلك . فذهبوا بها إلى الملك وأخبروه بالقصة . فسألها فأجابت بمثل ما أجابت به الحرس . وقالت : خفت الله فيه أن يهلك . فأمر الملك بقطع يديها . فقطعتا . وانصرفت إلى منزلها وحملت ابنيها حتى انتهت إلى نهر يجرى فقالت لأحدهما : اسقني من هذا الماء . فلما نزل ليسقيها غرق . فقالت للآخر : أدرك أخاك يا بني . فنزل لينقذ أخاه فغرق هو الآخر . فبقيت وحدها . فأتاها آت . فقال لها : يا أمة الله . ما شأنك هنا . إنى أرى حالك منكرا . فقالت يا عبد الله : دعني : فإن ما بي شغلني عنك . فقال لها بالحاح أخبريني بحالك . فقصت عليه قصتها وأخبرته بهلاك ولديها . فقال لها : أيما أحب إليك ؟ أأرد إليك يديك ، أم أخرج لك ولديك حيين ؟ فقالت : بل تخرج ولدى حيين ، فأخرجهما حيين ، ثم رد عليها يديها وقال : إنما انا رسول الله إليك بعثني رحمة لك بقرصين ، وابناك ثواب لك من الله تعالى برحمتك لذلك المسكين وصبرك على ما أصابك ، واعلمى أن زوجك لم يطلقك فانصرفي إليه فهو فى منزله وقد ماتت أمه : فانصرفت . فوجدت الأمر كما قال لها .

ونعود فنقول : إن صدقة السر تطفىء غضب الرب . وفى الحديث : أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر . وقد كان بعض المخلصين الأجواد يلقى الدراهم بين يدى الفقير أو فى طريقه أو موضع جلوسه بحيث يراه وهو لايعلم من صاحبه .

وبعضهم كان يصر ذلك فى ثوبه وهو نائم فلايعلم من وضعه وصره .

وقد أخبر الله تعالى أن الإخفاء أفضل ومعه يكون تكفير السيئات . فقال سبحانه وتعالى : (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم) . فإن أظهر مسكين نفسه وكشف نفسه للسؤال وآثر الظهور على الصون والتعفف فلابأس أن تظهر معروفك إليه ، فإن أظهرت وزكاتك أوصدقتك فحسن . فقد ندب الله إليه فى قوله تعالى : (وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) وقيل : سراً التطوع وعلانية : الصدقة المفروضة . وأما قوله تعالى : (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء) الآية . كأنها للذين لا يظهرون نفوسهم بالمسألة لما يمنعهم منها من الحياء والتعفف . فمن أظهر نفسه فأظهر إليه ومن أخفاها فأخفى له .

وإذا دعى لك مسكين أو فقير عند الصدقة عليه فاردد عليه مثل دعائه حتى يكون ذلك جزاء لدعائه لك وتخلص لك صدقتك . وإلا كان دعاؤه ومكافأة على معروفك . وقد كان العلماء يتحفظون من ذلك وهو أقرب إلى التواضع . وكانت السيدة عائشة والسيدة أم سلمة رضوان الله تعالى عنهن إذا أرسلتا إلى فقير معروفا قالتا لمن يرسلانه بالصدقة : احفظ ما يدعو به . ثم يردان عليه مثل قوله . ويقولان : حتى تخلص لنا صدقتنا . وفعل ذلك سيدنا عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله تعالى عنهما .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان فيمن قبلكم رجل يأتى وكر طائر كلما أفرخ أخذ فراخه . فشكا ذلك الطائر إلى الله تعالى ما يفعل به . فأوحى الله تعالى إليه إن عاد فسأهلكه . فلما أفرخ ذلك الطير خرج ذلك الرجل كما كان يخرج فبينما هو فى بعض الطريق سأله سائل فأعطاه رغيفاً كان معه يتغذاه ثم مضى حتى أتى الوكر ووضع سلمه ثم صعد فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران إليه . فقالا : ربنا إنك لاتخلف الميعاد ، وقد وعدتنا أنك تهلك هذا إذا عاد وقد عاد وأخذ فرخينا ولم تهلكه فأوحى الله إليهما : ألم تعلما أنى لا أهلك أحداً تصدق بصدقة فى يومه بموتة سوء وقد تصدق ؟ .

وعن بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم قالت : ذبحنا شاة فتصدقنا بها إلا الكتف . فقلت للنبى صلى الله عليه وسلم ما بقى إلا الكتف ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : كلها بقى إلا الكتف .

والأفضل أن تعطى الصدقة للأقارب وذوى الأرحام والجيران ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان ، صدقة ، وصلة . رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : يارسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أهدى ؟ فقال إلى أقربهما منك بابا ، رواه البخارى .

والأفضل فى المعروف أن يؤثر الرجل إخوانه الفقراء أهل العفة والقناعة والحرص على عدم الظهور بالحاجة التى يبذلها من الصدقة والبر على غيرهم من الأجانب . فقد روى عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قوله : لأن أصل أخاً من إخوانى بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة .

وقد كان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم . فقيل له : لو عممت بمعروفك جميع الفقراء . فقال : لا أفعل بل أوثر هؤلاء على غيرهم . قيل له : لم ؟ قال : لأن هؤلاء هممهم الله سبحانه وتعالى فإذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم ، فلأن أرد همة واحد إلى الله تعالى أحب إلى من أن أعطى ألفاً من غيرهم ممن همه الدنيا .

وكان ابن المبارك يجعل معروفه فى أهل العلم خاصة . فقيل له : لو عممت به غيرهم . فقال : إنى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء . فإذا اشتغل قلب العالم بالحاجة أو العيلة لم يتفرغ للعلم ولا يقبل على تعليم الناس . فرأيت أن أعينهم وأكفيهم حاجاتهم لتفرغ قلوبهم للعلم وينشطوا لتعليم الناس .

والصدقة سواء كانت زكاة مفروضة أو صدقة تطوع فإنه يلزم المخرج أن يخرجها طيبة بها نفسه مسروراً بها قلبه مخلصاً بها لربه مبتغياً بها وجهه بغير رياء ولا سمعة ولا تصنع . لا يحب أن يطلع عليها غير الله عز وجل . ولا يرجو فى إعطائها ولا يخاف فى منعها سواه سبحانه وتعالى ، وليكن ناظراً إلى الله تعالى عارفاً بحسن توفيقه له ، وأن يعتقد فضل من يعطيه من الفقراء عليه ولا ينقصه بقلبه ، ولا يزدريه فى نظره .

وليعلم أن الفقير خير منه لأنه جعل طهرة له وزكاة ورفعة ودرجة فى دار المقام والحياة ، وأنه جعل سخرة للفقير وعمارة لدنياه .

كما حدث بعض العارفين قال : اريد منى ترك التكسب وكنت ذا صنعة جليلة فجال فى نفسى : من أين يكون المعاش ؟ فهتف بى هاتف لا أراه : تنقطع إلينا وتتهمنا فيك ؟ علينا ان نخدمك وليا من أوليائنا . او نسخر لك منافقاً من أعدائنا .

ويلزم المتصدق أن لا يمن بصدقته . فقد جاء فى تفسير قوله تعالى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) قال : المن ان تذكرها . والأذى ان تظهرها . قال سفيان . من فسدت صدقته . قيل كيف المن يا أبا نصر ؟ قال : ان تذكره أو تحدث به . وبعضهم يقول : المن ان تستخدمه بالعطاء . والأذى ان تعيره بالفقر . وقيل : المن ان يتكبر عليه لأجل انه اعطاه . والأذى ان ينهره او توبخه بالمسألة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم والامتنان بالمعروف فإنه يبطل الشكر . ويمحق الأجر وقد قيل :

أفسدت بالمن ما أوليت من حسن ... ليس الجواد إذا اسدى بمنان

المن يهدم ما شيدت من كرم هل يرغب الحر فى هدم لبنيان

ومما ينسب للإمام الشافعى رضى الله عنه .

لا تحملن لمن يمن من الأنام عليك منه
واختر لنفسك حظها واصبر فإن الصبر جنه
منن الرجال على القلو ب أشد من وقع الأسنة

ذكر الصيام

وهو الركن الرابع من مبانى الإسلام

والصوم هو ترك الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية من أهله واتفق الأئمة على أنه يتحتم صوم الفرض .

والنذر على كل مسلم بالغ عاقل على صومه خال من حيض أو نفاس . وصوم رمضان فرض عين . قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع . قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات . فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر . وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم) .

وقد قرر الأطباء أن الصوم علاج لكثير من الأمراض كالزلال والبول السكرى وتصلب الشرايين والضغط الدموى . كما أنه نافع للأصحاء نفعاً عظيماً لأنه يساعد على إخراج السموم المتخلفة من الفضلات التى يتم هضمها ولا تتغلب عليها العصارات الهاضمة لكثرة المأكولات والمشروبات المتوالية على المعدة الأمعاء بدون أن تترك فرصة لإتمام هضمها وإزالة بقاياها والتخلص من آثارها المختلفة . وكذلك ينقى أنسجة الجسم من جميع الفضلات البروتينية السامة ويريح أعضاء الإفراز وأعضاء الهضم من المجهود العظيم الذى تقوم به فى هضم وإخراج الفضلات السامة . كما أن كثيراً من الالتهابات المعوية الحادة تعالج بالامتناع وقامتا عن الأكل .

فالمريض إذا خاف بالصوم زيادة المرض . أو تأخر البرء . أو حصول مشقة شديدة . جاز له الفطر . والسادة الحنابلة قالوا : يسن الفطر فى هذه الأحوال . ويكره الصوم . أما إذا غلب على ظنه الهلاك بسبب الصوم أو الضرر الشديد وجب عليه الفطر . فإن كان صحيحاً وظن بالصوم حصول مرض شديد أبيح له الفطر . وقال السادة الحنابلة : يسن له الفطر كالمريض بالفعل . والسادة المالكية قالوا : إذا ظن الصحيح بالصوم هلاكا أو أذى شديداً وجب عليه الفطر كالمريض . خلافا للسادة الشافعية القائلين بأن الصحيح إذا ظن بالصوم حصول المرض له فلا يجوز له الفطر . أما السفر الذى يباح فيه قصر الصلاة فإنه يبيح الفطر فى الصوم بشرط أن يشرع فيه قبل طلوع الفجر بحيث يصل إلى

المكان الذى يبدأ فيه قصر الصلاة قبل طلوع الفجر . فإن كان السفر لا يباح فيه قصـــر الصلاة لم يجز له الفطر . فإذا شرع فى السفر بعد طلوع الفجر حرم عليه الفطر . فلو أفطر فعليه القضاء دون الكفارة .

ويندب للمسافر الصوم إن لم يشق عليه لقوله تعالى (وأن تصوموا خير لكم) فإن شق عليه الصوم كان الفطر أفضل إلا إذا أدى الصوم إلى الخوف على نفسه من التلف فإنه يجب عليه الفطر .

وقد اتفق الأئمة على أن صوم رمضان يجب برؤية الهلال . أو إكمال شعبان ثلاثين يوماً .

وتثبت رؤية الهلال عند الامام أبى حنيفة إذا كانت السماء مصحية بشهادة جمع يقع العلم بخبرهم . وفى الغيم بعدل واحد رجلا كان أو امرأة حراً أو عبداً . وعند الامام مالك : لا يقبل إلا عدلان . وعند الامامين الشافعى وأحمد . عدل واحد . ولا يقبل فى شهادة شوال واحد بالاتفاق . ويكفى فى شهادة العدل أن يقول : أشهد أنى رأيت الهلال . ويشترط أن تكون الشهادة عند الحاكم . ولا بد من حكمه بأن يقول : حكمت بثبوت هلال رمضان . أو ثبت عندى هلال رمضان . فيجب الصوم على من لم ير الهلال بثبوت رؤيته عند الحاكم عند الامام أبى حنيفة . وعند الامام مالك : يجب الصوم على كل من بلغه رؤية العدلين وإن لم يشهدا عند الحاكم . وعند الامام الشافعى : يثبت بالشهادة عند الحاكم وجوب الصوم على العموم . وعند الإمام أحمد : لا يشترط أن تكون الشهادة عند الحاكم ولا الحكم بها متى رآه عدل وجب الصوم على جميع الناس .

فرؤية الهلال بواسطة أحد المراصد الرسمية التابعة لمصلحة الطبيعيات كافية فى ثبوت الرؤية متى كان ذلك بتقرير رسمى . ومذهب مطرف بن الشخير ـ وهو من كبار التابعين ـ أنه إذا غم الهلال أى استتر . رجع إلى الحساب بمسير الشمس والقمر .

وحكى ابن سريج عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه قال : من كان مذهبه الاستدلال بالنجوم ومنازل القمر . ثم تبين له من جهة الاستدلال أن الهلال مرئى وقد غم فإن له أن يعقد الصوم ويجزيه .

وقد أول أصحاب هذا الرأى حديث (فإن غم عليكم فاقدروا له) بأن معنى التقدير له هو عده بالحساب . وإذا جمعنا بين تقرير المرصد وبين تقدير حساب الشمس والقمر والمعروف بقواعد ثابتة فى علمى الفلك والهيئة كان لنا من ذلك نتيجة لاريب فيها . وعلى ذلك يكون ثبوت هلال رمضان وهلال شوال وبقية الأهلة بواسطة المراصد الفلكية مع ما يقرره علماء الفلك والهيئة موجباً للصوم بناء على تلك الرؤية العلمية العملية .

وصوم يوم الشك : يصح صومه مع الكراهة عند الامام أبى حنيفة . ثم إن ظهر أنه من رمضان كفى وإلا فهو تطوع . وعند الامام مالك : يصح صومه مع الكراهة . وإن ظهــر أنه من رمضان فلا يكفى عنه : وعند الامام الشافعى لا يصح صومه عن رمضان ولا تطوعاً إلا أن يوافق عادة له . ويصح صومه عن قضاء ونذر وعند الامام أحمد : إن كانت السماء مصحية كره صومه . وإن كانت

مغيمة وجب صومه . وعن ابن عباس مرفوعاً : لا تصوموا قبل رمضان صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن حال بينكم وبينه سحاب فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً ولا تستقبلوا الشهر استقبالا وفى رواية : (ولا تستقبلوا رمضان بصوم يوم من شعبان) .

واتفقوا على أنه إذا رؤى الهلال فى بلد وجب الصوم على سائر البلاد الأخرى . وأصحاب الامام الشافعى صححوه وقالوا : يلزم حكمه أهل القريب دون البعيد وهى مسافة القصر . وقال النووى : تراعى اختلاف المطالع . فيعتبر فى أهل كل مطلع بلدهم دون البلد الآخر كالحجاز والعراق ومصر والشام .

ويستحب لمن رأى الهلال أن يقول : الله أكبر الله أكبر[1] اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى . ربى وربك الله .

واتفقوا على وجوب النية فى صوم رمضان وأنه لا يصح إلا بها . خلافاً لقول عطاء وزفر من أن صوم رمضان لا يفتقر إلى نية . ولا بد من إيقاع النية ليلا عند الأئمة الثلاثة . خلافاً للإمام أبى حنيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لم يبيت النية قبل الفجر فلا صيام له) ومحل النية القلب . ويسن التلفظ بها . وأقل النية أن يقول : نويت صوم رمضان وأكملها أن يقول : نويت صوم غد عن أداء فرض رمضان هذه السنة لله تعالى . ويسن أن يقول : إيماناً واحتساباً لوجه الله الكريم .

واختلفوا فى وقت النية . فقال الأئمة الثلاثة . وقتها فى صوم رمضان ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر . وقال الامام أبو حنيفة : تجوز من الليل . فإن لم ينو ليلا أجزأته النية إلى قبيل الضحوة الكبرى .

واتفقوا على أن الحائض والنفساء يحرم عليهما الصوم بل لو فعلتاه لم يصح . ويلزمهما قضاؤه .

ويباح للحامل والمرضع الفطر . فعند الامام الشافعى : إذا خافتا على نفسيهما أفطرتا وعليهما القضاء . كما لو خافتا على أنفسهما وولدهما . وإن خافتا على أولادهما فقط أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة . وعند الامام مالك : الحامل والمرضع ولو مستأجرة إذا خافتا بالصوم مرضاً أو زيادته سواء كان الخوف على أنفسهما وولدهما أو أنفسهما فقط . أو ولدهما فقط . يجوز لهما الفطر وعليهما القضاء . ولا فدية على الحامل بخلاف المرضع . فعليها الفدية كالشيخ الكبير . وعند الامام أبى حنيفة : عليهما القضاء ولا كفارة عليهما . وعند الامام أحمد : إذا خافتا على أولادهما فقط أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة . أما إذا خافتا الضرر على أنفسهما وولدهما أو على أنفسهما فقط فعليهما القضاء دون الكفارة .

اما الشيخ الكبير الهرم الذى لا يقدر على الصوم يباح له الفطر وعليه عن كل يوم فدية طعام

---

(١) وقولك الله أكبر ليس معناه أنه أكبر من غيره إذ ليس معه غيره حتى يقال أكبر منه بل كل ما سواه نور من أنوار قدرته وليس من نور الشمس مع الشمس رتبة المعية حتى يقال أنها أكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه أنه أكبر من أن ينال بالحواس ويدرك كنه جلاله بالعقل والقياس بل أكبر من أن يعرفه غيره فانه لا يعرف الله إلا الله اهـ .

قاله ابن عطاء الله السكندرى

مسكين . ومثله المريض الذى لا يرجى برؤه . فإنه لا قضاء عليهما لعدم القدرة . وعلى المريض غير القادر على الصوم الفدية كالشيخ الكبير . ثم إن أخرجاها فلا قضاء عليهما إذا قدرا بعد على الصوم . أما إذا لم يخرجاها ثم قدرا فعليهما القضاء .

والصبى يؤمر بالصوم إذا بلغ سبع سنين . ويضرب عليه لعشر بشرط الإطاقة عند الأئمة الثلاثة وعند الإمام مالك : يكره صوم الصبي والمجنون المطبق غير مخاطب بالصوم إجماعا .

والمريض الذى لا يرجى برؤه والشيخ الكبير لا صوم عليهما . بل تجب عليهما الفدية عند الأئمة الثلاثة . وهى : عن كل يوم « مد » عند الإمام الشافعى . ونصف صاع من بر او صاع من شعير او تمر أو زبيب عند الامام أبى حنيفة . ومد من بر أو نصف صاع من شعير أو تمر أو زبيب أو أقط عند الامام احمد . وعند الامام مالك : المريض الذى لا يرجى برؤه لا صوم عليه ولا فدية . والشيخ الكبير عليه الفدية . وهى مد من طعام عن كل يوم . والمد عند السادة المالكية : هو رطل وثلث . كل رطل مائة وثمانية وعشرون درهما . وبالكيل ثلث قدح مصرى ، والتقدير : ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين . والصاع عند الامام أبى حنيفة : قدحان وثلث بالكيل المصرى . والمد عند الامام الشافعى : نصف قدح مصرى . وهو ثمن الكيلة المصرية ، والصاع عنده قدحان ، والمد عند السادة الحنابلة : رطل وثلث بالعراق ، والرطل العراقى : مائة وثمانية وعشرون درهما . والصاع عندهم قدحان .

وأجمعوا على أن من أصبح صائماً وهو جنب فإن صومه صحيح . وأن المستحب الاغتسال قبل طلوع الفجر .

واتفقوا على ان من أكل وهو يظن أن الشمس قد غابت أو أن الفجر لم يطلع ثم بان الأمر بخلاف ذلك فإنه يجب عليه القضاء .

وأجمعوا على أن من وطىء وهو صائم فى رمضان عامداً من غير عذر كان عاصيا وبطل صومه ولزمه إمساك بقية النهار ، وعليه الكفارة : وهى عتق رقبة مؤمنة سليمة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين غير اليوم الذى يقضيه عن اليوم الذى افسده ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً كل مسكين مد من غالب قوت البلد الذى هو فيه عند الامام الشافعى وعند الامام مالك على التخيير ، وعند الامام ابى حنيفة : عتق رقبة وإن لم تكن مؤمنة . فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين . فإن لم يستطع اطعم ستين مسكينا ، او اعطى كل فقير نصف صاع من بر او صاعا من شعير او تمر او زبيب ، او قيمة ذلك وعند الامام احمد : لا تكفى إلا من البر او الشعير او التمر او الزبيب او الأقط عند يسرها .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت ، قال : ما أهلكك ؟ قال : واقعت امرأتى فى رمضان ، قال : هل تجد ما تعتق رقبة ، قال : لا ، قال : فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين ؟ قال لا . قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟ قال : لا . ثم

جلس السائل . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر « العرق مكتل من خوص النخل » وكان فيه مقدار الكفارة ، فقال : تصدق بهذا . فقال : على أفقر منا يا رسول الله . فو الله ما بين لابتيها وأى جبليها، أهل بيت أحوج إليه منا . فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه . ثم قال : أذهب فأطعمه أهلك .

وهذه خصوصية لهذا الرجل . لأن المفروض فى الكفارة أن لا تعطى لمن فيهم من تجب نفقته عليه من المساكين بأن يعطى كل مسكين مد من غالب قوت البلد . ولا يجزىء بدله الغذاء ولا العشاء عند السادة المالكية والشافعية : كما لا يجزىء عند السادة الحنابلة أن يعطى المساكين خبزا أو حبا معيبا .

أما السادة الأحناف فقد قالوا : يكفى فى إطعام الستين مسكينا ان يشبعهم فى غدائين أو عشائين . أو فطور وسحور . أو يدفع لكل فقير نصف صاع من القمح أو قيمته . أو صاعا من الشعير أو التمر أو الزبيب ، والصاع عندهم قدحان وثلث بالكيل المصرى . ويجب أن لا يكون فى المساكين من تلزمه نفقته كأصوله وفروعه وزوجته .

والقبلة فى الصوم محرمة اتفاقا . ومن قبل فأمذى لم يفطر عند الامامين أبى حنيفة والشافعى . وعند الإمام مالك : إذا خرج المذى بلذة معتادة أفطر . وعند الإمام أحمد : يفطر . ولو نظر بشهوة فأنزل لم يبطل صومه عند الإمامين أبى حنيفة والشافعى . وعند الإمام مالك يبطل . وعند الإمام أحمد إذا كرر النظر فأمنى بطل صومه . لا إن أمذى .

ومن ذرعه القىء لم يفطر عند الجمهور . ومن استقاء عامدا فعليه القضاء وجوبا دون كفارة فى المشهور عند الجمهور . ومن رجع إلى حلقه قىء أو بلغم بعد ظهوره على لسانه فعليه القضاء . ومن أدخل أصبعه فى دبره أفطر . ولا يضر دخول ريقه إلى جوفه ولا دخول ذباب أو بعوض أو غبار طريق أو غربلة دقيق إلى جوفه لعسر التحرز منه .

وإذا فعل الصائم شيئا من محظورات الصوم كالجماع والأكل والشرب ناسيا لصومه لم يبطل صومه عند الإمامين أبى حنيفة والشافعى . وعند الإمام مالك : يبطل . وعند الإمام أحمد : يبطل بالجماع دون الأكل . وتجب به الكفارة .

ولا تجب الكفارة الكبرى إلا بالجماع فى صيام رمضان . والإنزال بالمساحقة كالجماع عند الامام أحمد . ومن أفطر عامدا فى جميع أنواع الصيام فعليه القضاء . ولا يكفر إلا فى رمضان عند الامامين أبى حنيفة ومالك . وعند الامامين الشافعى وأحمد : لاقضاء على الصائم المتنفل إذا أفسده ، ومن أفطر فى جميعها ناسيا فعليه القضاء دون الكفارة إلا فى التطوع فلا قضاء ولا كفارة عند الأئمة الثلاثة ، وعند الامام أحمد : عليه الكفارة إذا جامع فى نهار رمضان ، ولو أفسد صومه بغير الجماع سواء جامع ناسيا أو ذاكرا مكرها أو مختارا .

ويستحب تأخير السحور وتعجيل الفطر إذا تحقق غروب الشمس . كما يستحب ان يفطر على تمر أو ماء ، وأن ينزه صومه عن كل ماورد النهى عنه من الغيبة والنميمة والشتم والأذى . وإذا سبه أحد أو شتمه ، قال : اللهم إنى صائم ، وأن يقول عند الافطار : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت .

والأيام التى يسن صومها هى : يوم عرفة لغير حاج ، ويوم عاشوراء . وستة أيام من شوال بعد العيد . ويوم النصف من شعبان . والأيام البيض . وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر .
روى أن سيدنا آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض اسود جسده من أثر المخالفة ، فلما تاب الله عليه أمره أن يصوم الأيام البيض ، فابيض بكل يوم صامه ثلث جسده حتى ابيض جميع جسده بصيام الثلاثة أيام البيض .

ومن الأيام التى يسن صيامها يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع . وصوم العشر الأولى من شهر ذى الحجة . قال النبى صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر كله » وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان صيام الدهر كله » وقال صلى الله عليه وسلم : صيام يوم عرفه احتسب على الله أن يكفر السنه التى قبله والسنة التى بعده . وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله . وقال صلى الله عليه وسلم : ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر . قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم : كان يصوم يوم الاثنين والخميس . فقال : يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا مهاجرين يقول : دعهما حتى يصطلحا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام يوماً ابتغاء وجه الله تعالى بعده الله من جهنم كعبد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرماً : وقال صلى الله عليه وسلم لكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم » .

والأيام التى يحرم صومها هى : يوم عيد النحر وعيد الفطر اتفاقاً ، كما يحرم صوم أيام التشريق الثلاث . وهى التى تعقب يوم الأضحى عند الإمام الشافعى . وعند الامامين أبى حنيفة ومالك : المحرم صومه منها اليوم الأول والثانى فقط . والثالث صومه مكروه عند الامام مالك وعند الامام أحمد : يجوز صوم أيام التشريق لمتمتع وقارن عدما الهدى .

والافطار فى صوم التطوع لا شىء فيه . فالمتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر . قالت أم هانىء : كان يوم الفتح — فتح مكة — جاءت فاطمة فجلست عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم هانىء عن يمينه . قالت : فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فناولته فشرب منه . ثم ناوله أم هانىء فشربت منه . قالت : يا رسول الله لقد أفطرت وكنت صائمة . فقال لها عليه الصلاة والسلام : كنت تقضين شيئاً ؟ قالت : لا . قال فلا يضرك إن كان تطوعاً . وقالت السيدة عائشه رضى الله عنها : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أنا خبأت لك خبيئاً . فقال : أما إنى كنت أريد الصوم ولكن قربيه .

وروى الطبرانى والبيهقى فى شعب الإيمان عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه خرج فى بعض نواحى المدينة ومعه أصحاب له : فوضعوا له السفرة فمر بهم راعى غنم فسلم . فقال له ابن عمر : هلم يا راعى فكل معنا . فقال : إنى صائم . فقال له ابن عمر أتصوم فى هذا اليوم الشديد الحر وأنت

فى هذه الجبال ترعى هذه الغنم ؟ فقال له : إنى والله أبادر أيامى هذه الخالية . فقال له ابن عمر : يريد أن يختبر ورعه : هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونطعمك من لحمها فتفطر عليه ؟ فقال : إنها ليست لى إنها غنم سيدى . فقال له ابن عمر : وما عسى سيدك فاعلا إذا فقدها وقلت أكلها الذئب ؟ فولى الراعى عنه وهو يقول : فأين الله ؟ يرفع بها صوته ويشير بأصبعه إلى السماء . فجعل ابن عمر يردد قول الراعى : فأين الله ؟ فلما قدم ابن عمر المدينة اشترى العبد الراعى والغنم . ثم أعتق العبد ووهب له الأغنام .

ذكر فضائل الصوم ووصف الصائمين

صوم الخصوص حفظ الجوارح وغض البصر عن الاتساع فى النظر وصون السمع عن الإصغاء إلى محرم والقعود مع أهل الباطل وحفظ اللسان عن الخوض فيما لا يعنى ومراعاة القلب بعكوف الهم عليه وقطع الخواطر والأفكار التى كف عن فعلها وترك التمنى الذى لا يجدى . وكف اليد عن البطش إلى محرم من مكسب أو فاحشة . فمن صام بهذه الجوارح وأفطر بجارحتين الأكل والشرب والجماع فهو عند الله من الصائمين . لأنه من الموقنين الحافظين للحدود . ومن أفطر ببعض جوارحه وصام بجارحتين البطن الفرج . فما ضيع أكثر مما حفظ وهو مفطر عند العلماء صائم عند نفسه .

وقد قال أبو الدرداء : أيا حبذا نوم الأكياس . كيف يعيبون قيام الحمقى وصومهم ؟ ولذرة من تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين .

ومن فضائل الصوم أن يجتنب من حظوظ هذه الجوارح الشبهات من الأشياء وفضول الحلال . ورفض الشهوة الداعية إلى العادات . ولا يفطر إلا على حلال متقللا منه . فبذلك يزكو صومه . ولا يقبل امرأته فى صومه . ولا يباشر بظاهر جسمه . فإن ذلك إن لم يبطل صومه فإنه ينقصه : وتركه أفضل إلا لقوى متمكن مالك لإربه ، وليقل نومه بالنهار ليعقل صومه بعمارة الأذكار وليجد مس جوعه وعطشه . وقد كانوا يتسحرون بالتمرتين والثلاث وبالحبات من الزبيب والجرعة من الماء . ومنهم من كان يقضم من شعير دابته التماساً لبركة السحور . وليكثر من ذكر الله تعالى وليقلل من ذكر الخلق بلسانه ويسقط الاهتمام بهم عن قلبه . فذلك أزكى لصومه . ولا يجادل ولا يخاصم وإن شتم أو ضرب لم يكافىء على ذلك لأجل حرمة الصوم . ولا يهتم لعشائه قبل وقته . يقال : إن الصائم إذا اهتم بعشائه قبل وقته أو من أول النهار كتبت عليه خطيئة . وليرض باليسير مما قسم له أن يفطر عليه ويشكر الله عز وجل كثيراً عليه .

ومن فضائل الصيام التقلل من الطعام والشراب وتعجيل الفطر بعد تحقق غروب الشمس . وتأخير السحور مع تحقق بقاء الليل وعدم طلوع الفجر . وليفطر على رطب إن كان . وإلا على تمر إن وجد فإنه بركة . أو على شربة ماء فإنه طهور . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يفطر على جرعة ماء . أو مذقة من لبن . أو تمرات . قبل أن يصلى .

وفى الخبر : كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش . قيل : هو الذى يجوع بالنهار ويفطر

على حرام . وقيل هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر بالغيبة من لحوم الناس . وقيل : هو الذى لا يغض بصره ولا يحفظ لسانه عن الآثام .

ويقال : إن العبد إذا كذب أو اغتاب أو سعى فى معصية فى ساعة من صومه خرق صومه . وفى الحديث : الصوم جنة ، مالم يخرقه بكذب أو غيبة . وكانوا يقولون : الغيبة تفطر الصائم . وقد كانوا يتوضئون من أذى المسلم . وروى عن جماعة فى الوضوء مما مست النار : لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إلى من أن أتوضأ من طعام طيب .

وروى عن بشر بن الحارث عن سفيان : من اغتاب فسد صومه . وروى عن ليث عن مجاهد : خصلتان يفسدان الصوم : الغيبة والكذب .

وروى عن جابر عن رسول الله صلى عليه وسلم قوله : خمس يفطرن الصائم ، الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة .

وأوحى الله سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : استعد للقائى وعليك بمدارع الجوع فتقمصها وظمأ الهواجر فتجرعها غصصاً . ياموسى : الجوع مفاتيح طاعتى وسبب الوصلة إلى . يا موسى جالس أهل الظمأ تدم عليك نعمتى ، وجالس أهل المجاعة فهم الذين كشفت عنهم الظلام وأذقتهم طعم محبتى . يا موسى : الجوع لذة النفوس الخيرة ومصابيح القلوب النيرة . يا موسى : عليك بالصيام فنعم الصاحب وقم فى غسق الدجا إذا رقد كل هاجع . يا موسى : الصوم نور قذفته فى قلوب المطيعين ولباس ألبسته أفئدة الورعين وهو مفتاح خدمتى وأول عبادتى .

وفى بعض الكتب المنزلة : إن لم تعلموا أنى أراكم فالخلل فى إيمانكم . وإن علمتم أنى أراكم . فلم جعلتمونى أهون الناظرين إليكم ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) .

هو الرجل تمر به المرأة فى القوم فيريهم أنه يغض بصره عنها ويود أنه يطلع على عورتها ويقدر عليها . وقال فى رواية أخرى : هو الرجل يكون فى القوم فتمر بهم المرأة فيريهم انه يغض بصره عنها ، فإذا رأى من القوم غفلة لحظ إليها ونظر ، فإذا خاف أن يفطنوا غض بصره عنها . فقد اطلع الله على قلبه أنه يود لو نظر إلى عورتها .

وهذا كله شأن المرائين الذين يستخفون بنظر الجبار ، ويهابون الناس أن يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الأوزار .

ويقال : إن من الناس من لم يكمل له صوم رمضان واحد فى عشر رمضانات وفى عشرين مثل سائر الفرائض من الصلاة والزكاة التى يحاسب عليها العبد ، فإن وجدت كاملة وإلا تممت من سائر تطوعه ويقال : إن العبد . يصح له صوم يوم فى خمسة أيام كما تصح له صلاة واحدة بخمس صلوات ترفع له الأوقات ، وفى الخبر : « من اغتاب خرق صومه فليرقع صومه بالاستغفار » .

ويقال إن الله تعالى لم يفترض شيئاً فيرضى بدونه وأنه يطالب بما فرضه ويحاسب على ما أوجبه .

وعفو الله سبحانه وتعالى يأتى على كثير من الذنوب .

والمراد من الصيام مجانبة الآثام لا الجوع والعطش . كما ذكرنا من أمر الصلاة أن المراد بها الانتهاء عن الفحشاء والمنكر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يترك طعامه وشرابه » .

الاعتكاف وأحكامه وفضله

وفضل بناء المساجد

الاعتكاف : هو الإقامة فى المسجد واللبث فيه مع الصوم والنية عند الإمام مالك . وعند الإمامين الشافعى وأحمد ، ليس بشرط للاعتكاف ، وعند الإمام أبى حنيفة : شرط فى الواجب فقط ، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع . قال الله تعالى : (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهر ابيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) وهو واجب إذا كان منذورا ، وإلا فسنة ، وهو الذى فى العشر الأخير من رمضان ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فيها ، لما للعمل فيها من الأجر المضاعف . خاصة ليلة القدر التى يجزى العامل فيها جزاء العامل فى غيرها جزاء كثيرا ، وسميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام .

قيل للحسين بن الفضل : أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال: نعم قال: فما معنى ليلة القدر ؟ قال : سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء والمقدور .

وعن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان . رواه البخارى .

والاعتكاف المستحب : هو الذى يفعل فى غير العشر الأواخر من رمضان من سائر الأزمان .

والصوم شرط لصحة الواجب دون غيره عند الامام أبى حنيفة فقط . واقل الاعتكاف عند الإمامين الشافعى وأحمد : الزيادة على قدر الطمأنينة . ولا حد لأكثره . وأن يكون فى مسجد ، فلا يصح فى غيره .

وشروط صحته : الإسلام والعقل والخلو من الحدث الأكبر .

والأفضل الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان كما نص عليه الامام الشافعى رضى الله عنه وعليه الجمهور .

ومن نذر اعتكاف يوم فأكثر لزمه . وإن نذر اعتكاف ليلة لزمه يوم وليلة عند الإمامين أبى حنيفة ومالك ، وعند الامامين الشافعى وأحمد لزمه مانذره . والمرأة تعتكف فى مسجد بيتها . وهو الموضع أعدته للصلاة . ولا يجوز لها أن تعتكف فى مسجد الجماعة عند الامام أبى حنيفة .

وعند الأئمة الثلاثة : لا يصح اعتكافها إلا فى المسجد كغيرها لأن المسجد شرط لصحة الاعتكاف مطلقا بلا كراهة . ولا يصح اعتكافها بغير إذن زوجها اتفاقا .

ولا يخرج المعتكف من المسجد إلا لحاجة شرعية كالجمعة والعيدين . أو طبيعية وهى مالا بد منه كالبول والغائط والحيض والنفاس والمرض الذى يشق معه المقام فى المسجد . والغسل لو احتلم ولا يمكنه الاغتسال فى المسجد ، فإن خرج بغير عذر مباح فسد اعتكافه اتفاقا .

ويبطل الاعتكاف عند الإمام مالك بالجماع . وتعمد السكر . والردة . وعند الإمام أبى حنيفة : يبطل الاعتكاف الواجب بالوطء والإنزال ودواعيه . وكل ما يبطل الصوم . وعند الإمام الشافعى : يبطل بالجماع والمباشرة بشهوة إن أنزل . وبتعمد السكر . والحيض والنفاس . وعند الإمام أحمد : يبطل بالجماع مطلقاً . وبالشرب إذا سكر به . ولا يبطل بسائر الكبائر ماعدا الردة .

وفى فضل الاعتكاف : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة ـ أى نفساً ـ وفواق الناقة : هو الزمن الذى بين الحلبتين .

وفى فضل بناء المساجد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بنى لله مسجداً ليصلى فيه بنى الله عز وجل له فى الجنة بيتاً أفضل منه . وفى رواية : أوسع منه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بنى مسجداً كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً فى الجنة . وفى رواية كمفحص قطاة لبيضها . ومفحص القطاة . هو مخيمها ، وهو قدر موضع جبهة المصلى . ومفحص بفتح الميم موضعها الذى تجثم فيه وتبيض .

الحـــج

وهو الركن الخامس من أركان الإسلام

الحج فرض عين مرة فى العمر . ثبت بالكتاب والسنة والإجماع . قال الله عز وجل :

(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) وقال تعالى (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى . فمن لم يجد فصام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم . تلك عشرة كاملة . ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام . واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » فيجب : على كل مسلم حر مكلف قادر على نفقة الحج وكل ما تحتاج إليه أسرته ومن تلزمه نفقتهم مدة السفر فى الحج . وعند الأئمة الثلاثة . وعند الإمام أحمد : على الدوام . وأن يكون سليما من الأمراض . وعند الإمامين أبى حنيفة ومالك . ويشترط أن يكون الطريق مأموناً .

فمن توافرت فيه هذه الشروط وجب عليه الحج فوراً عند الأئمة الثلاثة . وعند الإمام الشافعى : على التراخى . ويزاد لوجوبه على المرأة خروج زوجها معها أو محرم لها أو نسوة ثقاة عند الإمامين الشافعى ومالك . وعند الإمام أبى حنيفة : الواجب خروج الزوج أو المحرم فقط . وعند الامام أحمد : النسوة لا تكفى .

أما العمرة : فهى سنة عند الإمامين أبى حنيفة ومالك . فرض عين عند الإمامين الشافعى وأحمد . ومعناها : زيارة البيت الحرام . وأعمالها : إحرام . وطواف وسعى . ثم حلق أو تقصير .

واتفق الأئمة على أنه يصح الحج بكل وجه من الأوجـــه الثلاثة الآتية : وهى (الإفراد) وهو الإحرام بالحج وحده فى زمن . ثم أداء العمرة وحدها بعد الانتهاء من أعمال الحج و (التمتع) وهو الإحرام بالعمرة وحدها فى أشهر الحج ثم أداء الحج وحده بعد الانتهاء من أعمال العمرة و (والقران) وهو الإحرام بالحج والعمرة معاً لأدائهما فى زمن واحد .

وكيفية الاحرام هى : أن يصلى ركعتين ينوى بهما سنة الاحرام . وينوى ما أراد من عمرة أو حج إفراداً . أو تمتعاً . أو قرانا . ويستحب أن يتكلم بلسانه بما نوى بقلبه . فيقول : إذا أراد أن يحرم بالحج : اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وتقبله منى . وإن أراد أن يحرم بالعمرة يقول : اللهم إنى أريد العمرة فيسرها لى وتقبلها منى . وإذا أراد أن يحرم بالعمرة والحج معاً يقول : اللهم إنى أريد العمرة والحج فيسرهما لى وتقبلهما منى .

والتلبية شرط لصحة الاحرام عند الامام أبى حنيفة . واجبة عند الامام مالك . سنة عند الامامين الشافعى وأحمد . وصيغتها : لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يلبى إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقلع الأرض من هاهنا وهاهنا » أى إلى منتهى الأرض . ويستحب أن يقول بعد التلبية : اللهم أعنى على أداء فرض الحج والعمرة وتقبلهما منى .

مواقيت الاحرام : لكل من الحج والعمرة ميقاتان زمانى . ومكانى . فالزمانى للحج يبتدىء من أول يوم من شوال ويستمر إلى قبيل فجر عيد النحر بزمن يسع الاحرام والوقوف بعرفة . فلا يصح الاحرام بالحج قبلها ولا بعدها عند الامام الشافعى . وعند الأئمة الثلاثة يصح قبلها مع الكراهة . والأفضل لمن فى مكة الاحرام من أول يوم من ذى الحجة ولغيرهم متى وصل الميقات : المكانى .

والزمانى للعمرة فى أى يوم من أيام السنة . ويكره الاتيان بها فى خمسة أيام . يوم عرفة . ويوم النحر . وأيام التشريق الثلاثة التى بعده . والمكانى للحج أو مع العمرة : يختلف باختلاف الناس . فهو لمن بمكة من أهلها أو غيرهم ـ نفس مكة ـ فلهم أن يحرموا من أية جهة منها .

والأفضل لأهل مكة . الاحرام من المسجد الحرام . ولغيرهم من المقيمين فيها . الاحرام من المواقيت المحددة لغير أهل مكة . وهى الجحفة لأهل مصر والشام والمغرب ومن يأتى من جهة بلادهم . وهى التى تعرف الآن (برابغ) وذو الحليفة . لأهل المدينة المنورة ومن يأتى من جهتها . وقرن المنازل لأهل نجد ومن يأتى من جهتها . وذات عرق . لأهل العراق والشرق الأقصى ومن يأتى من جهتها . ويلملم . لأهل اليمن والهند ومن يأتى من جهتها . والمسافر إلى مكة فى البحر متى حاذى ميقات إحرامه المقرر له يحرم منه . أما القاطنون بين مكة وهذه المواقيت فيحرمون من مساكنهم .

وميقات العمرة وحدها: الحل لمن بمكة من أهلها أو غيرهم. فيخرج الحاج إليه ويحرم منه. ولغير من بمكة مواقيت الحج المكانية المتقدمة.

ومن بلغ ميقاتاً لم يجز له مجاوزته بغير إحرام. فإن فعل لزمه العود إلى الميقات بالاتفاق. ويجب على المتمتع دم إن لم يكن من حاضرى المسجد الحرام. وهو شاة بالإتفاق.

ويجب دم التمتع بالإحرام بالحج عند الأئمة الثلاثة. وعند الإمام مالك لا يجب حتى يرى جمرة العقبة.

واختلفوا فى وقت إخراجه. فقال الأئمة الثلاثة: لا يجوز ذبح الهدى قبل يوم النحر. وقال الإمام الشافعى: يجوز بعدالفراغ من العمرة. وإذا لم يجد الهدى فى الحرام إما لعدم وجوده أصلا. أو لعجزه عن ثمنه. أو وجده يباع بأكثر من ثمن المثل. أو كان محتاجاً إلى ثمنه انتقل إلى الصوم. وهى ثلاثة أيام فى الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله. ولا تصام الثلاثة أيام عند الإمامين مالك والشافعى إلا بعد الإحرام بالحج. وعند الإمامين أبى حنيفة وأحمد: إذا أحرم بالعمرة جاز له صومها. ولا يجوز صومها فى أيام التشريق عند الإمامين أبى حنيفة والشافعى. وعند الإمامين مالك وأحمد: يجوز.

وأما صوم السبعة أيام: فعند الإمام الشافعى: إذا رجع إلى أهله. وعند الامام مالك: إذا رجع من منى. وعند الامامين أبى حنيفة وأحمد: إذا فرغ من الحج وإن كان بمكة.

محظورات الاحرام: يحرم على المحرم أشياء بالاتفاق. فيحرم عليه لبس المخيط والمحيط فى سائر بدنه أو بعضه. أما المخيط فكالقميص والسراويل والعمامة ونحوها. بخلاف غير المخيط كإزار ورداء. فله أن يشد على وسطه الهميان أو المنطقة وأن يلبس الخاتم وأن يربط على ذكره نحو خرقة للاستبراء. وأن يشد إزاره بنحو (تكة) فلو خالف الرجل فلبس المخيط أو ستر رأسه. أو خالفت المرأة فسترت وجهها أو لبست القفازين بغيرعذر حرم عليهما ولزمتهما الفدية. فإن كان لعذر كبرد أو حر أومرض فلا حرمة وعليهما الفدية. ولا يكره غسل بدنه أو ثوبه بنحو صابون لازالة الأوساخ ولو نبتت شعرة داخل الجفن وتأذى بها جاز نتفها ولا فدية.

ويحرم الجماع ومقدماته كالمفاخذة والاستمناء والتقبيل واللمس بشهوة والتزوج والتزويج: وقتل الصيد واستعمال الطيب وإزالة الشعر والظافر ودهن لحيته ورأسه بسائر الأدهان عند الأئمة الثلاثة خلافاً للامام أحمد فلا يحرم عنده إلا الدهن بالادهان المطيبة.

والمرأة فى ذلك كله كالرجل إلا أنها تلبس المحيط والمخيط فى سائر بدنها وتستررأسها. ولا من كشف وجهها ويديها لأن إحرامها فيهما عند الإمام مالك.

وعند الأئمة الثلاثة: الواجب كشف الوجه فقط. ولها أن تستر وجهها لحاجة كرور الأجانب بقربها ولا يضر التصاق الساتر بوجهها. قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها: كان الركبان يمرون



بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفنا.

ويجوز للمحرم الاغتسال بالسدر والخطمي وما في معناهما كالصابون عند الأئمة الثلاثة خلافاً للإمام أبي حنيفة القائل إن ذلك لا يجوز وتلزمه الفدية. ويجوز لمن حصل على يديه وسخ أن يزيله عند الأئمة الثلاثة خلافاً للإمام مالك القائل إنه يلزمه بإزالته صدقة.

واتفقوا على أن كفارة الحلق على التخيير. ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين ثلاثة آصع. أو صيام ثلاثة أيام. وإذا وطىء المحرم في الحج والعمرة قبل التحلل الأول فسد نسكه ووجب عليه المضي في فاسده والقضاء على الفور بالإتفاق، ويلزمه عند الامام الشافعي بدنة. وعند الامام أحمد يلزمه بدنة بالوطء في الحج. وشاة بالوطء في العمرة. وعند الامام مالك يلزمه هدى. والأفضل أن يكون بدنة. وعند الامام أبي حنيفة: إن وطىء قبل الوقوف فسد حجه ولزمه شاة. وإن كان بعده لم يفسد حجه ولزمه بدنة. وعقد الاحرام لا يرتفع بالوطء في الحالتين بالاتفاق.

مناسك الحج والعمرة: عند الامام الشافعي أركان العمرة: الاحرام والطواف والسعي والحلق أو التقصير والترتيب. وأركان الحج: الاحرام والوقوف بعرفة. ووقته من زوال شمس يوم عرفة إلى فجر يوم النحر. والحلق أو التقصير. وطواف الإفاضة. ويسمى طواف الزيارة. والسعي، وترتيب المعظم.

وواجباته: والمراد بالواجب ما يجب بتركه الفدية. وهي: الإحرام من الميقات، والوقوف بمزدلفة والمبيت بمنى ليالي التشريق. ورمي الجمرات. وطواف الوداع. وشروطه: البدء بالحجر الأسود في الطواف. وستر العورة والطهارة. وكون الطواف سبعة أشواط من وراء الحجر والشاذروان. وجعل السعي بعد الطواف. والبدء بالسعي من الصفا.

وسننه: التلبية مع الاحرام. وطواف القدوم. والمشي في الطواف والسعي مع القدرة. وركعتا الطواف. وعدم الفصل بين السعي والطواف. وموالاة الأشواط في الطواف والسعي. وتأخير صلاة المغرب مع العشاء. والنفرة مع الامام من عرفة. وعدم تأخير الرمي إلى الليل. والترتيب بين الرمي والذبح والحلق. والحلق بالحرم. وأيام النحر. وتأخير طواف الافاضة. وجعل طواف الافاضة أيام النحر.

وعند الامام أحمد: أركان العمرة: الاحرام. والطواف. والسعي. وأركان الحج: الاحرام. والوقوف بعرفة ليلا ونهاراً. وطواف الافاضة. والسعي بين الصفا والمروة. والصفا: هو طرف جبل أبي قبيس. والمروة: طرف جبل قينقاع بمكة. ومقدار ما بين الصفا والمروة سبعمائة وسبعون ذراعاً بذراع اليد.

وواجباته: الاحرام من الميقات. والوقوف بعرفة ليلا. والمبيت بمزدلفة. والمبيت بمنى ليالي

التشريق . ورمى الجمرات . وطواف الوداع . والحلق أو التقصير . وشروط الطواف : البدء بالحجر الأسود فى الطواف . وستر العورة والطهارة . وكون الطواف سبعة أشواط من وراء الحجر والشاذروان . والمشى فى الطواف مع القدرة . وجعل السعى بعد الطواف . والبدء بالسعى من الصفا .

وسننه : التلبية مع الإحرام وبعد السعى وطواف القدوم . والسعى مع القدرة . وركعتا الطواف وعدم الفصل بين السعى والطواف . وتأخير صلاة المغرب مع العشاء . والنفرة مع الإمام من عرفة . وعدم تأخير الرمى والحلق بالحرم . ويوم النحر . وتأخير طواف الإفاضة : وجعل طواف الإفاضة أيام النحر .

وعند الإمام أبى حنيفة : أركان العمرة : الطواف . وأركان الحج الوقوف بعرفة فى وقته . فاكثر طواف الإفاضة . وكونه أربعة أشواط .

وواجباته : الإحرام من الميقات . والسعى للعمرة . والبدء بالسعى من الصفا . وأداء السعى والطواف مع القدرة . والبدء بالحجر الأسود فى الطواف . وستر العورة . وركعتا الطواف . وتأخير صلاة المغرب مع العشاء والنفرة مع الإمام من عرفة . والوقوف بمزدلفة . ورمى الجمرات والحلق أو التقصير . والترتيب بين الرمى والذبح والحلق .

وسننه : السعى . وطواف القدوم . وعدم الفصل بين السعى والطواف وموالاة الأشواط فى السعى والطواف . والمبيت بمنى أيام التشريق وعدم تأخير الرمى إلى الليل . وتأخير طواف الإفاضة عن الرمى وطواف القدوم .

وعند الإمام مالك : أركان العمرة : الإحرام والطواف . والسعى . وأركان الحج : الإحرام . والوقوف بعرفة ليلا . وعرفات كلها موقف . والأفضل موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو عند الصخرات الكبار المفروشة فى أسفل جبل الرحمة . وطواف الإفاضة . والسعى وشروطه ستر العورة فى الطواف والطهارة والبدء فى السعى من الصفا . وكون الطواف سبعة أشواط . والطواف وراء الحجر والشاذروان . مع جعل البيت عن يساره .

وواجباته : التلبية مع الإحرام . وبعد السعى والإحرام من الميقات . وطواف القدوم . والبدء بالحجر الأسود فى الطواف . وركعتا الطواف . ووقوع السعى بعد الطواف . والمشى فى الطواف والسعى مع القدرة . وموالاة الأشواط فيهما . والوقوف بعرفة نهاراً . والوقوف بمزدلفة . والمبيت بمنى ليالى التشريق . ورمى الجمرات . وعدم تأخير الرمى إلى الليل والحلق أو التقصير وتأخير طواف الإفاضة عن الرمى . ووقوع طواف الإفاضة فى أيام النحر إلى آخر شهر ذى الحجة .

وسننه . تأخير صلاة المغرب مع العشاء جميعاً بمزدلفة . والترتيب بين الرمى والحلق والذبح بالحرم .

وجعله أيام النحر . وطواف الوداع وعدم الفصل بين السعي والطواف .

ويبطل كل من الحج والعمرة إذا ترك الشخص ركنا من أركانهما سواء حصل ذلك عمداً أم سهواً . فإن ترك الحاج شيئاً من الواجبات فلا يبطل به الحج أو العمرة . وعليه الفدية فقط عن كل واجب تركه . أما السنن فلا يبطل الحج أو العمرة بتركها اتفاقاً .

ذكر فضائل الحج وآدابه وهيئاته

في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً » : وقال صلى الله عليه وسلم : « من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً » . وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لقد هممت أن أكتب إلى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا . وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاووس : لو علمت رجلا غنياً وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه .

وبعضهم كان له جار موسر فمات قبل أن يحج فلم يصل عليه . وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا . وكان يفسره في هذه الآية (قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) قال : أحج . ومثله فيقول : (رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) قال : أزكي وأحج . وكان يقول هذه الآية أشد على أهل التوحيد .

ومن كان ذا قوة على المشي أو ممن يصلح له أن يؤجر نفسه وأمن التهلكة في خروجه فحج على ذلك كان من الفضل بمكان في فعله . فإن للحاج الماشي بكل قدم يخطوها سبعمائة حسنة والراكب بكل خطوة تخطوها دابته سبعون حسنة .

والقوة على المشي من الاستطاعة عند بعض العلماء .

وفي حديث ابن المنكدر عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . وقال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بر الحج ؟ قال : طيب الكلام وإطعام الطعام . وقيل الحج المبرور : هو الذي لا يخالطه إثم ولا ارتكاب معصية ولا سمعة ولا رياء .

وليتخذ الحاج رفيقاً له صالحاً عالماً محباً للخير معيناً عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه وإن عجز قواه وإن أساء ظنه وضاق صدره وسع صدره وصبره وحسن ظنه ولا يخالف رفيقه ولا يكثر الاعتراض عليه .

وليحسن خلقه مع جميع الناس . ويلين جانبه ويخفض جناحه ويكف أذاه عن الخلق ويحتمل أذاهم

لقول النبي صلى الله عليه وسلم : لوكان المؤمن فى حجر ضب لقيض الله له (أى فيه) من يؤذيه . لرفع درجاته . لأنه تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه . ولا ينظر فيما يفعله إلا لله عز وجل فإن الناس لا يعجبهم شىء .

وإذا المسىء جنى عليك جناية فاقتله بالمعروف لا بالمنكر
أحسن إليه إذا أساء فإنه من ذى الجلال بمسمع وبمنظر

فهذا لقمان قد دخل يوماً السوق وهو راكب حماراً وابنه يسوقه . فقال الناس حين رأوه : شيخ لم يشفق على صبى . فأركبه خلفه . فقالوا : اثنان على حمار هلا زاد ثالثاً ؟ فنزل لقمان وبقى الولد . فقالوا : شيخ ماش وصبى راكب . فنزل الولد يمشى مع والده وساقا الحمار جميعاً . فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه . وكان غرض لقمان بهذا أن يرى ابنه شأن الناس مع من يراعى نظرهم فإنه لا يسلم منهم على أى حالة تكون . فرضى الناس غاية لا تدرك . ولله در القائل :

وما أحد من ألسن الناس سالماً ولو أنه ذاك النبى المطهر
فإن كان مقداماً يقولون أهوج وإن كان مفضالا يقولون مبذر
وإن كان سكيتاً يقولون أبكم وإن كان منطيقاً يقولون مهذر
وإن كان صواماً وبالليل قائماً يقولون زوار يرائى ويمكر
فلا تكترث بالناس فى المدح والثنا ولا تخش غير الله والله أكبر

وينبغى لمريد السفر أن يستودع المولى عز وجل جميع متعلقاته فإنه بفضل الله تعالى بعد عودته من سفره يجد كل ما استودعه على أحسن ما يريد . فقد روى أن سيدنا عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاء رجل معه ابن له . فقال له سيدنا عمر : ما رأيت أحداً أشبه بأحد من هذا بك ؟ فقال الرجل : أحدثك عنه يا أمير المؤمنين . إنى أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به . فقالت : تخرج وتدعنى على هذه الحالة ؟ فقلت : أستودع الله ما فى بطنك . فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت . فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها . فقلت للقوم : ما هذه النار ؟ فقالوا من قبر فلانة نراها كل ليلة . فقلت : والله إنها كانت صوامة قوامة . فأخذت المعول ومررنا حتى انتهينا إلى القبر . فحفرنا وإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب . فقيل : إن هذا وديعتك . ولو كنت استودعتنا أمه لوجدتها . فقال سيدنا عمر رضى الله عنه : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب . ذكر هذا فى كتاب الدعوات للإمام أبى القاسم الطبرانى وفى تاريخ ابن النجار فى ترجمة أبى يعقوب يوسف بن الفضل الصيدلانى وفى الاحياء فى كتاب آداب السفر عن زيد ابن أسلم عن أبيه .

وقريب من هذا الخبر ما حكاه الحافظ المزنى فى تهذيبه فى ترجمة عبيد بن واقد الليثى البصرى أنه

قال : خرجت أريد الحج فوقفت على رجل بين يديه غلام من أحسن الغلمان صورة وأكثرهم حركة . فقلت : من هذا ؟ ومن يكون ؟ قال : ابنى وسأحدثك عنه . خرجت مرة حاجاً ومعى أم هذا الغلام وهى حامل به . فلما كنا فى بعض الطريق ضربها الطلق فولدت هذا الغلام وماتت وحضر الرحيل فأخذت الصبى فلففته فى خرقة وجعلته فى غار وبنيت عليه أحجاراً وارتحلت وأنا ادرى ان يموت من ساعته . فقضينا الحج ورجعنا . فلما نزلنا ذلك المنزل بادر بعض أصحابى إلى الغار فنقض الأحجار فإذا هو بالصبى يلتقم إبهاميه . فنظرنا فإذا اللبن يخرج منهما . فاحتملته معى ، فهو الذى ترى .

وكما ينبغى أن يستودع المولى جميع متعلقاته كذلك لا ينبغى ان يترك مستودعاته إلا عند أمين من الناس . ومن هذا إن رجلا أراد الحج فأودع عند رجل ألف دينار حتى يعود فلما عاد وجد الرجل قد مات. فسأل ذريته عن المال فلم يكن لهم به علم . فسأل علماء مكة عن قضيته فقال له أحدهم إذا كان نصف الليل فأت زمزم فانظر فيها وناد يا فلان باسمه فإذا كان من أهل الخير فإنه يجيبك من أول مرة . فذهب ونادى فيها فلم يجبه أحد . فأخبرهم فقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار . أذهب إلى ارض اليمن ففيها بئر تسمى بئر برهوت يقال إنه على فم جهنم فانظر فيه بالليل وناد يا فلان باسمه فيجيبك منها . فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها . فذهب إليها ليلا ونادى فيها يا فلان فأجابه فقال : أين ذهبى ؟ فقال : دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ولم ائتمن عليه ولدى فائتهم واحفر هناك تجده . فقال له ما الذى أنزلك هنا وقد كنت اظن بك الخير ؟ فقال : كان لى أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله تعالى وأنزلنى هذه المنزلة تصديقاً لقول النبى صلى الله عليه وسلم « إن قاطع الرحم لا يدخل الجنة » .

وينبغى ايضاً أن يكون فى المشاعر والمناسك اشعث أغبر ويكثر من ذكر الله تعالى فى طريقه وجميع مناسكه . ويذكر به الغافلين . ويقلل من الناس . ويلزم الصمت فيما لا يعنيه . ولا يتكلف ما قد كفى . ولا يدخل فيما لم يكلف وإن رأى موضعاً للمعروف أمر به أو منكراً نهى عنه . ولا يجادل ولا يخاصم . قال الله عز وجل (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) .

قال الامام مالك رضى الله عنه فى تفسير الآية الشريفة : فالرفث : إصابة النساء . قال الله تبارك وتعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) قال : والفسوق : الذبح للأنصاب . قال الله تبارك وتعالى (أو فسقاً أهل لغير الله به) قال : والجدال فى الحج : إن قريشاً كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة بقزح وكانت العرب وغيرهم يقفون بعرفة . فكانوا يجادلون . يقول : هؤلاء نحن أصوب . ويقول هؤلاء : نحن أصوب . فقال الله تعالى : (ولكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم) . فهذا الجدال فيما نرى والله أعلم . وقد سمعت ذلك من أهل العلم . قال ذلك الإمام مالك .

وقال بعض المفسرين : فلا رفث هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش . ولا فسوق .

قال : هو المعاصى أو السباب لقـــول النبى صلى الله عليه وسلم « سباب المؤمن فسوق » أو التنابذ بالألقاب لقوله تعالى (بئس الاسم الفسوق) ولا جدال فى الحج · قال ابن عباس : الجدال : هو المراء وهو أن يمارى الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه . وقيل هو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع وقد أحرموا بالحج : اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى قالوا : كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج ، فهذا كان جدالهم .

ويتأكد الإكثار من الاستغفار والتوبة من جميع المخالفات وأن يكثر الذكر والدعاء والابتهال والخضوع والخشوع والتذلل والبكاء والتلبية والتهليل ومن قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . ومن قراءة قل هو الله أحد . وعن ابن عباس مرفوعاً « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة يوم عرفة أعطى ما سأل » .

واستحب له أن يمشى فى المشاعر من حين خروجه من مكة إلى أن يقف بعرفة وإلى أن يرجع من طواف الزيارة إلى منى إن كان ذا قدرة على المشى . ومن استحب للحاج الركوب . فإنه يستحب له المشى إلى مكة فى المناسك إلى انقضاء حجه . ولأن سيدنا عبد الله بن عباس أوصى بنيه عند موته فقال : يا بنى حجوا مشاة فإن للحاج الماشى بكل قـــدم يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم . قيل له : وما حسنات الحرام ؟ قال : الحسنة بمائة ألف .

وقد سئل الحسن : ما علامة الحج المبرور ؟ فقال : أن يرجع العبد زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة وقيل فى وصف الحج المبرور : هو كف الأذى واحتمال الأذى وحسن الصحبة وبذل الزاد . ويقال : إن علامة قبول الحج ترك ما كان عليه العبد من المعاصى والاستبدال بإخوانه البطالين إخواناً صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة . فمن وفق للعمل بما ذكرناه فهو علامة قبول حجه ودليل نظر الله إليه فى قصده . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من علامة الحجة المبرورة أن يكون صاحبها بعدها خيرا منه قبلها » ومن أصيب بمصيبة فى نفسه وماله فهو من دلائل قبول حجه · فإن المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله تعالى : الدرهم بسبعمائة . وبمثابة الشدائد فى طريق الجهاد .

وليصبر على حر مكة فإن ثوابه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام .

وليكثر من الطواف بالبيت لينال من الله عز وجل عظيم الرحمة . فعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ينزل الله على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرين رحمة . ستون للطائفين . وأربعون للمصلين . وعشرون للناظرين . ولا تتحدث فى طوافك وعليك بذكر الله سبحانه وتعالى من التسبيح والتهليل والحمد · وامش بسكينة ووقار وخشوع وانكسار ولا تزاحمن أحداً · واقرب من البيت ما أمكن ·

واستلم الركنين اليمانيين مع تقبيل الحجر فى كل وتر من طوافك إن أمكن . وقد كان النبى صلى الله

عليه وسلم يلزق صدره الشريف ووجهه المنير بالملتزم تيمناً به . وهو ما بين الحجر الأسود ومحاذاة باب الكعبة من أسفله . وعرضه مقدار أربعة أذرع . وسمى بالملتزم لأن الناس يعتنقونه ويضمونه إلى صدورهم . وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ما دعا به ذو عاهة إلا برىء » فليصق بطنه بجدار البيت ويضع خده الأيمن عليه ويبسط ذراعيه وكفيه ويتعلق بأستار الكعبة ويقول : اللهم رب هذا البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم ووسواسه . ويدعو بما شاء . ثم ينصرف للصلاة . وكان ابن عباس يقول : لا يلتزم ما بينهما أحد يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه .

وروى الإمام أحمد أنه قيل لعبد الله بن عمر : مالى لا أراك تستلم إلا هذين الركنين . الحجر الأسود والركن اليمانى ؟ فقال ابن عمر : إنما أفعل ذلك لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن استلامهما يحط الخطايا » وفى رواية للحاكم إن ابن عمر قال : إنما أفعل ذلك لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مسحهما يحط الخطايا .

ومما ورد فى فضل الركن اليمانى : وهو الذى قبل ركن الحجر الأسود قوله صلى الله عليه وسلم « ما مررت بالركن اليمانى إلا وعنده ملك ينادى . آمين آمين . فإذا مررتم به فقولوا : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « وكل بالركن اليمانى سبعون ملكاً . من قال : اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة قالوا : آمين » .

وعن عطاء قال : قيل يا رسول الله : تكثر من إسلام الركن اليمانى ؟ قال : ما أتيت عليه قط إلا وجبريل قائم عنده يستغفر لمن استلمه . وعن مجاهد أنه قال : ما من إنسان يضع يده على الركن اليمانى ويدعو إلا أستجيب له .

وروى عن وهيب بن الورد المكى قال : كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاماً بين الكعبة والأستار يقول : إلى الله أشكو ثم إليك يا جبريل ما ألقى من الطائفين حولى من تفكههم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه .

وقد روى فى الخبر : من طاف بالبيت حافياً حاسراً كان له كعتق رقبة . قاله لأصحابه ورفعه الراوى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واتق الهمة الردية والأفكار الدنية . لأنه يقال : إن العبد يؤاخذ بالهمة فى ذلك البلد . فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالإرادة قبل العمل إلا بمكة . وقال أيضاً : لو هم العبد أن يعمل سوءاً بمكة عاقبه الله تعالى ثم تلى : (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) يعنى أنه علق العذاب بالإرادة دون الفعل . ويقال : إن السيئات تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات . وإن السيئات التى تكتسب هنالك لا تكفر إلا هنالك .

وكان ابن عباس يقول : الاحتكار بمكة من الإلحاد فى الحرم . وقيل الكذب فى الحرم من الإلحاد وروى عن سيدنا عمر رضى الله عنه قوله : لأن أذنب سبعين ذنباً « بركية » أحب إلى من أذنب ذنباً واحداً بمكة . وركية . منزل بين مكة والطائف .

والغش في البيع والشراء سواء بمكة أو بغيرها حرام لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم : مر على رجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بللا . فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء ، يعني المطر ، فقال : فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس . من غشنا فليس منا .

ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم : لما بايع جريرا على الإسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم . فكان جريرا إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خير المشترى وقال : إن شئت فخذ وإن شئت فاترك . فقيل له : إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع . فقال : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم .

وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلاثمائة درهم . فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة . فسعى وراءه وجعل يصيح به : يا هذا : اشتريتها للحم أو للظهر ؟ فقال : بل . للظهر . فقال : إن بخفها نقبا قد رأيته وإنها لا تتابع السير . فعاد فردها ، فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة : رحمك الله أفسدت على بيعى . إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل المسلم . وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لأحد يبيع بيعا إلا أن يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه ، فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات . بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم .

قال سيدى محي الدين بن العربى رضى الله عنه : اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التى لا تستقر عندنا إلا بمكة . لأن الشرع قد ورد أن الله تعالى يؤاخذ فيه ، (أى فى الحرم) من يريد فيه بإلحاد بظلم . وهذا سبب سكنى سيدنا عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه . فإنه ليس فى قوة الإنسان أن يمنع عن قلبه الخواطر . وقال : إنما نكر الله تعالى الظلم بقوله (بظلم) ليجتنب من سكن مكة جميع الظلم فى كبير وصغير . فتوعد من أراد فيه ظلماً بالعذاب الأليم ولو لم يعمل ذلك الظلم . فهو مستثنى عند بعضهم من حديث ، إن الله تعالى تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به ، الحديث كما هو مقرر فى كتب الأصول . وقال بعض المحققين : وهذا هو السبب الذى دعا عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إلى سكنى الطائف دون مكة كما تقدم القول ، فاحتاط لنفسه .

وكذلك كره الإمام مالك والشعبى رضى الله تعالى عنهما المجاورة بمكة وقالا : مالنا ولبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات ويؤاخذ الانسان فيها بالخاطر .

وقد كان الورعون من السلف . منهم سيدنا عبد الله بن عمر . وسيدنا عمر بن عبد العزيز وغيرهما يضرب أحدهم فسطاطا فى الحرم وفسطاطا فى الحل . فإذا أراد ان يصلى أو يعمل شيئا من الطاعات دخل فسطاط الحرم ليدرك فضل المسجد الحرام . لأن المسجد عندهم فى جميع ما يذكر إنما هو الحرم كله . وإذا أراد أن يأكل أو يتحدث إلى أهله أو يتغوط خرج إلى فسطاط الحل . ويقال إن آل الحجاج كانوا إذا قدموا إلى مكة خلعوا نعالهم بذى طوى تعظيما للحرم .

واعلم أن أعمال البر كلها تضاعف بمكة . والحسنة بمائة ألف حسنة على مثال الصلاة فى المسجد الحرام . فقد روى عن ابن عباس وانس والحسن البصرى : أن صوم يوم بمائة ألف وصدقة درهم بمائة ألف درهم .

وفى الخبر : « عمرة فى رمضان تعدل حجة » وسببه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لامرأة تخلفت عن الحج : ما منعك أن تحجى معنا ؟ فاعتذرت له فأعلمها أن العمرة فى رمضان تعدل الحجة فى الثواب لا أنها تقوم مقامها فى إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتمار لا يجزىء عن حج الفرض . وقال صلى الله عليه وسلم « عمرة فى رمضان كحجة معى » اى فى حصول الثواب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للحجاج حين يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة . فإذا وقف بعرفة فإن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا فيقول : انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غبرا أشهدكم أنى قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج . وإذا رمى الجمار لا يدرى أحد ماله حتى يتوفاه يوم القيامة . وإذا حلق رأسه فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة . فإذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . رواه ابن حبان فى صحيحه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاء حاجا يريد وجه الله تعالى فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فيمن دعا له » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قضى نسكه وسلم الناس من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خرج الحاج من بيته كان فى حرز الله . فإن مات قبل أن يقضى نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وإنفاق الدرهم الواحد فى ذلك الوجه يعدل أربعين ألفاً فيما سواه . ذكر هذه الثلاثة المنذرى فى جزئه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أهل بحجة أو بعمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة » .

(سانحة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى مسجد الخيف قبر سبعين نبيا . رواه ابن عمر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وفى حديث آخر : من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة . ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل أدخل الجنة وروى فى الخبر حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها . وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة . وفى الحديث « الحجاج والعمار وفد الله تعالى وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم . وإن دعوه استجب لهم . وإن شفعوا شفعوا » وفى الحديث : إن من أم البيت لا تضع ناقته خفا ولا ترفعه إلا كتب له بها حسنة ومحى عنه خطيئة . وإن ركعتى الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل . والسعى كعتق سبعين رقبة والوقوف تغفر به الذنوب وإن كانت بعد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر . وبكل حصاة من الجمار تكفير كبيرة من الموبقات . والنحر مذخور عند الله . وبكل شعرة حلقت حسنة ومحو خطيئة وبالطواف بعد ذلك يضع ملك يديه بين كتفيه فيقول : اعمل فيما استقبل فقد غفر لك ما مضى .

وفى الحديث : ما أملق حاج قط قال جابر : ما افتقر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحج والعمرة تمنع العيلة ، أى الفقر أى هما سببان للغنى لخاصية علمها الشارع . وفى الحديث . ما من مؤمن يظل يومه محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه .

وأتى رجل ابن المبارك وقد أفاض من عرفة إلى المزدلفة فقال له : من أعظم الناس جرماً يا أبا عبد الرحمن فى هذا الوقت ؟ فقال : من قال إن الله عز وجل لم يغفر لهؤلاء . وقد روى فى حديث مسند من طريق أهل البيت : أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله عز وجل لم يغفر له .

والوقوف يصح بأى جزء من عرفة لكن أفضلها من موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهور بموقف المحامل . فينبغى الحرص على الوقوف فيه . وهو عند الصخرات الكبار المفروشة فى وسط جبل الرحمة الذى بوسط عرفات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل عرفة موقف . والأفضل أن يقف بجبل الرحمة كما تقدم القول .

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى : وحد عرفات ما جاوز وادى عرنة إلى الجبال المقابلة لبساتين ابن عامر وليس منها عرنة بضم المهملة وفتح الراء والنون موضع بين منى وعرفة وليس منها نمرة آخر مسجد إبراهيم منها وصدره من عرنة ويميز بينهما صخرات كبار . وجبل الرحمة وسط عرصة عرفات . وموقف النبى صلى الله عليه وسلم عنده معروف .

وفى أسرار الحج للغزالى عن سفيان بن عيينة قال . حج على بن الحسين رضى الله تعـــالى عنهما . فلما أراد الإحرام أصفر لونه وأخذته رعدة ولم يستطع أن يقول لبيك فقال له سفيان : مالك لا تلبى ؟ قال : أخاف أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك . فلما لبى غشى عليه ووقع من فوق راحلته إلى الأرض . ولم يزل يعرض له ذلك كلما لبى حتى فرغ من الحج .

وقال طاووس : رأيت رجلا يصلى فى المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكى فى دعائه . فجئته حين فرغ من الصلاة فإذا هو على بن الحسين رضى الله عنهما : فقلت يا ابن رسول الله رأيتك على حالة خوف وبكاء وإلى ثلاثة أحوال أرجو أن تؤمنك من الخوف . أحدها أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى شفاعة جدك ، والثالث رحمة الله . فقال ياطاووس : أما أنى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يؤمننى وقد سمعت الله تعالى يقول : فلا أنساب بينهم يومئذ . وأماشفاعة جدى فلا تؤمننى لأن الله تعالى يقول : ولا يشفعون إلا لمن ارتضى . وأما رحمة الله تعالى فإن الله تعالى يقول : إن رحمة الله قريب من المحسنين . ولا أعلم أنى محسن .

وروى الطبرانى والأصبهانى مرفوعاً قول النبى صلى الله عليه وسلم . إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة فنادى . لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حـــلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور .

وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فنادى لبيك ناداه ملك من السماء : لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور وغير مبرور .

وذكر الواحدى فى تفسير قوله تعالى (لا يستوى الخبيث والطيب) . عن جابر أن رجلا قال :

يا رسول الله : إن الخمر كانت تجارتي وإني جمعت من بيعها مالا فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله عز وجل ؟ فقال رسول الله عليه وسلم : إن أنفقته : إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة . إن الله لا يقبل إلا الطيب . فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل لا يستوى الخبيث والطيب) قال الحسن وعطاء : هو الحلال والحرام .

وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الأيام يوم عرفة . فإذا وافق يوم جمعة فهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة . وورد : إذا كان يوم عرفة يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف . أي بغير واسطة . وفي يوم الجمعة يهب قوماً لقوم كما يعلم ذلك مما سيأتي بإذن الله تعالى .

وروى عن مجاهد أن الحجاج إذا قدموا إلى مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقاً .

وقال الحسن : من مات يعقب شهر رمضان أو يعقب غزواً أو يعقب حجاً مات شهيداً ؛ وقال سيدنا عمر رضى الله عنه : الحاج مغفور له ولمن استغفر له . شهر ذى الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول .

وقد كان من سنة السلف أن يشيعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء . وفي الخبر عن رسول الله صلى عليه وسلم قال : اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحجاج .

وروى ابن ماجه والبيهقي عن ابن مرداس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب . إني قد غفرت لهم ما خلا المظالم فإني آخذ للمظلوم منه . قال : أي رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم . فلم يجب عشية عرفة . فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل . قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو قال : تبسم . فقال له أبو بكر وعمر بأبي أنت وأمي إن هذه الساعة ما كنت تضحك فيها . فما الذى أضحكك ؟ قال : إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه يدعو بالويل والثبور . فأضحكني ما رأيت من جزعه .

وقد سئل الرملي كما في فتاويه عن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الحج « خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . هل المراد به غفران كل الذنوب حتى التبعات أم غير ذلك ؟ أفتونا في ذلك بأقوال العلماء معزوة وهل ما في فتاوى الشيخ الأنصارى في ذلك معتمد أم لا ؟ فأجاب بأن المراد غفران الذنوب صغائرها وكبائرها حتى التبعات . ففي خبر رواه الطبراني في الكبير والبزار وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر : وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله تعالى يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة فيقول : عبادى جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق يرجون رحمتي فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل أو قطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها أفيضوا مغفوراً لكم .

بقية الحديث : وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات . وأما طوافك

بالبيت فأن تطوف ولا ذنب عليك . يأتى ملك فيضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك فيما مضى . وروى هـــذا الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث عبادة بن الصامت بلفظ : وأما وقوفك بعرفة فإن الله عز وجل يقول لملائكته يا ملائكتى ما جاء بعبادى ؟ قالوا جاؤك يلتمسون رضوانك والجنة . فيقول الله عز وجل : فإنى أشهد نفسى وخلقى أنى غفرت لهم . ولو كانت ذنوبهم عدد أيام الدهر وعدد رمل عالج .

ورواه ابو القاسم الأصبهانى بلفظ . وأما وقوفك بعرفات فإن الله يطلع على أهل عرفات فيقول : عبادى أتونى شعثاً غبراً أتونى من كل فج عميق فيباهى بكم الملائكة فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج ونجوم السماء وقطر البحر والمطر لغفر الله لك .

وقال الزركشى والدمامينى بعد ذلك الحديث : هذا يقتضى أنه تغفر الصغائر والكبائر .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال : يا رب أسألك لمن مات فى هذا البيت من ذريتى لا يشرك بك شيئاً أن تلحقه بى فى الجنة . فقال الله تعالى : من مات فى الحرم لا يشرك بى شيئا بعثه آمناً يوم القيامة .

وقال شيخ الاسلام ابن حجر : وقوله رجع كيوم ولدته أمه . أى بغير ذنب . وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات . وهو من أقوى الشواهد لحديث عباس بن مرداس المصرح بذلك . وله شاهد من حديث ابن عمر فى تفسير الطبرى .

وفى الخبر : إن الله تعالى وعد هذا البيت ان يحجه كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا كملهم الله تعالى بالملائكة . وإن الكعبة تحشر كالعروس المزفوف وكل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها .

وفى الخبر : أن الحجر ياقوته من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله كثيراً . وكان يطوف على الراحلة فيجعل المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن . وقبله سيدنا عمر ثم قال : إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك . ثم بكى حتى علا نشيجه . فالتفت إلى ورائه فإذا سيدنا على كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن : ها هنا تسكب العبرات . فقال سيدنا على : يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع . قال : وكيف ؟ قال : إن الله عز وجل لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتاباً ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود .

وجاء فى الخبر : أن الله تعالى ينظر فى كل ليلة إلى أهل الارض فأول من ينظر إليه أهل الحرم . وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام . فمن رآه طائفاً غفر له ومن رآه منهم مصلياً غفر له . ومن رآه منهم نائماً مستقبل القبلة غفر له .

وفى الحديث الشريف : استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقدم هدم مرتين ويرفع فى الثالثة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مسح الحجر الأسود والركن اليمانى يحطان الخطايا حطاً .

قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة هو وأسامة ابن زيد وعثمان بن طلحة الحجبى وبلال بن رباح فاغلقها عليه ومكث فيها . فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : جعل عموداً عن يساره وعمودين عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه ثم صلى .

وقال بعض السلف : كم من رجل بأرض بعيدة أقرب إلى هذا البيت ممن يطوفون به . ويقال : إن لله عباداً تطوف بهم الكعبة تقرباً إلى الله عز وجل . وحدث بعض الأبدال فقال : رأيت الكعبة ذات ليلة تطوف بشخص من المؤمنين . وقال هذا الشيخ له : ربما نظرت إلى السماء وانمة على سطح الكعبة قد ماستها الكعبة ولزقت بها . ويقال : لا تغرب الشمس من يوم إلا يطوف بهذا البيت رجل من الأبدال . ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد . وإذا انقطع ذلك كان سبباً لرفع البيت من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ولا يرون لها أثراً . وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية . ثم يخرج الدجال وينزل سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها .

وقد قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى ميزانه : وقد أخبرنى من أثق به من الفقراء أن الكعبة صافحته حين صافحها وكلته وكلمها وناشدته أشعاراً وأنشدها وشكرت فضله وشكر فضلها فإنها حية بإجماع أهل الكشف . ومن شهدها جاداً لا روح فيه فهو محجوب عن أسرار الحج . فإن نطق المعانى أعجب من نطق الأجسام . وقد ورد فى صحيح ابن خزيمة : أن الصيام والقرآن يشفعان فى العبد يوم القيامة . فيقول الصيام . يارب منعته شهوته . ويقول القرآن : يارب قد منعته النوم فى الليل فيشفعهما الله تعالى فيه .

وذكر الشيخ محى الدين بن العربى أنه لما حج تلذت له الكعبة ورقاها إلى مقامات لم تكن عندها قبل ذلك وخدمته . وقال : وأخبرنى سيدى على الخواص أن سيدى إبراهيم المتبولى لما طاف بالكعبة كافأته على ذلك بطوافها به . وقد صادف الجنيد جارية وهو فى طوافه فقلت له : يا جنيد ، أنت تطوف بالبيت أم برب البيت ؟ فقال لها : إنى أطوف بالبيت . فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : سبحانك سبحانك ما أعظم مشيئتك فى خلقك . خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار . ثم أنشأت تقول :

يطوفون بالأحجار يبغون قربة وهم أقسى قلوباً من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم وحلوا محل القرب فى باطن الفكر

فلو أخلصوا فى الود غابت صفاتهم وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد : فغشى على من قولها فلما أفقت لم أرها

وعن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : شكت الكعبة إلى الله تعالى قلة زوارها . فأوحى الله إليها : لأبعثن إليك أقواماً يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى فراخها .

وليس بعد مكة مكان أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والأعمال فيها مضاعفة . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : قوله : صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه . وكذلك قيل : إن فضل الأعمال بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كفضل الصلاة : كل عمل بألف عمل . وبعد ذلك الأرض المقدسة . فإن فضل الصلاة فيها بخمسمائة صلاة . وكل عمل يضاعف بخمسمائة مثله .

قال القاضى عياض : إن موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض على الإطلاق بالإجماع .

وفى وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأبى ذر : يا أبا ذر صلاة فى مسجدى هذا تعدل ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام . وصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فى غيره . وأفضل من هذا كله صلاة يصليها الرجل فى بيته حيث لا يراه إلا الله عز وجل يرجو بها وجه الله عز وجل .

ولبعض العارفين رضى الله عنه قال :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاز ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكى مأوها
لا كالمدينة منزل وكفى بها شرفاً حلول محمد بفنائها
وابشر ففى الخبر الصحيح مقرراً أن الإله بطيبة سماها
واختصها للطيبين بطيبها واختارها ودعا إلى سكناها

قال على بن الموفق : حججت سنة فلما كان ليلة عرفة بت بمنى فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر . فنادى أحدهما صاحبه : يا عبيد الله فقال الآخر : لبيك يا عبد الله . قال : تدرى كم حج بيت ربنا فى هذه السنة ؟ قال لا أدرى . قال : حج بيت ربنا ستمائة ألف . فتدرى كم قبل منهم ؟ قال : لا . قال : قبل منهم : ستة أنفس . قال : ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى . فانتبهت فزعاً مغموماً غماً شديداً وأهمنى أمرى . فقلت : إذا قبلى حج ستة أنفس فأين أكون أنا فى ستة أنفس ؟ فلما أفضنا من عرفة وبت عند المشعر الحرام جعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم فحملنى النوم فإذا الشخصان قد نزلا من السماء على هيئتهما فنادى أحدهما : يا عبد الله .

فأجابه الآخر . لبيك يا عبد الله . قال : تدرى كم حج بيت ربنا ؟ قال : نعم . ستمائة ألف نفس . قال : فتدرى كم قبل منهم ؟ قال : نعم . ستة أنفس . قال : فتدرى ماذا حكم ربنا فى هذه الليلة ؟ قال : لا . قال : فإنه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف . قال : فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف .

ذكر فى هذه المقالة ستة ولم يذكر السابع ، وهؤلاء هم الأبدال السبعة أوتاد الأرض المنظور إليهم كفاحاً . ثم ينظر إلى قلوب الأولياء من وراء قلوبهم . فأنوار هؤلاء عن نور الجلال ، وأنوار الأولياء من أنوارهم . وأنصبتهم وعلومهم من أنصبة هؤلاء وعلومهم . فلم يذكر السابع وهو قطب الأرض والأبدال كلهم فى ميزانه . ويقال : إنه هو الذى يضاهى الخضر من هذه الأمة ويجاريه فى العلم وأنهما يتفاوضان العلم ويجد أحدهما المزيد من الآخر . وإنما لم يذكره والله أعلم لأنه يوهب له من مات ولم يحج من هذه الأمة لأنه أوسع جاهاً من جميعهم وأنفذ قولا فى الشفاعة من الجملة .

والأبدال سموا بذلك لأن كل من مات منهم أبدل مكانه غيره أو لأن أخلاقهم بدلت بأخلاق الأنبياء أو لأنهم بدل الأنبياء . فقد ورد أن الأرض لما فقدت منها الأنبياء اضطربت واشتكت ، فأوحى الله إليها : أن اسكنى وأجعل بدل الأنبياء فيك الأبدال يكونون على أخلاق الأنبياء . أو لأن الواحد منهم إذا سافر من مكانه وجاء شخص يزوره جعل الله بدله فى محله روحانية وحقيقة بحيث يتكلم مع الزائر كما كان حاضراً . ومن علامة الأبدال عدم التزوج وحسن خلقهم وبعضهم دائماً ساكن القلب والجوارح فى المشاهدة وبعضهم ساكن القلب وجوارحهم دائماً فى اضطراب شديد إلا أنهم لا يشغلهم ذلك عن مشاهدة جلال مولاهم . وهم إخص من مطلق الأولياء أى أعلى مرتبة وأخص منهم الأوتاد الأربعة كل واحد فى ركن من أركان الكعبة . والذى فى ركن الحجر الأسود على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يمد الخلق بالإمدادات العظيمة . والثلاثة الباقية كل واحد على قلب نبى من الأنبياء . وأخص منهم القطب الذى على الكعبة الذى هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وله التصرف والإمداد لسائر الأولياء الأحياء والأموات . وقد ورد فى الحديث تسميته قطباً .

وأخرج أبو نعيم عن معروف الكرخى قال : من قال فى كل يوم عشر مرات : اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد كتب من الأبدال .

ومعنى كون الوالى على قلب نبى أن نور ولاية النبى الذى كان ينزل عليه على ذلك الولى . أى الأسرار التى كانت تنزل على قلب ذلك النبى تنزل على قلب ذلك الولى وإن اختلفت كيفاً .

وقد روى عن على بن الموفق أيضا قال : حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لم يتقبل حجه . فقلت : اللهم إنى قد وهبت حجتى هذه وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه . قال : فرأيت رب العزة فى النوم . فقال لى : يا على تتسخى على وأنا خلقت السخاء وخلقت الأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين . وقد وهبت كل من لم يقبل حجه لمن قبلته . وفى رواية أخرى عنه رضى الله عنه قال : حججت نيفاً وخمسين حجة وجعلت ثوابها للنبى صلى

الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ولأبوى وبقيت حجة فنظرت إلى أهل الموقف وضجيجهم برفع أصواتهم فقلت : اللهم إن كان فى هؤلاء من لا تقبل حجه فقد وهبت له هذه الحجة ليكون ثوابها له . فبت تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربى عز وجل فى المنام . فقال لى : يا على بن الموفق على تتسخى فقد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك وشفعت كل رجل منهم فى أهل بيته وخاصته وجيرانه وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة .

وكان ابن الموفق هذا قد حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججاً وقال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : يا ابن الموفق حججت عنى فقلت : نعم يا رسول الله ولبيت عنى . قلت : نعم . قال : فهذه يد لك عندى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فأدخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب .

ومن سنن الحج الإكثار من شرب ماء زمزم مع التضلع منه مستقبلا القبلة عند شربه قائلا : اللهم إنى قد بلغنى عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال : ماء زمزم لما شرب له وأنا أشربه لسعادة الدنيا والآخرة اللهم فافعل . ثم يسمى الله تعالى ويشرب . ويتنفس ثلاثاً . ويسن الدخول إلى البئر والنظر فيها والنزح منها بالدلو ونضح وجهه ورأسه وصدره بمائها ويتزود منها عند سفره . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحمل ماء زمزم) من مكة إلى المدينة ويهديه لأصحابه . وكان يستهديه اى يطلبه ممن حمله لعظم نفعه .

زيارة روضة النبى صـــلى الله عليه وسلم
بالمدينة المشرفة والآداب المطلوبة فيها

زيارته صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات وأنجح المساعى وأجل الطاعات : والأكثرون على أنها سنة مؤكدة . وجرى بعضهم على أنها واجبة وانتصر له بعض العلماء لخبر : من وجد سعة ولم يزرنى فقد جفانى ، ولا يختص طلبها بالحجاج غير أنها فى حقهم آكد لأمرين : الأول قوله صلى الله عليه وسلم : من حج ولم يزرنى فقد جفانى ، والثانى : أن الغالب على الحجاج الورود من آفاق بعيدة فإذا قربوا من المدينة يقبح تركهم للزيارة . لأن ذلك يدل على التهاون بها .

وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة . منها قوله صلى الله عليه وسلم : من زار قبرى وجبت له شفاعتى ومعنى وجبت ثبتت بالوعد الصادق . وأفاد قوله صلى الله عليه وسلم : وجبت له أن يختص بشفاعة ليست لغيره . إما بزيادة النعيم وإما بتخفيف الأهوال عنه . وإما أن يدخل الجنة بلا حساب . وإما بغير ذلك . وفيه بشرى بموته مؤمناً - ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : من جاءنى زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتى كان حقا على الله عز وجل أن أكون له شفيعاً يوم القيامة . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا ومن زار قبرى وجبت عليه شفاعتى يوم القيامة . وما من أحد من أمتى له سعة لم يزرنى فليس له عذر . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى

كتبت له حجتان مبرورتان ، وروى البخارى : من صلى على عند قبرى وكل الله بها ملكاً يبلغنى وكفى أمر دنياه وآخرته وكنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة . ولقد أجاد من قال :

هنيئاً من زار خـــير الورى وحط عن النفس أوزارها

فإن السعـــادة مضمونة لمن حـــل طيبة أو زارها

فزيارته صلى الله عليه وسلم قربة عظيمة معلومة من الدين بالضرورة يكفر جاحدها كما ذكره العلامة السبكى عن بعض الفضلاء . فينبغى أن يحرص عليها . وليحذر كل الحذر من التخلف عنها مع القدرة وخصوصاً بعد حجة الإسلام لأن حقه صلى الله عليه وسلم على أمته عظيما . ولو أن أحدهم يجيء على رأسه أو بصره من أبعد موضع من الأرض لزيارته صلى الله عليه وسلم لم يقم بالحق الذى عليه لنبيه صلى الله عليه وسلم . جزاه الله عن المسلمين أتم الجزاء .

وروى أن بلالا رضى الله عنه شد رحله من الشام لزيارته صلى الله عليه وسلم . وفى رواية أن ذلك حصل لرؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : ما هـذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورنى ؟ فأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يبكى ويتمرغ عليه . وكان ذلك فى خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأن السيدين الجليلين الشريفين الحسن والحسين اشتهيا عليه عند مجيئه سماع أذانه . فأذن فى مكانه الذى كان يؤذن فيه من سطح المسجد الشريف . فما رؤى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم . وإنه لم يؤذن لأحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم إلا هذه المرة وإنه لم يتم الأذان المذكور لما غلبه من البكاء والوجد أى الحزن .

وكانت زيارة سيدنا بلال لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم ينكر عليه لا هو ولا أحد من الصحابة رضى الله عنهم ولو كان السفر وشد الرحال لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم مخالفاً للسنة وإجماع الأمة لأنكروا عليه لأنهم كانوا ينكرون أدنى شيء من المخالفات ولا سيما سيدنا عمر وهو أمير المؤمنين وأشد الناس فى الإنكار وأبطشهم يداً وأحدهم لساناً ووقوفاً مع الحق ولا تأخذه فى الله لومة لائم .

ومن الشائع الذائع أن سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : كان يبرد البريد من الشام أى يرسل رسولا خاصاً من الشام إلى المدينة ليقرىء النبى صلى الله عليه وسلم السلام ثم يرجع .

وقد ذكرنا فى كتابنا هذا فى موضع آخر منه قول سيدنا عمر رضى الله عنه لسيدنا كعب الأحبار : ألا نسافر معاً لنزور قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتمتع بزيارته . فقال : نعم يا أمير المؤمنين أفعل ذلك تجد هذا فى الكلام على التوسل بالأنبياء والصالحين فراجعه إن شئت .

وهذا أو بعضه كاف فى الرد على من ينكر شد الرحال للزيارة المطلوبة المستحبة . قال الماوردى فى كتابه الحاوى : أما زيارة قبر النبى صلى عليه وسلم فمأمور بها ومندوب إليها . وقال الإمام العلامة المتفق على دينه وكثرة علومه وعلو قدره الشيخ أبو إسحاق الشيرازى : ويستحب زيارة قبر النبى صلى

الله عليه وسلم . وذكر القاضى حسين نحوه . وكذا الرويانى . والسيد الجليل أبو زكريا يحيى النووى قدس الله روحه فى كتابه المناسك . وغيره حض استحباب الزيارة للقبر الشريف . وقالت الحنفية : إن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم من أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات . وممن صرح بذلك الإمام أبو منصور محمد الكرمانى مناسكه . والإمام عبد الله بن محمد فى شرح المختار .

وقال بعض أئمة الحنابلة منهم ابن الخطاب فى كتاب الهداية فى آخر باب صفة الحج : استحب له زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وصاحبيه . وفيه فائدة وهى استحباب شد الرجل إلى زيارة الصديقين رضى الله عنهما . وقال الإمام أحمد بن حمدان فى الرعاية الكبرى : ويستحب لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضى الله تعالى عنهما . وذلك بعد فراغ الحج وإن شاء قبله وذكر نحو ذلك غيرهم . ومنهم الإمام أبو الفرج بن الجوازى فى كتابه (مثير الغرام) وعقد له باباً فى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام . واستدل بحديث ابن عمر وأنس رضى الله عنهم . وذكر ابن قدامة فى المغنى فضلا فى ذلك . فقال : يستحب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم . وأستدل بحديث ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهم . وقال عبد الحق الصقلى فى كتاب تهذيب الطالب عن ابن عمران المالكى إن إن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم واجبة .

وقال عبد الحق فى هـــذا الكتاب : رأيت فى المسائل التى سئل عنها أبو محمد بن أبى زيد : قيل له : فى رجل استوجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من ذلك . فقال : يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة وهى مسألة حسنة . وقال العبدى المالكى فى شرح الرسالة : إن المشى إلى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من المشى إلى الكعبة وبيت المقدس وصدق وأجاد رضى الله عنه لأنه (أى قبر النبى صلى الله عليه وسلم) أفضل البقاع بالإجماع . والنقول فى ذلك كثيرة جداً . وفيها الإجماع على طلب الزيارة بعدت المسافة أو قصرت .

وعمل الناس فى ذلك فى جميع الأعصار من جميع الأقطار شاهد على هذا .

فهذا سيدنا بلال رضى الله عنه لما وصل إلى الضريح المكرم جعل يمرغ وجهه عليه ويبكى . وإن فعله رضى الله عنه صورة طبق الأصل لما يحصل من كثير من الزائرين اليوم والزائرات الصالحين من أهل البيت وغيرهم . ويقوم ويقعد فريق من المتنطعين لذلك ولا يرضون لفعله غير الشرك بالله . ليحكموا بذلك على سيدنا بلال رضى الله عنه الذى يعد من أجلاء الصحابة . وهو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليعلم أولئك المتنطعون أن ذلك أثر وجد فى النفوس لا يشعرون هم به يحمل أهله على التبرك بما يجاور حبيب ربهم . وهو من باب قول القائل :

أمر على الديار ديار ليــــلى أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديار

هذا قصد أولئك المؤمنين فى لمسهم ضريح الصالحين من العباد لا العبادة كما يتوهمه مظلمو القلوب مسيئو الظن بالمؤمنين .

وهذا أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، لما زار القبر المعظم المنزه ، أى ضمه إلى صدره . فأنكر عليه مروان بن الحكم فوبخه أبو أيوب وقال فى كلامه ما معناه : ابكوا على هذا الأمر إذا وليه غير أهله . وفى ذلك جواز ضم قبور الصالحين . وأبو أيوب الأنصارى الذى ضم ضريح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم هو أبو أيوب وكنى ، ذكر ذلك أبو الحسين فى كتابه أخبار المدينة .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنه كما أورده الإمام الحصنى فى كتابة ، دفع شبه من تمرد ، أنه رضى الله عنه وضع يده على موضع مقعد النبى صلى الله عليه وسلم من المنبر الشريف ثم وضعها على وجهه .

وكان رضى الله عنه يتردد إلى الأماكن التى كان يتردد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراحانه لأجل التبرك .

وفى ذلك جواز التبرك بآثار الصالحين أيا كانت حتى الخشب الذى كانوا يجلسون عليه . وابن عمر هو ابن عمر وكنى .

والصحابة هم القدوة لقول النبى صلى الله عليه وسلم . أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقوله صلى الله عليه وسلم : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ .

ويستحب للذاهب إلى المدينة المنورة أن يزور المساجد النبوية التى فى الطريق كمسجد بدر . ومسجد خليص عند العقبة . ومسجد عند التنعيم عند قبر أم المؤمنين ميمونة . ويزور الشهداء ببدر وغيرهم . وأن يكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه . ويزيد إذا وقع بصره على أشجار المدينة وحدائقها وما يعرف بها . وكلما ازداد عزماً وغراما وحنواً . وإذا قرب من المدينة سن له أن يغتسل ثم يتوضأ بذى الحليفة وأن يزيل نحو شعر إبطه وعانته ويقص أظفاره ويلبس أنظف ثيابه . والبيض أولى من غيرها ويتطيب وأن ينزل الذكر القوى عن راحلته عند رؤية المدينة إن قدر عليه وأن يمشى حافياً إن أطاق وأمن التجنيس . وأن يقول : اللهم هذا حرم نبيك ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك واغفر لى وارحمنى ياخير مسئول .

وينبغى أن يكون ، ممتلىء القلب بتعظيمه صلى الله عليه وسلم وهيبته كأنه يراه ليعظم خشوعه وتكثر طاعته . وإذا قرب من باب المسجد يسن أن يجدد التوبة ويقف لحظة حتى يعلم من نفسة التطهر من دنس الذنوب ليكون على أطهر حال ، ويستحضر عند رؤية المسجد جلالته الناشئة من جلالة مشرفه صلى الله عليه وسلم . و يسن أن يدخل من باب جبريل عليه السلام اقتداء به صلى الله عليه وسلم لأنه كان يدخل منه . وأن يقف بالباب وقفة بسيطة لطيفة كالمستأذن فى الدخول على العظماء وأن يقدم رجله اليمنى عند الدخول قائلا : أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وصحبه وسلم . اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك . رب وفقنى وسددنى وأصلحنى وأعنى على ما يرضيك عنى ومن على بحسن الأدب فى هذه الحضرة الشريفة السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

ثم يقصد الروضة الشريفة . وهى ما بين المنبر والقبر المقدس فيصلى فيها ركعتين خفيفتين بالكافرين والإخلاص ناوياً بهما تحية المسجد . فإذا فرغ من الصلاة شكر الله تعالى على ما أنعم به عليه وسأله إتمام النعمة بقبول الزيارة له صلى الله عليه وسلم . ثم يأتى القبر المكرم فيقف قبالة الوجه الشريف بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار الحجرة المعظمة ويبعد عنه بنحو أربعة أذرع .

وإن علامة الموقف مسمار من فضة مموه بالذهب فى رخامة حمراء بينه وبين طرف الجدار دون خمسة أذرع بقليل . وقد ذكر جماعة من المؤرخين أن هذا المسمار أمام الوجه الشريف .

قال الزرقانى : وهذا المسمار قد أزيل الآن وصار بدله شباك من نحاس أصفر يقابله الزائر . وينبغى له حال وقوفه أن يضع يمينه على يساره كما فى الصلاة . وأن يكون غاضا لبصره ناظراً إلى الأرض فارغ القلب من جميع العلائق مستحضراً جلالة موقفه ومنزلة من هو بحضرته .

وأن يعلم أنه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره ومطلع بإذن الله تعالى على ظواهر الخلق وسرائرهم . فهو يعلم وقوف الزائر بين يديه ويسمع كلامه ويرد سلامه ويؤمن على دعائه .

وليقل بحضور قلب وخفض صوت وسكون جوارح : السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا نبى الله . السلام عليك يا حبيب الله . السلام عليك يا صفوة الله . السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين . السلام عليك يا قائد الغر المحجلين . السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين . السلام على أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين . السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين . السلام عليك وعلى الأنبياء والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين . السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى نبيا ورسولا عن أمته وصلى عليك فى الأولين وصلى الله عليك فى الآخرين أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحد من الخلق أجمعين : وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون . وكلما غفل عن ذكرك الغافلون كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية والجهالة وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله وصفيه وخليله وحبيبه وأمينه وخيرته من خلقه . وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وأوضحت المسالك وصححت المناسك وفهمت الأحكام ونصرت الإسلام . اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم وعلى أزواجه وذريته كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد . وأعطه نهاية ما ينبغى أن يسأله السائلون ويأمله الآملون وأسعدنا بزيارته وادخلنا فى شفاعته وأوردنا حوضه يا رب العالمين .

ومن عجز عن حفظ هذا أوضاق وقته اقتصر على بعضه . وأقله السلام عليك يا رسول الله · صلى الله عليك وسلم . والمروى عن السلف الإيجاز فى ذلك جداً . فعن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه كان يقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وكان سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر . السلام عليك يا أبتاه . ويتأكد على الزائر فى هذا الموقف أن لا يشتغل بما استحدث هناك من الزينة . والزخرفة : ثم إن كان أحد أوصاه بالسلام فليقل : السلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان أو نحو هذا من العبارة : ثم يتحول إلى جهة يمينه قدر ذراع للسلام على سيدنا أبى بكر رضى الله تعالى عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل عند رجليه . فيقول : السلام عليك يا أبا بكر . السلام عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفيه وثانيه فى الغار . جزاك الله عن أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً . استودعك شهادة أن لا إله إلا الله وأن صاحبك محمداً رسول الله تشهد لى بها عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . ثم يتحول إلى جهة يمينه قدر ذراع آخر للسلام على سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لأن رأسه عند منكب أبى بكر رضى الله تعالى عنه فيقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين يا سيدنا عمر بن الخطاب الذى أعزه الله بك الإسلام جزاك الله عن أمة نبيه صلى الله عليه وسلم خيراً أستودعك شهادة أن لا إله إلا الله وأن صاحبك محمداً رسول الله شهادة تشهدلى بها عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ثم يذهب للسلام على السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها فى بيتها الذى هو داخل المقصورة للقول بأنها مدفونة هناك .

والراجح أنها فى البقيع فيقول : السلام عليك يا بنت رسول الله . السلام عليك يا بنت المصطفى . السلام عليك يا زوجة سيدنا على . السلام عليك يا أم الحسن والحسين . ورضى الله تعالى عنك أحسن الرضا . ويتوسل بها إلى أبيها صلى الله عليه وسلم .

ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة الوجه الشريف ويتوسل به صلى الله عليه وسلم فى قضاء حوائجه ويستشفع به إلى ربه عز وجل ويحمد البارى ويمجده ويدعو لنفسه ولوالديه وأولاده ولمن أحب بما أحب . ويختم دعاءه بآمين وبالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك سبب فى إجابة الدعاء .

قال سليمان بن سحيم : رأيت رسول الله صلى عليه وسلم فى النوم . قلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك . أتفقه سلامهم ؟ قال . نعم وأرد عليهم .

ومن الوفود التى وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد (خولان) وكانوا عشرة . فقالوا يا رسول الله : نحن مؤمنون بالله مصدقون برسول الله وقد ضربنا إليك آباط الإبل وركبنا حزون الأرض سهولها والمنة لله ولرسوله علينا . وقدمنا زائرين لك . فقال عليه الصلاة والسلام : أما ما ذكرتم من مسيركم إلى فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة . وأما قولكم : زائرين لك . فإنه من زارنى بالمدينة كان فى جوارى يوم القيامة . إلى آخر الحديث .

وقد ذكر بعض العلماء أن من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتلا هذه الآية : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) . ثم يقول : صلى الله عليك يا سيدنا محمد سبعين مرة ناداه ملك . صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط لك حاجة .

وروى عن سفيان بن عيينة عن العتبي وهو من مشايخ الإمام الشافعي رضى الله عنه قال : كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا سيد الرسل . إن الله عز وجل أنزل عليك كتاباً قال فيه : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبي : ثم استغفر الأعرابي وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي : يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له . فخرجت خلفه فلم أجده . والقاع المستوى من الأرض . والأكم جمع أكمة : ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد .

وروى عن الأصمعي أنه رأى أعرابياً وقف عند القبر المكرم فقال : اللهم إن هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك . فإن غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك : وإن لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك وأنت أكرم من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك . اللهم إن العرب الكرام إذا مات منهم سيد أعتقوا على قبره . وإن هذا سيد العالمين أعتقني على قبره يا أرحم الراحمين . فقال له بعض الحاضرين : يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن السؤال .

وفي المواهب اللدنية للإمام القسطلاني شارح البخاري : أن أعرابياً وقف على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم إنك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك . فهتف به هاتف : يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع المؤمنين . اذهب فقد أعتقتك . ثم أنشأ القسطلاني أحد البيتين المشهورين وأنشد الزرقاني في البيت الآخر . وهما :

إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم اعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرما في شبت في الرق فأعتقني من النار

وعند الحسن البصري رضى الله عنه قال : وقف حاتم الأصم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارب إنا زرنا قبر نبيك صلى الله عليه وسلم فلا تردنا خائبين : فنودي : يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم .

وقال شهاب الدين القسطلاني شارح البخاري : إنه كان قد حصل له داء أعيا دواؤه الأطباء وأقام به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث

وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفاً . فبينما أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه : هذا دواء أحمد القسطلانى من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف . ثم استيقظت فلم أجد بى والله شيئاً مما كنت أجده وحصل الشفاء ببركة النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال القسطلانى رضى الله عنه : ووقع لى أيضاً سنة خمس وثمانين وثمانمائة فى طريق مكة بعد رجوعى من الزيارة الشريفة لقصد مصر إذا صرعت خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها أياماً فاستغثت به صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأتانى آت فى منامى ومعه الجنى الصارع لها : فقال : لقد أرسله لك النبى صلى الله عليه وسلم فعاتبته وحلفته أن لا يعود إليها . ثم استيقظت وليس بها أى مرض كأنما نشطت من عقال . ولا زالت فى عافية من ذلك الصرع حتى فارقتها بمكة .

وقال صاحب كتاب حجة الله البالغة فى كتابه هذا : وقد اتفق لنا أن زارنا ذات يوم رجل من أصحابنا فقربنا إليه شيئاً . فبينما هو يأكل إذ سقطت كسرة من يده وتدهدهت . أى تدحرجت فى الأرض فجعل يتبعها وجعلت تتباعد منه حتى تعجب الحاضرون وكابد هو فى تتبعها بعض الجهد . ثم إنه أخذها فأكلها فلما كان بعد أيام تخبط الشيطان إنساناً وتكلم على لسانه فكان فيما تكلم : إنى مررت بفلان وهو يأكل فأعجبنى ذلك الطعام فلم يطعمنى منه شيئاً فخطفته من يده فنازعنى حتى أخذه منى وبينما يأكل أهل بيتنا أصول الجزر إذ تدهده بعضها فوثب عليه إنسان أخذ ذلك المتدهده وقال صاحب كتاب حجة الله البالغة وقد قرع أسماعنا شيء كثير من هذا النوع .

وعن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة ، أى صفرة ، فقال : استرقوا لها فإن بها النظرة من الجن .

وقد جاء فى سنن أبى داود عن خارجة بن الصلت التيمى عن عمه قال : أقبلنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا على حى من أحياء العرب . فقالوا إنا أنبئنا أنكم جئتم من عند هذا الرجل بخير ، يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل عندكم من دواء أو رقية فإن عندنا (معتوها) فى القيــود . قال: فقلنا : نعم قال: فجاءوا بمعتوه فى القيود . قال فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية أجمع بزاقى ثم أتفل . فكأنما نشط من عقال . قال : فأعطونى جعلا . فقلت لا آكله حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسألته : فقال كل فلعمرى لمن أكل برقية باطل . لقد أكلت برقية حق . أى بخلاف من رقى بكلام سريانى لا يعرف معناه أو كلام لا يليق كما يفعله بعض الناس فإنها تكون رقية باطلة أى حرام لا يجوز أخذ عوض عليها .

ومن هذا عن بعض الأخبار قال : سمعت بالشيخ الجوهرى المصرى وعلمه وتقواه فجئت لزيارته يوم جمعة فحضرت مجلس وعظه مع الناس فلم يقع فى قلبى منظره ورؤيته وما عليه من الرياش والملابس الفاخرة ظنا منى أن العلماء الأولياء يكونون على غير ما رأيت . فرجعت من حيث جئت ولم

أزره . وفى حال رجوعى قابلتنى امرأة تصرخ وتنوح فسألتها عما أصابها فقالت : ابنتى الوحيدة أصيبت من الجن وهذه ليلة دخولها على بعلها فقلت لها شفقة عليها ورحمة لها : لا بأس عليك فعلى دواؤها . ثم ذهبت معها إلى ابنتها فرأيتها غير مستقرة تلتفت يميناً وشمالا مما حل بها من أمر الجان : فقرأت عليها عشر آيات من القرآن الكريم على السبع القراءات . فتكلم من مسها من الجن وقال يا شيخ أبا بكر : لا تفتخر علينا بقراءتك على الروايات السبع فنحن سبعون . صنفاً من الجن الذين أسلمنا على يد الإمام على بن أبى طالب يوم بئر ذات العلم ونحن جئنا فى يومنا هذا لنصلى وراء الشيخ الصالح أبى الفضل ابن الجوهرى الذى احتقرته وظننت به ما ظننت فاستغفر الله تعالى من ذلك وتدارك غفلتك بالتوبة إلى ربك فبينما نحن عابرون على دار هذه الصبية لأجل الصلاة وراء الشيخ الصالح فى هذا اليوم الشريف اعترضتنا فرمت علينا نجاسة فسلم أصحابى وتنجست أنا فحرمتنى من الصلاة خلف الشيخ الولى ففعلت بها ما رأيت غضباً عليها . فقلت له : بحرمة هذا الشيخ الصالح الذى جئتم إليه من أجل الصلاة وراءه إلا ما خرجت عنها . فقال لى : سمعاً وطاعة . فخرج عنها فى الحال وعوفيت الصبية من ساعتها وأرخت قناعها على وجهها استحياء منى كأن لم يكن بها شىء ثم خرجت من ساعتى وتوجهت لزيارة الشيخ فلما رآنى مقبلا إليه تبسم ضاحكاً وقال لى : أهلا وسهلا بالشيخ أبى بكر الذى ما صدق بخبرنا حتى أخبره الجان عنا فتبت إلى الله عز وجل ولزمت صحبته معتقداً كرامة الأولياء التى حصل منى إنكارها .

وروى مسلم ومالك فى أواخر الموطأ وغيرهما عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة أنه قال : دخلت على أبى سعيد الخدرى فى بيته فوجدته يصلى . فجلست أنتظر فراغه . فسمعت حركة تحت سرير فى ناحية البيت : فالتفت فإذا حية فوثبت لأقتلها : فأشار إلى أن أجلس فجلست . فلما انصرف من صلاته أشار إلى بيت فى الدار . فقال : ألا ترى هذا البيت ؟ قلت : نعم . قال : كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس . فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق . فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انتصاف النهار ويرجع إلى أهله . فاستأذنه يوما فقال صلى الله عليه وسلم : خذ عليك سلاحك فإنى أخشى عليك سلاحك وإنى أخشى عليك بنى قريظة . فأخذ الفتى سلاحه ثم رجع إلى أهله فوجد امرأته بين البابين قائمة : فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به . وقد أصابته الغيرة . فقالت له : اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى منه . فدخل فإذا حية عظيمة مطوقة على الفراش . فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به . ثم خرج به فركزه فى الدار فاضطربت عليه وخرج الفتى ميتا فما ندى أيهما كان أسرع ، موتا الحية أم الفتى قال فجئنا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بذلك وقلنا : أدع الله أن يحييه . فقال . استغفروا لصاحبكم . ثم قال : إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهن شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فإذا بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان وكيفيته أن يقول : أنشدكن العهد الذى عليكن نوح وسليمان عليهما الصلاة والسلام . أن لا تبدوا لنا ولا تؤذونا .

وفى كتاب مناقب سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله سره أنه جاءه بعض أهل بغداد وذكر له أن بنتا اختطفت من سطح داره وهى بكر . فقال له الشيخ . اذهب هذه الليلة إلى خراب

الكرخ واجلس عند التل الخامس وخط عليك دائرة فى الأرض وقل وأنت تخطها بسم الله على نية عبد القادر . فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طواف من الجن على صور شتى فلا يروعك منظرهم . فإذا كان السحر من بك ملكهم فى جحفل منهم فيسألك عن حاجتك : فقل : قد بعثنى إليك عبد القادر وأذكر له شأن ابنتك . قال : فذهبت وفعلت ما أمرنى به الشيخ . فرنى صور مزعجة المنظر ولم يقدر أحد منهم الدنو من الدائرة التى أنا فيها . وما زالوا يمرون زمراً زمراً إلى أن جاء ملكهم راكباً فرساً وبين يديه أمم منهم . فوقف بإزاء الدائرة وقال : يا إنسى ما حاجتك ؟ قال : قلت قد بعثنى إليك الشيخ عبد القادر . فنزل عن فرسه وقبل الأرض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه : ثم قال لى : ما شأنك فذكرت له قصة ابنتى . فقال لمن حوله : على بمن فعل هذا . فأتى بما رد ومعه ابنتى . فقيل له : إن هذا مارد من مردة الصين فقال له : ما حملك على أن اختطفت من تحت ركاب القطب ؟ فقال : إنها وقعت فى نفسى . فأمر به فضربت عنقه وأعطانى ابنتى : فقلت ما رأيت كالليلة فى امتثالك أمر الشيخ عبد القادر قال : نعم إنه لينظر من داره إلى مردة الجن وهم بأقصى الأرض فيفرون من هيبته .

وذكر الشيخ برهان الدين الموصلى وهو رجل عالم صالح ورع رحمه الله تعالى . قال : توجهنا من مصر إلى مكة المعظمة نريد الحج : فلما كنا فى أثناء الطريق نزلنا منزلا وخرج علينا ثعبان فتبادر الناس لقتله وسبقهم إليه عمى فقتله . فاختطف ابن عمى ونحن ننظره ونرى سعيه ولا نرى الجنى الذى اختطفه . فتبادر الناس على الخيل يريدون رده فلم يقدروا على ذلك . فحصل لنا من هذا كرب شديد وغم زائد . فلما كان آخر النهار فإذا به وعليه السكينة والوقار . فيلقيناه وسألناه عما حصل معه . فقال لنا ما هو إلا أن قتلت هذا الثعبان الذى رأيتموه فصنع بى ما رأيتم وإذا أنا بين قوم من الجن يقول بعضهم . قتلت أبى . وبعضهم يقول : قتلت أخى . وبعضهم يقول : قتلت ابن عمى فتكاثروا على . وإذا برجل قد اصق بى وقال لى : قل أنا بالله وبالشريعة المحمدية . فأشار إلى وإليهم أن سيروا إلى الشرع . فسرنا حتى وصلنا إلى شيخ كبير على مسطبة . فلما صرنا بين يديه . قال : خلوا سبيله وادعوا عليه . فقال الأولاد : ندعى عليه أنه قتل أبانا . قال : أحق ما يقولون ؟ قلت حاشى لله يا مولاى إنما نحن حجاج بيت الله الحرام نزلنا هذا المنزل فخرج علينا ثعبان فتبادر الناس إلى قتله وأنا من جملتهم فضربته فقتلته فلما أن سمع الشيخ مقالتى قال : خلوا سبيله سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة وهو يقول : من تزيا بغير زيه فقتل فلادية له ولا قود ردوه إلى مكانه . قال : فبادروا وجاءوا بى من مكانهم إلى أن أوصلونى إلى الركب . فهذه قصتى والحمد لله رب العالمين . فتعجب الناس من ذلك . غاية العجب .

وروى الإمام الشافعى رضى الله عنه والبيهقى : أن رجلا من الأنصار رضى الله عنهم خرج يصلى العشاء فاختطفه الجن وفقد أعواما وتزوجت امرأته ثم إنه بعد ذلك أتى المدينة فسأله سيدنا عمر رضى الله عنه عما جرى له . فقال : اختطفنى الجن فلبثت فيهم زماناً طويلا . فغزاهم جن مؤمنون وقاتلوهم فأظفرهم الله عليهم وسبوا منهم سبايا وسبونى معهم ، فقالوا : نراك رجلا مسلماً ولا يحل لنا سباؤك .

فخيروني بين المقام عندهم أو الرجوع إلى أهلي . فاخترت أهلي . فأتوا بي إلى المدينة فقال له سيدنا عمر رضي الله عنه . ما كان طعامهم ؟ قال : الفول وكل ما لم يذكر اسم الله عليه ؟ قال : فما كان شرابهم قال : الجدف . وهو الرغوة لأنها تجدف عن الماء وكل إناء كشف عنه غطاؤه .

وفي كتاب مفاخر الإسلام : أن زائر قبره الشريف إذا كان على أميال من المدينة تبادرت الملائكة الموكلة بتبليغ الصلاة والسلام إليه صلى الله عليه وسلم فيقولون : يا رسول الله هذا فلان وفلان الذين بلغناك صلاتهم وسلامهم عليك فقد جاؤك زائرين . فيقول صلى الله عليه وسلم : تلقوهم بالترحيب وصافحوا على الركبان وعانقوا على المشاة واقضوا حوائجهم فلولا حجاب المدينة لتلقيتهم ماشياً ولكني سأقضي حقوقهم يوم لا يجدون وسيلة إلا محبتي .

وفي كتاب حسن التوسل للشيخ عبد القادر الفاكهاني تلميذ الإمام ابن حجر المكي قوله : ما من أحد يمنح الزيارة النبوية إلا بعد أن يدعى بلسان الحضرة المحمدية . فإن دعي مرة زار مرة أو أو مرتين فرتين . وهكذا .

والبشارة العظمى أن من زار قبره صلى الله عليه وسلم مبشر أن يموت على الإسلام كما فهم من الأحاديث السابقة بعض الأئمة .

وفي كتاب الشفاء للقاضي عياض قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال نعم . وأرد عليهم . وقد تقدم مثل هذا عن سليمان بن سحيم .

ويستحب بعد تمام الزيارة أن يأتي الروضة الشريفة ويكثر فيها من الذكر والدعاء خصوصاً الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم . ويقف عند المنبر ويدعو . وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وقبري على حوضي .

وينبغي له مدة الإقامة بالمدينة المنورة أن يخرج كل يوم متطهراً لزيارة من بالبقيع بعد السلام عليه صلى الله عليه وسلم . ويوم الجمعة آكد . فإذا انتهى إلى البقيع قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . اللهم أغفر لأهل البقيع جميعاً . اللهم اغفر لنا ولهم . ثم يقرأ الفاتحة وما تيسر من القرآن ويهدي ثواب ذلك لهم .

ومس المشاهد حال الزيارة قال في شأنه العلماء أن غايته الكراهة لا الحرمة فإنه لما قال النووي : يكره مس القبر ومسحه اعترضه العز بن جماعة يقول الإمام أحمد : لا بأس به . ويقول المحب الطبري قال الجمال الرملي في شرح الإيضاح . علة الكراهة نفي الأدب . قال : فيعلم أن من قصد به التبرك فلا بأس به . قال : فقد نص الإمام الشافعي رضي الله عنه : على أن أي جزء قبله من أجزاء البيت

فحسن . قال : ويكره الانحناء للقبر الشريف ما لم يقصد به التبرك . انتهى كلام الجمال الرملي . أما إن قصد بالانحناء الشبيه بالركوع تعظيم المخلوق كتعظيم الخالق فإنه يحرم وربما جره هذا إلى الكفر إن استحل الركوع أو السجود لغير الله عز وجل المستحق لهما وحده دون غيره من المخلوقات مهما عظمت ومهما أعطيت ووصلت درجتها .

وقد ثبت أن سيدنا وأستاذنا وشيخنا أبي الفيض سيدي أحمد بن محمد التيجاني رضي الله تعالى عنه وعنا به قال لمن قبل الأرض بين يديه : كفرت قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . وأمره بتجديد النكاح لأن نكاحه فسخ بذلك . وأنه قال لامرأة قبلت بين يديه مثل ذلك .

وفي غنية الأصحاب :

تقبيل قبر منبر أو ضريح يجوز أو يكره في الصحيح
أما سجودهم على الجباه في الكفر بلا اشتباه

انتهى . من كتاب الدرة الخريدة الإمام النظيفي .

وفي حواشي الحلبي على شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري قال : أفتى والد شيخنا بعدم كراهة تقبيل نحو قبور الصالحين بقصد التبرك .

وفي البقيع كثير يحسن زيارتهم لينال بها الفضل الجزيل . وهم سيدنا العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسيدة صفية عمته صلى الله عليه وسلم . وسيدنا إبراهيم بن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . وسيدنا عثمان بن عفان . والسيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على القول الراجح أن قبرها في البقيع وسيدنا الحسن بن سيدنا علي . وابن أخيه زين العابدين بن علي بن الحسين . وأبي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين وابنه جعفر الصادق . وعثمان بن مظعون . وفاطمة بنت أسد أم الإمام علي . وعبد الرحمن بن عوف . وسعد بن أبي وقاص . وعبد الله بن مسعود . وابن حذافة السهمي . وأسعد بن زرارة . وعقيل بن أبي طالب . وعبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب . وهو من المواضع المشهورة باستجابة الدعاء كما جرب ذلك . وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم . وأبي سفيان بن الحارث عم النبي صلى الله عليه وسلم . وسعد بن معاذ رئيس الأنصار . ومالك بن أنس إمام دار الهجرة وشيخه نافع مولى ابن عمر . وإسماعيل بن جعفر الصادق . ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري . وغير هؤلاء من الأصحاب والصالحين .

ويستحب أن يأتي الآبار التي كان رسول الله صلى الله علية وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبع آبار : بئر أريس . وبئر حاء . وبئر غرس . وبئر بضاعة . وبئر السقيا . وبئر العهن . وبئر رومه التي اشتراها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ويستحب أن يأتي جميع مشاهده وأمكنته صلى الله عليه وسلم للتبرك بآثاره الشريفة . ويعتمد في معرفة ذلك وفيما يجهله من المزارات على خبير من أهل المدينة المنورة . ويستحب له أن يخرج متطهراً

لزيارة شهداء أحد . وهم سبعون . والأفضل أن يكون ذلك يوم الخميس . وأن يبكر بالخروج بعد صلاة الصبح بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل أن يعود ويدرك جماعة الظهر فيه ثم يزور جبل أحد لأنه أثر مبارك . وإن تيسر له صعوده والأكل من شجره فليفعل . فقد ورد . أحد على باب الجنة فن أكل من بطنه حرم الله بطنه على النار .

ويستحب استحباباً مؤكداً أن يأتي مسجد قباء ناوياً التقرب بزيارته والصلاة فيه للحديث الصحيح : صلاة في مسجد قباء كعمرة . والأولى أن يكون ذلك يوم السبت اقتداء به صلى الله عليه وسلم فإنه كان أتيه كل سبت .

وينبغي له مدة إقامته بالمدينة أن يستحضر جلالتها وفضلها وأنها البلدة التي اختارها الله تعالى لهجرة نبيه صلى الله عليه وسلم واستيطانه ودفنه بها . ويستحضر تردده صلى الله عليه وسلم ومشيه في بقاعها . ومن ثم ينبغي له أن لا يركب فيها كما كان يفعل سيدنا مالك رضى الله عنه .

ويتأكد في حقه أن يصلى الصلوات كلها في المسجد الشريف . وأن ينوى الاعتكاف فيه كلما دخله وأن يصرف جميع زمنه في مهمات الأعمال وفواضلها كصوم وصدقة وغير ذلك فإن الإقامة بالمدينة فرصة من فرص الدهر لا تتيسر لكل أحد ولا في كل وقت . فليغتنم تلك الفرصة ويبذل جهده في فعل الطاعات ولا يضيع مواسم الخيرات . ثم إذا أراد السفر أتى المسجد الشريف وصلى فيه ركعتين سنة الخروج منه . والأولى أن يكون ذلك بالروضة المكرمة . ثم يدعو بما أحب دنيا وديناً . ومن آكده الابتهال والتضرع إلى الله تعالى في قبول زيارته . ثم يأتي القبر المقدس ويعيد ما مر في ابتداء الزيارة من السلام والدعاء . ثم يقول : اللهم لا تجعل هذا آخر العهد برسولك صلى الله عليه وسلم ويسر لى العود إلى الحرمين الشريفين سبيلا سهلا وارزقنى العفو والعافية في الدنيا والآخرة وردنا إلى أهلنا سالمين غانمين .

والإقامة بالمدينة الشريفة والصبر على ملاقات الشدة فيها ، فيه خير كثير وفضل عظيم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصبر على لأواء المدينة أحد من أمتى إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة . واللأواء بالمد الشدة وضيق المعيشة .

وفي فضل المدينة وآثارها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غبار المدينة شفاء من الجذام . رواه أبو نعيم في الطب النبوى وفي حديث آخر : غبار المدينة يبرىء الجذام . رواه أبو نعيم أيضاً في الطب . وفي حديث آخر : غبار المدينة يطفىء الجذام . رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة . والجذام داء يحمر منه العضو ثم يتقطع ويتناثر . وقد سمع بعض المخلصين بعض المحدثين يقول مثل هذه الأحاديث وكان بيده بياض مشوه فذهب ووضع عليه من تراب الحجرة الشريفة فبرىء .

ومما جرب لدفع كل شدة هذان البيتان فاتخذهما لك عدة . وهما :

إليك رسول الله أشكو نوائباً من الدهر لا يقوى لها المتحمل

وإنى لأرجو أنها بك تنجلى فإنك لى جاه وحصن ومعقل

ومما جرب لدفع الكروب قراءة هذه الأبيات المختومة بالتوسل بسيد السادات . وقد قال الإمام السيوطى رضى الله عنه نقلا عن الإمام النووى رضى الله عنه : إنه ما قرأها أحد ثم دعا الله عقبها بشىء إلا أستجيب له . وهى هذه :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى فى الشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه فى قول كن أمنن فإن الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة فبالإفتقار إليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا الفضل أجزل والمواهب أوسع
بالذل قد وافيت بابك عالما أن التذلل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدى عليك توكلا وبسطت كفى سائلا أتضرع
فبحق من أحببته وبعثته وأجبت دعوة من به يتشفع
اجعل لنا من كل ضيق مخرجاً وألطف بنا يامن إليك المرجع

وللإمام الشافعى رضى الله عنه دعاء مشهور بالإجابة وهو : اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير فمن واظب عليه مائة وإحدى وأربعين مرة كان محفوظاً من الفتن مصوناً من المحن اهـ .

ومن الأدعيه المستجابة : إذا نزل بالشخص أمر ضيق أو كرب فليطبق أصابع يده اليمين ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم
فى النوم وفى اليقظة

فمن رآه صلى الله عليه وسلم فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل به . وفى رواية مسلم : من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أو فكأنما رآنى فى اليقظة لا يتمثل الشيطان بى . قال الحافظ ابن حجر : ووقع عند الإسماعيلى فقد رآنى فى اليقظة بدل قوله : فسيرانى . ومثله عند ابن ماجه وصححه الترمذى من حديث ابن مسعود : وفى رواية أبى قتادة عند مسلم أيضاً : من رآنى فقد رأى الحق . وله أيضاً من حديث جابر : من رآنى فى المنام فقد رآنى فإنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى . وفى رواية : من رآنى فى المنام فقد رآنى فإنه لا ينبغى للشيطان أن يتشبه بى .

قال الغزالى فى بعض فتاويه : من رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يعنى فى المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة وإنما رأى مثاله لا شخصه . ثم قال وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل . وقال الطيبى : المعنى : من رآنى فى المنام بأى صفة كنت فليبشر وليعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق. وقد أجاب الشيخ بدر الدين الزركشى عن سؤال رؤية جماعة له عليه الصلاة والسلام فى آن واحد من أقطار متباعدة مع أن رؤيته صلى الله عليه وسلم حق . أجاب بأنه صلى الله عليه وسلم سراج ونور الشمس فى هذا العالم مثال نوره فى العوالم كلها . فكما أن الشمس يراها كل من فى المشرق والمغرب فى ساعة واحدة وصفات مختلفة فكذلك النبى صلى الله عليه وسلم . ولله در القائل :ـ

كالبدر من أى النواحى جئته يهدى إلى عينيك نوراً ثاقباً

التحدث بالنعمة : أمره محمود مطلوب . قال الله عز وجل : (وأما بنعمة ربك فحدث) فلهذه المناسبة وهى ذكرنا لرؤية حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم واليقظة أردنا أن نذكر بعض ما تفضل به علينا مولانا جل وعلا من نعمه الكثيرة . وقد أجاز العلماء لمن أنعم الله عليه بنعمة العلم أو بنعمة التوفيق للطاعة أو بأى نعمة أخرى أن يتحدث عن بعض تلك النعم شكراً لله تعالى عليها وليعرفها من لم يكن يعرف من تحلى بها فيقوى بذكرها الاعتقاد فيمن أنعم عليه بها فيعمل بعمله ويتحلى بحليته .

وأجل النعم قدراً على ما نعتقد رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم أو فى اليقظة . وقد رأيته صلى الله عليه وسلم فى النوم ورآه كثيرون غيرى . أما رؤياى إياه صلى الله عليه وسلم . فقد كنت قبل أن أراه كثير الشوق لرؤيته صلى الله عليه وسلم . ففى المسجد النبوى على الحال به أفضل الصلاة وأزكى التسليم ودخلت من أحد أبوابه ومشيت داخله إلى أن وصلت إلى الضريح المعظم وما أن وصلت إليه حتى رأيت المقصورة النحاسية المحيطة بالقبر الشريف قد ارتفعت إلى أعلا . فظهر لى صلى الله عليه وسلم بجسمه الشريف وبجواره متأخراً عنه سيدنا الصديق رضى الله عنه وبجواره متأخراً عنه سيدنا الفاروق رضى الله عنه فأخذت أقبل يدى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نلت الحظ الأوفر من التمتع بذاته الكريمة . ثم تنبهت من نومى حامداً شاكراً لله تعالى على هذه النعمة العظيمة التى نسأله عز وجل دوامها.

ثم رأيته صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فى بيتنا متكئاً على وساد ممدداً رجليه متجهاً بوجهه الشريف إلى القبلة وأمام ركبتيه الشريفتين أحد أصحابه لم أميزه من هو ؟ ولم أشغل نفسى بمعرفته بل كان شغلى وهمى نحوه هو صلى الله عليه وسلم . فقلت له صلى الله عليه وسلم : أستأذن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حمل قهوة : وذلك فى نظرى على سبيل التحية . فأجاب صلى الله عليه وسلم بالقبول . ولحرصى على عدم مفارقة بصرى إلى النظر إلى ذاته الشريفة ناديت أهل بيتى وأنا جالس أمامه صلى الله عليه وسلم طالباً منهم عمل قهوة . فعملوها وجاءوا بها فصببت منها فنجالا وقدمته بيدى إليه صلى الله عليه وسلم فأخذه منى وشرب منه أكثره ثم ناولنى إياه . فأخذته وتأملته فإذا فيه بقية فلم أتجاسر على شربها حتى يأذن لى صلى الله عليه وسلم فكنت تارة أنظر إلى البقية وتارة أخرى أنظر إلى وجهه الكريم كالمستأذن . فأذن لى صلى الله عليه وسلم فى شرب البقية التى بقيت من شربه

صلى الله عليه وسلم . فشربتها كلها ولم أبق منها شيئاً حتى لعقت أثر القهوة من الفنجال . وكان كل تفكيرى فى حال وجـــود الفنجال فى يدالرسول صلى الله عليه وسلم منحصر فى عدم تمكين أى مخلوق من لمس الفنجال الذى شرب منه الرسول صلى الله عليه وسلم القهوة . وهدانى تفكيرى إلى أنى حينما أصحو من النوم أطلب إلى نجار أو يعمل صندوقاً من الخشب على قدر الفنجال لأضعه داخل هذا الصندوق ومن أراد أن يتبرك به يلمس الصندوق من ظاهره . ثم انتبهت من النوم حامداً شاكراً لله عز وجل فضله وعنايته .

وفى ليلة من الليالى جاءنى إنسان فى آخر الليل وطرق على الباب كالمستغيث فى رفع هم نزل به فأجبته بأنى سألحقه بعد إكمالى للطهارة التى كنت أباشرها وقتها وبعد تأدية صلاة الصبح . ثم رجع مرة أخرى مستغيثاً ولم تمض على ذهابه وعودته غير دقائق . فتوجهت إلى منزله لأرى ما نزل به لأغيثه مما هو مشفق منه وعند وصولى لباب منزله وجدته مفتوحاً وسمعت من يقول وهو بداخل البيت : أهلا بالإمام أنت الإمام الرسول يسلم عليك . ثم صار يقول : اللهم صل على النبى اللهم صل على النبى بصوت مرتفع ويكرر هذه القولة . فدخلت عليه فى المكان الذى هو فيه ولم أخاطبه بشىء لما فهمته من حاله أنه مأخوذ من حلاوة رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم . وانتحيت جانباً حتى أديت فريضة الصبح . ثم تقدمت إليه وقلت له : أخبرنى عما حصل لك . فرد على قائلا : أنا مجبور على إخبارك . لقد رأيتنى فى مسجد قد ملىء بالمصلين وعلى رأسهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أذن المؤذن وأقيمت الصلاة تقدم (فلان) وسماه الرائى . ليؤم الناس . فقام إليه صلى الله عليه وسلم . وتناوله من ثيابه من الخلف ونحاه المحراب ورده خلف الناس . ثم جاء إليك صلى الله عليه وسلم وأخذك من يدك وسار بك حتى اوصلك إلى المحراب وقال لك : صـــل بالناس فصليت بهم وأتممت بهم الصلاة . وعند ئذ التفت إلى (إلى الرائى) الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لى : يا فلان باسمى : بلغ الشيخ محمد السيد التجانى بأن السعادة سبقت له ولم تسبق (لفلان) الذى نحاه صلى الله عليه وسلم ورده عن المحراب . وقد بلغتك مارأيت . فحمداً وشكراً لله عز وجل . وكانت خاتمة هذا الإنسان الذى رده الرسول صلى الله عليه وسلم خلف الناس أنه دخل بيت الخلاء ليقضى حاجة الإنسان فقضى عليه بالموت فيه . فأخرج منه ملوثا بالنجاسة ثيابه وبدنه . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . نعـــوذ بالله من سخطه وعقابه . آمين .

ثم فى يوم كنت بمحل تجارة أحد الإخوان التجانيين بمدينة فاقوس من أعمال مديرية الشرقية وإذا بإنسان مكفوف البصر يقوده غيره وقف على باب هذا المكان والقائد له يشير بأصبعه نحوى ويقول : ها هو هنا . فأدخله صاحب المحل وأجلسه بجوارى . فسلم الكفيف على ويدعى الشيخ (أبو نوفل) أحد قراء القرآن الكريم وقال لى : عندى أمر أريد أن أعرضه عليك . فقلت له : تفضل . فقال كنت نائما فرأيت فى نومى أنى أقرأ القرآن الكريم . وفى أثناء التلاوة شعرت بأن نوراً دخل على المكان الذى أنا فيه وصار النور يزداد حتى ملأ البيت الذى أنا موجود فيه . ثم اتسع النور وازداد حتى كسا

مدينة فاقوس كلها . فدهشت لذلك وكأنى مبصر أشاهد هذا النور العظيم وفى أثناء دهشتى دخل على رجلان أحدهما الصاعد منه النور الذى انتشر على فاقوس كلها . فسألت من دهشتى الرجل الذى دخل معه بلهفة . قلت له : من الذى أمامك ؟ فقال لى : هذا جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقمت آخذ أبيده الكريمة أقبلها : فقال لى صلى الله عليه وسلم لم لم تأخذ الطريقة التجانية ؟ فقلت له : يا سيدى يارسول الله أنا آخذ للطريقة القادرية فأعاد على القول مرة أخرى قائلا : لم لم تأخذ الطريقة التجانية ؟ فقلت ياسيدى أنا عندى إذن بإعطاء أوراد الطريقة القادرية ها هو . فقال لى : قلت لك لم لم تأخذ الطريقة التجانية ؟ فقلت له ياسيدى : وممن آخذ الطريقة التجانية ؟ فقال لى : لى خذها من أحد الرجلين . إما من السيد محمد الحافظ التجانى أو من السيد محمد السيد التجانى والسيد محمد السيد التجانى قريب منك فسلم لى عليه وقل له : رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليك ويقول لك أعطنى الإذن بقراءة أوراد الطريقة التجانية . وقد جئت إليك لتعطينى الإذن بقراءة أورادها . فأذنته بقراءة أورادها بعد قبوله لشروط سلوكها : والحمد لله والشكر الجزيل له على هذه النعمة . وقد مكث أبو نوفل نحو السنتين وهو يقرأ أورادها . ثم اختاره الله عز وجل إلى جواره . رحمة الله تعالى عليه .

ولمناسبة ذكر الطريقة العلية التجانية كان فى بلدة من بلاد مديرية الشرقية من يحمل الإذن بقراءة أوراد الطريقة النقشبندية وكان ينتقد بعض مالا يسعه فهمه ولا علمه مما جاء فى شأن الطريقة التجانية وظل على حاله هذا حتى كان أواخر أيامه فرض وقبل أن يموت بزمن مكث نحو الأربعة أيام وهو لا يتكلم ولا ينطق . وفجأة سمعه أهله يقول من غير ما سبب ولا مناسبة : الطريقة التجانية خير طريقة على وجه الأرض ومكث يكرر هذه الجملة حتى صعدت روحه لبارئها . فنسأله عز وجل أن يحيينا ويميتنا متمسكين بها حتى نلقاه وهو راضى عنا .

نعود لمسألة رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم فنقول : إن كثيراً لا يحصيهم العد من السادة الأولياء كانوا يرونه صلى الله عليه وسلم فى النوم . منهم الشيخ خليفة النهر وحكى رآه صلى الله عليه وسلم فى ليلة سبع عشرة مرة قال له صلى الله عليه وسلم فى إحداهن : لا تضجر منى ياخليفة فإن كثيراً من الأولياء مات بحسرة رؤيتى . وإن السادة الأولياء لا يرون الرجل قد بلغ مرتبة الرجال إلا إذا رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة . وقبل أن يلتقى الولى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة يكون على خوف من السلب نعوذ بالله منه .

ولأستاذنا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدى الشيخ أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه من الكرامات المأثورة والمناقب المشهورة رؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً واجتماعه عليه وسؤاله عن كل ما يريد السؤال عنه ومشاورته له فى جميع الأمور والتربية على يديه صلى الله عليه وسلم التلقى منه جميع ما أنعم الله به عليه من أوراده وأسراره وأنواره والرجوع إليه فى كل شىء قـــل أو جل . وكانت رؤيته رضى الله عنه لذات الرسول صلى الله عليه وسلم دائمة لا يغيب عنه طرفة عين . وكان رضى الله عنه بعد أخذ طريقته مشافهة من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الرسول صلى الله

عليه وسلم بناقيتها للخلق . فقال للرسول صلى الله عليه وسلم : إن كنت بابا لنجاة كل عاص تعلق بي فنعم . فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : نعم أنت باب لكل عاص تعلق بك . فعاد إلى إعطاء طريقته للناس بعد أن كان فاراً منهم .

وقد نص على جواز رؤية ذاته الحقيقية الكريمة بجسده الشريف جماعة من الأئمة الثقاة وحكوا وقوعها لكثيرين من العارفين الكاملين .

وممن نص على ذلك من الشافعية والمالكية القرطبي وابن أبي جمرة وابن الحاج في المدخل والشيخ جلال الدين السيوطي رحمة الله تعالى عليه . والشيخ أبي بكر بن العربي المالكي وغيرهم من الحفاظ وقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل انتقاله للدار الآخرة لم يتبدل منه شيء . وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله . رفع الحجاب عمن أراد كرامته رآه صلى الله عليه وسلم على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا يستبعده أو ينكره إلا من لم يقدر الله له أنه من أهل هذه الكرامة وأنه من غير المؤهلين لها المبعدين عنها . ومن أنكرها وجحدها فهل إنكاره ينفي وجودها أو يمنع حصولها لمن نالها من السادة العارفين ؟ وهل ينكر وجود الشمس المشرقة الطالعة إلا كل من عمي بصره وطمست بصيرته . وإنكار وجودها لا يغير الأمر الواقع . فهؤلاء جماعة من العدول الثقاة الأبرار الأنقياء الأمناء على الشريعة قالوا إنهم رأوه صلى الله عليه واجتمعوا عليه يقظة لا مناماً في عالم الحس وتلقوا عنه صلى الله عليه وسلم إجابته لهم بتبيين ما خفي عليهم . ومنهم غير سيدي وشيخي وأستاذنا الكامل مولانا الشيخ أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه الولي الكبير سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه . فقد نقل في تنوير الحلك عن الشيخ سراج الدين بن الملقن أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لي : يا بني ألا تتكلم ؟ فقلت : يا أبتاه إني رجل أعجمي فكيف أتكلم على فصحاء بغداد . فقال : افتح فاك . ففتحته . فتفل فيه سبعاً وقال ، تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج علي . فرأيت علياً أعني ابن أبي طالب رضي الله عنه قائماً بإزائي في المجلس . فقال لي : يا بني لم لا تتكلم ؟ فقلت : يا أبتاه قد ارتج علي . فقال : افتح فاك . ففتحته فتفل فيه ستاً فقلت: لم لم تكملها سبعاً ؟ فقال : أدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم توارى عني .

ومشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم أمرها جسيم وخطبها عظيم . فلولا أن الله يقوي العبد ما أطاقها فلو فرضنا رجلا قوياً عظيماً اجتمع فيه قوة أربعين رجلا كل واحد منهم يأخذ بأذن الأسد من الشجاعة والبسالة ثم فرضنا النبي صلى عليه وسلم خرج على هذا الرجل لانفلقت كبده وأذابت ذاته وخرجت روحه . وذلك من عظمة سطوته صلى الله عليه وسلم . ومع هذه السطوة العظيمة ففي تلك المشاهده الشريفة من اللذة مالا يكيف ولا يحصى حتى إنها عند أهلها أفضل من دخول الجنة . وذلك لأن من دخل الجنة لا يرزق جميع ما فيها من النعيم بل كل واحد له نعيم خاص به بخلاف مشاهدة النبي صلى الله عليه

وسلم فإنه إذا حصلت له المشاهدة المذكورة سقيت ذاته بجميع نعم أهل الجنة ويجد لذة كل لون وحلاوة كل نوع كما يجد أهل الجنة فى الجنة . وذلك قليل فى حق من خلقت الجنة من نوره صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ صفى الدين بن أبى منصور فى رسالته والشيخ عبد الغفار فى التوحيد . حكى عن الشيخ أبى الحسن الونانى قال : أخبرنى الشيخ أبو العباس الطنجى قال : وردت على سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله عنه لأكون فى صحبته . فقال لى : ما أنا شيخك . إنما شيخك عبد الرحيم بقنا . رح إليه . فسافرت : إلى قنا . فدخلت على الشيخ عبد الرحيم . فقال لى : أعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قال لى : رح إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرحت إلى بيت المقدس فحين وضعت رجلى وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسى مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرجعت إلى الشيخ . فقال لى : أعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم . قال : الآن كملت طريقتك لم تكن الأقطاب أقطاباً والأوتاد أوتاداً والأولياء أولياء إلا بمعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وممن ثبتت له هذه الكرامة كرامة رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحس واليقظة الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وتلميذه وخليفته الشيخ أبو العباس المرسى الذى كان يقول لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين . وقد ذكر أن أبا العباس المرسى كان إذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم رد عليه ويجيبه إذا تحدث . ومنهم سيدى على بن وفا رضى الله عنه كان يحدث عن نفسه أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين يقظة لا مناماً وعليه قميص أبيض من قطن . ثم رأى القميص عليه وأنه قال له : اقرأ فقرأ عليه سورة والضحى وسورة ألم نشرح ثم غاب عنه وأنه لما بلغ إحدى وعشرين سنة أحرم للصلاة فرآه صلى الله عليه وسلم قبالة وجهه فعانقه . فقال : وأما بنعمة ربك فحدث . قال رضى الله عنه . فأوتيت لسانه من ذلك الوقت .

وذكر السيوطى رحمة الله تعالى عليه بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقه . فروى ذلك الفقيه حديثاً . فقال له الولى : هذا الحديث باطل قال : ومن أين لك ؟ قال : هذا النبى صلى الله عليه وسلم واقف على رأسك يقول : إنى لم أقل هذا الحديث . وكشف للفقيه فرآى النبى صلى الله عليه وسلم : فقال له ما قلت : ذلك ، فسلم الفقيه للولى .

وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه : كان سيدى إبراهيم المتبولى رحمة الله تعالى عليه يقول : نحن خمسة لا شيخ لنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . الجعيدى (يعنى نفسه) والشيخ أبو مدين . والشيخ عبد الرحيم القناوى . والشيخ أبو السعود بن أبى العشائر . والشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنهم وكان سيدى عبد الوهاب رضى الله عنه يحدث عن نفسه يقول : لا أعلم أحداً فى مصر الآن أقرب سنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منى : فإن بينى وبينه رجلين سيدى عليا الخواص . وسيدى إبراهيم المتبولى فقط .

ومن رآه صلى الله عليه وسلم يقظة سيدى الشيخ إبراهيم الدسوقى . وسيدى الشيخ جلال الدين السيوطى والزواوى . والمرسى . وأبى مدين وأبى السعود وغيرهم وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى : رأيت بخط الشيخ جلال الدين السيوطى عند بعض أصحابه وهو الشيخ عبد القادر الشاذلى مراسلة لشخص سأله شفاعة عند السلطان قايتباى ونصها أعلم يا أخى أنى اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتى هذا خمساً وسبعين مرة يقظة ومشافهة ولولا خوفى من احتجابه صلى الله عليه وسلم عنى بسبب دخولى للولاة لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان وأنا رجل من خدام حديثه صلى الله عليه وسلم وأحتاج إليه فى تصحيح الأحاديث التى ضعفها المحدثون من طريقهم . ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك أنت يا أخى .

قال : يعنى الشعرانى رضى الله عنه : ويؤيد الشيخ جلال الدين فى ذلك ما اشتهر عن سيدى محمد بن زين المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان يراه يقظة ومشافهة ولما حج كلمه من القبر ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شخص أن يشفع له عند حاكم البلد . فلما دخل عليه أجلسه على بساطه فانقطعت عنه الرؤية فلم يزل يتطلبها من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تراآى له من بعيد . فقال له : أتطلب رؤيتى مع جلوسك على بساط الظلمة لا سبيل لك إلى ذلك . فلم يبلغنا أنه رآه بعد ذلك حتى مات .

وذكر السيوطى رحمة الله تعالى عليه : أن الشيخ أبا العباس القسطلانى دخل مرة على النبى صلى الله عليه وسلم . فقال له : أخذ الله بيدك يا أحمد . وذكر السهرودى فى عوارف المعارف . عن الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه أنه قال : ما تزوجت حتى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : تزوج . وذكر عن الشيخ أبى السعود بن أبى العشائر أنه قال : كنت أزور شيخى أبا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما فتح على لم يكن لى شيخ إلا النبى صلى الله عليه وسلم .

فإذا كان هذا قول آحاد الأولياء . فالأئمة المجتهدون أولى بهذا المقام كما ذكره سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى ميزانه من أنهم يرون النبى صلى الله عليه وسلم يقظة .

قال سيدى الشيخ أحمد سكيرج رحمة الله تعالى عليه : وهل رؤية من يراه صلى الله عليه وسلم بالذات والروح . أو لمثال الذات . أو لمثال الروح فقط . الصحيح الأول وبالثالث صرح الغزالى وغيره .

ومجمل ما أشار الغزالى وغيره فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم : من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا . أن النبى صلى الله عليه وسلم يراه ألف راء أو أكثر فى ليلة واحدة بصور مختلفة . شيخ وشاب طويل وقصير وصحيح ومريض على جميع الصور . فلا يظن الرائى أنه رأى حقيقة شخصه المودع فى روضة المدينة ولا مثال شخصه وأن الحق إنما راى مثال روحه صلى الله عليه وسلم المقدسة التى هى محلى النبوة إلى آخر كلامه حسبما ذكره الشيخ الولى سيدى محمد الزواوى فى أول مقدمة مرائيه . ثم قال بعده : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لى : ما ذكره أبو حامد فى رؤيتى ليس كذلك . بل معنى قولى : من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً . يعنى بجسدى وروحى على الحقيقة . لكن إنما تختلف صورتى باعتبار صفاء قلب الرائى . فإن كان صافيا نقياً انطبعت صورتى فى مرآة قلبه على ما هى عليه من الكمال وإن كان به غين حجبه ذلك الغين عنى . والمحجوب هو بذلك الغين لا أنا لأنى لست محجوبا بل أنا لم أزل على كمالى وإنما يحجبه هو غينه . وا كتبه بإثر كلامه . وتمادى على ذلك إلى أن قال : فعلى كل حال .

إن الصورة التي يراها الرائي بقرينة حقيقية تبين أنها صورته الكريمة فلا شك أنها هو صلى الله عليه وسلم لأن الشيطان لا قدرة له التشكل بصورته الشريفة وهذه إحدى المعجزات لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

وفي مختصر البخاري لابن أبي جمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي . وقال الشيخ محمد الشنواني في حاشيته على هذا الحديث بعد أن ذكر شيئا كثيراً من الأجوبة إلى أن قال : قال السادة الصوفية : من رآه في المنام يراه يقظة في دار الدنيا .

وقد ذكر عن السلف والخلف ممن رأوه صلى الله عليه وسلم في النوم بأنهم رأوه في اليقظة تحقيقا لوعده الشريف الذي لا يخلف بقوله صلى الله عليه وسلم : من رآني في المنام فسيراني في اليقظة . وأكثر ما تقع رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة للعامة قبيل الموت عند الاحتضار . فلا تخرج أرواحهم من أجسادهم حتى يرونه وفاء بوعده . وأما غير العامة فإنهم تحصل لهم الرؤية في طول حياتهم إما قليلا وإما كثيراً .

قد اجتمع به صلى الله عليه وسلم كثير من أولياء أمته وعلمائهم للاستفادة وتصحيح أحاديثه الشريفة . فهو صلى الله عليه وسلم وإخوانه الأنبياء والمرسلين أحياء يسيرون في أقطار الأرض كيف شاؤا ويجتمعون بمن أراد الله له السعادة وأنهم يؤدون بعض الطاعات على سبيل التلذذ بعبادة الله تعالى لا على سبيل الوجوب عليهم . فقد قال سعد بن المسيب : لقد رأيتني في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في المسجد غيري وما يأتي وقت صلاة إلى سمعت الأذان من القبر الشريف : وفي رواية لم أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحرة وفي رواية . فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذانا يخرج من قبل القبر الشريف وفي رواية الدارمي : ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله عليه وسلم .

وفي بعض المجاميع أن سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه لما حج وقف تجاه الحجرة الشريفة وأنشد : —

في البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت إليه اليد الشريفة من القبر فقبلها .

فقد روى البيهقي والطبراني وغيرهما مرفوعا التحدث بالنعمة شكر . زاد في رواية البيهقي وتركه — يعني الشكر — كفر . وأخرج ابن جرير في تفسيره وغيره عن أبي نضرة الغفاري قال : كان المسلمون يرون أن من شكر النعمة إظهارها والتحدث بها لقوله تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن —

عذابي لشديد . فتوعدهم على كفرهم بالنعمة بالعذاب الشديد . وكان سفيان الثورى يقول : من لم يتحدث بالنعمة فقد عرضها للزوال .

وكان عبد الله بن غالب التابعى الجليل يقول : أعلنوا بأعمالكم الصالحة وأذكروها لمن لا يعلم بها فإن ذلك مما يرضى ربكم عز وجل . وأجل النعم قدرا .

وقال الشيخ صفى الدين بن أبى منصور فى رسالته : قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه أبو عبد الله القرشى : لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر توجهت لأدعو الله فقيل لى : لا تدع . فما يسمع لأحد منكم فى هذا الأمر بعد دعاء . فسافرت إلى الشام . فلما وصلت إلى قرب ضريح الخليل عليه الصلاة والسلام تلقانى الخليل فقلت يارسول الله اجعل ضيافتى عندك الدعاء لأهل مصر فدعا لهم . ففرج الله تعالى عنهم .

قال العلماء : وقوله : تلقانى الخليل قول حق لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر أبو عبد الله القرشى الخليل عليه الصلاة والسلام وطلب منه الدعاء لأهل مصر وإجابة الله له وتفريج الأمور بعد الدعاء على يديه . صلوات الله وسلامه عليه وعلى بقية إخوانه الأنبياء والمرسلين وعلى أصل الوجود والسبب فى كل موجود وعلى أهل بيته الطاهرين وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وعالم المثال المحسوس الذى نوهنا عنه فيما سبق مجاله واسع وهو بين عالم الملك والغيب وقد يتحقق به بعض العارفين المقربين . لهذا أفتى الإمام السيوطى رضى الله عنه لما سئل عن رجلين حلفا بالطلاق على الشيخ عبد القادر الدشطوطى بات عنده فى ليلة واحدة معينة بأنه لايقع طلاق واحد منهما على بناء على تحقيق المثال المحسوس .

وقد وقعت هذه المسألة قديماً وأفتى فيها العلماء بعدم الحنث . وإذا قرأت فى مناقب الأكابر المتصرفين فى حياتهم ومماتهم عرفت وعلمت تجزأ الأموات وتشكلهم فى عالم المثال .

وقد قيل إن غاية تصورهم فى عالم المثال عدد الرسل ثلاثمائة وثلاث عشر بل قال سيدى أحمد زروق : إنهم يتشكلون فى ألف صورة الأحكام الشرعية على صورة منها واحدة . وقد كان لسيدى عبد الله الحداد فى غالب أيام حياته ثلاث أو أربع نساء فى عصمته كل منهن فى ليلة واحدة تحلف أنه بات عندها .

وذكر فى ترجمة الإمام الشربينى مؤلف (الإقناع) أنه كان يخطب يوم الجمعة فى أزيد من ثلاثين مسجداً يتشكل فى صور شتى .

وقد صح تصور الحلاج لما جاءوا به عند القاضى لمحاكمته فى أربعين صورة مثل صورته . فقال للقاضى: تحكم الشريعة بقتل أربعين أم بقتل واحد . فسكت القاضى وأبهره حاله .

وقد كان قبل محاكمته بقتله يقول : يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا منى حديثا . فاجتمع عليه خلق كثير فقال : اعلموا أن الله قد أباح لكم دمى فاقتلونى فبكى القوم . فتقدم إليه عبد الودود

ابن سعد الزاهد وقال: ياشيخ كيف نقتل رجلا يصلى ويصوم ويقرأ القرآن. فقال: ياشيخ المعنى الذى يحقن الدماء خارج عن الصلاة والصوم وقراءة القرآن. فاقتلونى تؤجروا وأستريح فتكونوا أنتم مجاهدين وأنا شهيد. ثم ذهب فتبعته إلى داره وقلت ياشيخ مامعنى هذا؟ فقال: يابنى ليس للمسلمين شغل أهم من قتلى. فاعلم أن قتلى قيام بالحدود ووقوف مع الشريعة فإن من تجاوز الحدود أقيمت عليه الحدود.

وقال عبد الكريم بن عبد الواحد: دخلت على الحسين بن منصور فى مسجد وحوله جماعة فكان أول ماقال فى كلامه: لو باقى بما فى بطنى ذرة على جبال لذابت وإنى لو كنت يوم القيامة فى النار لأحرقت النار ولو كنت فى الجنة لهدمتها. وقد ذكر الشيخ سيدى محيى الدين بن العربى كما ذكره سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه اليواقيت والجواهر أن الحلاج كان يدخل بيتا عنده يسميه «بيت العظمة» فكان إذا دخله ملأه كله بذاته فى عين الناظرين حتى إن بعض الناس نسبه إلى علم السيميا لجهله بأحوال الفقراء فى تطوراتهم. ولما دخلوا عليه ليأخذوه للصلب كان فى ذلك البيت فما قدر أحد أن يخرجه من ذلك البيت لأن الباب يضيق عنه. فجاءه الجنيد وقال له: سلم لله تعالى واخرج فرجع إلى حالته المعهودة وخرج. وكان ينشد وهو يرفل فى قيوده حال ذهابهم به إلى الصلب.

حبيبى غير منسوب ... إلى شىء من الحيف
سقانى ثم حيانى ... كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاسات ... دعا بالنطع والسيف
وذاك جزاء من يشرب ... مع التنين فى الصيف

وفى معنى حاله يقول القائل: —

أباح دمى إذ باح قلبى بحبها ... وحل لها فى حكمها ما استحلت
وما كنت ممن يظهر السر إنما ... عروس هواها فى ضميرى تجلت
وشاهدتها فاستغرقتنى فكرة ... فغبت بها عن كل كلى وجملتى
وحلت محل الكل منى بكلها ... فإياى إياها إذا ما تبدت
وألقت على سرى أشعة نورها ... فلاح بجلاء سى خفايا طويتى
ونمت على سرى فكانت هى التى ... عليها بها بين البرية نمت
إذا سألت من أنت قلت لها أنا ... وأنت التى أفنيت فيك هويتى
أنا الحق فى عشق كما أن سيدى ... هو الحق فى حسن بغير معية
فإن أك من سكرى شطحت فإننى ... حكمت بتمزيق الفؤاد المفتت
فلا غرو أن أصليت نار تحرق ... ونار الهوى للعاشقين أعدت
ومن عجبى أن الذين أحبهم ... وقد علقت أيدى الهوى بأعنتى
سقونى وقالوا لا تغنى ولو سقوا ... جبال حنين ما سقونى لغنت
تمنت سليمى أن أموت صبابة ... وأهون شىء عندنا ما تمنت

يا حلاج : كيف رأيت المحبة ؟ قال : رأيت حبة قد نصبت على فخ جمالية المحبوب فطارت إليها عصافير القلوب فلما سقطوا ليلتقطوا انقلبت عليهم حبة الفخ فاختبطوا . فحدقوا إلى حقيقة تلك الحبة وإذا هي نقطة باء المحبة قد قلبتها الفتنة فانقلبت المحبة محنة .

يا حلاج : فأنت تحت رقه تحترق وبحبل عشقه تختنق فتى تتفرغ من الخنق حتى تقول أنا الحق . فلو كان لك في البقائية ما شربت كأس الآنية . فقال : يا قوم لما أخذني مني وسلبني عني تلاشت أوصاف حدثي لما ظهر سلطان قدمه فكان الحدث كأن لم يكن وبقى القدم كأن لم يزل ثم فنيت آنيتي في آنيته وذهبت هويتي في هويته وتلاشت ناسوتيتي في لاهوتيته ثم نظرت منه إليه فلم أر إلا هو وسمعت منه عنه فلم أسمع إلا هو ونطقت له به فعلمت أن ليس هو إلا هو فقلت أنا هو . ولئن قلت : أنا الحق فما عدلت عن الحق لأني أنا الحق في محبته وهو الحق في مملكته ولئن كان سكري نم على سري فقد عربد وجدي على وجودي وجعل حدي محو حدودي .

وقد روى أنه لما أتي به ليصلب فرأى الخشب والمسامير ضحك ضحكاً كثيرا . ثم نظر في الحاضرين فرأى الشبلي فقال له : يا أبا بكر أمعك سجادة ؟ قال : بلى قال فافرشها لي . فتقدم وصلى فقرأ في الأولى الفاتحة وبعدها (كل نفس ذائقة الموت) ثم ذكر أشياء فكان مما حفظ عنه قوله : اللهم بحق قيامك بحق وبحق قيامي بحقك وقيامي بحقك يخالف قيامك بحق . لأن قيامي بحقك ناسوتية وقيامك بحقي لية لاهوتيه مع أن ناسوتيتي مستهلكة في لاهوتيتكم غير ممازجة إياها ولاهوتيتك مستولية على ناسوتيتي غير مماثلة لها . أسألك أن توفقني لشكر هذه النعمة التي أنعمت بها علي حيث كشفت لي عن مطالع وجهك وحرمت على غيري ما أبحت لي من النظر في مكنونات سرك . وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصباً لدينكم وتقربا إليك . فاغفر لهم . فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي ما فعلوا ولو سترت عني ما سترت عنهم ما ابتليت بما ابتليت فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد .

اقتلوني يا ثقاتي إن في قتلي حياتي
فمماتي في حياتي وحيـــاتي في مماتي
أنا عندي محو ذاتي من أجل المكرمات
وبقائي في صفاتي من قبيح السيئات
سئمت نفسي حياتي في الرسوم الفانيات
فاقتلوني واحرقوني بعظامي البـــاليات
ثم مروا برفاتي في القبور الدارسات
تجدوا سر حبيبي في طوايا الباقيات

ثم تقدم أبو الحارث السياف ولطمه لطمة هشم وجهه وأنفه . فصاح الشبلي ومزق جبته وغشي عليه وعلى أبي الحسن الواسطي وجماعة من المشايخ المشهورين .

فقتـــلوه وصلبوه وما قتلوه وما صلبوه
ولـكن غار عليه أحبـــابه فغيبوه
هيهات ما قتـــلوه كلا ولا صلبوه
لـكنهم حين غاروا عن وجده شبهوه
سقوه حرقا وراموا كتمان ما أودعوه
فـــا أطاق ثبوتاً لثقـــل ما حمـــلوه
فتاه شكراً ونادى أنا الذى تعرفوه
يالائمى كيف أخنى فى الحب ما أظهروه
أم كيف يكتم قلب بالشوق قد مزقوه

وقد قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه (المنن) ومما من الله تبارك وتعالى به على عدم إصغائى بأذنى إلى وقتى هـذا إلى من يقول بكفر الحلاج أو غيره من القوم المذكورين فى كتب الرقائق ولم أزل أأول للقوم ما صح عنهم وأنى ما لم يصح كل ذلك أدباً مع الله تعالى الذى أشهرهم بالصلاح ولو بين بعض الناس وأخذاً بالإحتياط . وقد كان الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يقول : أكره من الفقهاء خصلتين قولهم بكفر الحلاج وقولهم بموت الخضر عليه الصلاة والسلام . أما الحلاج فلم يثبت عنه ما يوجب القتل وما نقل عنه يصح تأويله . ونحو قوله : على دين الصليب يكون موتى . ومراده أنه يموت على دين نفسه فإنه هو الصليب . وكأنه قال : أنا أموت على دينى أى دين الإسلام وأشار إلى أنه يموت مصلوبا وكذلك كان . وقد دخل ابن خفيف على الحلاج فقال له : كيف تجدك ؟ فقال نعم الله على ظاهرة وباطنة . فقال له أسألك عن ثلاث مسائل فقال له قل . فقال له ما الصبر؟ فقال أن أنظر إلى هـذه الأغلال فتفكك . قال ابن خفيف : فنظر إليها فانشق الحائط وإذا نحن على شاطىء الدجلة . فقال لى : هذا من الصبر . فقلت له : ما الفقـــر ؟ فنظر إلى حجارة هناك ذهباً وفضة . فقال هذا من الفقر وإنى مع ذلك لأحتال على الفلس أشترى به زيتا . قال فقلت : قال ما الفتوة فقال . غداً تراها . قال ابن خفيف فلما كان الليل رأيت كأن القيامة قد قامت ومناديا ينادى أين الحسين ابن منصور الحلاج فأوقف بين يدى الله عز وجل فقيل له من أحبك دخل الجنة ومن أبغضك دخل النار . فقال الحلاج بل اغفر يارب للجميع ، ثم التفت إلى وقال لى : هذه الفتوة اهـ كلام ابن خفيف . قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه : وأما الخضر عليه السلام فهو حى وقد صافحته بكفى هذه وأخبرنى أن كل من قال كل صباح : اللهم اغفر لأمة محمد اللهم أصلح أمة محمد اللهم تجاوز عن أمة محمد اللهم اجعلنا من أمة محمد صار من الأبدال اهـ .

وقال غير الحلاج من السادة العارفين بالله تعالى أقوالا موهمة وهم فى حال الغيبة والاستغراق منها قول أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله . ومنها قول الشيخ سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه : معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأتينا مالم تؤتوه ومنها قول سيدى عمر ابن الفارض رضى الله عنه :

دونك بحراً خضته وقف الألى بساحله صوتا لموضع حرمتى
وقوله : وإنى وإن كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بأبوتى
وقوله : وفى المهد حزبى الأنبياء وفى عنا صرى لوحى المحفوظ والفتح صورتى
فجبى على جمعى القديم الذى به وجدت كهول الحى أطفال صبوتى
فجيء على جمعى القديم الذى به وجدت كهول الحى أطفال صبوتى
وكقوله : ومن فضل ما أسادت شرب معاصرى ومن كان قبلى فالفضائل فضلتى
كل من فى حماك يهواك لكن أنا وحدى بكل من فى حماك

ومنها بعض قول العارفين : نهاية أقدام النبيين بداية أقدام الأولياء . ومنها قول التسترى رضى الله عنه :
أنا شيء عجيب لمن برانى أنا المحب والحبيب ما ثم ثانى
وكقوله : أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وتحقيق ذلك كله كما قاله سيدنا صاحب الرتبة العلية . والمقامات السنية الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله تعالى عنه : إن الشطحات التى صدرت من أكابر العارفين مما يوهم أو يقتضى أن لهم شفوفاً وعلواً على مراتب النبيين والمرسلين . فالجواب عن هذه الشطحات أن للعارف وقتاً يطرأ عليه الفناء والإستغراق حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده ويخرج عن جميع مداركه ووجوده لكن تارة يكون ذلك فى ذات الحق سبحانه وتعالى فيتدلى له من قدوس اللاهوت مع بعض أسراره فيض يقتضى منه أنه يشهد ذاته عين ذات الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها . ويصرح فى هذا الميدان بقوله : سبحانى لا إله إلا أنا وحدى . وبقوله : جلت عظمتى وتقدس كبريائى . وهو فى ذلك معذور لأن العقل الذى يميز به الشواهد والعوائد ويعطيه تفصيل المراتب بمعرفة كل ما يستحقه من الصفات غاب عنه وانمحق واضمحل . وعند فقد هذا العقل وذهابه وفيض ذلك السر القدسى عليه تكلم بما تكلم به . فالكلام الذى وقع منه خلقه الحق فيه نيابة عنه فهو يتكلم بلسان الحق لا بلسانه ومعرباً عن ذات الحق لا عن ذاته .

ومن هذا الميدان قول أبى يزيد البسطامى : سبحانى ما أعظم شأنى وقول الحلاج : أنا الحق . وما فى الجبة إلا الله . وكقول بعضهم : فالأرض والسماء سمائى . وهذا ما يعطيه الفناء والاستغراق فى ذات الحق : وهذا أمر خارج عن المقال يدرك بالذوق وصفاء الأحوال فلا يعلم حقيقته إلا من ذاقه .

وتارة يكون الاستغراق والفناء فى ذات النبى صلى الله عليه وسلم لغيبته عن ذاته فى ذات النبى صلى الله عليه وسلم . فيتدلى له صلى الله عليه وسلم ببعض أسراره . فإذا كسيت ذاته ذلك السر فلا يشهد ذاته إلا ذات النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمه الله ببعض ما اختص به نبيه صلى الله عليه وسلم من الخصوصيات التى لا مطمع فيها لغيره صلى الله عليه وسلم فيتكلم بلسانه صلى الله عليه وسلم نيابة عنه ببعض ما اختص به نبيه من الخصوصيات العظام بماله به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين . فهو يخبر عما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم مخبراً عن نفسه . فمن يسمعه يظن

أنه ينسبه لنفسه وإنما نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم لغيبته في ذاته. فاذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ورجع لحسة وشاهده تبرأ من ذلك لعلمه برتبته. وهذا يتنى في الجواب ومن وراء ذلك ما لا يلحقه العقل ولا يأتي عليه القول ولا يحل ذكره لبعده عن الأفهام اهـ.

فائدة لرؤية النبى صلى الله عليه وسلم: ذكر الحافظ الدمياطى حديثاً مرفوعاً وهو من قال: اللهم صل على روح محمد في الأرواح وصل على جسده في الأجساد وصل على قبر محمد في القبور اللهم أبلغ روح محمد مني تحية وسلاماً رآني في المنام — وفي رواية ابن الفا كهاني أن عدتها سبعون مرة. ومن رآني في منامه رآني يوم القيامة ومن رآني يوم القيامة شفعت له وشرب من حوضي وحرم الله جسده على النار اهـ.

حكم من مات وعليه عبادة من صلاة وزكاة
وصيام وحج. والكلام على إسقاط
الصلاة عند السادة الأحناف

ومن مات وعليه صيام واجب من رمضان أو نذر أو كفارة. فإن كان فائتاً بعذر ولم يتمكن من قضائه كأن كان مريضاً مرضاً يرجى برؤه أو مسافراً سفراً يجوز فيه الفطر واستمر مرضه أو سفره حتى مات أو شفي أو أقام في رمضان أي بعد السفر فأخذ في صيام الباقي منه ثم مات قبل فراغه أو عقبه فلا إثم عليه للعذر. ولا فدية عنه لعدم التمكن من القضاء. وإن كان فائتاً بعذر وتمكن من قضائه بأن أدرك زمناً قابلا للصوم قبل موته بقدر ما عليه وليس به نحو مرض أو سفر أو كان فائتاً بغير عذر كان تعمد فطره سواء تمكن من قضائه أولا. أثم وأطعم عنه وليه وجوباً من تركته لكل يوم فاته (مد) طعام من غالب قوت البلد. والولى الذى يلزمه الإطعام عنه: هو وارثه. فإن لم يكن له تركة لم يلزم الولى إطعام ولا صوم. بل يسن له ذلك. ويجوز لقريبه البالغ أن يصوم عنه وإن لم يكن عاصباً ولا وارثاً ولا ولى مال ويجوز ذلك الأجنبى البالغ بإذن القريب البالغ. أو إذن الميت إن أوصاه به قبل موته. فإن لم يكن قريب أو لم يكن أهلا أو لم يأذن. كفى إذن الحاكم.

ثم ما تقرر من جواز الصوم عن الميت مبنى على القول القديم للامام الشافعى. والجديد عدم جوازه. وعليه فيتعين الإطعام. وقد اختاروا القول القديم هنا وقالوا إنه المفتى به. وهذه المسألة من المسائل التى يعول على القديم فيها. نعم الإطعام أولى من الصوم خروجاً من الخلاف.

ففي الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: من مات وعليه صيام صام عنه وليه وكذلك كل عبادة فعلها الغير يصل ثوابها لمن فعلت من أجله. فمن عائشة رضى الله عنها أنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن وأعتقت عنه.

وأن سعداً قال النبى صلى الله عليه وسلم: إن أمى توفيت. أفأ تصدق عنها؟ قال: نعم. قال: فأى الصدقة أفضل؟ قال: سقى الماء.

ومن مات وعليه حج أنيب عنه وجوباً من يفعله بأجره تدفع من تركته كما تدفع منها ديونه سواء كان المتصرف فيها وارثاً أم وصياً أم حاكما . فإن لم يكن له تركة سن لوارثه أن يحج عنه . ويجوز للأجنبي أن يحج عنه وإن لم يأذن له الوارث . ويبرأ به الميت : ومحل وجوب الإنابة إن استقر فى ذمته بأن تمكن من فعله بعد الاستطاعة ثم مات . قال فى رحمة الأمة : ومن لزمه حج فلم يحج حتى مات قبل التمكن لم يسقط عنه عند الإمامين الشافعى وأحمد . ويجب أن يحج عنه من رأس ماله سواء أوصى به أو لم يوصى كالدين . وقال الإمامان أبو حنيفة ومالك : يسقط الحج بالموت ولا يلزم ورثته أن يحجوا عنه إلا إن أوصى به فيحج عنه من ثلث تركته .

وكما تجب الإنابة فى الحج تجب فى العمرة بناء على أنها فرض وهو الأصح من قولين للإمام الشافعى وبه قال الإمام أحمد . خلافاً للقول الآخر من أنها سنة : وبه قال الإمامان أبو حنيفة ومالك .

وأما من مات وعليه صلاة أو اعتكاف فإنه لا يفعل عنه ذلك بل ولا فدية له على المعتمد عند السادة الشافعية لعدم ورودها وقيل : يصلى عنه . وفى الاعتكاف قول أنه يفعل عنه أيضاً .

وقيل : يفدى عنه لكل صلاة (مد) وعن اعتكاف كل يوم وليلة (مد) ولا بأس بتقليد ذلك فى حق نفسه دون أن يفتى به .

فإنه يحكى أن السبكى رحمه الله تعالى صلى عن قريبه بعد موته . نقل عنه أنه قال : مات قريب لى عليه خمس صلوات ففعلتها عنه قياساً على الصوم . ومال إلى توجيهه ابن أبى عصرون وغيره. قاله السيد علوى نقلا عن الإيعاب وظاهر قوله عليه الصلاة والسلام للسائل : صل لهما مع صلاتك وصم لهما مع صيامك أنه لو صام أو صلى عن أبويه فإنه يرجى منه القبول اهـ من كتاب : نقول السادة الثقاة فى إيصال ما يهدى من ثواب القرآن والأذكار للأموات . وربما يستأنس بحديث بريدة لهذا وهو القائل : كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ أتته امرأة فقالت يارسول الله : إنى تصدقت على أمى بجارية وإنها ماتت . قال : وجب أجرك وردها عليك الميراث . قالت يا رسول الله . إنه كان عليها صوم شهر . أفأصوم عنها ؟ قال : صومى عنها . قالت : إنها لم تحج قط . أفأحج عنها ؟ قال : نعم . حجى عنها .

ونقل عن المحب الطبرى أنه قال . يصل للميت كل عبادة تفعل عنه واجبة أو مندوبة . وفى شرح المختار : مذهب أهل السنة أن للانسان أن يجعل ثواب عمله وصلاته لغيره ويصله قال البجرمى : كأن صلى أو صام وقال . اللهم أوصل ثواب ذلك إليه . وهو ضعيف . قال فى بشرى الكريم بعد نقله ذلك عنه . والضعف ظاهر إن أريد الثواب نفسه . فإن أريد مثله فلا ينبغى أن يختلف فيه

نعم الصدقة يصل نفس ثوابها للمتصدق عنه إجماعاً . وكأنه هو المتصدق ويثاب المتصدق ثواب البر لا على الصدقة . يصله ما دعا له به إن قبله الله تعالى وأما ثواب الدعاء فهو للداعى .

وعند السادة الحنفية أنه لو مات وعليه صلاة وأوصى بالكفارة عنها يعطى لكل صلاة : نصف صاع من بر كالفطرة . وكذا حكم الوتر والصوم . ويعطى ذلك من ثلث ماله ، فإن لم يترك مالا

استقرض وارثه نصف صاع مثلا أو قيمته ويدفعه لفقير ثم يهبه الفقير للوارث ويستلمه منه ثم يدفعه لذلك الفقير لفقير آخر . ثم يهبه الفقير للوارث . وهكذا حتى يتم ما عليه . كذا أفاده البجرمى نقلا عن التنوير وشرحه من كتب السادة الحنفية . فإن قلدهم أحد فى ذلك كان حسناً . وذهب البلخى إلى عدم جواز الفداء عن الصلاة كما فى قاضى خان . والاستحسان أنه يجوز لعموم الفضل .

ولذا قال الإمام محمد صاحب أبى حنيفة رحمه الله تعالى إن الفداء يجزىء عن الصلاة إن شاء الله تعالى . فإذا أراد ذلك فليوص أن يخرج له وليه أو وصيه عن كل صلاة نصف صاع من بر أو صاعاً من تمر أو شعير أو قيمة ذلك . والصاع ثمانية أرطال بالبغدادى والرطل مائة وثلاثون درهما . فيكون ألفا وأربعين درهما . ويكون نصفه خمسمائة وعشرين درهما ، يبلغ بالكيل المصرى خمسة أثمان قدح تقريباً .

والواجب على كل مكلف فى اليوم والليلة ست صلوات لأن الإمام أبا حنيفة يرى أن الوتر فرض . فيكون مقدار الصلوات الواجبة فى كل سنة ألفين ومائة وأربعة وعشرين لأن السنة العربية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً إذا ضربتها فى ستة عدد فروض اليوم والليلة تبلغ ما ذكر . ومحل الوصية بالإسقاط الثلث . فإن وفى بالواجب عليه فيها . وإلا فليوص بالدور . وحينئذ يحسب عمره من حين البلوغ إلى وقت الموت ثم ينظر ما أوصى به ويقسم على أنصاف الصيعان . فلو أوصى بمائة قرش مثلا . وقيمة نصف الصاع قرش وربع . فهى فدية ثمانين صلاة . فيطلب الوارث أو الوصى فقيراً أو أكثر ويقول لهم : إنى أريد أن أعطيكم هذه الدراهم لإسقاط الصلاة عن فلان لكن أسألكم أن تهبوها لى كلما ملكتموها حتى يتم الدور ثم تبقى فى يدكم كاملة بلا نقصان . وإنما يقول لهم ذلك لتكون هبتهم له عن علم ورضا فتصح . ثم يدفع ذلك المقدار لمن ذكر بقصد إسقاط ما يريد عن الميت . فيسقط عنه بقدره . ثم بعد قبضه يهبه الفقير إلى الوارث أو الوصى ويقبضه لتتم الهبة وتملك . ثم يفعل ذلك مراراً حتى يستوفى ما كان على الميت من صلاة . وهذا هو المخلص فى ذلك إن شاء الله تعالى .

ولابد أن يكون الفقير المعطى له لا يملك مائتى درهم فضة ولا قيمتها ولا عشرين مثقالا ذهباً كذلك فاضلا عن الحوائج الأصلية كطعامه وطعام أهله وكسوتهم وغير ذلك . وقد غلب الجهل وحب الدنيا وضعف دين المتصدين لذلك فى هذا الزمان فلا يفعلونه على الوجه المشروع إذ ليس غرضهم إلا أخذ المال بأى طريق كان ولا يفرقون بين غنى أو فقير فى الدور .

وقد يضم إلى الوصية مال آخر تقليلا للدور وتسهيلا له فيأخذون قلادة أو ساعة فضة أو دراهم عارية وقد لا يعلم مالكها ما يفعله بها . مع أن العمل مع الغنى لا يجوز لأنه من الكفارات ومصرفها مصرف الصدقات . ولا يصح الدور فى ملك الغير كما لا تصح الهبة فيه لعدم الملك .

قال فى إمداد الفتاح شرح نور الإيضاح : وإن لم يوص وتبرع عنه وليه جاز . ويحكم بجوازه سواء تبرع الوارث بمال مورثه أو بغيره أو تبرع الوصى بمال نفسه لا بمال الميت إذ ليس له ذلك .

ولا يلزم الولى الاخراج عنه بدون وصية . ولو لم يترك مالا أصلا فاستقرض الوصى أو الوارث ثم أعطى الفقير ثم استوهبه كما تقدم . أو تبرع رجل من ماله يرجى القبول إن شاء الله تعالى . وإذا عملت ذلك فى الصلاة فاعمل مثله فى الصوم لكل يوم نصف صاع من بر أو صاع من شعير . وكذا النذور . والزكاة المالية وصدقة الفطر الواجبة . وقيمة الضحية الفائتة . وكفارات الأيمان . لكن لابد فى كفارات الأيمان من عشرة مساكين . ولا يصح أن يدفع للواحد أكثر من نصف صاع فى يوم للنص فيها أى فى الأيمان على العدد . قال تعالى (فكفارته إطعام عشرة مساكين) بخلاف فدية الصلاة مثلا فإنه يجوز إعطاء فدية صلوات لواحد .

وقال بعض العلماء : إن الذى يتـــولى تدوير الإسقاط ولى الميت . وهو من له التصرف فى ماله بوصاية أو وراثة فإن كان جاهلا بذلك ولا يحسنه فلابد من أن يوكل غيره من أهل العلم والصلاح ليسقط ما فى ذمة الميت . لكن هنا دقيقة : وهى أن الوكيل إذا دفع المال الذى بيده للفقير صار معزولا لانتهاء الوكالة بفعل ما وكل فيه صار المال الذى استوهبه وقبضه من الفقير مال نفسه . ويتخلص من ذلك بأن يقول له الولى : وكلتك بأن تدفع لهؤلاء الفقراء هذا المال لإسقاط الصلاة مثلا عن فلان وتستوهبه لى من كل واحد منهم إلى أن يتم العمل . فيقول الوكيل : إن فلانا يطلب منك أن تهبه كذا ويقول الفقير : وهبت له ويقول الوكيل : قبلت له .

وينبغى عند أعمال الإسقاط تقليد مذهب الإمام أبى حنيفة لأنه هو الذى انفرد بذلك . وأنه يجب الاحتراز عن الإسراع بالقبول قبل تمام الايجاب فلا يقول الفقير : قبلت إلا بعد تمام كلام الوصى مثلا ولا يقول الوصى : قبلت إلا بعد تمام كلام الفقير . ويجب الاحتراز أيضاً من بقاء الصرة بيد الفقير أو الوصى بل كل مرة يصير استيلاؤهما لكل منهما ليتم الدفع والهبة بالقبض والتسليم . ويجب الاحتراز أيضاً من دفع الصرة للفقير بقصد الحيلة بل يجب أن يدفعها عازماً على تمليكها له حقيقة ملاحظاً أن الفقير إذا امتنع من هبتها كان له ذلك . ولا يجبر على الهبة . وبعد تمام الدور يرضى الفقراء بما تطيب به أنفسهم ولا ينكسر خاطرهم .

والأفضل أن يكون هذا العمل قبل دفن الميت لأجل أن يلاقى الله تعالى وذمته فارغة من الحقوق

الكلام على التوسل والاستغاثة
وعلى زيارة الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين
وشد الرحال إليها

أعلم أن التوسل بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وشد الرحال إليها سبب فى قضاء الحاجات ونيل الكرامات . وكذا التوسل بأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لكرامتهم عند الله تعالى . فما بالك بمن اجتمع فيه الولاية بل ختمها والمحمة النبوية أستاذى وشيخى غوث البرايا قطب الأقطاب سيدى الشيخ أحمد بن محمد التجانى سقانا الله من فيضه بأعظم الأوانى . فاستشفع به بل استغث بمدده ترى

الألطاف الخفية والإمدادات الربانية . وفى هذا يقول سيدى أحمد بن قاسم مستشفياً من مرضه :

أمولاى يا قطب الوجود وغوثها وحامى الحمى أنى يضيع جاره
أمولاى يا كنز الوجود ودرزها ومركزه البادى عليه مداره
أمولاى يا غوث البرايا جميعها إذا الخطب يوماً لا تحات جماره
أمولاى مغنى القوم من كل قاصد من السر سر الله جل اقتداره
أمولاى سر الله أنت فكم بدا عليك جلاه تاجه وسواره
أمولاى جد لى بالدواء معجلا لعلى أرى دائى استحال عقاره[1]
أما إن هذا العبد أقصر رقه عليك وما تنفك عنه ضراره
وتلعب أيدى النائبات بجسمه فيغدو ويمسى لا يقر قراره
فداو فإن الداء عز دواؤه وانحل جسمى واستبان عواره[2]
وأنت وأيم الله لله أى وسيلة إلى الله قرما لا يضام جواره

قال الشيخ زروق فى قواعده عند ذكر المقابر : كل من جاز التبرك به حيا جاز التبرك به ميتا . كذا قال الإمام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه فى كتاب آداب السفر . وقال : ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يعارضه حديث « لا تشد الرحال إلا للمساجد الثلاثة لتساوى المساجد فى الفضل دون الثلاثة . وتفاوت العلماء والصلحاء فى الفضل فتجوز الرحالة عن الفاضل للأفضل . ويعرف ذلك من كراماته وعلمه وعمله سيما من ظهرت كراماته بعد موته مثلها فى حياته أو أكثر أو من جرب إجابة الدعاء عند قبره وهو غير واحد فى أقطار الأرض . وقد أشار إليه إمامنا الشافعى رضى الله عنه حيث قال : قبر موسى الكاظم الترياق المجرب .

وكان أبو عبد الله القديرى رحمه الله يقول : إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم عليه بالخروج من هذه الدار . وهو يوم وفاتهم فزيارتهم تهنئة لهم وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم .

وقد قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه : إن بعض مشايخه ذكر له أن الله تعالى يوكل بقبر كل ولى ملكا يقضى حوائج من توسل بهم وتارة يخرج الولى من قبره ويقضى الحاجة لأن للأولياء الانطلاق فى البرزخ والسراح لأرواحهم فربما خرج الشخص منهم من قبره على صورته وقضى حوائج المتوسلين به كما وقع لسيدنا حمزة بن عبد المطلب مع الشيخ أحمد بن محمد الدمياطى رحمه الله تعالى . وقد ذكر هذه الحادثة فى التوسل بأهل بدر وأحد السيد جعفر البرزنجى فى رسالته المشهورة وفى سنن المهتدين للفانى رحمه الله تعالى قال : كان سيدى المنشودى رحمه الله تعالى لا يزال ينشد : —

(١) العقار : بالضم الخمر .
(٢) العوار : مثلث العين . العيب

أسرد حديث الصالحين وسمهم فبذكرهم تتنزل الرحمات
واحضر مجالسهم تنل بركاتهم وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

وقد ذكر الشيخ أبى عبد الله بن النعمان فى كتاب : سفينة النجاة : أن زيارة قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين فمن أراد حاجة فليتوسل بهم إلى الله تعالى فإنهم الواسطة بين الله وخلقه وليقدم على ذلك التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم كما قال أبو عبد الله ابن الحاج فى المدخل . وزيارتهم فى الحقيقة مواصلة للنبى صلى الله عليه وسلم وكذا التوسل بهم . فاستحضر هذا المعنى عند زيارتهم والتوسل بهم يكمل حالك وتحصل آمالك .

وفى بعض أجوبة الشيخ أبى المحاسن رضى الله عنه : المعروف عند المحققين وأرباب القلوب من العلماء المهتدين ولا مخالف فى ذلك أن زيارة الأولياء والعلماء رضى الله عنهم مواصلة له صلى الله عليه وسلم إذ كل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت وبطلعته ظهرت . وكيف لا وسائر العلماء والأولياء صورة تفصيله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه ومظاهر تعييناته فما منهم أحد إلا وهو سابح فى نوره وممتد من بحوره على حسب مقامه فهو الجامع لما افترق فلا زائر ولا مزور إلا له صلى الله عليه وسلم . فجميع الأولياء وجميع الأنبياء منسوبون إليه ومستمدون منه فلا ترى على التحقيق كرامة ولا آية ولا خرق عادة إلا وهى له صلى الله عليه وسلم .

وقال الشيخ زروق فى كتاب عمدة المريد : وأما التمسك بالأموات فهو من قلة الاعتقاد فى الأحياء وذلك من نقص الهمة . اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التعرض لنفحات الرحمة الربانية لطلب الزيادة . فمدد الميت أقوى من مدد الحى لأنه فى بساط الحق ولأن التعلق به عرى عن الأغراض والعوارض من الاستئناس ونحوه كما قال أبو العباس الحضرمى . وكرامة الله تعالى لأوليائه لا تنقطع بموتهم . بل ربما زادت كما هو معلوم فى كثير منهم . وقال الشيخ أبو إسحاق سيدى إبراهيم التازى نزيل وهران أحد مشاهير العلماء العاملين فى وقته :

زيارة أرباب التقى مرهم يبرى ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث فى الصدر الخلى إرادة وتشرح صدراً ضاق من شدة الوزر
وتنصر مظلوماً وترفع خاملا وتكسب معدوماً وتجبر ذا كسرى
وتبسط مقبوضاً وتضحك باكياً وترفد بالبذل الجزيل وبالأجر

إلى أن قال :

عليك بها فالقوم باحوا بسرها ووصوابها يا صاح فى السر والجهر
فزر وتأدب بعد تصحيح نية تأدب مملوك مع المالك الحر
ولا فرق فى أحكامها بين سالك مرب ومجذوب وحى وذى قبر
وذى الزهد والعباد فالكل منعم عليه ولكن ليست الشمس كالبدر

فلازم زيارتهم وذكرهم ومحبتهم يفتح لك الباب ويرفع عن قلبك الحجاب فإن من شيمتهم الفاضلة وأخلاقهم الكريمة أن يقبلوا من قصدهم ولا يخيبوا من التجـأ إليهم . وإياك ومعاداتهم فإن لسانهم مطلق وسرهم مغلق وغرابهم أبلق وحالهم مستور . صفاهم صفاهم ووفاهم وفاهم وولاهم ولاهم . وسيف قهرهم على الأعادي مشهور . من رماهم بسهم به رمى . ومن عاداهم قمع وقمى ووقع فى قليب الشرور .

وفى كتاب بذل المناصحة قال الشيخ زروق رضى الله عنه . إن روح الإسلام حب الله تعالى . وحب رسوله صلى الله عليه وسلم . وحب الآخرة . وحب الصالحين وعن شيخه الحضرمى قال : رآى بعض الصالحين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم فى النوم فسأله عن أفضل الأعمال . فقال عليه الصلاة والسلام : وقوفك بين يدى ولى من أولياء الله تعالى قدر حلب شاة أو ناقة . قال . قلت : حياً أو ميتاً ؟ فقال صلى الله عليه وسلم حياً كان أو ميتاً .

وذكر أبو نعيم فى الحلية : أن أفضل ما تعبد به المتعبدون التحبب إلى أولياء الله تعالى بما يحبون وإن علامة محبة الله تعالى محبة أوليائه .

وذكر سيدى عبد الرحمن الثعالبى بسنده إلى الإمام الطبرى قال : مات غريب عندنا بمكة وأخرجناه إلى باب المعلاة وجلسنا لإصلاح دفنه فاستوى جالسا . قلنا : ألست قدمت ؟ قال : بلى . ولكن رجعت لأحدثكم وأبشركم . أنفع ماعندنا محبة الصالحين وموالاتهم . ثم رجع ميتاً .

ولما ذكر الشيخ أبو المحاسن فى بعض أجوبته قوله ﷺ الرائى حيث سأله عن أفضل الأعمال : جلوسك بين يدى ولى ولو بقدر حلب شاة إلى آخره قال : وإن كان فى هذا بحث فهو مؤيد بالنصوص . وقد ذكره الغزالى وغيره وأثبتوه فى كتبهم وصيروه دليلا . وليت شعرى ما المانع من ذلك مع مالنا فى علومنا العادية من أن كان له عند الشخص قدر بحيث إنه إذا شفع عنده قبل شفاعته . فإذا انتسب إليه شخص فى غيبته وتوسل بذلك وتشفع به فإن ذلك الشخص يجيب السائل إكراماً لما انتسب إليه وتشفع به وإن لم يكن حاضراً ولا شافعاً . وليس ذلك من باب تقرب المشركين إلى الله تعالى بعبادة غيره كما حكاه عنهم بقوله الكريم (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فإننا إذا توسلنا بالنبى ﷺ أو بغيره من الأنبياء والصالحين لم يكن توسلنا بهم عبادة لهم كما كان المشركون يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله تعالى بل إننا لم نقصد إلا التبرك والاستشفاع بهم . والتبرك بالشىء غير التقرب به كما لا يخفى . وإننا لم نخرج بتوسلنا عن توحيده تعالى وأنه المنفرد بالنفع والضر . ومع أننا فى ذلك لسنا سائلين غير الله تعالى ولا داعين إلا إياه . ويكون ذلك المحبوب أو المعظم المتوسل به سببا للاجابه وواسطة فى قضاء الحوائج كما فى الأدعية الصحيحة المأثورة : أسألك بكل اسم هو لك وأسألك بأسمائك الحسنى وأسألك بأنك أنت الله وأعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك . وحديث الغار الذى فيه الدعاء بالأعمال الصالحة . فالمسئول فى هذه الدعوات كلها هو الله تعالى وحده لا شريك له . والمسئول به مختلف ولم يوجب ذلك إشراكا ولا سؤال غير الله تعالى . كذلك السؤال بالمسئول بهم ليس

سؤالا لهم وإنما هو سؤال تعالى الله بهم . فلو كان اتخاذ الواسطة بعد اعتقاد أن المؤثر هو الله تعالى وحده شركا كما يزعم الزاعمون لكان معاونة بعضنا بعضا فى قضاء المصالح شركا وهذا باطل بالضرورة .

وقد أقسم الله عز وجل بحياة النبى صلى الله عليه وسلم فقال جل وعلا . (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) قيل أقسم الله عز وجل فى الأزل بحياته ليظهر شرفه وعلو قدره ودنو منزلته عنده ليتوسل المتوسلون به إليه قبل بروزه إلى الوجود وفى حياته وبعد وفاته وفى عرصات القيامة . ولهذا وغيره لم يزل أهل الإيمان يتوسلون به فى حياته وبعد وفاته من غير نكير . وكان أهل الكتاب لهم علم من ذلك فكانوا يتوسلون به قبل وجوده فيستجاب لهم كما قال الله تعالى : (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) قال ابن عباس رضى الله عنه : كان أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان يهود . فعاذت يهود بهذا الدعاء . اللهم إنا نسألك بحق النبى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء هزمت يهود غطفان . فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كفروا به فأنزل الله عز وجل (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفـــروا) أى يدعون بك يا محمد إلى قوله : (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وإذا كان عز وجل يستجيب لأعدائه بالتوسل به صلى الله عليه وسلم إليه سبحانه مع علمه عز وجل بأنهم يكفرون به ويؤذونه ولا يتبعون النور الذى أنزل معه قبل جوده وبروزه إلى الوجود وإرساله رحمة للعالمين فكيف لا يستجيب لأحبائه إذا توسلوا به بعد وجوده عليه الصلاة والسلام وبعثته رحمة للعالمين . وإذا كان رحمة للعالمين فكيف لا يتوسل به ولا يتشفع به .

ثم لا التفات بعد هذا التصحيح من الحاكم وهو الحاكم إلى طعن طاعن وفى هذا الحديث . أنظر بعد هذا إلى تصحيح الحاكم لحديث توسل سيدنا آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم .

فالواجب اعتقاده أن المـــراد من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والتوسل بهم هو أنهم أسباب ووسائل لنيل المقصود وأن الله تعالى هو الفاعل المختار كرامة لهم لا أنهم الفاعلون . كما هو المعتقد الحق فى سائر الأفعال .

قال العلماء : أما الاستغاثة بالأسباب من حيث إنها أسباب عادية وضعها الله على ما اقتضته حكمته العلية . فإنه أمر بها فى صريح قوله : (واستعينوا بالصبر والصلاة) وقوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وحث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » وبقوله صلى الله عليه وسلم (ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

وقد تجب الاستغاثة بالمخلوق إذا تعينت طريقاً للانقاذ من حرق أو غرق أو انتهاك عرض أو سفك دم حرام أو نهب ما محترم .

وألفت نظرك إلى قوله عليه الصلاة والسلام : من يسر . ومن فرج حيث نسب التيسير والتفريج

لغير الله تعالى إسناداً للفعل إلى السبب وهو ما يسمى فى علوم البلاغة بالمجاز العقلى لرفع الحرج عن امته فى أمثال ذلك . ولا يريد المسلمون إلا هذا المعنى الذى نطق به نبيهم بل وكتابهم . فاذا كان القائل منهم نفعنى النبى أو الولى أو أخذ بيدى أو أغاثنى فملا يعنون إلا هذا الإسناد المجازى وإن لم يعرف لفظ المجاز فقد استقر فى نفوسهم معناه بما وقر فيها من نور التوحيد . ومن الذى يقول وهو من أهل المعقول أن الغريق ونحوه إذا استغاث بمخلوق لينتشله وهو يعلم أنه من الأسباب العادية يكون بالله كافراً وفى عبادته مشركاً .

وقد سئل الرملى كما ورد فى فتاويه عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد : ياشيخ فلان . يا رسول الله : ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين . فهل ذلك جائز أم لا ؟ وهل للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثة بعد موتهم . وماذا يرجح ذلك ؟ فأجاب : بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة . وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم . لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم . أما الأنبياء فلأنهم أحياء فى قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم . والشهداء أيضاً أحياء شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار . وأما الأولياء فهى كرامة لهم . فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم . والدليل على جوازها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال وكل ما كان هذا شأنه فهو جائز الوقوع . وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتى من عند الله على ما نطق به التنزيل . وقصة أبى بكر وأضيافه كما فى الصحيح وجريان النيل بكتاب عمر . ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه (بنهاوند) حتى قال لأمير الجيش : يا سارية الجبل ؛ محذراً له من وراء الجبل لكمون العدو هناك وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين . وشرب خالد السم من غير تضرر به . وقد جرت خوارق على أيدى الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها . وبالجملة ما جاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى لا فارق بينهما إلا التحدى .

وقد سئل الشيخ يوسف الدجوى عن طلب المعونة من نبى أو ولى على أنهما سببان عاديان كسائر الأسباب العادية المخلوقة لله عز وجل . فأجاب : بأن التوسل جائز وواقع بأوسع معانى الكلمة ولا يجافيه عقل ولا نقل وليس ذلك إلا من قبيل الأسباب والمسببات . والعالم كله مبنى على الأسباب والمسببات . وقد جعل الله الناس على مراتب مختلفة لحكم سامية وأسرار عالية . فمنهم الغنى والفقير والقوى والضعيف والعالم والجاهل والرئيس والمرؤس والملوك والسوقة . ولا بد أن يكون لصاحب المرتبة العليا ما ليس لصاحب المرتبة الدنيا . ولا فى ذلك بين أمور الدين والدنيا . فالتجاء الصغير إلى الكبير فى كل ذلك لا شىء فيه . بل هو مراد الحق من خلقه المتفاوتين فى الاستعدادات والنعم والمواهب . ولذلك

خلقهم أما الشرك فهو أن تطلب من غير الله على أنه إله مع الله يعطى ويمنع بغير إذنه . ولا يتصور أن يكون ذلك من أحد من المؤمنين . فإن طلبت منه على أنه لا يفعل شيئاً إلا بإذن الله .

ولا يتصرف إلا بإقداره إياه معتقداً أنه ما ملك إلا بتمليكه ولا تصرف إلا بإرادته لم يكن عليك بأس ولا فى ذلك حرج بل هو الواقع الذى جبلت عليه الفطرة وجاءت به الشرائع والديانات وقد أسند الله إحياء الموتى وهو أكبر شىء إلى سيدنا عيسى وكان عليه السلام يسنده إلى نفسه فيقول: وأحى الموتى بإذن الله .

ولا شك أن من استغاث بالولى أو النبى لم يستغث به على أنه شريك لله أو يفعل بغير إذن الله حتى لو فرضنا أن ذلك لم يكن حاضراً فى نفسه فهو كامن فيها بمقتضى قوله : لا إله إلا الله .

فهو بمنزلتك إذا دعوت وزيراً أو أميراً أن يفعل لك شيئاً غير مستحضر ما يقتضيه التوحيد من كون الله خالق كل شىء واليه يرجع الأمر كله وهذا الوزير أو الأمير لا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعاً ولا ضراً . فلا تجعل ذلك منك شركاً بوجه من الوجوه تعويلا على الكامن فى نفسك من انفراده تعالى بالملك والملكوت فى الحقيقة . وأن الذى ترجوه انما هو متصرف بتصريف الله تعالى وأن الله هو الذى ملكه ما يتصرف فيه .

ولحكمة ما جعل العباد مراتب محتاجاً بعضها لبعض . فلماذا تجعل الطالب من الأنبياء والأولياء مشركاً ولا تجعله مشركاً عندما يطلب من الوزير أن الأمير بل من الفاجر والكافر والمدرك فيهما واحد فإن الله لا شريك له فى أمور الدنيا ولا فى أمور الآخرة . فإما أن تعبر الظاهر وتجعله شريكاً فيهما وإما أن تعبر الباطن وتجعل ذلك من باب الأسباب والمسببات التى هو نظام العالم وسنة الله فى خلقه .

فإن كان لديك من صريح التوحيد ما يغيب الأسباب من نظرك بالكلية ويجعلك تلتجىء الى الله مباشرة بلا توسيط أحد كان لك ذلك . ولكنها مرتبة مخصوصة لقوم مخصوصين . وقد جاء الدين للناس جميعا مراعيا استعدادهم مكتفيا بما تكنه ضمائرهم من التوحيد .

بل عرفنا أن هناك مقربين وغير مقربين وهناك من تجاب دعوته وترجى شفاعته ومن ليس كذلك ولهذا كان صلى الله عليه وسلم الشفيع الأعظم فى الآخرة وبعده الأنبياء والأولياء والعلماء كما جاء فى السنة .

ثم تقول بعد ذلك ان المتوسل الى الله بالنبى والولى معترف بمقتضى توسله أن المعطى والمانع إنما هو الله ولكن يقول : إن الولى أو النبى أقرب إلى الله منى وله عند الله جاه وحرمة . وذلك حق لا نزاع فيه .

ولذلك يشفع النبى صلى الله عليه وسلم للخلائق يوم القيامة وكذلك الأنبياء والأولياء والصالحون . وفى إمكان روح الولى أن تدعو له وتطلب من الله قضاء حاجته .

والأرواح عند المسلمين باقية بعد الموت ولها أفعال وأقوال فى البرزخ والمطاجات فى المنام

فأرشدت المسترشدين وأغاثت الملهوفين . ولانزال نقول :

ما الفرق بين الطلب من الأنبياء وغيرهم من أهل الدنيا . وهل هناك فرق بين أمور الدنيا وأمور الآخرة وبين الأحياء والأموات عند المسلمين الذين يعتقدون بقاء الأرواح وعدم فنائها بمقتضى مادلت عليه الأحاديث المتواترة فى عذاب القبر ونعيمه وفى حياة الأنبياء .

ويكفيك ما ورد فى حديث الإسراء والمعراج . فقد جاء فيه عن موسى وآدم وإبراهيم عليهم السلام ما فيه مقنع وكفاية . بل جاء فى كلام الفلاسفة الأقدمين من قبل الميلاد المسيحى ما يشفى ويكفى .

وقبيح والله بالمؤمن أن ييأس كما يئس الكفار من أصحاب القبور .

وإن شيئاً اعترف به الفلاسفة غير المسلمين ووصلوا إليه بعقولهم السليمة قبل إخبار الرسل به قبيح على من تزيا بالإسلام وسمع ما جاءت به الرسل أن ينكر ما اعترف به غير المسلمين .

ولنسق لك حديثاً صحيحاً هو نص فى الموضوع . أخرج النسائى فى سننه والترمذي فى صحيحه وابن ماجه وغيرهم : أن أعمى أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنى أصبت فى بصرى فادع الله لى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : توضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد إنى استشفع بك فى رد بصرى اللهم شفعه فى . وقال : فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك . فرد الله بصره .

قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه المواثيق والعهود : تأمل بيوت الحكام تجدها لابد لك فيها من الواسطة الذى له قرب عند الحكام وإدلال عليه ليمشى لك قضاء حاجتك ولو أنك طلبت الوصول إليه بلا واسطة لم تصل إلى ذلك .

وإيضاح ذلك : أن من كان قريباً من الملك فهو أعرف بالألفاظ التى يخاطب بها الملك وأعرف بوقت قضاء الحوائج . ففى سؤالنا الوسائط سلوك للأدب معهم وسرعة لقضاء الحاجة . ومن أين لأمثالنا أن نعرف أدب خطاب الله عز وجل . وقد سمعت سيدى عليا الخواص يقول : إذا سألتم الله حاجة فاسألوه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقولوا : اللهم إنا نسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم أن تفعل لنا كذا وكذا فإن لله ملكا يبلغ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له : إن فلانا سأل الله تعالى بحقك فى حاجة كذا وكذا فيسأل النبى صلى الله عليه وسلم ربه فى قضاء تلك الحاجة فيجاب لأن دعاءه صلى الله عليه وسلم لايرد . قال : وكذلك القول فى سؤالكم الله تعالى بأوليائه فإن الملك يبلغهم ذلك فيشفعون له فى قضاء الحاجة .

قال العلامة الأجهورى : وهل يجوز القرب من الولى عند الزيارة أم لا ؟ الظاهر أن ذلك يختلف باختلاف مقامات الزائرين ومقامات المزورين . قال : وأجاز بعضهم تقبيل الأعتاب والمقاصير إذا كان عند الزائر حسن اعتقادا ولم يكن مقتدى به .

وعن الإمام القضاعي ما يفيد تفصيل كلام العلامة الأجهوري بين الزائر والمزور . ولفظ : قال أبو موسى : دخلت ضريح السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ووضعت يدى على الضريح وإذا بقائل من داخل القبر يقول : أهكذا يدخل على أهل بيت النبوة ؟ وكذا تمريغ الخد على الأعتاب ما لم يكن على هيئة السجود وإلا حرم ولم يكن مكفراً لعدم قصد العبادة والسجود للمخلوق . وإنما هو من شدة التعلق بمحبة أعتابهم . وما يقع من بعض العوام من قولهم أى الولى : يا سيدى فلان مثلا إن قضيت لى كذا أو شفيت لى مريضى فلك على كذا . فهو من الجهل بالسنة بكيفية الطلب ولكن لا يعد كفراً لأنهم لا يقصدون بذلك الإيجاد من الولى وإنما يجعلونه فى نياتهم وسيلة إلى مولاهم حيث كان المتوسل به فى اعتقادهم من أهل القرب والمحبة للخالق . ألا ترى أنهم يكررون فى أثناء كلامهم : يا صاحب النفس الطاهر عند ربك اطلب لى من مولاك يفعل بى كذا وكذا . فإن ذلك دليل منهم على انفراد الله تعالى بالفعل وأنه لا شىء للولى إلا مجرد التسبب وأنه لا يرد المتوسل به لأن القريب المحبوب لا يرد فيما طلب . قاله العلامة العدوى فى كتابه مشارق الأنوار .

وقد جوز العلماء الأجلاء الاستغاثة والتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم واستدلوا على جواز التوسل والاستغاثة بدلائل . منها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا واتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى .

ومنها قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال ابن عباس رضى الله عنهما : هم عيسى وأمه وعزير والملائكة . وتفسير الآية أن الكفار كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أربابهم . فيقول الله تعالى لهم : أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب فكيف تجعلونهم أرباباً وهم عبيد مفتقرون إلى ربهم متوسلون إليه بمن هو أعلى مقاماً منهم .

ومنها قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام . وذلك صريح فى الدلالة على جواز التوسل به كما يفهم من قوله تعالى : (لوجدوا الله تواباً رحيما) . وأنت تعلم أن استغفاره صلى الله عليه وسلم لأمته لا يتقيد بحال حياته . فقد روى البزار بسند صحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنامت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم » صححه المناوى فى الشرح الكبير على الجامع الصغير وصححه الحافظ نور الدين الهيتمى فى مجمع الزوائد .

وقد قال عليه الصلاة والسلام « حياتى خير لكم ومماتى خير لكم » قالوا يا رسول الله ، قد عرفنا أن حياتك خير لنا . فكيف وفاتك خير لنا ؟ قال « أما حياتى فإنكم كلما أحدثتم حدثا أحدث الله لكم المخرج منه بى . فإذا مت فلا أزال أنادى من قبرى ربى أمتى حتى ينفخ فى الصور . ثم لا أزال أجاب أربعين سنة حتى ينفخ الأخرى وتعرض على أعمالكم فما كان من حسن شكرت الله عليه وما كان من

سيء دعوت الله أن يغفره » رواه الإمام هبة الله فى كتابه توثيق عرى الإيمان ورواه غيره . فهو عليه الصلاة والسلام رحمة لنا فى حياته وبعد وفاته . فكيف لا يقول به إليه

ومنها قوله تعالى (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) فنسب الله تعالى الاستغاثة إلى غيره من المخلوقين . وكفى بها دليلا على جوازها . فإن قيل : إن المستغاث به فى هذه الآية حى وله قدرة وإنما كلامنا فى الميت . أجيب : بأن نسبة القدرة إليه إن كانت استقلالا فهى كفر . وإن كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس إلا . فلا فرق بين الحى والميت . فإن الميت له كرامة . وإذا لم تنسب الإغاثة إلى الله تعالى حقيقة وإلى غيره مجازاً كانت الاستغاثة ممنوعة .

وحيث كان المراد من التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين والطلب منهم هو استشفاعهم وقد أخبر الله تعالى أنهم يملكون الشفاعة بقوله تعالى (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق) هى قول لا إله إلا الله . فأى مانع من طلب شيء مما ملكوه بإذنه تعالى ؟ فيجوز أن تطلب منهم أن يعطوك مما أعطاهم الله تعالى . وإنما الممنوع هو طلب الشفاعة من الأصنام التى لا تملك شيئاً منها .

ومنها كما فى منهاج العابدين للإمام الغزالى رضى الله عنه : أن قارون لما استغاث بموسى عليه الصلاة والسلام عاتبه الحق تبارك وتعالى حيث لم يغثه وقال : وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته : فانظر كيف أمره الحق أن يغثه وعاتبه ؟

ومنها ما أخرجه الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال : لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال : رب أسألك بمحمد صلى الله عليه وسلم إلا ما غفرت لى . فقال تعالى : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يارب إنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله تعالى : صدقت يا آدم . إنه لأحب الخلق إلى . وإذا سألتنى بحقه فقد غفرت لك . ولولا محمد ما خلقتك . قال الحاكم صحيح الإسناد ورواه الطبرانى وزاد « وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

ورواه الحاكم أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنهما بزيادة بلفظ . أوحى الله إلى عيسى : ياعيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن . قال الحاكم فى مستدركه : هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه يعنى البخارى ومسلم . فهذا الإمام الحافظ قد كفانا المؤنة بصحيح الحديث . وقد رواه غير واحد من الحفاظ وأئمة الحديث منهم أبو محمد مكى وأبو الليث السمرقندى وغيرهما أن آدم عليه السلام عند اقترافه قال : اللهم بحق محمد عليك اغفر لى خطيئتى . ويروى تقبل فقال الله : من أين عرفت محمداً ؟ قال : رأيت فى كل موضع من الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدى ورسولى فعلمت أنه أكرم خلقك عليك . فتاب

الله عليه وغفر له وفى رواية الحافظ الآجرى . فقال آدم : لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك ، فأوحى الله إليه : وعزتى وجلالى : إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك . قال وكان آدم : يكنى أبا محمد .

ومنها ما رواه ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إنى أسألك بحق سائلين عليك وأسألك بحق ممشاى هذا إليك فإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذنى من النار وأن تغفرلى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك .

فقد توسل النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : إنى أسألك بحق السائلين عليك ، أى بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فليتوسلوا مثل توسله . ولم يزل السلف من التابعين ومن تبعهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى . إلى آخر الحديث رواه الطبرانى فى الكبير وصححه ابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

وفاطمة هذه هى أم الإمام على كرم الله وجهه التى ربت النبى صلى الله عليه وسلم . وروى ابن أبى شيبة عن جابر مثل ذلك وروى مثله أيضاً ابن عبد البر عن ابن عباس : ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس كما ذكره الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير ففى هذا الحديث الثابت توسله صلى الله عليه وسلم إلى ربه بذاته التى هى أرفع الذوات قدراً وبإخوانه النبيين وجلهم موتى . عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

ومنها ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل فلم نبرح حتى قبض . فبسطنا عليه ثوبه وله أم عجوز كبيرة عند رأسه فالتفت إليها بعضنا وقال : يا هذه احتسبى مصيبتك عند الله تعالى . قالت وما ذاك ؟ مات ابنى ؟ قلنا نعم . قالت : أحق ما تقولون قلنا : نعم فمدت يدها إلى الله تعالى وقالت : اللهم تعلم أنى أسلمت وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تغيثنى عند كل شدة ورخاء فلا تحمل على هذه المصيبة اليوم . قال فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه .

ومنها ما رواه الترمذى والنسائى والبيهقى بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه : أن رجلا ضريراً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافينى . فقال إن شئت دعوت . وإن شئت صبرت وهو خير : قال : فادعه : فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى

أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى . اللهم شفعه في . فعاد وقد أبصر . وخرج هذا الحديث البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك بإسناد صحيح . وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير .

وقد ذكر الإمام ابن حجر في الدر المنظوم أنه ينبغي لمن وقع في شدة أو حاجة طالباً قضاءها من ذي إمارة أن يفعل ذلك فيقضي الله حاجته . فإذا قيل : إن هذا كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فليس يدل على جواز التوسل به بعد موته . فنجيب : بأن هذا الدعاء قد استعمله الصحابة والتابعون أيضاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم بدلالة ما رواه الطبراني والبيهقي أن رجلا كان يختلف إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه زمن خلافته في حاجة ولم يكن ينظر في حاجته . فشكى الرجل ذلك لعثمان بن حنيف . فقال له : ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة . يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك لتقضى حاجتي وتذكر حاجتك . فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضي الله عنه فجاءه البواب وأخذ بيده وأدخله على عثمان فأجلسه معه وقال : أذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها . ثم قال له : ما كان لك من حاجة فاذكرها . فلما خرج الرجل من عنده لقي ابن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته . فقال ابن حنيف : والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره . الحديث . فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . على أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره وله التصراح في الانطلاق إلى حيث يريد في جميع أقطار الأرض واجتمع بكثير من أفراد أمته يقظة لا مناماً . وليست درجته صلى الله عليه وسلم دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين .

قال الشيخ سيدي محمد أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي عن نفسه : لست بميت وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله . وأما من يفقه عن الله فها أنا أراه ويراني .

وقد تقدم في هذا الكتاب عند ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في النوم واليقظة اجتماع كثير من صلحاء أمته وعلمائهم . فراجعه إن شئت .

ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما في شأن أويس القرني رضي الله عنه : يا عمر ويا علي : إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله تعالى لكما فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه إلى أن لقياه . وبقية حديث أويس القرني في باب ذكر نذر يسير من كرامات الأولياء في آخر هذا الكتاب ، ففي هذا جواز التوسل بالأشخاص وبدعائهم .

ومنها ما رواه الدرامي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقالت : فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا إليه

كوة من السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف . ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت . فسمى عام الفتق قال الزين المراغى : وفتح الكوة عند الجدب سنة أهـــل المدينة حتى الآن .

ومنها ما ذكر فى الشفاء بسند جيد أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك : يا أبا عبد الله . وكان بالمسجد النبوى . أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له الإمام مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى . بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك .

ومنها ما رواه البيهقى وابن أبى شيبة بسند صحيح أن الناس أصابهم قحط فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأخبره أنهم يسقون . فهذه الرؤيا وإن كانت حقاً لا تثبت بها الأحكام لإمكان اشتباه الـكلام على الرائى .

وإنما الاستدلال بفعل أحد أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة . وهو بلال بن الحارث فإنه أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وناداه وطلب منه أن يستسقى لأمته وذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم والعهد عهد الصحابة والمسجد مملوء بالأكابر منهم . فلم ينكر عليه منهم أحد ولا عده خلاف الأولى .

وفعل الصحابى تشريع للأمة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وفى المواهب اللدنية للإمام القسطلانى : ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استسقى بسيدنا العباس رضى الله عنه قال : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به فى عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ، ادع يا عباس . فكان من دعائه رضى الله عنه : اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة . وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث واحفظ اللهم نبيك فى عمه . فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس . وأقبلوا على العباس يتمسحون به ويقولون : هنيئاً لك يا ساقى الحرمين وقال سيدنا عمر رضى الله عنه عند ذلك هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه . وفيه جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل . بل توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس لقرابته من النبى صلى الله عليه وسلم ولمنزلته لديه توسل بالنبى صلى الله عليه وسلم . وتصريح العباس فى دعائه بقوله : واحفظ اللهم نبيك فى عمه : أى ببركة ومنزلة نبيك عندك أن تسقينا الغيث ليكون عمه محفوظ الكرامة بسبب نسبته لنبيك صلى الله عليه وسلم .

وقال العلامة ابن حجر فى كتابه المسمى بالخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان : أن الإمام الشافعى رضى الله عنه أيام كان ببغداد كان يتوسل بالإمام أبى حنيفة رضى الله عنه يجيء إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله تعالى به فى قضاء حاجاته .

ونقل صاحب البدائع عن ابن الجوزى أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبى حنيفة فى كل يوم وقت الصبح يتعلم من علم الشريعة فلما مات أبو حنيفة سأل الخضر ربه أن يرد إلى أبى حنيفة روحه فى قبره حتى يتم له علوم الشريعة فكان يأتى كل يوم وقت الصبح على عادته عند القبر يسمع منه مسائل الفقه، والشريعة بعد موته .

وقد ثبت أيضاً أن الإمام احمد بن حنبل رضى الله عنه توسل بالإمام الشافعى رضى الله عنه حتى تعجب ابنه . أى ابن الإمام أحمد . فقال له الإمام أحمد : إن الشافعى كالشمس للناس وكالعافية للبدن فانظر هل لهذين من خلف أو عوض .

وذكر العلامة ابن حجر فى كتابه الصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة : أن الإمام الشافعى رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوى حيث قال :

آل النبى ذريعتى ... وهم إليه وسيلتى
أرجو بهم أعطى غداً ... بيدى اليمين صحيفتى

وقد ذكر القرطبى فى تفسيره عن الإمام على رضى الله عنه أنه قال : قدم علينا أعرابى بعد ما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه ثم قال : قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله عز وجل ما وعينا عنك وكان فيما انزل عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفرلى . فنودى من القبر : قد غفر لك .

ذكر ذلك غير واحد من المتقدمين والمتأخرين بأسانيد جيدة . منهم القاضى عياض فى الشفا ، والعلامة هبة الله فى كتابه : توثيق عرى الإيمان .

وقد ذكر أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو المكنى بالعتبى قال : كنت جالساً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله . سمعت الله يقول (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) . وقد جئتك مستغفراً من ذنبى مستشفعاً بك إلى ربى . ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال : فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال : يا عتبى الحق الأعرابى فبشره بأن الله قد

غفر له . وفي رواية في غير هذه الحق الأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له بشفاعتي . فخرجت فلم أجده . قد ذكر هذه القصة خلائق كثيرون . منهم ابن عساكر في تاريخه . والحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه : مثير الغرام الساكن وذكرها غيرهما بالأسانيد منهم الإمام العلامة المتفق على علمه ودينه وزهده أبو زكريا يحيى بن شرف النووي قال : في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم إنها من أعظم القربات وأفضل المساعي قال : وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه وتشفع به إلى ربه . ومن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له . وذكر ما تقدم .

فأفاد النووي أن أصحاب الإمام الشافعي استحسنوا ذلك وحكوه عن غيرهم .

وأفاد شمول الآية للحياة والممات وأنه يستشفع به إلى ربه وساق ذلك مساق ما هو متفق عليه ولم يتعرض لذلك أحد بالإنكار في سائر الأعصار .

وزاد الامام الحصني البيتين الآتيين على ما قاله الأعرابي . وهما :

وفيه كل خصال الحمد قد جمعت فلذ به فهو من ترعى له الذمم

وهو الذي يرتجى في كل معضلة وفي المعاد إذا زلت بنا القدم

وقد ذكر ابن عساكر في تاريخه أن أبا القاسم بن ثابت البغدادي رأى رجلا بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم . أذن الصبح عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه : الصلاة خير من النوم : فجاء خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك منه فبكى واستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله في حضرتك يفعل بي هذا الفعل . قال : نضرب الفالج في الحال وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ثم مات .

وقال أبو العباس أحمد المقرى الضرير التونسي : جعت بالمدينة ثلاثة أيام فجئت إلى القبر الشريف وقلت يا رسول الله جعت ثم نمت ضعيفاً . فاركزتني جارية برجلها فقمت . فقالت أعزم فقمت معها إلى دارها فقدمت لي خبز بر وتمراً وسمناً وقالت : كل أبا العباس فقد أمرني بهذا جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو العباس : فرجعت إلى بلادي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمصر بعد رجوعي فقال : أوحشتنا يا أبا العباس قراءتك وكنت أكثر قراءة القرآن عند ضريحه صلى الله عليه وسلم . قال الباجي : كم قرأت من ختمة عند قبره ؟ قال : قال : ألف ختمة .

وقال أبو العباس أحمد الوراق : كانت عندنا بمدينة فاس امرأة وكانت إذا أصابها أمر أو شيء يفزعها جعلت يدها على عينيها واستغاثت بالنبي صلى الله عليه وسلم فتغاث . فلما توفيت قال لي قريب لها : رأيتها في النوم فقلت لها : يا عمة أرأيت المسكين الفتانين ؟ فقالت : نعم . جاءاني . فعند ما رأيتهما جعلت يدي على عيني وقلت : يا محمد . فلما نزعتهما عن وجهي فلم أرهما :

وهذه القصة كما قال الامام الحصني ذكرها بعض الأئمة وعزاها وقال : إن الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم من بعيد كالاستغاثة به عند قبره صلى الله عليه وسلم .

وعن أبى إسحاق الحسين قال : كنت بين مدينة النبى صلى الله عليه وسلم والشام فضل لنا جمل قال: وكان قد بلغنى عن الشيخ أحمد الرفاعى أنه قال : من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبرى ويمشى سبع خطوات ويستغيث فإن حاجته تقضى : قال : فلما استقبلت عبادان وقصدت الاستغاثة هتف بى هاتف أما تستحى من رسول الله صلى الله علية وسلم وتستغيث بغيره . قال : فتحولت نحو المدينة فقلت : يا سيدى يا رسول الله . أنا مستغيث بك . قال فوالله ما استكملت ذلك إلى والجمال يقول لى : هذا الجمل قد وجدناه .

وسافر بعض الفقراء لقصد زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فتاه فى الطريق فاستغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم فظهرت له قبة العباس رضى الله عنه وبينه وبين الموضع المذكور يومان أو نحوهما .

وقال أبو الحجاج يوسف بن على : سمعت أبا عبد الله بن سالم يقول : رأيت فى المنام كأنى فى بحر النيل وإذا بتمساح يريد أن يقفز على فخفت منه وإذا بشخص وقع لى أنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى : إذا كنت فى شدة فقل : أنا مستغيث بك يا رسول الله . فكنت أفعل ذلك فأغاث فأراد بعض الإخوان السفر لزيارته صلى الله عليه وسلم وكان ضريراً فحكيت له الرؤيا وقلت له : إن كنت فى شدة فقل أنا مستغيث بك يا رسول الله . فسافر فى تلك الأيام فجاء إلى (رابغ وهى غزيرة الماء وكان له خادم قد ذهب فى طلب الماء . قال : فبقيت القربة فى يدى وأنا فى شدة من طلب الماء فذكرت ما قلت لى وقلت : أنا مستغيث بك يارسول الله . وإذا أنا بصوت يقول : زم قربتك وسمعت ضرير الماء فى القربة إلى أن امتلأت ولم أعلم من أين أتى القائل .

وقال : سمعت أبا الحسن العسقلانى يقول ركبنا البحر فى طلب جدة فهاج علينا ودميناه ما معناه فيه وأشرفنا على التلف فجعلنا نستغيث باالنبى صلى الله عليه وسلم ونحن نقول : وامحمداه . وكان معنا رجل صالح فقال : ادفقوا يا حجاج إنكم سالمون رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله : أمتك يستغيثون بك : قال : فالتفت إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقال يا أبا بكر أنجدهم قال: فكأن عينى ترى أبا بكر رضى الله عنه وقد خاض البحر وأدخل يده فى مقدم الحلق ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر . فلم تستغيثون فأنتم سالمون ؟ فسلمنا ولم نر بعد هذا إلا خيراً والحمد لله رب العالمين .

فلا فرق فى التوسل الأنبياء وغيرهم من الصالحين بين كونهم أحياء أم أمواتاً . لأنهم فى كلتا بالحالتين لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير فى شىء وإنما الخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له فى كل ذلك . على أن الأنبياء وغيرهم من الصالحين بعد انتقالهم إلى الدار الآخرة أكثر يقظة ونفعاً منهم فى حال حياتهم .

من هذا أنه لما صالح سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح به سيدنا عمر رضى الله عنه وبإسلامه قال له سيدنا عمر : هل لك أن تسير معى إلى

المدينة وتزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتنتفع بزيارته ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين أفعل ذلك . فهذا صريح في الندب إلى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وشد الرحل وإعمال المطي إليه .

قال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه المطالب العالية : إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً . فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقلتين وضعتا بحيث ينعكس بالشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى . فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله والرضا بقضاء الله ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت . وكل ما حصل في نفس ذلك الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس منه إلى روح ذلك الزائر الحي وبهذا الطريق تكون الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور . وهذا هو السبب في شرعية الزيارة . ولا يبعد أن تحصل فيها أمور أخرى أدق وأغمض مما ذكرناه . وتمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند الله .

وقال العلامة السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد مقدمة : بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات جزئية واطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء سيما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف في الدنيا ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات . فإن للنفس بعد المفارقة تعلقاً ما بالبدن وبالتربة التي دفن فيها فإذا زار الحي تلك التربة وتوجهت نفسه تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات .

وقال التفتازاني أيضاً . وبالجملة ظهور كرامات الأولياء يكاد يلحق بمعجزات الأنبياء وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء إذ لم يشاهدوا ذلك في أنفسهم قط ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء مع اجتهادهم في أمور العبادات واجتناب السيئات فوقعوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات يمزقون أديمهم ويمضغون لحومهم لا يسمونهم إلا باسم الجهلة المتصوفة ولا يعدونهم إلا في عداد آحاد المبتدعة ولم يعرفوا أن مبنى هذا الأمر على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة .

ومن هذا أن فقهاء بغداد قالوا للمتوكل : إن الجنيد قد تزندق هو وأصحابه . فقال لهم الملك وكان يميل إلى الجنيد : يا أعداء الله : ما أردتم إلا أن تفنوا أولياء الله من الأرض واحداً بعد واحد ، قتلتم الحلاج وأنتم ترون كل يوم عبادة ولا تزدجرون . وهذا الجنيد لا سبيل لكم إليه حتى تغلبوه بالحجة فاجمعوا له الفقهاء واعملوا له مجلساً فإن أنتم غلبتموه وشهد الناس بأنكم غالبون عليه قتلته . وإن هو غلبكم والله لأمشين عليكم بالسيف حتى لا نبق منكم أحداً على الأرض ، فجمعوا له الفقهاء وبعث الملك إليه فجاء هو وأصحابه إلى باب القصر . فدخل الجنيد وترك أصحابه وقعد . فقام إليه أحد

الفقهاء يسأله فى مسألة . فسمعه القاضى على ابن أبى ثور . فقال لهم : أتسألون الجنيد؟ قالوا : نعم . فقال لهم : أفيكم من هو أفقه منه ؟ فقالوا : لا فقال : يا عجباً هو أفقه منكم فى علم تنكرونه عليه ولا تعرفونه فكيف تسألون رجلا لا تدرون ما يقول ؟ فبهت القوم وسكتوا زماناً ، ثم قالوا : ما العمل يا قاضى المسلمين ؟ فرد القاضى وجهه إلى الأمير وقال له : أترك الجنيد واخرج إلى أصحابه صاحب سيفك . وهو الوليد بن ربيعة . ينادى فيهم : من يقوم إلى السيف ؟ وأول من يقوم نسأله . فقال الملك : لم ذلك ؟ نروع القوم ولم تظهر لكم حجة لا يحل لنا ذلك . فقال القاضى : يا أمير المؤمنين إن الصوفية يحبون الإيثار على أنفسهم حتى بأنفسهم فأذن من ينادى : أيكم يقوم للسيف ؟ فالرجل الذى يقوم مبادراً إلى السيف هو أكثر الناس جهلا وأكثرهم صدقاً لله عز وجل . فيقوم يؤثر أصحابه بالعيش بعده فإذا قدم أجلهم علينا ناظره الفقهاء فيما يطلبون منه . فإن الفقهاء لم يتغلبوا عليه ولم يتغلب عليهم فإن الصفح يقع بيننا وبينهم فإنها قد نزلت مصيبة عظيمة لا ندرى لمن يقع النجاة منها . فإنه إن قتل الجنيد نزلت داهية فى الإسلام فإنه قطب الإيمان فى عصرنا . وإن قتل العلماء والفقهاء فهى مصيبة عظيمة . فقال له الأمير : أصبت . ثم عطف على الوليد وقال له : افعل ما يقول لك القاضى فخرج الوليد وهو مقلد سيفه فوقف على المريدين وهم مائتان وسبعون رجلا قعوداً ناكسين رؤسهم ذاكرين الله تعالى . فنادى فيهم : أفيكم من يقوم إلى السيف ؟ فقام إليه رجل يقال له : أبو الحسن النورى . فقال الوليد ما رأيت طائراً أسرع منه . فوثب قائماً بين يدى . فعجبت من سرعة قيامه . فقلت : يا هذا أعلمت لم قمت ؟ فقال : نعم علمت أن الدنيا سجن المؤمن فأحببت أن أخرج إلى دار الفوز وأن أوثر أصحابى على بالعيش ولو ساعة ولعلى أقتل فيطفأ الشر بى فيسلم جميعهم ولا يقتل أحد غيرى . قال الوليد : فعجبت من فصاحته وقلت له . أجب القاضى فتغير لونه وسالت عبرته على خده . فقال : أودعانى القاضى ؟ قلت نعم . دعاك . فقال فحقاً على إجابته . فدخلت وهو معى . فأخبرت الملك والقاضى قصته فتعجبا منه وسأله القاضى قائلا له : من أنت ؟ ولم خلقت ؟ وما أراد الله بخلقك ؟ وأين هو ربك منك ؟ فقال له أبو الحسن النورى : ومن أنت الذى تسألنى ؟ فقال له : أنا قاضى القضاة فقال له : إذاً لا رب غيرك ولا معبود سواك ، أنت قاضى القضاة وهذا يوم الفصل والقضاء والناس قد حشروا ضحى وأين النفخة فى الصور التى قال الله فيها (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) فهل أنا ممن صعق أم أنا ممن شاء الله الذى لم اشهد النفخ ؟ فبهت القاضى زماناً وقال : يا هذا أجعلت منى إلهاً ؟ قال : معاذ الله ، بل أنت تألهت حيث تسميت بقاضى القضاة وليس قاضى القضاة إلا القاضى الذى يقضى ولا يقضى عليه . أضافت عليك الأسماء ، أما كفاك القاضى المسلمين ؟ أو أحد الفقهاء أم أحد من عباد الله حتى تسميت بقاضى القضاة إذ استكبرت أن تقول : أنا على بن أبى ثور ، فما زال يقرعه حتى بكى القاضى وبكى الملك لبكائه وبكى الجنيد وقال لتلميذه : أقصر من عتابك للقاضى فقد قتلته ، فخلى سبيله فلما أفاق القاضى قال : يا أبا الحسن اجبنى عن مسئلتى وأنا أتوب إلى الله بين يديك : فقال له أبو الحسن : اذكر المسألتك فإنى نسيتها فأعادها عليه ، فنظر عن يمينه وقال : أتجاوبه ؟ ثم قال : حسبى الله . ثم فعل عن يساره مثل ذلك ، ثم نظر أمامه وقال أتجاوبه؟

ثم قال: الحمد لله، ثم رفع رأسه إلى القاضي وقال له : أما قولك : من أنت ؟ فأنا عبد الله لقوله تعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) وأما قولك : لماذا خلقت ؟ فكان الله كنزاً لا يعرف فخلقني لمعرفته . قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي ليعرفون . كذا قال ابن عباس وغيره . وأما قولك : ما أراد الله بخلقي ؟ فما أراد بي إلا كرامتي . قال تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) وأما قولك : أين ربك منك ؟ فهو مني حيث أنا منه . لقوله تعالى :(وهو معكم أينما كنتم) فقال له القاضي : أخبرني كيف (هو معك ومعنا في قوله وهو معكم أينما كنتم) فقال : هو معنا كيف ما كنا معه ، فإن كنا معه بالطاعة كان معنا بالعون والهدى إليه . وإن كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة وإن كنا معه بالمعصية كان معنا بالمهلة . وإن كنا بالتوبة كان معنا بالقبول . وإن كنا بالترك كان معنا بالعقاب . فقال له القاضي : صدقت . فأخبرني : أين هو منك ؟ فقال له أبو الحسن : أخبرني أين أنت منه أعلمك أين هو منك . قال : صدقت ولكن أخبرني بمسألة ثانية قال : وما هي . قال : لم ملت عن يمينك حين سألتك ؟ قال له : إن المسألة التي سألتني عنها لم يكن عندي فيها جواب لأنني ما سئلت فيها قط ولا سمعتها . فلما سألتني عنها لم يكن عندي ما أخبرك به فسألت الملك الكريم الذي يكتب في اليمين ، فقلت له : أتجاوب به أنت فقال لي لا علم لي . فقلت : حسبي الله وفوضت أمري إلى الله.وعن شمالك . فقال : كذلك . فقال: وأمامك . فقال : سألت قلبي فقال عن سره عن ربه ما أجبتك به فقلت . الحمد لله شاكراً على الهداية ومقراً له بالعجز عن إدراك النهاية . فقال القاضي : يا هذا أنكلمك الملائكة ؟ فقال له : ويحك . أما ترى رب الملائكة كلمني حين هداني لحجتي وكنت لا أعرفها . فقال القاضي وقد رد رأسه إلى المتوكل : يا أمير المؤمنين أترك هؤلاء. فإن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم هؤلاء مصابيح الدين ودعائم الإسلام وهؤلاء المؤمنون حقاً عباد الله المخلصين . فعند ذلك عطف الملك على الجنيد وقال له : يا أبا القاسم . هؤلاء الفقهاء ما جمعوا لك هذا المجلس العظيم واستعدوا لمناظرتك إلا ليقتلوك لو غلبوك . والآن أنت الغالب عليهم وأنا آليت على نفسي إن أنت غلبتهم أن أمشي عليهم بالسيف فإما أن تعفو عنهم وإما أن يموتوا . فقال له الجنيد : معاذ الله ياسيدي أن يموت أحد منهم بسببي . عفا الله عنا وعنهم ولا آخذ عليهم في إنكارهم علينا لأنهم ما ساقهم لذلك إلا الجهل وقلة العلم . فانحل المجلس ولم يمت فيه أحد .

وقد اجتمع مائة فقيه من أذكياء بغداد يمتحنون سيدي عبد القادر الجيلي في العلم . فجمع كل واحد له مسائل وجاء إليه . فلما استقر بهم المجلس أطرق الشيخ فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت على صدر المائة فمحت ما في قلوبهم . فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم . ثم صعد الشيخ رضي الله عنه على الكرسي وأجاب الجميع عما كان عندهم ، فاعترفوا بفضله .

وأما قصد الصالحين بالزيارة والاعتقاد فيهم والتبرك بهم وبجاههم فهو جائز ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبيه سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أن يقصدا

أيساً القرنى ويسألاه الدعاء والاستغفار كما فى صحيح مسلم . تقدم الكلام على هذا قريباً . وسيأتى له ذكر فى باب كرامات الأولياء إن شاء تعالى .

وأما التبرك بالآثار . فقد كانت بردته صلى الله عليه وسلم عند كعب بن زهير يتبرك بها ثم اشتراها معاوية من أولاده بثلاثين ألف درهم . ولم تزل الخلفاء يتبركون بها . وقد كان فى قلنسوة خالد بن الوليد رضى الله عنه شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم حملها معه تبركاً . ذكره القاضى عياض فى الشفاء . وقد جاء فى القرآن الكريم حكاية عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : (اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً) . إلى قوله : (فلما جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً) فهذا من التبرك بالآثار . وقد حكاه الله تعالى عمن قبلنا .

ومن التبرك بالآثار ما حكى أن الإمام الشافعى رضى الله عنه لما كان بمصر رأى فى المنام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : بشر أحمد بن حنبل بالجنة على بلوى تصيبه فإنه يدعى إلى القول بخلق القرآن فلا يجيب إلى ذلك بل يقول : هو منزل غير مخلوق . فلما أصبح الإمام الشافعى رضى الله عنه كتب صورة ما رآه فى منامه وأرسله مع الربيع إلى بغداد إلى الإمام أحمد . فلما وصل إلى بغداد قصد منزل الإمام أحمد واستأذن عليه فأذن له فلما دخل عليه قال له : هذا كتاب أخيك الشافعى . فقال له : هل تعلم ما فيه ؟ قال : لا ففتحه وقرأه وبكى وقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . ثم أخبر بما فيه . فقال : الجائزة وكان عليه قميصان أحدهما على جسده والآخر فوقه . فنزع الذى على جسده ودفعه إليه . فأخذه ورجع إلى الإمام الشافعى . فقال له الإمام الشافعى : ما أجازك ؟ قال : أعطانى القميص الذى على جسده . فقال له الإمام : أما أنا فلا أفجعك فيه ولكن اغسله و ائتنى بمائه . فغسله وأتاه بالماء فأفاضه على سائر جسده .

وقد روى أن سيدنا يعقوب عليه السلام قال للبشير لما أخبره بحياة سيدنا يوسف عليه السلام . كيف يوسف ؟ قال له : إنه ملك مصر . فقال له سيدنا يعقوب : ما أصنع بالملك على أى دين تركته ؟ قال : على دين الإسلام . فقال : سيدنا يعقوب : الآن تمت النعمة .

ومن التبرك بالآثار : التبرك بغار حراء لدخول النبى صلى الله عليه وسلم فيه واعتكافه فيه . وكذلك مس الحجر الأسود لاستلام الرسول صلى الله عليه وسلم له كما استلمه ومسه خلفاء أمته وغيرهم من بقية الأمة المحمدية .

وقد قال القطب عبد الله بن أبى بكر العيدروس : ثياب الأولياء ملامسة لبدنهم وبدنهم ملامس لروحهم . وروحهم عند مليك مقتدر . فيتبرك بثيابهم . ولما مات ابنه العدنى أبو بكر بن عبد الله رأوا عنده صندوقاً كبيراً ظنوا أن فيه دراهم ففتحوه فوجدوا فيه صندوقاً آخر ففتحوه فوجدوا فيه فرد نعال ممسكة بمسك وطيب مكتوب عليه : هذه نعال شيخنا الولى سعد بن على . وذلك من اعتقاده فى ملبوس شيخه وتعظيمه .

وقد كان الإمام السبكي مع سعة علمه وجلالة قدره يمرغ خده في دار الحديث لعل أن يمس خده موضع قدم الإمام النووي حتى قال : لعلي أن أمس بحر وجهي مكاناً مسه قدم النووي .

وقد ذكر ابن حجر في شرح الحديث الثالث عشر من الأربعين للإمام النووي أن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى ثابتاً البناني أن يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب من العباس أن يسقيه من ماء سقايته . فأمر العباس ابنه عبد الله أن يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم بماء آخر من الدار غير ما يشرب منه المسلمون لأن العباس استقذره وقال يا رسول الله : هذا تمسه الأيدي تأتيك بماء غيره . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا . إنما أريد بركة المسلمين وما مسته أيديهم . فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك . فما بالك بغيره فكل مسلم له بركة ونور .

وقد روى بإسناد صحيح عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : كان يبعث إلى المطاهر جمع مطهرة بكسر الميم . كل إناء يتطهر به منه . والمراد هنا نحو الحياض والفساقي المعدة للوضوء (فيؤتى) إليه (بالماء) منها (فيشربه يرجو به) أي راجياً به (بركة أيدي المسلمين) الذين تطهروا من ذلك الماء . وهذا شرف عظيم للمتطهرين .

وفي كتاب المدخل قال : سمعت أبا محمد رحمه الله يقول : إنه كان عندهم ببلاد الأندلس امرأة مسرفة على نفسها فاتت على شر حال . فرآها بعض الصالحين في النوم وهي في حالة حسنة . فقال لها أنت فلانة ؟ قالت : نعم . فقال لها : كيف حالك ؟ فقالت . غفرلي . فقال لها بماذا ؟ وقد كنت وكنت قالت : لما أن أخرج بجنازتي مر بها على رجل خياط وفي كه ثوب لسيدي فلان فصلى علي . فغفرلي كرامة لذلك الثوب .

وقد حدث بعض أولاد سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله أن والدته أتت إلى أبيه فأخبرته أن أمها قد توفيت وطلبت منه قميصاً تكفنها فيه . فأعطاها . فلما أن كان من الغد أخبرها بأن الملكين عليهما السلام جاءاها فقال أحدهما للآخر : اذهب بنا فإن ثوب المرجاني عليها . فلم يتعرضا لها .

وفي البخاري عن أم عطية رضى الله عنها قالت : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفيت إبنته . فقال : أغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر واجعلن في الأخيرة كافوراً أو شيئاً من كافور . فإذا فرغتن فآذنني : فلما فرغنا آذناه فأعطانا حقوة فقال اشعرنها إياه . تعني إزاره . أي اجعلن إزاره صلى الله عليه وسلم شعارها أي ثوبها الذي يلي جسدها لتنالها بركة ثوبه صلى الله عليه وسلم . وفيه التبرك بآثار الصالحين ولباسهم .

وأما الانتفاع بجاههم وشفاعتهم لو لم يرد فيه إلا قوله صلى الله عليه وسلم ، إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء ، لكفى به . كيف وقد جاء في ذلك عدة أحاديث منها

فى البخارى حديث الأبدال وفى آخره : « بهم تمطرون وبهم تنصرون وبهم تسقون وحديث: إن ليحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله فما يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم » .

وفى شرح العقيدة السنوسية ان الإمام الكبير الحنفى الشاذلى ومعه تلميذه سارا يمشيان على شاطىء البحر . فقال الشيخ : بسم الله الرحمن الرحيم وقال لتلميذه : قل يا شيخى الحنفى . ونزلا فى الماء بجوار الشاطىء . فلما وصلا إلى لجة البحر قال تلميذه لم لا أقول ما قال شيخى بسم الله الرحمن الرحيم فقالها فغرق . فأمسك بيده الشيخ وقال له : ما سببك ؟ فأعلمه . فقال له الشيخ : أنت تعرفنى وأنا أعرف الله وأنت عارف لا سمى وأنا عارف لا سمى وأنت توسلت بى لأنك تعرفنى وأنا أتوسل باسم الله لأنى أعرف اسمه . فانظر قوله : قل يا شيخى الحنفى . فلولا أنه جائز شرعاً لما أمره أن يقوله لأن جلاله قدره ومعرفته بالله تعالى تأبى أن يرتكب ما لا يجوز .

وقد ذكر فى كتاب مجمع الأحباب فى ترجمة أبى عيسى الترمذى أنه رأى فى المنام رب العزة تسعة وتسعين مرة قال : إن رأيته تمام المائة لأسألنه : بم يحفظ على الإسلام ويتوفانى عليه قال : فرأيته . فقال لى . اقرأ بعد ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح : إلهى بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجنى من الغم الذى أنا فيه يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيى قلبى بنور معرفتك يالله يا ألله يا أرحم الراحمين .

وأما زيارة الأولياء واستحباب الرحلة إليها فقد قال الإمام الغزالى فى الكتاب السابع من ربع العبادات من الإحياء . قال صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصالحين . وما تبين لى أن الأمر ليس كذلك . بل الزيارة مأمور بها . قال صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً » . الحديث إنما ورد فى المساجد وليس فى معناه المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة فلا بلدة إلا وفيها مسجد . فلا معنى إلى الرحلة إلى مسجد آخر ، وأما المشاهد فـــلا تتساوى فإن بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله . نعم لو كان فى موضع لا مسجد له فله الرحلة إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء . ثم ليت شعرى ، هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء ؟ فالمنع من ذلك فى غاية الإحالة : وإذا جوز ذلك ، فقبور العلماء والأولياء والصلحاء فى معناها ، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما فى زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد .

وقال الإمام النووى : معناه لا فضيلة فى شد الرحال إلى مسجد غير هذه الثلاثة ، ونقله عن جمهور العلماء . وقال العراقى : من أحسن محامل الحديث أن المراد منه حكم المساجد فقط وأنه لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة ، وأما قصد غير المساجد من الرحلة فى طلب العلم وزيارة الصالحين والاخوان فليس داخـــلا فيه ، وقد ورد ذلك مصرحاً به فى رواية أحمد . ولفظه :

لا ينبغى للمصلى أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غـــير المسجد الحرام والمسجد الأقصى . ومؤدى هذا فشد الرحال لزيارة الأولياء والصالحين غير ممنوعة شرعاً .

قال النووى : ويستحب الإكثار من الزيارة والوقوف عند قبور أهل الخير . قال السمهورى : فإن لهم فى برازخهم من التصرفات والبركات ما لا يحصى .

فظهر من هذا كله : أن الرحلة لزيارة أولياء الله قربة . فينبغى لكل مسلم طالب للفضل والخيرات أن يلتمس البركات والنفحات واستجابة الدعوات ونزول الرحمات فى حضرات الأولياء ومجالسهم وجمعهم أحياء وأمواتاً وعند قبورهم وحال ذكرهم وعند كثرة الجموع فى زياراتهم وعند مذاكرة فضلهم ونشر مناقبهم .

وأما مس المشاهد : فقد قال الإمام أحمد : لا بأس به : ويقول المحب الطبرى وابن أبى الصيف : يجوز تقبيل القبر ومسه . وعليه عمل العلماء والصالحين . كما تقدم القول فى الكلام على مس المشاهد فى شرحنا لزيارة روضة النبى صلى الله عليه وسلم .

والقول الإمام السبكى : إن عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه .

ثم حديث إقبال مروان فإذا رجل ملتزم للقبر وفيه ذلك الرجل هو أبو أيوب الأنصارى . وعلى القول بأنه مكروه . قال الجمال الرملى فى شرح الإيضاح علة الكرامة فى الأدب قال : فيعلم منه أنه لو قصد به التبرك فلا بأس به . قال : فقد نص الإمام الشافعى رضى الله عنه : على أن أى جزء قبله من أجزاء البيت فحسن .

وقد قال العلامة الشوبرى فى جواب سؤال : وأما تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم فلا خلاف فى جوازه بل ولا كراهة فى تقبيل أعتابهم على قصد التبرك كما أفتى به العلامة الرملى رحمه الله تعالى . فقد سئل كما ورد فى فتاويه : عن تقبيل أضرحة الصالحين هل يكره أولا ؟ فأجاب بأن فعل ذلك للتبرك لا يكره . فقد صرحوا بأنه إذا عجز عن استلام الحجر الأسود يسن له أن يشير بعصا وأن يقبلها . وقالوا : أى أجزاء البيت قبل فحسن .

وكذلك تقبيل أيدى العلماء والصالحين فحسن لما اتصفوا به من العلم والصلاح والتقوى . خاصة إذا كان تقبيل أيديهم لقصد التبرك . فهاهم الصالحون يتسابقون لمثل هذا .

فقد أرسل جماعة واحداً فى حاجة لهم فأبطأ . فحردوا عليه . فجاء وهو يضحك وبيده بطيخة . فقالوا له : تبطىء وتجىء وأنت تضحك . فقال : قد جئتكم بأعجوبة . قالوا وما هى ؟ قال : وضع بشر رضى الله عنه يده على هذه البطيخة فاشتريتها بعشرين درهما . فأخذ كل واحد من الحاضرين يقبلها ويضعها على عينيه تبركاً لمس يد بشر إليها .

الغنائم كلها فى ذكر الله عز وجل(١)

ولا بد لمن يريد سلوك الطريق الموصلة إليه جل وعلا من إرشاده وتوضيح الأمر إليه بمقدمة وفصول ثلاثة . أما المقدمة : ففى توضيح طريق السلوك وآدابها . وأما الفصول الثلاثة . فالأول منها : فى التجويد المطلوب فى الذكر . والثانى منها : فى إعمال الفكر فى معانى الذكر . والثالث منها : فى ذكر ما يحض على الذكر وفضله .

أما طريق السلوك وآدابها : فهو تتبع أفعال وأقوال النبى صلى الله عليه وسلم والعمل بها وليس هو فى طوله وقصره مثل المساحات التى تسلكها الأنفس وتقطعها بالأقدام على حسب قوة الأنفس وضعفها بل هو طريق روحانى تسلكه القلوب وتقطعه بالأفكار على حسب العقائد والبصائر . وأصله نور سماوى ونظر إلهى يقع فى قلب العبد فيبصر به أمر الدنيا والآخرة . ثم طلابه منهم من يظل فى طلبه مدة عمره يصرخ ويبكى ولا يجد له أثراً . ومنهم من يوفق إليه فى ستين سنة ومنهم من يوفق فى عشر ومنهم من يوفق فى سنة ومنهم من يمنحه فى شهر ومنهم من يصل فى أسبوع ومنهم من يصل فى ساعة ومنهم من يصل فى لحظة وهذا هو معنى من معانى قوله صلى الله عليه وسلم « علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكم من أحكام الله يقذفه فى قلوب من يشاء من عباده » .

فتتبع أفعال وأقوال النبى صلى الله عليه وسلم والعمل بها يهدى إلى الصراط المستقيم والصراط المستقيم هو رعاية حد والعدل فى كل الأمور دينية أو دنيوية ومن هدى إليه فى الدنيا كان سبباً لنجاته عند مروره عليه فى الآخرة . والهداية إلى معرفته من أعظم نعم الله تعالى على العبد . قال الله تعالى : ويهدى من يشاء إلى طريق مستقيم / وقال تعالى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم :) ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً قال أبو على الدقاق : الاستقامة لها ثلاثة مدارج . أولها : التقويم وهو تأديب النفس . وثانيها الإقامة وهى تهذيب القلوب . وثالثها : الاستقامة : وهى تقريب الرب . والاستقامة درجة عالية بها تمام الأمر كله وكماله وهى مقام لا يطيقه إلا الأكابر . ويؤيده ما حكاه بعض المشايخ من أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له يا رسول الله : روى عنك أنك قلت : « شيبتنى سورة هود » . فما الذى شيبك فيها ؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ قال : لا . ولكن قوله تعالى (فاستقم كما أمرت) .

وقد قيل إن الاستقامة توجب دوام الكرامة . وإلى ذلك وقعت الإشاره بقوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً) ولازم من يريد الكمال بسلوك هذا الطريق أن يتخلى عن الأوصاف الذميمة . وهى الجهل وترك التوبة والبطالة عن العمل والعجب والكبر والحسد والعداوة وحب الرئاسة والرياء والسمعة والمفاخرة والخيلاء والمباهاة والمكر والحيلة والخيانة والمداهنة والبخل والحرص والطمع والميل مع الهوى عند كل شهوة من المحرمات والمباحات وشهود المنكرات واللعب والقذف والسب والشتم والغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور والسخرية والتحقير والغضب والسخط واللمز والهمز والغمز والبغض والجدل والمراء والجزع والأشر والبطر والاستهزاء والعنف والبغى

(١) ملخص من كتابنا (توضيح التجويد وإعمال الفكر فى التوجه إلى الله تعالى بالذكر) .

والظلم وحب الدنيا والإسراف والفرح والمرح والمزاح والمصانعة وحب الفتن وحب الفواحش والتمنى وطول الأمل والتدبير وقلة الحياء وعدم الغيرة والغل والغش والتفاخر وكثرة الضحك وتتبع العورات وسوء الخلق . وكل هذه الصفات نجاسات معنوية لا يمكن التقرب بها أو بشىء منها إلى الحضرة الإلهية كما لا يمكن التقرب بالنجاسات الحسية فى العبادات الربانية .

وكما يلزم المريد أن يتخلى عن الصفات المتقدمة كذلك يلزمه أن يتحلى بالأوصاف الحميدة التى ينبغى الاتصاف بها لطالب الكمال وهى : العلم والحلم وصفاء الباطن والتواضـــع والرأفة واللين والبشاشة والعفو والإحسان سيما لمن ظلمه والوصلة سيما لمن قطعه والرحمة سيما على الضعفاء وتوقير المشايخ والإخوان سيما الصلحاء والعقائد الصحيحة والتوبة والإعراض عن المعصية والندم على فعلها والحياء من الله والإنابة إليه والطاعة والصبر والورع والزهد والقناعة والرضا والشكر والثناء وصدق الحديث والوفاء وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ حق الجوار وإطعام الطعام وبذل السلام وحسن الكلام والفكر الدائم والعمل المرضى وحب الآخرة وخفض الجناح وكف الأذى واحتمال البلاء ومراقبة الحق والإعراض عن الخلق اكتفاء بخالقه وطمأنينة القلب وكبح جماح النفس عن هواها وحجزها عن لذاتها وشهواتها والخوف والرجاء والجود والصفح والتجاوز والمودة والغيرة والمواساة والمداراة والإيثار والنصيحة والاحتساب والفتوة والتسليم والتوكل والشجاعة والهمة والمروءة ومحبة الله تعالى وأنبيائه وأوليائه والمؤمنين كافة الله ورجاء الوصول إليه وخوف الفراق منه والتأدب والتعقل والتأمل والتأنى ومحاسبة النفس والإنصاف وحسن الظن والمجاهدة فى الله وترك المراء والجدال وذكر الموت وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى الدين والقرآن ونفى الخواطر ودوام الافتقار والالتجاء إلى الله تعالى والإخلاص فى كل حال .

فلابد للسالك أن يكابد ويجاهد نفسه حتى يتخلق بهذه الأخلاق الحميدة فإنه إذا تخلق بها يتقرب إلى الله تعالى ورسوله وتحصل له بأسرارها سعادة الدارين .

الفصـــل الأول

فى التجـــويد فى الذكر

قال العلماء : لا بد من مد لفظ الجلالة فى تكبيرة الإحرام مداً طبيعياً قدر (ألف) فإن ترك المد لم يصح كما أن الذاكر لا يكون ذاكراً إلا بالمد الطبيعى .

وقال صاحب الدرة البهية : أعلم أن المد الطبيعى لا بد منه فى القراءة وفى الذكر تهليلا كان أو تحميداً أو تسبيحاً أو غيرها من سائر الأذكار .

وقال فى النشر الكبير : قال بعض المشايخ : من اتخذ ورداً من القرآن أو الأسماء أو غيرها فعليه أولا أن يصحح مخارج الحروف والصفات فإنه لا يجد تأثيراً من قرآنه ولا من ذكره ولا يصل إلى مطلوبه ما لم يصحح المخارج والصفات . لأن الخصائص والأسرار لا تحصل إلا بصحة المعانى والمعانى

لا تحصل إلا بصحة الكلمات والكلمات لا تحصل إلا بصحة الحروف ؛ والحروف لا تحصل إلا بصحة المخارج والصفات . وكلما تغيرت الصفة اللازمة للحروف تغيرت اللغة وكلما تغيرت اللغة تغيراً فاحشاً تغيرت المعانى والأسرار وفسدت الصلاة . كما لا بد فى جميع الأذكار من المد الطبيعى وهو الذى لا تستقيم بنية الكلمة إلا به . وقد وصف كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قراءة النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يمد الله والرحمن والرحيم فى البسملة .

وقال اللقانى فى شرح جوهرته : اسم الجلالة إن لم يمد لا ينعقد به يمين ولا يتم به ذكر . وقال الشيخ سالم السنهورى فى كتابه : تيسير الجليل على متن سيدى خليل : وحذف ألف لفظ الجلالة لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به يمين .

وفى حاشية الجمل على الجلالين : حذف ألف لفظ الجلالة لحن يبطل الصلاة لانتفاء المعنى بانتفاء اللفظ الموضوع له .

وقال الصبان فى رسالته الكبرى : لا يجوز حذف الألف الساكنة من لفظ الجلالة التى قبل الهاء لفظاً فتفسد الصلاة بحذفها إذا وقع الحذف فى البسملة أو الحمدلة أو تكبيرة الإحرام أو التشهد الأخير . ولا ينعقد صريح اليمين بلفظ الجلالة الذى حذف منه الألف اتفاقاً .

وقال الشيخ الأمير فى رسالته فى آداب الذكر : واعلم أن جميع كلمة التوحيد مرققة ولا يفخم منها إلا لفظ الجلالة فقط . ولا يجوز فى الأفصح نقص المد فى أداة النفى التى بعدها الهمزة عن ثلاث حركات وتجوز فيه الزيادة إلى ست حركات . والحركة مقدار ضم الأصبع أو فتحه : بسرعة . وأما مد كلمة الجلالة فلا يجوز نقصها عن حركتين . وهو المد الطبيعى الذى لا تتحقق طبيعة الحروف بدونه : ثم إن اتصلت كلمة الجلالة بشىء نحو لا إله إلا الله محمد رسول الله أو تكررت كلمة التوحيد مراراً فلا تزد عن المد الطبيعى . وأما إذا سكنت هاء الجلالة للوقف فتجوز الزيادة والمد إلى ست حركات . ويجوز التوسط . وأقصى ما نقل عن القراء المد إلى أربع عشرة حركة ولو فى الوجوه الشاذة .

وقد نهى العلماء عن الوقف على إله لما فيه من الإيهام أى إيهام التعطيل لأنه يوهم عدم الألوهية من أصلها بل يصله بقوله إلا الله بسرعة .

ولا تفخم أداة النفى ولا يضم الشفتين عند النطق بها ولا تبدل الهمزة ياء . ولا يزيد مد إله على الطبيعى . ويحذر من همزة الله لئلا يصير استفهاماً ، وقد يكون المد للتعظيم كالمد فى لا النافية فى كلمة التوحيد . نحو لا إله إلا الله ولا إله إلا أنت ولا إله إلا هو .

قال الأشياخ : بأن يمد حرف النفى أربع عشرة حركة ولفظ الجلالة ستاً .

وقال ابن الجزرى : قد ورد هذا المد فى هذه المواضع عند أصحاب القصر فى المنفصل لهذا المعنى . ويسمى مد المبالغة لأنه طلب للمبالغة فى نفى الألوهية عما سوى الله تعالى . وهو مذهب معروف عند العرب . ويدل على ذلك ما روى فى الحديث ابن عمر مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم :

، من قال : لا إله إلا الله ومد بها صوته أسكنه الله دار الجلال ورزقه النظـــر إلى وجهه الـكريم ، وروى عن أنس رضى الله عنه ، من قال: لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الـكبائر ،

وليـكن ذكرك للفظ الجلالة بعد لفظه : لا . وتحقيق همزة إلاه وفتح هائه فتحة خفيفة وتسكين آخر لفظ الجلالة . ولا تفصل بين الهاء وقولك إلا الله . وإياك أن تتهاون فى تحقيق همزة إله . فانك إن لم تحققها قلبت ياء وصار ذكرك : لا إيلاه إلا الله . وهذه ليست كلمة التوحيد . فلا ثواب بتكرارها وغالب الذاكرين واقعون فى هذا الخطأ الفاحش ولا يدرون فكن على حذر .

الفصل الثانى

فى إعمال الفكر فى معانى الذكر

من الواجب على المقبل على الحضرة أن لا يلتفت لشىء غير ما هو مقبل عليه دائم الحضور مشغول بالمذكور . فكل قلب فيه غير الله تعالى يكون فى حيز المتروك المطروح . وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى يقع له الفتح والتجلى والمخاطبة فى سره بما يليق بحاله . وهذا مقام لا يعرفه إلا أهله المختصون به .

وأول ما يشتغل به المريد حين الإقبال على الذكر أن يستحضر صورة القدوة لأنها هى التى تتلقى الفيوضات الإلهية من صورته صلى الله عليه وسلم بل استحضار صورة النبى صلى الله عليه وسلم بصفاته الـكمالية أولى وأحرى لمن قدر عليها لأنها أصل الفيوضات ومعين التجليات . قال الشيخ جبريل الخرما باذى رضى الله عنه : فإذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه فى قلبه ويستمد منه إذ قلب شيخه يحاذى قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية . وقلب النبى صلى الله عليه وسلم دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية . فالذاكر إذا تصور شيخه واستمد منه تفيض الامداد من الحضرة الالهية على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم تفيض من قلب سيد المرسلين على قلوب المشايخ على الترتيب حتى تنتهى إلى شيخه ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على استعمال الآلة أى الذكر إذ هو فى البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذى يقع محصلا للغرض . وإن بيده سيف الله وهو الذكر . قال صلى الله عليه وسلم « الذكر سيف الله » ولـكن أين للسيف ضرب إلا بقوة مستفادة من حضرة نبى السيف فإذا استمد من شيخه جاءه المدد .

ثم يستحضر معانى ألفاظ الذكر إن كانت له قدرة على فهمها وإلا فيستمع لما يذكره بلسانه ليشتغل فكره عن الجولان فى غير ما هو بصدده . فإن لم يقدر على الجمع بين استحضار صورة القدوة مثلا والاستحضار لمعانى الذكر فيلزمه أن يستحضر عند الشروع فى الذكر أنه جالس بين يدى القدوة ويستمد منه ثم بعد الشروع يستعمل ما يقدر عليه من استحضار معانى الذكر دواماً إن كانت له قدوة على فهم المعانى وإلا استعمل ما يقدر عليه من الإنصات لألفاظ الذكر مع الملاحظة لاستحضار صورة

القدوة مرة مرة إن قـدر وإلا فيكفيه الاستحضار عند الشروع . وبالمداومة على هذا وسريان ألفاظ الذكر ومعانيها فى ذاته يصير يقوى على الملاحظة لاستحضار صورة القدوة مرة ثم على الجمع بين الاستحضارين معاً . ثم يترقى من استحضار صورة القدوة إلى استحضار صورة النبى صلى الله عليه وسلم ثم إلى ما هو أعلى من ذلك من دوام مشاهدة الصورة الشريفة صلى الله عليه وسلم بعينى قلبه ثم إلى ما هو أقوى من ذلك .

وقد رأيت لسيدى محي الدين ما يؤخذ منه أن الذاكر لا يكلف الجمع بين الاستحضارين . وذلك أنه قال رضى الله عنه فى فتوحاته على قوله تعالى : (الذين هم عن صلاتهم ساهون) ما نصة : أعلم أن الحق تعالى لم يعلق الوعيد إلا بمن سها عنها لا فيها وذلك أن العبد فى صلاته بين مناج ومشاهد فقد يسهو عن مناجاته باستغراقه فى مشاهدته وقد يسهو عن مشاهدته باستغراقه فيما يناجيه به ربه من أحكام وقصص وحكايات ووعد ووعيد . وقد عرفت أنه يؤخذ منه ما ذكرناه وليس فيه مصادمة لما أشرنا إليه من الترقى إلى درجة الجمع بين الاستحضارين لأنه عام وما أشرنا إليه خاص بدرجة الخاصة من أهل الصفاء .

واعلم أن المؤثر النافع من الأذكار هو الذكر مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب فى اشتغال ولهو فهو قليل الجدوى ، وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية .

وفى ترجمة سيدى محمد الفاسى أبى طالب الحسنى رضى الله تعالى عنه : أنه كان جالساً قرب باب بيته من داره بمكناسة الزيتون يذكر أوراده مستقبلا مستغرقاً فى حضوره إذ سقطت إبنته من أعلى حلقة الدار فاتت فلم يلتفت لذلك ولا تغيرت جلسته ولا شىء من حالته التى كان عليها بل بقى على ما كان عليه حتى كمل أوراده . وكان رضى الله عنه يرتل العبادة صلاة كانت أو غيرها ترتيلا لم يسمع بمثله عن أحد . فقد أخبر الثقة أنه كان يسبح فى السجدة الواحدة خلفه نحواً من سبع وعشرين تسبيحة وأخبر أنه صلى العشاء أربع ركعات وذكر بعدها الورد اللازم لأهل الطريقة التجانية فى نحو ساعتين من كثرة ترتيله واستغراقه فى الحضور . رضى الله عنه . وكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم . وكذلك الشيخ سيدى ومولاى وشيخى ووسيلتى إلى الله تعالى سيدى أحمد بن محمد التجانى رضى الله تعالى عنه بعد وفاته فيسألهما عما أشكل عليه كحال اليقظة .

وفى روض شمائل أهل الحقيقة فى ترجمته أيضاً أنه كان من عادته رضى الله عنه أن يقرأ صلاة الفاتح لما أغلق ثلاثين مرة فى كل سجدة حضراً وسفراً أمناً وخوفاً . وأن النبى صلى الله عليه وسلم أخبره : أن كل من رأى وجهه حرم الله جسده على النار . أى وراثة محمدية .

ليته خصنى برؤية وجه زال عن كل من رآه الشقاء

الفصل الثالث

فيما يخص على الذكر وفضله

وقد اشترطوا للتوجه إلى الله تعالى لذكره وطاعته أن يكون الذاكر فى حال توجهه إلى الله تعالى على أكمل حال وأتم إقبال بتطهير ظاهره من الادناس وباطنه من الأغيار . فمن الفروى فى حليته : وينبغى أن يكون الموضع الذى يذكر الله فيه خالياً نظيفاً فإنه أعظم فى احترام الذكر والمذكور . ولهذا مدح الذكر فى المساجد والمواضع الشريفة . فعن أبى ميسرة رضى الله عنه أنه قال . لا يذكر الله تعالى إلا فى مكان طيب . وعليه فينبغى للعاقل الذى يريد الحظوة أن يتجنب الذكر فى الأزقة المتنجسة والأمكنة غير الطاهرة وعليه بالتفكر أو يذكر بالقلب بدون حركة لسان إن كان فى موضع غير مقطوع بطهارته إذ ينبغى للذاكر أن يكون على أطيب الحالات وأجل الصفات وأنظف الهيئات .

وفى كتاب المواثيق والعهود قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه : أخذ علينا العهد العام أن لا نجلس قط لقراءة أو ذكر إلا ونحن على طهارة ولو بالتيمم بشرطه . وذلك . لأن من تأمل الذكر والقرآن والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد حكمها حكم الصلاة بجامع المناجاة للحق جل وعلا وقياساً على صلاة الجنازة فى اشتراط الطهارة لها مع أنها لا ركوع فيها ولا سجود وإنما هى قراءة وذكر ودعاء ومن عظم الله عظمه الله . وقد رأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : هل الصلاة عليك مقبولة على الدوام غير مردودة ؟ فقال : نعم . هى غير مردودة إذا كان المصلى على طهارة فعلم أن من خاطب الله تعالى وهو محدث كان قليل الأدب .

وأن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أتى عليه السلام فلم يرد عليه حتى أحدث طهارة ثم رد عليه وهو على غير طهارة لكراهته لذكر اسم الله وهو السلام هو على غير طهارة .

ثم علم أنه لا يجوز الإنكار على ما تراه أو تسمعه من أقوال السادة الصوفية مما لا يستسيغه عقلك ولا علمك إلا بعد معرفة اصطلاحهم فى معانى الألفاظ ومدلولاتها . ثم إذا رأيت فى كلامهم شيئاً يخالف الشريعة فارم به من وراء ظهرك إذا كنت محيطاً بعلوم الشريعة وأسرارها وإلا فسلم الأمر لأهله وفرسانه .

قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى صاحب كتاب القاموس فى اللغة . لا يجوز لأحد أن ينكر على القوم ببادىء الرأى لعلو مراتبهم فى الفهم والكشف . وقال : ولم يبلغنا عن أحد منهم أنه أمر بشىء يهدم الدين ولا نهى أحداً عن الوضوء ولا عن الصلاة ولا غيرهما من فروض الاسلام ومستحباته إنما يتكلمون بكلام يدق عن الأفهام . وكان يقول : قد يبلغ القوم فى المقامات ودرجات العلوم إلى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التى لم يصرح بها كتاب ولا سنة . ولكن أكابر العلماء العاملين يردون ذلك

إلى الكتاب والسنة بطريق دقيق لحسن استنباطهم وحسن ظنهم بالصالحين . ولكن ما أحد يتربص إذا سمع كلاماً لا يفهمه بل يبادر إلى الإنكار على صاحبه وخلق الإنسان عجولا .

وقال : وناهيك بأبي العباس بن سريج في العلم والفهم . تنكر مرة ثم حضر مجلس الجنيد ليسمع منه شيئاً مما يشاع عن الصوفية فلما انصرف قالوا له : ما وجدت ؟ قال : لم أفهم من كلامه شيئاً إلا أن صولة الكلام ليست بصولة مبطل . وإن الكلام الذي لم يفهمه ابن سريج إنما هو واردات إلهية ترد على المتأهلين فينطقون بالحكم العجيبة والألفاظ الغريبة المعلومة عند أهل الطريق دون غيرهم .

وفيما حصل بين سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وبين سيدنا الخضر عليه السلام مقنع لكل عاقل منصف . كذلك ما حصل من فقهاء بغداد أيام المتوكل مما تقدم ذكره في هذا الكتاب مقنع وأي مقنع لكل عاقل منصف .

الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة
في الحض على الذكر وفضله

قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا)[1] وقال عز وجل (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) وقال عز وجل (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعداه الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) وقال عز وجل (فاذكروني أذكركم) وقال عز وجل الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقال عز وجل (واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار) وقال عز وجل (واذكر ربك بكرة وأصيلا) قال الزمخشري: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات من لا يكاد يخلو بقلبه او بلسانه أو بهما عن ذكر الله . وقراءة القرآن . والاشتغال بالعلم من الذكر .

وقال القاضي عياض : ذكر الله ضربان : ذكر بالقلب وذكر اللسان وذكر القلب نوعان: أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها: الفكر في عظمة الله وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه . ومنه الحديث : خير الذكر الخفي . والمراد به هذا . والثاني ذكر بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه . ويقف فيما أشكل عليه .

وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار لكن فيه فضيلة كما جاءت به الأحاديث . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً . قيل أراد به التدبر والتفكر في مصنوعات الله تعالى وآلائه . والمتبادر إرادة الذكر القلبي . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذكر خير من الصدقة والذكر خير من الصيام . أي أكثر ثواباً وأنفع منه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذكر نعمة من الله إذ هو علامة السعادة) فأدوا شكرها) أي بالإكثار منه والتدبر لمعانيه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء . يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم

(١) بكرة وأصيلا : أول النهار وآخره .

النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله تعالى هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى آكل التمر أطايبه ، ومقصود الحديث الحث على ذكر الله تعالى والاجتماع عليه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليذكرن الله عز وجل قوم فى الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات العلا » أى بسبب مداومتهم على الذكر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس يتحسر أهل الجنة على شيء » أى مما فاتهم فى الدنيا « إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها » أى على ثواب الذكر الذى فاتهم فى تلك الساعة .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خرج معاوية على حلقة فى المسجد فقال : ما أجلسكم قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى قال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : آلله ما أجلسنا غيره . قال : أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقل حديثاً منى وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم ؟ قالوا . جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن علينا به . قال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة . أخرجه مسلم والترمذى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادى قال: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . قال : فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك . قال : فيقول : كيف لو رأونى ؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً . قال : فيقول : فما يسألون قال يقولون يسألونك الجنة قال : فيقول وهل رأوها ؟ قال : فيقولون لا والله ما رأوها يا رب . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يتعوذون من النار . قال: فيقول : وهل رأوها؟ قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة قال فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا . قال : يقول ملك من الملائكة يارب فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة : قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » رواه البخارى .

وقد ذكر الشيخ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه عن الإمام أحمد بن حنبل فى كتاب الزهد عن ثابت البنانى قال : إن أهل ذكر الله تعالى ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال وإنهم ليقومون من ذكر الله وما عليهم شىء . وقال أبو جعفر محمد الباقر رضى الله عنه : الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب ذاكر الله عز وجل وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر أخرجه الترمذى . وعن الإمام أحمد روى عن ابن مسعود قال : إن الشيطان طاف بأهل مجلس ذكره

فلم يستطع أن يفرق بينهم . فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الله تعالى . وقال الإمام مالك بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر الله في الغافلين كغصن أخضر في شجر يابس . وفي رواية : مثل الشجرة الخضراء في وسط الهشيم وذاكر الله في الغافلين مثل مصباح في بيت مظلم . وذاكر الله في الغافلين يريه الله مقعده في الجنة وهو حي . وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وأعجم . والفصيح بنو آدم والأعجم البهائم .

ذكر الله تعالى أفضل من حطم السيوف في سبيل الله تعالى

وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما عمل العبد عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله . أخرجه في الموطاء : وفي الحديث القدسي : من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين . وروى ان الله عز وجل قال : يا عبدي أذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما . وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . قالوا : ما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله تعالى . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً . قيل يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه حتى يتكسر ويتخضب دماً فإن ذاكر الله أفضل منه درجة . أخرجه الترمذي . وفي رواية ذكرها رزين قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العبادة أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال ذكر الله تعالى . وفي الحديث يقول الله تعالى . أنا مع عبدي ما ذكرني أو تحرك بذكري شفتاه أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لأن أصلي الصبح ثم أجلس في مجلسي فأذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس أحب إلي من شد على جياد الخيل في سبيل الله عز وجل .

وفي سنن أبي داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من قوم يقومون من مجلس لا يذاكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة . وفي كتاب النصائح لابن ظفر أن أمة لأبي الدرداء رضي الله عنه قالت له : من أي جنس أنت ؟ فقال : أنا آدمي فقالت كيف تكون آدمياً وقد أطعمتك السم أربعين مرة فما ضرك ؟ فقال لها : أما علمت أن الذاكرين الله تعالى لا يضرهم شيء . وإني كنت أذكر الله تعالى باسمه الأعظم . قالت : وما هو ؟ قال : هو بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ثم قال : ما الذي حملك على ذلك ؟ قالت : إنه بغضك . قال : أنت حرة لوجه الله تعالى وأنت في حل مما صنعت .

وأفضل الأذكار تلاوة القرآن الكريم سواء لمن يعرف المعنى ولمن لا يعرفها فإن فضـل تلاوة كلام الله عظيم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه رواه مسلم . ومن قرأ القرآن فى المصحف متعه الله ببصره وخفف الله عن والديه ولو كانا كافرين . وإن النظر فى المصحف عبادة : كما ورد .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مثل البيت الذى يذكـر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه كمثل الحى والميت . كذا عند مسلم . وعند البخارى : مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة . أخرجه البخارى والترمذى ومسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن البيت الذى يذكر الله فيه . أى بأى نوع من أنواع الذكر ليضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر لله أفضل، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم تفرقوا قد غفر الله ذنوبكم وبدلت سيئاتكم حسنات .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من بقعة يذكر اسم الله فيها إلا استبشرت بذكر الله إلى منتهاها من سبع أرضين وإلا فخرجت على ما حولها من بقاع الأرض . وإن المؤمن إذا أراد الصلاة من الأرض . أى فيها . تزخرفت له الأرض لكنه لا يبصر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضاً يا جارة هل مر بك اليوم عبد صالح صلى عليك أو ذكر الله ؟ فإن قالت : نعم ، رأت ان لها بذلك فضلا .

وعن سيدنا عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً قبل نجد فغنموا غنائم كثيره واسرعوا الرجعة . فقال رجل ممن لم يخرج ما رأينا بعثاً اسرع رجعة ولا افضل غنيمة من هذا البعث . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الا ادلكم على قوم افضل غنيمة وأسرع رجعة ؟ قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله تعالى حتى طلعت الشمس اولئك اسرع رجعة وافضل غنيمة ، اخرجه الترمذى .

ومن خصائص الذكر انه جعل فى مقابلة الذكر . قال الله تعالى (فاذكرونى اذكركم) وفى خبـر أن جبريـل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول : اعطيت أمتك ما لم أعطه امة من الأمم . فقال وما ذاك ياجبريل ؟ فقال : قوله تعالى (فاذكرونى أذكركم) لم يقل هذا

لاحد غير هذه الأمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز وجل قال المناوى : أى علامة حب الله لعبده حب عبده لذكره لأنه إذا أحب عبداً ذكره وإذا ذكره حبب اليه ذكره وعكسه .

قال أبو الحديد : سمعت المظفر الجصاص يقول : كنت أنا ونصر الخراط ليلة فى موضع فتذاكرنا شيئاً من العلم . فقال الخراط : إن الذاكر لله فائدته فى أول ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره فبذكر الله له ذكر الله قال : فخالفته . فقال : لو كان الخضر ها هنا لشهد بصحته . قال : فاذا نحن بشيخ يجىء بين السماء والأرض حتى بلغ إلينا وسلم . صدق الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله سبحانه له ذكره . فعلمنا أنه الخضر عليه السلام .

قال الشيخ أبو عبد الله بن على الترمذى الحكيم : ذكر الله تعالى يرطب القلب ويلينه فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فيقسو وييبس وأمتنعت الاعضاء من الطاعة فاذا مددتها انكسرت كالشجرة إذا يبست لا تصلح إلا للقطع وتصير وقوداً للنار .

وقال الشيخ أبو تراب النخشبى : من شغل مشغولا بالله عن الله أدركه المقت فى الوقت .

وقال بعض الأولياء : رأيت مسكينة الطفاوية بعد موتها فى المنام وكانت تحب مجالس الذكر . فقلت : مرحباً يا مسكينة . فقالت : هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى . قلت : هنيئاً لك . قالت : وما تسأل عمن أبيحت له الجنة بحذافيرها . قلت : بماذا ؟ قالت : بماذا ؟ قالت بمجالس الذكر .

قف على الباب قليلا واجعل الذكر سبيلا
والزم الباب غدواً وعشياً وأصيلا
إن لم تطعنى لم تجدنى للمطيعين خذولا
إن عندى المطيعين شراباً سلسبيلا
فاتعبوا اليوم قليلا تنعموا دهراً طويلا

وفى مناجاة سيدنا أيوب عليه السلام : يا أيوب ما من عبد لى من الآدميين إلا ومعه ملكان فإذا شكر على نعمائى قالا : اللهم زده نعماً على نعمه فإنك أهل الشكر والحمد فكن من الشاكرين قريباً وزدهم نعماً وشكراً وكفى بالشاكرين . يا أيوب : علو الرتبة عندى وعند ملائكتى فأنا أشكر شكرهم وملائكتى يدعون لهم والبقاع والآثار تبكى عليهم . فكن لى يا أيوب شاكراً ولآلائى ذكراً فإنك لا تذكرنى حتى أذكرك ولا تشكرنى حتى أشكرك . أنا أوفق أوليائى لصالح الأعمال وأشكرهم على ما وفقتهم واقتضيتهم الشكر ورضيت به مكافأة على ذلك ورضيت بالقليل على الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه الجزيل وشر العبيد عندى من لم يشكرنى إلا فى وقت حاجته ولم يتضرع بين يدى إلا فى وقت عقوبته .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما صيد قط إلا بنقص من تسبيح ولا أنبت الله نابتا

إلا وكل بها ملكاً يحصى تسبيحها حتى تأتى به يوم القيامة ولا عضدت شجرة ولا قطعت إلا بنقص من تسبيح ولا دخل على امرىء مكروه إلا بذنب وما عفا الله عنه أكثر .

وكان عبد الله بن المبارك يقول : من ختم نهاره بذكر كتب نهاره ذاكراً . وكان يتحرى هذا العمل .

وقيل إن ملك الموت يستأمر الذاكر فى قبض روحه .

وقال سيدى محيى الدين بن العربى رضى الله عنه : حياة الذاكر لله عز وجل متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حى . وإن مات كانت حياته أحيى وأتم من حياة الشهيد فى سبيل الله إلا أن يكون الشهيد من الذاكرين الله كثيراً . فإن له حينئذ حياتان حياة الشهيد وحياة الذاكر . فالذاكر لله حى وإن مات وتارك الذكر ميت وإن كان فى الدنيا سيأ بحياته الحيوانية . فيخرج من ذلك أن حياة الذاكرين خير من حياة الشهيد إذا لم يكن من الذاكرين

وعن محمد بن النضر قال قال آدم عليه السلام : يارب شغلتنى بكسب يدى فعلمنى شيئاً فيه مجامع الحمد والتسبيح فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : إذا أصبحت فقل ثلاثاً وإذا أمسيت فقل ثلاثاً : الحمد لله رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده فذلك مجامع الحمد والتسبيح .

هذا نذر يسير من فضائل ذكر الله تعالى على العموم . أما فضل بعض أنواع الذكر فنذكر منها طرفاً ليقف على معرفة المرفق وليعمل به العاملون . ويسترشد به المسترشدون .

فضل الاستغفار

أعلم أن الاستغفار من أم الأبواب التى يعتنى بها ويحافظ على العمل بها وإن الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى تحض على الاستغفار كثيرة نذكر منها نذراً يسيراً للعلم والعمل .

أما الآيات القرآنية الكريمة فمنها قوله تعالى (ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) ومنها قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) ومنها قوله تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) ومنها قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ومنها قوله تعالى حكاية عن قول سيدنا نوح عليه السلام : (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) ومنها قوله تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) ومنها قوله تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله .

وأما الأحاديث النبوية الشريفة . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » وقال صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة » هذا : مع أنه صلى الله عليه

وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على فرض حصولها منه صلى الله عليه وسلم لأنه معصوم من فعل الذنوب . بل هى من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وقال صلى الله عليه وسلم (من قال حين يأوى إلى فراشه استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا) وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف » وقال حذيفة : كنت ذرب اللسان : أى حديد : على أهلى . فقلت يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أين أنت من الاستغفار فإنى استغفر الله فى اليوم مائة مرة » وقال الإمام على كرم الله وجهه : العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل : وما هى ؟ قال : الاستغفار . وكان يقول : ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل لترفع درجته فى الجنة . فيقول أنى لى هذا ؟ فيقال باستغفار ولدك لك » وفى هذا الحديث دليل على أن الاستغفار يمحو الذنوب ويرفع الدرجات وإن استغفار الفرع لأصله بعد موته كاستغفاره هو لنفسه فإن ولد الرجل من كسبه . فعمله كأنه عمله . ويؤخذ منه أن عمل الغير ينفع لمن عمل من أجله بعد موته بمقتضى مفهوم هذا الحديث الشريف . وقد ورد أن الشخص إذا كان ولده أعلى منه منزلة فى الجنة سأل الله تعالى أن يلحق أباه به . فيحصل . وكذا لو كان الأب أعلى سأل الله أن يلحق ابنه به . فيحصل .

وكان مكحول الدمشقى رضى الله عنه يقول : إذا كان فى أمة خمسة عشر رجلا يستغفرون الله عز وجل كل يوم خمسا وعشرين مرة لم يؤاخذ الله تعالى تلك الأمة بعذاب العافية .

وفى الجامع : يقول النبى صلى الله عليه وسلم « إن استطعتم أن تكثروا من الاستغفار فافعلوا فإنه ليس شىء أنجح عند الله ولا أحب إليه منه » قال الإمام الحفنى : أقل الكثرة ثلاثمائة مرة . والإكثار من الاستغفار يوسع الرزق ويمحو الذنب .

وقد ورد أن بعض الصحابة مرض مرضاً شديداً فرأى فى النوم شاباً حسناً فقال له : وما يبكيك وأنا ملك الموت لم أومر بقبض روحك . قال : تذكرت ذنوبى فخفت من النار . فقال له : أكتب لك براءة من النار ؟ قال : نعم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أستغفر الله أستغفر الله إلى أن ملأ الورقة من ذلك وأعطاها له . فقال له : وأين البراءة ؟ فقال . وأى براءة أعظم من هذه . فاستيقظ فوجد الورقة فى يده . وفى الجامع أيضاً « الاستغفار فى الصحيفة يتلألأ نوراً » وفيه « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منها فإن إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار . فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون » وفيه « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » من

قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة » .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى مسيره فقال « استغفروا الله فاستغفرنا . فقال : أتموها سبعين فأتممناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد ولا أمة يستغفر الله سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل فى يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب » وقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول : من ذا الذى يدعونى فأستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له » .

وفى رواية لمسلم « ينزل الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا حين يمضى ثلث الليل فيقول : أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له . فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » . وفى رواية « إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه » وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يحيى الليل صلاة يقول يا نافع أسحرنا ؟ فيقول : لا . فيعاود للصلاة . فإذا قال نافع : نعم يستغفر الله ويدعو حتى يصبح .

وروى أبو داود فى سننه والطبرانى فى كتاب الدعاء وأبو يعلى وابن مردويه عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتانى آت من ربى فقال : من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيم » وقد كانت شقت عليهم الآية التى قبلها (من يعمل سوءاً يجز به) فأردت أن أبشر أصحابى . قال : قلت : يا رسول الله وإن زنى وإن سرق ثم استغفر الله غفر له . قال : نعم . ثم ثلثت . قال : نعم . على رغم أنف عويمر ثم قال كعب بن ذهل : وأنا رأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه .

وروى ابن جرير وابن المنذر من طريق آخر عن ابن عباس فى قوله تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله) قال : أخبر الله تعالى عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته . فمن أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال .

وروى ابن جرير وعبد بن حميد والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود قال : كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح قد كتبت له كفارة ذلك الذنب على بابه وإذا أصاب البول شيئاً منه قرضه بمقراض . فقال رجل : لقد آتى الله بنى إسرائيل خيراً . فقال ابن مسعود : ما آتاكم الله خير مما آتاهم . جعل لكم الماء طهوراً وقال (من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) .

وروى ابن جرير عن حبيب بن أبى ثابت قال « جاءت امرأة إلى عبد الله ابن مغفل فسألته عن امرأة فجرت فحملت ولما ولدت قتلت ولدها . فقالت مالها ؟ فقال : النار . فانصرفت وهى تبكى

فدعاها فقال : ما أرى أمرك إلا أحد أمرين (من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) فمسحت عينيها ثم مضت » .

وروى الترمذى عن أبى موسى الأشعرى قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنزل الله تعالى على أمانين لأمتى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم . وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار » وقد روى أنه لما نزل قوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) صاح إبليس ودعا بالويل والثبور فاجتمعت عليه شياطينه وقالوا له مالك ؟ قال نزلت آية لا يضر بعدها ذنب وذكرها لهم . فقالوا : نفتح لهم باب الأهواء وتحسين الأعمال حتى لا يتوبوا ففرح بذلك . !

وفى ترغيب الطالب : قال الإمام على كرم الله وجهه ورضى عنه : إنى عجبت ممن يشكو ضيق الرزق ومعه مفاتيحه . قيل له : وما هى ؟ قال الاستغفار . وقد نبه عليه قوله تعالى (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم » .

وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يحكيه عن ربه عز وجل « إذا أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً . يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال : رب اغفرلى ذنبى . فقال تبارك وتعالى : عبدى أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب . فقال : أى رب اغفرلى ذنبى . فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب قد غفرت له . فليفعل ما يشاء . وفى رواية : اعمل ما شئت فقد غفرت لك » قال المنذرى . قوله : فليعمل ما شاء معناه والله أعلم : أنه ما دام كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه ولم يعد إلية بدليل قوله : ثم أصاب ذنباً آخر فليعمل إذا كان هذا دأبه ماشاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنب فلا يضره لا أن المعنى أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده . فان هذه توبة الكذابين .

والذنوب منها صغائر وكبائر . أما الصغائر فكفاراتها كثيرة . وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة بشروطها ومن كبائر الذنوب : الغيبة وقد عرفها النبى صلى الله عليه وسلم لنا بقوله : « أتدرون ما الغيبة ؟ ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته . وإن لم يكن فيه فقد بهته (أى قلت عليه البهتان) » .

« المستثنى من تحريم الغيبة »

قال العلماء : يستثنى من تحريم الغيبة أمور ستة . التظلم . لقوله تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) والاستعانة على تغيير المكروه ورد العاصى إلى الصواب والاستفتاء : كقول هند : إن أبا سفيان رجل شحيح ، وتحذير المسلمين من الشر . كقوله صلى الله عليه وسلم : « بئس أخو العشيرة» وكجرح المجروحين كما فى الحديث من قوله : صعلوك أى فقير . فى الحديث . أما معاوية فصعلوك . وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه . والتنفير من مجاهر بالفسق كقوله صلى الله عليه وسلم : لا أظن فلانا وفلانا عرفان من أمرنا شيئا والتعريف كالأعمش والأعرج . وقالوا : الكذب يجوز إذا كان تحصيل المقصود لا يمكن إلا به . وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى (أى يرفع ويبلغ) خيراً أو يقول خيراً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استغفر الله دبر كل صلاة أى عقبها ثلاث مرات . فقال ستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف » .

وروى مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يامعشر النساء أكثرن من الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار . قالت امرأة منهن : مالنا أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفر العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن . قالت : ما نقصان العقل والدين ؟ قال : شهادة امرأتين بشهادة رجل وتمكث الأيام ولا تصلى »

وروى الإمام أحمد بن حنبل والحاكم وقال صحيح الإسناد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال إبليس لعنه الله وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . فقال الله : وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى » وعن الزبير رضى الله عنه أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال . يا رسول الله : أحب أن تقل ذنوبى . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « استغفر الله دائماً تقل ذنوبك) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أكثروا من الاستغفار فان الاستغفار يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب وكما تأكل الشاة الخضرة . وإن صحيفة المرء إذا عرج بها إلى السماء ولم يكن فيها استغفار لم يكن لها نور . وإذا طلعت فيها الاستغفار كان لها نور يتلألأ وإن لم يكن فيها إلا استغفار يسير . وما جلس قوم بمجلس لهو ثم ختموه بالاستغفار إلا كتب لهم بمجلسهم ذلك استغفار كله » .

وتعلق رجل بأستار الكعبة فقال : اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم وإن تركى الاستغفار مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إلى بالنعيم مع غناك عنى وأتبغض إليك بالمعصية مع فقرى إليك يا من إذا وعد وفا . وإن توعد عفا اغفر عظيم جرمى بعظيم عفوك يا أرحم الراحمين .

وجلس بعض الصالحين فى خلوة فقال : إلهى أنت قضيت أنت حكمت أنت قدرت وأردت . فهتف به هاتف : هذا التوحيد . فأين أدب العبودية ؟ فقال : أنا عصيت وأنا جنيت وأنا أخطأت وأنا أسأت . فسمع قائلا يقول : إن ربك يقول : أنا غفرت وأنا رحمت وأنا تجاوزت وأنا سترت وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة .

أقوال إبليس ليحيى بن زكريا عليه السلام

وقال وهيب بن الورد : بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له : أنصحك ؟ فقال له : لا أريد ذلك . ولكن أخبرني عن بني آدم ؟ فقال : هم عندنا ثلاثة أصناف . صنف منهم أشد الأصناف عندنا مقبل على أحدهم حتى نفتنه عن دينه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء نصيبه منه . ثم نعود إليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا . فنحن معه في عناء . وصنف منهم في أيدينا كالكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا . قد كفونا مؤنة أنفسهم وصنف منهم مثلك هم معصومون لا نقدر منهم على شيء .

ويقال : إن سيدنا سليمان عليه السلام ركب الريح يوماً فمرت بحراث فنظر إليها الحراث وقال : لقد أوتي آل داود ملكاً عظيما فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث . وقال له : إني سمعت قولك . وإنما نزلت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه . إن تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتي آل داود فقال له الحراث : أذهب الله همك كما أذهبت همي .

وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال يا رسول الله إني أذنب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أذنبت فاستغفر ربك . قال . فإني أستغفر ربي ثم أعود فأذنب قال : فإذا أذنبت فاستغفر ربك . فقال في الرابعة : استغفر ربك حتى يكون إبليس هو المحسور » ، وروى أبو منصور الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل صدإ جلاء وإن جلاء القلوب الاستغفار » وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقي عبد ربه عز وجل في صحيفته بشيء خير له من الاستغفار » .

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

وأما فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيكفي في الحض عليه قول الله تبارك وتعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « من صلى علي واحدة كتب الله له قيراطاً . والقيراط مثل أحد » ، وفي الجامع « من ذكرت عنده ولم يصل علي فقد شقي » ، وفيه « من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي » وروى أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه . فقال صلى الله عليه وسلم « إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال : أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عند ذلك أو ليكثر » ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » ، وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى علي في ليلة الجمعة أو يومها قضى الله له بها مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج

الدنيا يوكل بذلك ملكاً يدخل عليّ في قبري كما تدخل عليكم الهدايا ويخبرني بمن صلى علي باسمه ونسبه وعشيرته فيثبت عندي في صحيفة بيضاء ». وقال صلى الله عليه وسلم « من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة علي فإنها تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر الأرزاق وتقضي الحوائج ».

وروى الطبراني مرفوعاً « من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ومن صلى علي عشراً صلى الله عليه مائة ومن صلى علي مائة مرة كتب الله تعالى بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء ». وقال صلى الله عليه وسلم « أتاني جبريل ببشارة لم يأتني بمثلها قط فقال : من صلى عليك مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ومن صلى عليك عشراً صلى الله عليه بها مائة ومن صلى عليك مائة صلى الله عليه بها ألفاً ومن صلى عليك ألفاً حرم الله جسده على النار ».

وفي دلائل الخيرات عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ومن صلى علي عشر مرات صلى الله عليه مائة مرة ومن صلى علي مائة مرة صلى الله عليه ألف مرة ومن صلى علي ألف مرة حرم الله جسده على النار وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة وأدخله الجنة وجاءت صلواته علي نوراً له يوم القيامة على الصراط مسيرة خمسمائة عام وأعطاه الله بكل صلاة صلاها علي قصراً في الجنة قل ذلك أو كثر ».

وروى أبو حفص بن شاهين « من صلى علي في يوم الجمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة ». وروى البيهقي بإسناد حسن « إن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة . فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة ».

وقد قال سيدي محمد أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله صلاة الله عشراً على من صلى عليك مرة واحدة هل ذلك لمن كان حاضر القلب ؟ قال : لا . بل هو لكل مصل علي غافلا ويعطيه الله أمثال الجبال من الملائكة تدعو له وتستغفر له . وأما إذا كان حاضر القلب فيها فلا يعلم ثواب ذلك إلا الله.

وروى الطبراني مرفوعاً « من قال جزى الله عنا سيدنا محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح . وفي رواية ألفي صباح ». وروى الطبراني مرفوعاً « من قال : اللهم صل على سيدنا محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي ». وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن يلقى الله وهو عنه راض فليكثر من الصلاة علي ». وقال صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الصلاة علي في حياته أمر الله جميع مخلوقاته أن يستغفروا له بعد موته ». وقال صلى الله عليه وسلم « جاءني جبريل عليه السلام وقال : يا محمد لا يصلي عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة ».

وأخرج الحسن بن سفيان وأبو يعلى في مسنديهما وابن حبان في الضعفاء له وابن بشكوال وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي صلى الله عليه إلا لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر ».

وهذه صلاة سيدنا أبي بكر وعمر على النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها سيدي محمد البكري عن خادم سيدي أبو السعود الجارحي . وهي : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد المقدس المختار النبي السلطان النور المبين وعلى آله وصحبه وسلم .

وهذه صيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عالية القدر عظيمة المقدار قال عنها صاحب وردة الجيوب إن الإمام البكري مكث يعبد الله في الحرم عشرين سنة وجل طلبه من الله عز وجل أن يعلمه صيغة صلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه هذه الصيغة الشريفة في ورقة من الجنة . وعلامة الأوراق الإلهية أنها تقرأ من جميع جهاتها فقال الإمام البكري : من قرأ هذه الصيغة مرة واحدة ولم يدخل الجنة فليقبضني بين يدي الله عز وجل . وهي هذه الصيغة : اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

وحكى الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله عن الفاكهاني أنه سمع من الشيخ موسى الضرير رحمه الله أنه ركب مركباً في البحر الملح قال : ثارت علينا ريح شديدة قل من ينجو منها من الغرق قال : فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : قل لأهل المركب يقولون ألف مرة : اللهم صل على محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات وتقضي بها لنا جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفع لنا بها عندك أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات . قال : فاستيقظت وأخبرت أهل المركب بالرؤيا وصلينا على النبي صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثمائة مرة ففرج الله عنا تلك الشدة .

وقال ابن الملقن رحمة الله تعالى عليه : روى أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري . فقالت : ياشيخ توفيت لي ابنة وأريد أن أراها في المنام فقال الحسن : صلي أربع ركعات واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة ألهاكم مرة . وذلك بعد صلاة العشاء الآخرة ثم اضطجعي وصلي على النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترقدي ففعلت فرأتها في المنام وهي في العقوبة وعليها لباس من قطران ويدها مغلولة ورجلها مسلسلة بسلاسل من النار فلما انتبهت جاءت إلى الحسن البصري وأخبرته بما رأت. فقال لها . تصدقي بقصدها لعل الله أن يعفو عنها . ثم في تلك الليلة رأى الحسن في النوم كأنه في روضة من رياض الجنة ورأى سريراً منصوباً وعليه جارية حسناء جميلة وعلى رأسها تاج من النور . فقالت له يا حسن أتعرفني ؟ فقال : لا . فقالت : أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصدقة . فقال لها الحسن : بغير هذا وصفت لي حالك فقالت : هو كما قالت قال : فبماذا إذاً بلغت هذه المنزلة ؟ فقالت : كنا سبعين ألف نفس في العقوبة كما وصفت لك والدتي . فمر واحد من الصالحين على قبورنا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة وجعل ثوابها لنا فأعتقنا الله تعالى من العقوبة ببركته وبلغ نصيبي ما قد شاهدته .

وحكى القاضي شرف الدين البارزي رحمه الله تعالى في كتاب توثيق عرى الإيمان عن الشيخ أبي

عبد الله محمد بن موسى بن النعمان أنه قال : قملنا مع الحاج سنة سبع وثلاثين وستمائة فعرضت فى الطريق لى حاجة فنزلت عن راحلتى فغلبنى النوم فنمت فلم انتبه إلى آخر النهار . فلما انتبهت فاذا أنا فى برية قفراء فهالنى ما رأيت . فمشيت فى البرية ولا أدرى أين أتوجه ودخل على الليل وقويت على الوحشة والخوف واشتد على العطش وأشرفت على التلف وعاينت الهلاك وأيست من الحياة فناديت فى ظلام الليـــل : يامحمداه يا محمداه . أنا مستغيث بك . فلم أتم الكلام حتى سمعت قائلا يقول لى : أرشد . فنظرت . فإذا أنا بشخص فأخذ بيدى فزال عنى ما كنت أجده من التعب والعطش وأنست به . ثم سار بى ساعة فبينما أنا كذلك إذ سمعت الحاج والدليل ينادى بالناس وقد أوقد لهم نارا يهتدون بهـــا . فنظرت فاذا أنا براحلتى أمامى واقفة فصحت من فرحى بها فقال لى : دونك راحلتك . ثم رفعنى بيده فوضعنى على راحلتى وتركنى وهو يقول : نحن لا نخيب من طلبنا واستغاث بنا . فعلمت عند ذلك أنه النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت أنواره تلوح فى ظلام الليل وهو ماض . صلوات الله وسلامه عليه .

وقد لحقنى من الشدة شىء عظيم . كيف لم أقبل يديه ورجليه .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله تعالى ملكا أعطاه سمع العباد كلهـــم فليس من أحد يصلى على إلا أبلغنيها . وإنى سألت ربى أن لا يصلى على عبد صلاة إلا صلى الله عليه عشر أمثالها . وفى رواية وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله : (وأيما رجل لم تكن له صدقة) يعنى لا مال له (فليقل فى دعائه : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة له ، أى تقوم مقام الصدقة .

ومن فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ما ذكره العلماء رحمهم الله تعالى أن ثواب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مقصور على فاعلها لا يؤخذ فى الديون والتبعات يوم القيامة .

هذا الفضل عام لمعظم صيغ الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك فضل خاص لبعض صيغ الصلوات كصلاة الفاتح لما أغلق فان فضلها عظيم كما أخبرنا بذلك سيدنا ومولانا أبو العباس سيدى الشيخ أحمد بن محمد التجانى رضى الله تعالى عنه وعنا به بقوله : الفاتح لما أغلق سر إلهى لا مدخل للعقول فيه . يذكر هذا الفضل لأهله من أهله لأنها سر الطريق

وروى (إذا كان يوم القيامة يجىء أصحاب الحديث ومعهم المحابر فيقول الله تعالى لهم : أنتم أصحاب الحديث طالما كنتم تكتبون الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم انطلقوا إلى الجنة) رواه الطبرانى .

وعن الشيخ على بن عبد الكريم الدمشقى قال : رأيت فى المنام محمد بن الإمام زكى الدين المنذرى بعد موته عند وصول الملك الصالح وتزيين المدينة له فقال لى : فرحتم بالسلطان الصالح ؟ قلت : نعم . فرح الناس به ، فقال : أما نحن فدخلنا الجنة وقبلنا يده . يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : أبشروا كل من كتب بيده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو معى فى الجنة .

فضل كتابة العلم ونقله

وحكى أبو اليمين بن عساكر عن أبي العباس بن عبد الدائم وكان كثير النقل لكتب العلم على اختلاف فنونه أنه حدثه من لفظه قال : كنت إذا كتبت الحديث وغيرها أكتب لفظ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم دون لفظ التسليم . فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : لم تحرم نفسك أربعين حسنة ؟ قلت : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا جاء ذكري تكتب صلى الله عليه ولا تكتب وسلم وهو أربعة أحرف كل حرف بعشر حسنات . قال : وعدهن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو كما قال .

وروى الحاكم في التاريخ حديث من كتب عني علماً أو حديثاً لم يزل يكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم أو الحديث .

وعن بعض الصالحين أنه قال : كان لي جار نساخ فمات فرأيته في المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : غفرلي . فقلت له : فيم ذلك ؟ فقال : كنت إذا كتبت اسم محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب صليت عليه . فأعطاني ربي مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وروى عن أبي الحسن الشافعي قال . رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام . فقلت يا رسول الله بم جوزى الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة . وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى الله عليه وسلم : جزى عني أنه لا يوقف للحساب .

وروى أبو القاسم الطبراني في كتاب الدعوات عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال : غزونا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا في مجمع طرق المدينة فبصرنا بأعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حوله فقال : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . فرد النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت . فجـاء رجل كأنه حرسي فقال يا رسول الله هذا الأعرابي سرق بعيري هذا . فرغا البعير وحن ساعة فأنصت له النبي صلى الله عليه وسلم يسمع رغاءه وحنينه . فلما هدأ البعير أقبل النبي صلى الله عليه وسلم على الحرسي وقال : انصرف عنه فإن البعير يشهد عليك أنك كاذب . فانصرف الحرسي وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على الأعرابي وقال : أي شيء قلت حين جئتني ؟ فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله قلت : اللهم صل على محمد حتى لا تبقى صلاة اللهم وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة اللهم وسلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمداً حتى لا تبقى رحمة . فقال صلى الله عليه وسلم : إن الله تبارك وتعالى أبداها لي والبعير ينطق بقدرته وإن الملائكة قد سدوا أفق السماء .

وفيه أيضاً عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : جاءوا برجـل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشهدوا عليه أنه سرق ناقة لهم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع فولى الرجل وهو يقول : اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلواتك شيء وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركات شيء وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء . فتكلم البعير وقال : يا محمد إنه برىء من سرقتي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من يأتيني بالرجـل فابتدر إليه سبعون من أهل بدر فجاءوا به إلى النبي

صلى الله عليه وسلم . فقال يا هذا : ماقلت آنفاً ؟ فأخبره بما قال . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأجل ذلك رأيت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بينى وبينك . ثم قال صلى الله عليه وسلم : لتردن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم ارحم خلفائى . قلنا يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى و يعلمونها الناس .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمتى » أى نقل إليهم . وقيل معنى حفظها أن ينقلها إلى المسلمين وإن لم يحفظها ولا عرف معناها (أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة) وفى رواية : كتب فى زمرة العلماء وحشر فى زمرة الشهداء . قال النووى : قد روينا هذا الحديث عن على وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى الدرداء وابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى من طرق كثيرة .

وروى الطبرانى مرفوعاً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم خلفائى . قالوا يا رسول الله وما خلفاؤك ؟ قال الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى و يعلمونها للناس . قال الحافظ عبد العظيم المنذرى رحمه الله وناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده وقد ألف الحافظ ابن حجر كتاباً سماه الخصال المفكرة للذنوب المتقدمة والمأخرة وما هى : أخرج ابن أبى شيبة فى مسنده ومصنفه وأبو بكر بن المروزى فى مسند عثمان والبزار عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ولا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأخرج أبو عوانة فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال حين يسمع المؤذن يقول : اشهد أن لا إله إلا الله : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً . وفى لفظ رسولا . غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرج ابن وهب فى مصنفه عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا أمن الإمام فأمنوا فإن الملائكة تؤمن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) وأخرج آدم بن أبى إياس فى كتاب الثواب عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى سبحة الضحى ركعتين إيماناً واحتساباً غفر له ذنوبه كلها ما تقدم منها وما تأخر إلا القصاص) وأخرج الأسعد القشيرى فى الأربعين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ إذا سلم الامام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجليه فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعاً سبعاً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . وأخرج الإمام أحمد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

وأخرج النسائى فى الكبرى وقاسم بن أصبغ فى مصنفه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من قام شهر رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ومن قام ليلة القدر إيماناً

واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر . وأخرج أبوسعيد النقاش الحافظ فى أماليه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام يوم عرفة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » وأخرج أبو داود والبيهقى فى الشعب عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفرالله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ووجبت له الجنة » . وأخرج أبونعيم فى الحلية عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من جاء حاجا يريد وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . وأخرج الثعلبى فى تفسيره عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرج أبو أحمد الناصح فى فوائده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سعى لأخيه المسلم فى حاجة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . وأخرج الحسن بن سفيان وأبو يعلى فى مسنديهما عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من عبدين يلتقيان فتصافحان ويصليا على النبى صلى الله عليه وسلم لم يتفرقا حتى يغفر الله لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر » : وأخرج أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أكل طعاما ثم قال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

أوحى الله إلى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : ياموسى أريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسواس قلبك إلى قلبك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينيك . قال : نعم يارب . قال : فأكثر الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم .

وينبغى للمصلى عليه صلى الله عليه وسلم أن يكون بأكمل الحالات متطهراً مستقبلا للقبلة متفكراً فى ذاته السنية لأجل بلوغ الآمال والأمنية وأن يرتل الحروف وأن لا يعجل فى النطق بالكلمات كما قال صلى الله عليه وسلم : « إذا صليتم على فأحسنوا الصلاة على فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض على وقولوا : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذى يغبطه فيه الأولون والآخرون » .

وفى لوامع الأنوار فى الأدعية والأذكار لشهاب الدين أحمد القسطلانى ويحكى عن سفيان الثورى قال: رأيت رجلا من الحجاج يكثر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . فقلت له : هذا موضع الثناء على الله عز وجل : فقال : ألا أخبرك ؟ إنى كنت فى بلدى ولى أخ قد حضرته الوفاة فنظرت إليه فإذا وجهه قد أسود وتخيلت أن البيت قد أظلم . فأحزننى مارأيت من حال أخى . فبينما أنا كذلك إذ دخل على رجل البيت وجاء إلى أخى ووجه الرجل كانه السراج المنير . فكشف عن وجه أخى ومسح بيده عليه فزال ذلك السواد وصار وجهه كالقمر . فلما رأيت ذلك فرحت وقلت له : من أنت؟ جزاك الله تعالى خيرا عما صنعت . فقال. أنا ملك موكل بمن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أفعل به هكذا وقد كان أخوك يكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد حصلت له محنة . فعوقب بسواد الوجه . ثم أدركه الله عز وجل ببركة صلاته على النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى لواقح الأنوار للقسطلانى شارح البخارى : وحكى الشيخ أبو حفص عن الحسن السمرقندى فيما يرويه عن بعض أسانيده عن أبيه قال : وقف رجل فى الحرم وكان كثير الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان بين الحرم وعرفة ومنى ، فقلت له : أيها الرجل : إن لكل مقام مقالا فما بالك لا تشتغل بالدعاء ولا بالتطوع بالصلاة سوى أنك تصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إنى خرجت من خراسان حاجاً إلى هذا البيت وكان والدى معى فلما بلغنا الكوفة اعتل والدى وقويت به العلة فمات . فلما غطيت وجهه بإزارى ثم غبت عنه رجعت إليه فكشفت وجهه لأراه فإذا صورته كصورة الحمار : فلما رأيته كذلك عظم غمى وتشوشت بسببه وحزنت حزنا شديداً وقلت فى نفسى ، أظهر للناس هذا الحال الذى صار والدى فيه ؟ فقعدت عنده مهموماً . فأخذتنى سنة من النوم فنمت . فبينا أنا نائم إذا رأيت فى منامى كأن رجلا دخل علينا وجاء إلى والدى وكشف عن وجهه فنظر إليه ثم غطاه ثم قال لى ما هذا الهم العظيم الذى أنت فيه ؟ فقلت : وكيف لا اهتم وقد صار والدى بهذه المحنة . فقال : أبشر إن الله عز وجل أزال عن والدك هذه المحنة . قال : ثم كشف الغطاء عن وجهه فإذا هو كالقمر الطالع . فقلت للرجل : بالله من أنت؟ فقد كان قدومك مباركا . فقال أنا المصطفى . صلى الله عليه وسلم . فلما قال ذلك فرحت فرحاً عظيما وأخذت بطرف ردائه صلى الله عليه وسلم فلففته على يدى وقلت : بحق الله يا سيدى يا رسول الله إلا أخبرتنى بالقصة . فقال : إن والدك آكل الربا وإن من حكم الله عز وجل أن من أكل الربا يحول الله وجهه — أى صورته — عند الموت كصورة الحمار . إما فى الدنيا وإما فى الآخرة . ولكن كان من عادة والدك أن يصلى على فى كل ليلة قبل أن يضطجع على فراشه مائة مرة . فلما عرضت له هذه المحنة من اكل الربا جاءنى الملك الذى يعرض على أعمال أمتى وأخبرنى بحال والدك . فسألت الله تعالى فشفعنى فيه فاستيقظت . فكشفت عن وجهه فإذا هو كالقمر ليلة البدر فحمدت الله تعالى وشكرته ثم جهزته ودفنته وجلست عند قبره ساعة . فبينما أنا بين النائم واليقظان إذا أنا بهاتف يقول لى : أتعرف هذه الوضاءة التى حفت والدك ما كان سببها ؟ قلت : لا . قال : كان سببها الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فآليت على نفسى أن لا اترك الصلاة والسلام على رسول الله على أى حالة كنت وفى أى مكان كنت .

وحكى عن الشبلى رحمه الله تعالى أنه قال : مات رجل من جيرانى فرأيته فى المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : ياشبلى مرت بى أهوال عظيمة . وذلك أنه ارتج على عند السؤال . فقلت فى نفسى : من أين أتى على هذا ؟ ألم أمت على الإسلام ؟ فنوديت : هذه عقوبة إهمالك لسانك فى الدنيا . فلما هم بى الملكان حال بينى وبينهما رجل جميل الصورة طيب الرائحة فذكرنى حجتى . فقلت : من أنت ؟ يرحمك الله . فقال : أنا شخص خلقت من صلاتك على النبى صلى الله عليه وسلم وأمرت أن أنصرك فى كل كرب . وأن أنقذك من كل شدة وأن أكشف عنك كل هم وضيق .

أما من سمع ذكره صلى الله عليه وسلم ولم يصل عليه فإنه لا يشفع فيه يوم القيامة . وقد وصفه صلى الله عليه وسلم بالبخيل فقال : ألا أخبركم بأبخل الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله : قال : من ذكرت

عنده فلم يصل على فذلك أبخل الناس ، رواه ابن أبي عاصم ، وروى ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له أنه صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال : آمين آمين آمين ، قيل يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت : آمين آمين آمين ؟ فقال : إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله . قل : آمين ، فقلت : آمين ، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله ، قل: آمين ، فقلت : آمين . ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار . فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين .

ومما أجمع عليه العلماء : أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أول الدعاء وفي آخره سبب في إجابة هذا الدعاء . فقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل بعد فإنه أجدر أن ينجح أو يصيب » ، وأخرج النسائي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال : « الدعاء كله محجوب حتى يكون أوله ثناء على الله عز وجل وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو فيستجاب لدعائه » .

والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا وإن كانت رياء والله عزوجل أكرم من أن يقبل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أول الدعاء وفي آخره ويدع ما بينهما .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أخيط شيئا في السحر فسقطت الإبرة وطفىء السراج فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت من نور وجهه ووجدت الإبرة . فقلت : ما أضوأ وجهك يا رسول الله . فقال : الويل لمن لم يرني يوم القيامة . قالت : ومن الذي لم يرك يوم القيامة يا رسول الله ؟ قال . البخيل . قلت : ومن هو البخيل يا رسول الله ؟ قال : الذي إذا ذكرت عنده لم يصل علي .

ومن فضائل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ماروواه الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال: « ليس من عبد يصلي علي إلا بلغني صوته . قلنا يا رسول الله وبعد وفاتك ؟ قال : وبعد وفاتي . إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

وعن العارف الوفائي رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله صلى عليه وسلم فقال لي عن نفسه الشريفة : لست بميت وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله . وأما من يفقه عن الله فها أنا أراه ويراني » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل دعاء محجوب . أي عن القبول – حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم » قال المناوي . بمعنى أنه لا يرفع إلى الله حتى يستصحب معه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأنها الوسيلة إلى الإجابة .

طنين الأذن – بسبب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لاسم الشخص الذي طنت أذنه . فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا طنت اذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير . قال شراح الحديث : طنت أي صوتت . وقوله : فليذكرني وليصل علي . أي بأن يقول : محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله من ذكرنى بخير . قال العلماء : إن الروح إذا تطهرت من القذر تجول فى الملكوت حتى تلتحق بمقام النبى صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى قائلا يارب أمتى أمتى حتى ينفخ فى الصور . فيذكر النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الروح المذكورة ويسأل الله خيرا . فاذا قدمت الروح بذلك الخبر إلى جسدها تطن الأذن . فطالب من الشخص المذكور أن يذكر النبى صلى الله عليه وسلم ويصلى عليه مكافأة له . وهذا يشعر بأن الشخص المؤمن الذى طنت أذنه من الأخيار وأن هذا الجولان كامن فى الروح وإن لم يشعر به الشخص .

فضيلة ذكر كلمة السيادة مع اسم الرسول صلى الله عليه وسلم
كلما ذكر سواء داخل الصلاة أو خارجها وفى الآذان والإقامة

رأيت من الواجب على وضع هذه الجمل فى هذه الأوراق بمناسبة ذكرى لفضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الكتاب بعد الذى سمعته من جدل وخلاف بشأن ذكر كلمة السيادة مع اسم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كلما ذكر . وذلك بين فريقين من أهل العلم . وقد اطلعت على غالب ما كتب فى هذا الموضوع فلم أر أحسن وأتقن وأقوم مما كتبه الإمام الحافظ ناصر السنة شهاب الدين أبى الفيض أحمد بن محمد الصديق - جزاه الله عن نبيه ودينه أحسن الجزاء - فإنه أورد فى كتاب تشنيف الآذان بما لم يسبقه فيه سابق ولم يلحقه فيه لاحق . فاقتطفت منه عيونه مضمومة إلى ما انتقيته من المختارات والشواهد ليتبين الطريق القويم للفريقين المختلفين . فالفريق الذى يرى مراعاة الوارد وامتثال الأمر لا حجة له غير ما فهم من إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم السائل الذى سأله قائلا له . إن الله عز وجل أمرنا بالصلاة والسلام عليك . فأما السلام فقد عرفناه . وأما الصلاة عليك فكيف نصلى عليك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم له . (١) قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . إلى آخر الحديث . (٢) ومن أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكروا مع اسمه الشريف كلمة السيادة (٣) وأنه صلى الله عليه وسلم قال : لا تسيدونى فى الصلاة . هذه الأمور الثلاثة هى كل ما يستدل به هذا الفريق على تقويم رأيه وإقامة حجته . وإن كان الفريق الآخر يرى أن سلوك الأدب فيه مراعاة الوارد وزيادة فهو أقوى حجة وأقوى قبلا بالدلائل الآتية :

أما الأمر الأول . وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم فى إجابته للسائل بقوله : قولوا اللهم صل على محمد بدون ذكر سيادته فى رواية كعب بن عجرة . فهو من قبيل تعليمهم وإرشادهم إلى كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتمسكا بأدب المخاطبة . فإن المرء لا يذكر اسمه بالسيادة ولا يأمر غيره أن يقول له : سيدى . بل الغير هو الذى يذكر السيادة ويخاطب بها المسود . بل يستهجن غاية من المرء أن يقول عن نفسه : سيد . ويسخر عادة ممن يفعل ذلك أو يلزم الناس بتسويده . والنبى صلى الله عليه وسلم وإن كان فى مقام التعليم وإرشاد الأمة إلى كل مايلزمها . فهو صلى الله عليه وسلم أشرف المتواضعين وأفضل المتأدبين وأكمل المخلوقين . كما قال صلى الله عليه وسلم « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وقال له ربه عز وجل (وإنك لعلى خلق عظيم) فكيف مع هذا يقول : قولوا اللهم صل على

سيدنا محمد ؟ ألا يظن السامع أو المخاطب بقوله هذا أنه يحب الفخر والتعاظم؟ ولكنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى استحقاقه للسيادة بقوله صلى الله عليه وسلم : «أنا سيد ولد آدم فى الدنيا والآخرة» وقوله لبعض أصحابه الذين قالوا له : أنت سيدنا . قولوا بقولكم على سبيل تقرير الحقيقة والإرشاد إلى الواجب نحوه صلى الله عليه وسلم علينا من التعظيم والتكريم والتفخيم فى كل ما يختص به صلى الله عليه وسلم .

وإن الفريق المتمسك بالوقوف عند الوارد الذى لا يرى ذكر السيادة فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعند ذكر اسمه الشريف يقال له : إن هذا يقتضى المنع من زيادة ذكر الصحابة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يذكرهم فى الصلاة عليه . كما يقتضى أيضاً المنع من ذكر الصلاة عليه بغير الصيغة الواردة إذ لا فرق بين الزيادة على الوارد . فكما لم يقل : قولوا اللهم صل على سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ولا غيرهما من الصيغ التى جاوزت العد . وهم لم يقولوا : بكراهة زيادة ذكر الصحابة والمنع منها ولا بكراهة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بغير الوارد والمنع منها . فكما جازت زيادة ذكر الصحابة فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وجازت الصلاة عليه غير الصيغة الواردة . كذلك تجوز ذكر السيادة من باب أولى وإن لم ترد عنه فى الصيغة التى رواها بكعب بن عجرة .

وها هى بعض أحاديث قد وردت عنه صلى الله عليه وسلم وعن بعض أصحابه من طرق أخرى يرشد مضمونها إلى وجوب مراعاة الأدب معه صلى الله عليه وسلم عند ذكر اسمه الشريف بذكر السيادة فقد روى ابن أبى عاصم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلنا يارسول الله قد عرفنا السلام عليك . فكيف نصلى عليك ؟ فقال : قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير ورسول الرحمة . الحديث . وهو من رواية المسعودى وهو ثقة .

وروى الديلمى فى مسند الفردوس من حديثه أيضاً رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا صليتم على فأحسنوا الصلاة فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض على» . قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة . اللهم ابعثه المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون» . رواه عبد بن حميد فى مسنده وابن ماجه فى سننه وابن جرير فى تهذيب الآثار والمعمرى فى اليوم والليلة والبيهقى فى الدعوات والشعب والدارقطنى فى الأفراد . وآخرون موقوفاً على ابن مسعود . وحسنه الحافظ المنذرى بل صححه الحافظ علاء الدين مغلطاى .

وروى أحمد بن منيع فى مسنده وإسماعيل القاضى فى كتاب الصلاة والبغوى فى فوائده وغيرهم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال له : كيف الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال قولوا : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين . الحديث .

وأما الأمر الثانى : وهو أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكروا اسمه الكريم مع السيادة

فهذا ابن مسعود و ابن عمر وهما من أصحابه صلى الله عليه وسلم ذكرا اسمه الكريم مع السيادة كما تقدم ذكره فى الحديثين السابقين . وهذا أيضاً منهم لم يكن لعدم مراعاتهم الأدب معه صلى الله عليه وسلم . بل إنه كان هو المتعارف والعادة الجارية بينهم . وإنهم جميعاً كما هو المعلوم من سيرتهم العطرة فى أعلى درجات الأدب وحسن استعماله وبالأخص معه صلى الله عليه وسلم .

فها هو سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما طلب منه بلال أن يؤم الناس لغياب النبى صلى الله عليه وسلم فى صلح بين بعض أصحابه . فتقدم أبو بكر وصلى بالناس وقد حضر النبى صلى الله عليه وسلم فى أثناء الصلاة . فصفق القوم ليشعروا أبا بكر بحضور النبى صلى الله عليه وسلم . فالتفت من كثرة التصفيق فرأى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه فأخذ يتأخر ليتقدم النبى صلى الله عليه وسلم للإمامة . فأشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يظل كما هو ولكنه أدباً مع النبى صلى الله عليه وسلم تأخر بعد أن رفع يديه إلى الله عز وجل شاكراً إقرار النبى صلى الله عليه وسلم له على إمامته للناس . وتقدم النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن تأخر أبو بكر وصلى بالناس . ولما فرغ من الصلاة قال صلى الله عليه وسلم مخاطباً أبا بكر لم لم تستمر فى الصلاة وقد أشرت إليك ؟ فقال : ما كان لابن أبى قحافة أن يتقدم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقره النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه مخالفته لإشارته لاستعماله الأدب معه صلى الله عليه وسلم .

وها هو سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه التزم الأدب معه صلى الله عليه وسلم دون امتثال أمره صلى الله عليه وسلم حين كتب الكتاب للمصالحة فى الحديبية وقال فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة . الحديث . فقال سهيل : والله لو كنا نعرف أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رسول الله وإن كذبتمونى . امحه . فقال على : ما أنا بالذى أمحاه . وهى لغة فى أمحوه . وفى رواية : والله لاأمحوك أبداً . ومحاه النبى صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة معجزة لأنه صلى الله عليه وسلم يقرأ ولم يكتب . وهذا الذى فعله على من الأدب المستحب الذى أقره عليه النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليه .

وها هو سيدنا عثمان رضى الله عنه لما دخل مكة فى قضية صلح الحديبية قد أخر الطواف بالبيت مع علمه بوجوبه على من دخلها أدباً معه صلى الله عليه وسلم أن يطوف قبله ، وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالذين يستعملون هذه الآداب وهم من مكارم الأخلاق بمكان يرمون بأنهم كانوا لايذكرون سيادته صلى الله عليه وسلم حين نطقهم بالاسم الكريم . بل تلك كانت العادة الجارية بينهم فى زمنهم فى جاهليتهم ومبدأ إسلامهم . ولكل زمان حكمه . فالعادات بتغيرها يتغير أحكامها . فالسيادة مثلا كانت فى زمانه صلى الله عليه وسلم بالدين . فإن كان الرجل ديناً أو كريماً يقال له : سيد لهذا . أما شرع عرفنا اليوم فإنه لابد من أن يصحب اسم مخاطبه ألقاب التعظيم والتكريم . وإلا عد فى نظر

ونظر من يسمع التخاطب المجرد أن المخاطب محتقر مهان غير كريم .

فالملوك اليوم لايذكر اسمهم مجرداً . بل يقال للواحد منهم : ياصاحب الجلالة . والوزراء كذلك يقال للوزير منهم : يا صاحب الدولة أو المعالى . والعلماء : يقال للعالم منهم : يا صاحب الفضيلة . وهكذا كل طبقة لها تعظيم خاص إذا تركه من يخاطبهم غضبوا عليه وربما أوقعوا به الأذى والضر لهذا السبب .

وأما الأمر الثالث : وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لاتسيدونى فى الصلاة . فقد قال الشمس الرملى فى شرح المنهاج . وأما حديث : لا تسيدونى فى الصلاة فباطل لا أصل له كما قال بعض متأخرى الحفاظ . وقال الشهاب أحمد الرملى وابن قاسم العبادى فى حاشيته على تحفة المحتاج لابن حجر والمليبارى فى فتح العلام : أن حديث : لا تسيدونى فى الصلاة باطل لا أصل له . وقال الجردانى فى فتح العلام : وأما حديث : لا تسودونى فى الصلاة بالواو لا بالياء فباطل كما فى الباجورى . وقال فى الدر المختار شرح تنوير الأبصار من كتب الحنفية : وما نقل : ولا تسودونى فى الصلاة فكذب . وقولهم : لاتسيدونى بالياء لحن . والصواب بالواو . وكذا نص على بطلانه الحافظ السيوطى فى الحاوى والجلال المحلى فى غير شرح المنهاج والشمس الرملى وابن حجر الهيثمى من الفقهاء المالكية والشافعية والحنفية كما تقدمت نصوصهم بذلك .

يبين هذه الأمور الثلاثة ويوضحها اتضاحاً لايدع مجالا للشك نظار المنصف فى أن رأى الفريق المتمسك بوجوب استعمال الأدب بذكر السيادة مع اسم الرسول الكريم كلما ذكر . فيه امتثال الأمر ومراعاة الوارد زيادة على سلوك الأدب المستحب بالقيام بالواجب نحوه صلى الله عليه وسلم وهو الأولى والأجدر بالاتباع عملا وقولا للدلائل الكثيرة التى سنوردها إن شاء الله تعالى من الكتاب الكريم والسنة المطهرة وأقوال السادة العلماء .

أما ماورد فى الكتاب الكريم فى شأن تعظيمه وتوقيره وإجلاله صلى الله عليه وسلم . فقد قال فى فتح البارى شرح صحيح البخارى إنه صلى الله عليه وسلم ذا أسماء ولكن لا ينبغى أن ينادى بشىء من تلك الأسماء . فيحرم النداء بها لقوله تعالى : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) مثل يا أحمد ويامحمد . ويؤيده قول الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل إعظاماً لنبيه صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا نبى الله يا رسول الله . وعن مجاهد فى قوله (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) قال : أمرهم أن يدعوا يارسول الله فى لين وتواضع . وعن قتادة : أمرهم أن يفخموه ويشرفوه . ورواه عنه عبد الرازق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم بلفظ : أمر الله أن يهاب نبيه وأن يبجل وأن يفخم وأن يعظم ويشرف .

وقال مالك عن زيد بن أسلم فى الآية قال : أمرهم أن يشرفوه . قال ابن كثير : هذا قول . وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) إلى آخر الآية . وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله

قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم) .

فهذا كله من باب الأدب فى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر) .

وقد سئل الرملى عن حرمة ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه هل هى خاصة بزمنه أم عامة ؟ وإذا قلتم عامة فهل محلها إذا تجرد عن قرينة تقتضى التعظيم . أما إذا وجدت قرينة تقتضيه فلا . كقوله يا محمد الوسيلة يا محمد الشفاعة يا محمد الحسب ونحو ذلك . فأجاب : بأنها عامة . ومحلها حيث لا يقترن بها قرينة تقتضى التعظيم فإن وجدت كما فى السؤال فلا . وإطلاقهم محمول على عدم القرينة المذكورة .

وقد استفيد من الآيات التى تقدمت أنه لا يجوز نداء النبى صلى الله عليه وسلم بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته . وأن من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة . وأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعاملون النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الآداب فى حال حياته وبعد انتقاله الدار الآخرة . فقد كان سيدنا عمر رضى الله عنه يمنع من رفع الصوت فى مسجده صلى الله عليه وسلم تمسكا بالآية فى النهى عن رفع الصوت والجهر بالقول عنده صلى الله عليه وسلم . قال التقى السبكى فى تنزيل السكينة على قناديل المدينة : كان عمر بن الخطاب يمنع من رفع الصوت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن يفعل ذلك فى مسجد مكة . وما ذاك إلا للأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوب معاملته بعد انتقاله كما كان يجب أن يعامله به لما كان بين أظهرهم . وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تسمع الوتد يوتد والمسمار يضرب فى البيوت المطيفة بالمسجد فتقول : لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن السائب بن يزيد قال : كنت مضجعاً فى المسجد فحصبنى رجل فرفعت رأسى فإذا عمر رضى الله عنه فقال : اذهب فأتينى بهذين الرجلين . فجئت بهما . فقال: من أنتما ومن أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف . قال: لو كنتما من أهل البلد ما فارقتمانى حتى أوجعكما جلداً ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم إن الله تعالى جلت قدرته قد أرشدنا بما سمى به نبيه ورسوله فى كتابه الكريم إلى استعمال الأدب معه صلى الله عليه وسلم فى الخطاب وفى ذكر اسمه الشريف لرفعة قدره ومكانته السامة لديه . وخصه دون سائر الأنبياء والمرسلين بالتعظيم فى الخطاب فلم يناده باسمه فى القرآن أصلا وإنما ناداه بألقابه المعظمة وأوصافه المشرفة كيا أيها النبى ويا أيها الرسول . فقال تعالى (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . يا أيها النبى حسبك الله . يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها . ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين . يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك . يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك . يا أيها المزمل قم الليل يا أيها المدثر . يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك

من ربك . يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) فى حين أنه عز وجل خاطب جملة من من أنبيائه ورسله بأسمائهم . فقال تعالى : (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وعصى آدم ربه فغوى) فى الإخبار عنه (يانوح اهبط بسلام منا . ونادى نوح ربه . يا إبراهيم أعرض عن هذا . وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل . يا موسى إنى اصطفيتك على الناس . فوكزه موسى فقضى عليه . يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك . قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل . يا هود ما جئتنا ببينة . ياصالح ائتنا بماتعدنا . ياداود إناجعلناك خليفة فى الأرض . ولقد فتنا سليمان . يازكريا إنانبشرك . يا يحيى خذ الكتاب بقوة) .

كل أولئك خوطبوا بأسمائهم . وكل موضع ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم باسمه أضاف إليه الرسالة . فقال تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) . وقال تعالى : (محمد رسول الله) . وقال تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله) . وقال تعالى : (وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم) فسماه عز وجل ليعلم من جحده ان أمره وكتابه هو الحق ولأنهم لم يعرفوه إلا بمحمد . ولو لم يسمه لم يعلم اسمه من الكتاب الكريم . وذلك كله زيادة فى جلالته ونبالته ونباهته وشرفه . لأن اسمه صلى الله عليه وسلم مشتق من اسم الله تعالى . كما مدحه عمه فقال :

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

فإذا كان إلهنا وإله صلى الله عليه وسلم وخالقنا وخالقه يستعمل معه هذا الإجلال والإكرام والتوقير والاحترام فى الخطاب وعند ذكر اسمه الشريف . فكيف يصح منا أن لانسلك معه هذه الطريق فى الخطاب وعند ذكر اسمه الكريم ونجرده من السيادة التى لانجرد منها فى عصرنا اسم من نعظمه ونحترمه ولا نذكره إلا مقروناً بها أو بما يقوم مقامها ؟ بل نحن أولى باستعمال هذا الأدب معه صلى الله عليه وسلم لأنه سيدنا وسيد العوالم كلها . وهو أولى بذلك ديناً وعقلا وعادة وعرفاً من كل من نجله و نحترمه .

هذا وقد خاطبه الله تعالى بالسيد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (يس) فقد حكى أبوعبد الرحمن السلمى عن سيدناجعفر الصادق أن الله تعالى أراد بقوله تعالى (يس) ياسيد . مخاطبة للنبى صلى الله عليه وسلم . ذكره القاضى عياض فى الشفاء .

وقال الله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع) فقد استدل بها العلماء على استحباب تزويق المساجد وتحليتها بالذهب مع ورود النهى عن ذلك لأن الناس صاروا يزوقون بيوتهم . فاقتضى ذلك مع قوله تعالى (أذن الله أن ترفع) أنه يجوز بل يستحب تزويقها لتكون مرفوعة كما أذن الله تعالى به ومعظمة على البيوت المزوقة وإلا كانت دونها وغير مرفوعة عليها . وخصوا النهى عن تزويقها بالوقت الذى كانت البيوت فيه غير مزوقة ولامنمقة . فكانت المساجد مرفوعة عليها ولو بدون تزويق . فلما انقلب الحال وتبدل العرف وجب أن يتغير الحكم .

فى ترجمة الشيخ عبد القادر كما ورد فى تحفة الأكابر ما يأتى : قال فى قوله تعالى : (فى بيوت أذن الله أن ترفع) ما ورد من النهى عن تزويق المساجد والوعيد على ذلك كحديث الترمذى عن أبى الدرداء : « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم » قال ابن المنير : كان ذلك قبل التأنق فى البناء وحيث تأنق الناس فى غير المساجد فيكون عدم التأنق فيها إهانة لها وحط وسقوط عن الأعين فالواجب جعلها من جنس غيرها وترفيعها وتحسينها بأكثر من بيوت السكنى إن أمكن .

فإذا استدلوا بقوله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع) على جواز تحليتها وتزويقها بل واستحبابه مع ورود النهى الذى تقدم عن ذلك . فثبوت استحباب السيادة عند اسمه الكريم من قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) أولى وأجدر . لأنه لم يرد نهى عن ذكر السيادة مطلقا مع الاسم الشريف لا فى الصلاة ولافى غيرها . وإن العلماء حكوا انعقاد الإجماع على ما أفتى به التقى السبكى من تكفير من أنكر تحلية الحرم النبوى بالذهب . وقال : إنه إسراف .

فقد قال أبو زيد الفاسى فى تحفة الأكابر عند حكاية انعقاد إجماع أهل عصره فتوى والده بحلية أكل ماصيد بالرصاص . مانصه : وليس غريباً وقوع الإجماع بواحد فقد وقع الإجماع بفتوى التقى السبكى وانعقد به وحده . فقد سئل بعض الفقهاء عما وقع فى المسجد النبوى من التحلية بالنقدين . فأجاب ذلك الفقيه : بأن ذلك إسراف لايجوز . وأجاب السبكى بكفر ذلك الفقيه ولم يرد عليه أحد من أهل عصره ولا من بعده إلى الآن . فعقد الإجماع وحده .

قال الفقيه الورع أبو العباس أحمد بن على السوسى نزيل فاس ودفينها : كان هذا يتردد فى صدرى . أقول : سبحان الله ؛ صاحب الشريعة حرم استعمال النقدين فى الأوانى النافعة وهو صاحب هذا القبر وهو صلى الله عليه وسلم القائل : « إذا حليتم مصاحفكم وزخرفتم مساجدكم فالدمار عليكم » فكيف بالجدران ويكفر منكره ؟ حتى تذكرت أن عثمان رضى الله عنه أول من فعل ذلك فى تمويه بعض أعمدة مسجده صلى الله عليه وسلم حين بناه . وليست هذه التحلية بشىء مما يتعلق بذاته ولا بنقصان من معناه ولا مبناه لا ظاهراً ولا باطناً صلى الله عليه وسلم . وسكوت المعاصرين للإمام السبكى وتسليم فتواه على تكفير الفقيه المذكور . لأن ما ارتكبه عندهم مستهجن ومستقبح وأن ذلك مما لا يعنيه أن يتكلم به فى ذلك المقام . وأن قبره صلى الله عليه وسلم والكعبة خصا بذلك ولا يبعد وبيت المقدس لمحل الأنبياء فيه (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) فإذا أجمعوا على تكفير منكر ما ورد الشرع بإنكاره مع استناده إلى دليل ظاهر جلى ومع كون الذى أنكره غير متعلق بذاته الشريفة ولا باسمه الكريم الأقدس وإنما هو متعلق بمسجده لما يتطرق ذلك من الإهانة .

فكيف بمن ينكر ذكر السيادة مع اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم ويقول : إنها بدعه محدثة زائدة فى الشرع . بل هو بذلك التكفير أولى وأحق .

ولهذا لما رفع إلى عز الدين بن عبد السلام قول ذلك الطالب : إن من ذكر السيادة عند اسمه صلى

الله عليه وسلم فى الصلاة عليه فى تشهد الصلاة بطلت صلاته لعدم ورودها . أرسل أعوانه يأتون به إليه ليؤدبه ويسنه فاختفى ستة أشهر وبعدها شفع فيه أمير تونس . فعفا عنه لكونه رأى أن تغيبه تلك المدة كاف فى تأديبه . وانعقد إجماعهم بعده على ذلك . فلم نر من المالكية من حكى هذا عن ابن عبدالسلام وتعقبه بالإنكار عليه مع كثرة نقل ذلك عنه . فهو على ماحكاه أبو زيد الفاسى عن والده والتقى السبكى إجماع أيضاً .

ولا يجوز أن يحكم بالكفر ويؤمر بالأدب والسجن إلا على ماهوخارج عن الدين لما فيه من تطرق الإهانة إلى الجناب المعظم صلى الله عليه وسلم .

وقد استدل الشيخ جلال الدين السيوطى على جواز كبر عمامة العلماء زيادة عن طول عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : (وأمر بالعرف) وقال : قد صار من عرف العلماء كبر العمامة ليتحيزوا عن غيرهم من العامة فيسألون عن الشريعة . وذكر أن كبر العمامة بهذا القصد لايخرجهم عن السنة لأن العرف قد صار من جملة الشريعة بأمر الأمة باتباعه .

وأما دلائل السنة المطهرة على استحباب ذكر سيادته صلى الله عليه وسلم فقد ثبت من الأحاديث الآتية المتواترة إطلاق لفظ السيد على أفراد من هذه الأمة لما اتصفوا به من مكارم الأخلاق وعلو الشأن . فالنبى صلى الله عليه وسلم أحق وأولى به من كل مخلوق فمن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سيدكم يا بنى سلمة ؟ قالوا : الجد بن قيس إلا أن فيه بخلا . قال : وأى داء أدوأ من البخل « بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور » صححه الحاكم على شرط مسلم .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن ملكاً من السماء لم يكن زارنى فاستأذن الله فى زيارتى فبشرنى أو أخبرنى أن فاطمة سيدة نساء أمتى » رواه الطبرانى فى الكبير . وعن عبد الله بن زيد الأنصارى قال : لما كان يوم قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعوا سيدكم يحكم فى عبيده » . يعنى سعد بن معاذ . رواه ابن سعد فى الطبقات وسيادته بالعلم والدين .

وعن عامر بن سعد عن أبيه أن سعد بن معاذ دخل المسجد بعد أن حكم فى بنى قريظة بما حكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم رواه الطحاوى فى مشكل الآثار .

يستدل بالحديث المتقدم على سنية القيام للخير خاصة أهل العلم والصلاح . وفى حديث آخر يقول فيه صلى الله عليه وسلم : « إنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل » وذاته قاله صلى الله عليه وسلم لما أقبل عليه الإمام على أو العباس والنبى صلى الله عليه وسلم جالس بالمسجد فسلم ووقف وأبو بكر عن يمينه فتزحزح عن مجلسه وأجلسه فيه . فعرف السرور فى وجه المصطفى صلى الله عليه سلم .

وعن عون بن جحيفة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر سيد كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين . رواه ابن ماجه . وعن عبد الله بن بريدة رضى الله عنه عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتقولوا للمنافق سيد فإن يك سيدكم فقد

اسخطكم ربكم عز وجل . رواه البخارى فى الأدب المفرد ورواه أبو داود وابن السنى فى عمل اليوم والليلة . والنهى المذكور فى الحديث الشريف عن تلقيب المنافق بالسيد دليل على جواز تلقيب المؤمن به .

وعن سعيد بن يزيد عن أبى نفرة عن مطرف قال قال أبى : انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلنا : أنت سيدنا . فقال : السيد الله . قلنا : وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا . فقال : قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان . فقوله صلى الله عليه وسلم لهم : قولوا بقولكم أمر لهم أن يقولوا : سيدنا . بعد أن عرف المعنى الذى قصدوه بذلك لأن السيد فى لغتهم يطلق على معان . منها ما يجوز على المخلوق . ومنها ما لا يجوز اعتقاده وإطلاقه إلا على الله تعالى . فانه يطلق على الملك الحقيقى وهو الله تعالى . والمجازى الذى يتصرف فى غيره بطريق الملك والرقبة المجازية . ويطلق على الذى يفوق قومه ويرتفع عليهم قدره . ويطلق على الزعيم الفاضل وعلى الحليم الذى لا يستفزه الغضب . وعلى الجواد الكريم . وعلى الزوج . فلما قالوا له صلى الله عليه وسلم : أنت سيدنا خشى أن يعتقدوا فيه السيادة الحقيقية بالمعنى الذى لا يجوز إلا لله تعالى لأنهم قوم حديثوا عهد بالإسلام وقواعده فقال لهم : إن السيد هو الله تعالى لا غيره . فلما عينوا له المعنى الذى قصدوه بالسيد : وهو أنه أفضلهم علم أنهم أرادوا المعنى الجائز إطلاقه على المخلوق فأمرهم بقول ذلك ولم يسكت على قوله الأول بأن السيد هو الله تعالى . لأنه لو سكت عليه لكان دليلا على النهى عنه . بل قال لهم : قولوا بقولكم . فدل ذلك على تأكيد استحبابه فى مخاطبته وعند ذكر اسمه الكريم صلى الله عليه وسلم على العموم .

وعن جابر بن عبدالله قال : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : من أنا؟ قلنا رسول الله . قال: نعم . ولكن من أنا؟ قلنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف . قال : أنا سيد ولد آدم ولا فخر . فقوله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم ولا فخر . عقب قولهم : أنت محمد بن عبد الله . دليل ظاهر بل نص جلى على حسب العرف فى الأمر بالسيادة والانتقاد على عدم ذكرها . فكأنه قال : لم لا تقولوا : سيدنا محمد . فأنا سيد ولد آدم ولا فخر .

وعن شريك بن عبدالله بن أبى نمر أنه سمع أنس بن مالك يقول : بينما نحن جلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ والنبى صلى الله عليه وسلم متكىء بين ظهرانيهم . فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكىء فقال له الرجل : ابن عبد المطلب . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك . إلى آخر الحديث الوارد فى صحيح البخارى . فقوله صلى الله عليه وسلم للسائل : أيكم محمد ؟ قد أجبتك دليل وأى دليل على عدم استحسانه صلى الله عليه وسلم . لسؤال السائل بالنطق بالاسم الكريم مجرداً من كلمة السيادة والتعظيم ولأنه لم يستعمل الأدب المطلوب فى السؤال . فكان الجواب من جنس السؤال .

وأما أقوال السادة العلماء على وجوب تعظيمه وتفخيمه وتكريمه وتوقيره بذكر سيادته صلى الله عليه وسلم مع اسمه الكريم كلما ذكر . فقد قال صاحب مفتاح الفلاح فى كلامه على الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم: وإياك أن تترك لفظ السيادة ففيها سر يظهر لمن لازم هذه العبادة . وقال الآبى فى شرح

مسلم : وما يستعمل من لفظ السيد والمولى . أى فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : حسن وإن لم يرد . والمستند فيه ما صح من قوله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم ، وقال الشمس الرملى فى شرح المنهاج : والأفضل الإتيان بلفظ السيادة كما قال ابن ظهيرة وصرح به جمع . وبه أفتى المحلى . لأن فيه الإتيان بما أمرنا به وزيادة الإخبار بالواقع الذى هو أدب . فهو أفضل من تركه وقال الشيخ العياشى حينما سئل عن زيادة السيادة فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : السيادة عبادة . وهو بين لأن المصلى إنما يقصد بصلاته تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلا معنى حينئذ لترك التسويد إذ هو عين التعظيم .

وقد ثبت عن سيدى محمد بن القطب سيدى عبد الله الوزانى أنه كان يقرأ دلائل الخيرات بالجامع الكبير بين المنبر والمحراب وهو رضى الله عنه يتبع روايات الكتاب . فخرج له صلى الله عليه وسلم وقال له : سيد يا ولدى . أى قل : سيدنا قبل الاسم الشريف .

وقد قال الشيخ أبو محمد الشاذلى رضى الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم كنت استعجلت مرة فى صلاتى عليه صلى الله عليه وسلم لأكمل وردى . فقال لى صلى الله عليه وسلم : أما علمت أن العجلة من الشيطان . ثم قال : قل : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد بتمهيل وترتيل .

وقال يونس بن محمد : سمعت سهل بن حنيف يقول : مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت منه فخرجت محموماً . فنمى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مروا أبا ثابت فليتعوذ . قلت : ياسيدى والرقى صالحة ؟ قال : لا رقية إلا فى نفس أو حمة أو لدغة . وحمه بضم المهملة وفتح الميم مخففة . أى سم . وتطلق على إبرة العقرب . أى لا رقية أولى وأنفع من رقية المعيون . أى المصاب بالعين . ومن رقية من لدغه ذو حمة . والحمة السم . قال عفان : النظرة واللدغة والحمة . رواه أحمد فى مسنده .

فقد خوطب صلى الله عليه وسلم بياسيدى فأقر عليه وسكت . ولم ينكر على القائل قوله . فإقراره صلى الله عليه وسلم لمن قال له : ياسيدى إذن منه فى خطابه وذكره بذلك وأنه محبوب مرغوب .

وذكر عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه قال : إن الإتيان بها (أى بالسيادة) فى الصلاة ينبنى على الخلاف . هل الأولى امتثال الأمر أو سلوك الأدب ؟ قال الحطاب : والذى يظهر لى وأفعله فى الصلاة وغيرها الإتيان بلفظ السيد والله أعلم .

وقال المليبارى فى فتح العلام : ولا بأس بزيادة سيدنا قبل محمد . قال محشيه أبو بكر بن شطا الدمياطى : بل هو الأولى كما تقدم . يعنى عند قوله فى التحيات وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فإنه قال : الأولى ذكر السيادة لأن الأفضل سلوك الأدب . وقال الجردانى فى فتح العلام بشرح مرشد الأنام عند قوله فى التشهد : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . يغتفر زيادة سيدنا قبل محمد . بل هو الأفضل هنا وفى الصلاة عليه سلوكاً للأدب خلافاً لمن قال : الأولى ترك السيادة اقتصاراً على الوارد .

والمعتمد الأول . وقال فى الدر المختار شرح تنوير الأبصار من كتب السادة الحنفية : وندب السيادة لأن زيادة الإخبار بالواقع عين سلوك الأدب . فهو أفضل من تركه . ذكره الرملى الشافعى وغيره .

وقال الطحاوى فى حاشيته على هذا الشرح أيضاً . قوله : وندب ظاهر الشرح طلبها فى نبينا وأبيه الخليل عليهما الصلاة والسلام لاشتراكهما فيها . ولا يخفى أن هذه الزيادة مستحبة كما قال الحلبى . وقوله نقله الرملى . فيه أنه ليس من أهل المذهب . اللهم إلا أن يقال : إن مثل هذا لا يختلف فيه .

وأفتى إمام الحرمين بذكر السيد فى كل صلاة حتى فى التشهد . وقال سيدى إبراهيم اللقانى فى كتابه عمدة المريد على الجوهرة له : ولا خلاف فى استعمال السيد فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم . وإنما الخلاف فى استعماله فى الصلاة . أى المفروضة . فكرهه قوم وأجازه آخرون . وقضية صنيع ابن عبد السلام مع الطالب التى مر ذكرها استحبابه .

وسئل عن ذلك المحقق المحلى . فأجاب : بأن الأدب مع من ذكر مطلوب . يعنى أنه مستحب . وأشار إلى أن ذلك يخرج على قاعدتين فيما إذا تعارضتا فأيهما تقدم امتثال الأمر عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : صلوا كما رأيتمونى أصلى . والثانية سلوك الأدب حيث تأخر أبو بكر الصديق عن المحراب مع إشارة النبى الله صلى الله عليه وسلم له أن يظل فى مكانه . فتأخر . وهذه الطريقة هى الراجحة .

وبها أخذ ابن عبد السلام وابن جماعة الشافعيان وابن عبد السلام المالكى .

وقد قال الفقهاء : إنه يجوز ذكر الشخص فى الصلاة بقصد الدعاء له كما هو مقرر فى كتب الفقه . لأن النبى صلى الله عليه وسلم : كان يدعو على أقوام ويلعنهم بأسمائهم فى القنوت كما كان يدعو فى القنوت للآخرين كما هو ثابت فى الصحيح فى حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع . إلى آخر الحديث . فكيف يجوز ذكر الغير فى الصلاة باللعن والدعاء عليه والدعاء له باسمه وكنيته ولقبه الذى منه السيادة ولا يجوز ذكر النبى صلى الله عليه وسلم مع السيادة فى الصلاة؟ بل ذكره صلى الله عليه وسلم مع السيادة فى الصلاة أولى وأجدر من ذكر الغير فيها .

وإنه مع كل هذه الأدلة التى قدمناها فإنه لم يرد عن ذكر السيادة مع اسمه الشريف أصلا لا فى الأذان ولا فى الإقامة ولا فى الصلاة ولا فى غيرها فلا مخالفة فيه للسنن القويمة حيث لم يخالف أصول الشريعة . بل ورد ذكر السيادة فى بعض صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم ذكرها . وفى هذا القدر من القول الكفاية لكل منصف .

فضل كلمة التوحيد

أما فضلها . فى الحديث القدسى: لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى . وفى الجامع : لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنباً . وفيه : من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة . وفيه : من قال : لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه . وفيه : أبشروا وبشروا من وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة . وفيه : إن الله قد حرم النار على من قال

لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله . وفيه : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار . وفيه : كل شيء بينه وبين الله حجاب إلا شهادة أن لا إله إلا الله ودعاء الوالد لولده . وفيه: ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولم يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد عليه . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وقال صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع فى ميزان لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم : لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر الله له ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدماً . قلت يا رسول الله هذا للموتى: فكيف للأحياء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: هى أهدم وأهدم . ويروى أن العبد إذا قال : لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة فتجلس إلى جنبها ؛

وأخرج البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله تبارك وتعالى عموداً من نور بين يدى العرش فإذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز ذلك العمود فيقول الله تبارك وتعالى له : اسكن . فيقول : كيف أسكن ولم تغفر لقائلها . فيقول : إنى قد غفرت له فيسكن عند ذلك .

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قال العبد المسلم لا إله إلا الله خرقت السموات حتى تقف بين يدى الله عز وجل فيقول الله عز وجل : اسكنى فتقول : كيف أسكن ولم تغفر لقائلها؟ فيقول الله عز وجل : ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له .

وقيل : إن كل كلمة يصعد بها الملك إلا قول لا إله إلا الله فإنها تصعد بنفسها . قال الله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) أى الملك .

وروى أبو منصور الديلمى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر . وروى أبو منصور الديلمى أيضاً عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثمن الجنة لا إله إلا الله وثمن النعمة الحمد لله .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل : يا معاذ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا حرمه الله على النار . فقال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشرون ؟ قال : إذاً يتكلوا » وقال عليه الصلاة والسلام لأبى هريرة رضى الله عنه : من لقيته يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة . وقال عليه الصلاة والسلام : من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل

الجنة . وفى رواية من مات وهو يشهد : والشهادة هى العلم . قال الله تعالى : (وماشهدنا إلا بما علمنا) .

وأوصى نوح ابنه ، ساماً ، فقال له : يا بنى أوصيك باثنتين وأنهاك عن إثنتين . فأما اللذان أنهاك عنهما : فالإشراك بالله . والكبر فإنه لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر . وأما اللذان أوصيك بهما فإنى رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى : قول لا إله إلا الله . وسبحان الله . فإن قول: لا إله إلا الله لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ إلى ربها ، ولو جعلت لا إله إلا الله فى كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والأرضين السبع وما فيها . وأوصيك بسبحان الله فإنها صلاة الخلق وبها يرزقون .

وروى النسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال موسى عليه السلام : يارب علمنى شيئا أذكرك به وأدعوك به . قال ياموسى: قل لا إله إلا الله ، قال : يارب كل عبادك يقولون هذا . قال: قل لا إله إلا الله ، قال : إنما أريد شيئا تخصنى به قال ياموسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله .

وروى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يؤتى بالرجل يوم القيامة ثم يؤتى بالميزان ثم بتسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع فى كفة الميزان ثم تخرج له قرطاس مثل هذا . وأمسك بإبهامه على نصف أصبعه . فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فتوضع فى كفه أخرى فترجح بخطاياه وذنوبه .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: يفتح الله أبواب الجنة وينادى مناد من تحت العرش: أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت ؟ فتنادى الجنة وكل مافيها : نحن لأهل لا إله إلا الله . وعند هذا تقول النار وكل مافيها من العذاب : لا يدخلنى إلا من أنكر لا إله إلا الله ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله وأنا حرام على من قال: لا إله إلا الله وأنا ممتلىء بمن جحد لا إله إلا الله ، وليس غيظى وزفرى إلا على من أنكر لا إله إلا الله ، قال : فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول : أنا لأهل لا إله إلا الله وناصرة لمن قال لا إله إلا الله ، ومحبة لمن قال لا إله إلا الله ، والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله . والنار محرمة على من قال لا إله إلا الله ، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا إله إلا الله .

وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى : (وبئر معطلة وقصر مشيد) فقال : البئر المعطلة قلب الكافر معطل من قول لا إله إلا الله ، والقصر المشيد : قلب المؤمن معمور بشهادة أن لا إله إلا الله ، وقيل فى معنى قوله تعالى (وقولوا قولا سديدا) يعنى قول لا إله إلا الله .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يمشى فى الطرق ويقول: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا .

وقال سفيان بن عيينة : ما أنعم الله على العباد بنعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله . وإن لا إله إلا الله فى الآخرة كالماء فى الدنيا .

ويقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات والعبد سبعة أعضاء ، وللنار سبعة أبواب ، فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الأبواب السبعة على كل عضو من الأعضاء السبعة .

وحكى عن الإمام الرازى رحمه الله تعالى أن رجلا كان واقفاً بعرفة فكان فى يده سبعة أحجار ، فقال : يا أيتها الأحجار : اشهدوا لى أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ، فنام فرأى فى المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار ، فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة وألقت نفسها على ذلك الباب . فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعها فما قدروا . ثم سيق إلى الثانى ، فكان الأمر كذلك ، وهكذا الأبواب السبعة ، فسيق به إلى العرش ، فقال الله سبحانه وتعالى : عبدى أشهدت الأحجار فلا يضيع حقك وأنا شاهد على شهادتك بتوحيدى أدخل الجنة ، فإذا قرب من أبواب الجنة فإذا أبوابها مغلوقة ، فجاءت شهادة أن لا إله الله وفتحت الأبواب ودخل الرجل الجنة .

وروى القرطبى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر فى كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً ، ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، فقال : وجبت لك الجنة بقول كلمة الاخلاص يعنى لا إله إلا الله .

وفى الحديث : من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة .

وقال سيدى محيى الدين بن العربى فى باب الوصايا من الفتوحات : إياكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله ، فإن لهم من الله الولاية العامة . فهم أولياء الله ولو أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا لايشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته ، وإنما جاز لنا هجر أحد الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه ، ثم قال : وإذا عمل أحدكم عملا توعد الله عليه بالنار فليمحه بالتوحيد فإن التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة . لابد من ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كأنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب يقولون : (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) . وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال فى سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتاً فى الجنة » .

وفى الحديث يقول صلى الله عليه وسلم : « إذا قال العبد لا إله إلا الله فتح الله السموات حتى ينظر إلى قائلها » فهذا هو الحديث وتعالى الله عز وجل أن تحجبه السموات عن النظر إلى العبد . وإنما هذا

النظر كما قال العارفون هو فيض الرحمة الإلهية على العبد وهو رحمة خاصة من عنده تخرق السموات وتنزل إلى صاحبها ثم يدخر له ثوابها .

العتاقة الصغرى

وفى المجالس السنية أن السادة الصوفية ذكروا أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة أعتق الله بها رقبته أو رقبة من قالها له من النار . وكان السادة الصوفية يحافظون على قراءة هذا العدد لأنفسهم ولمن مات من أهليهم وإخوانهم ولو أخذ الذاكر أجرة على ذلك وقد ذكرها الإمام اليافعى والعارف الكبير سيدى محى الدين بن العربى وأوصى بالمحافظة عليها . وذكر أنه قد ورد فيها خبر نبوى ورأيت فى شرح صغرى الصغرى للإمام السنوسى : أنه ورد فى ذلك خبر صحيح . وتقرأ إما متصلة أو موزعة بحسب الطاقة والإمكان لميت بعد دفنه .

وحكوا أن شاباً صالحاً من أهل الكشف ماتت أمه فصاح وبكى وخر مغشياً عليه . ثم سئل عن سبب بكائه وصياحه فذكر أنه رأى أمه فى النار . وكان بعض المشايخ من السادة حاضراً وكان قد قال هذه السبعين ألفاً . وأراد أن يدخرها لنفسه . فلما رأى هذه الحالة قال فى نفسه عندما سمع قول الشاب المذكور : اللهم إنك تعلم أنى هللت هذه السبعين ألف تهليلة وكنت أريد أن أدخرها لنفسى ولكن أشهدك أنى اشتريت بها أم هذا الشاب . فما استتم أو أراد إلا تبسم الشاب وسر سروراً عظيما وقال : الحمد لله الذى أرانى أمى قد خرجت من النار وأمر بها إلى الجنة . قال الشيخ المذكور : فحصل لى فائدتان صدق الخبر الوارد فى شأن قراءة السبعين ألف تهليلة وأنها فدية من النار . وصدق كشف هذا الشاب .

العتاقة الكبرى

فائدة استطرادية فى ذكر العتاقة الكبرى : روى أن من قرأ سورة الإخلاص مائة ألف مرة أعتقه الله من النار وبعث منادياً ينادى فى القيامة من كان له دين على فلان فليأتنى مأديه عنه وليفعل مايقدر عليه فى كل يوم حتى يكمل العدد المذكور . وتلاوتها تكون مع البسملة فى كل مرة واستقبال القبلة وعدم الكلام فى وقت الذكر أفضل .

ومما يدل على صحة ماجرى به العمل من العتاقة الصمدية ماقاله الأستاذ الجوهرى فى حاشيته على شرح المصنف للسنوسى حيث قال : فائدة : ذكر لنا شيخنا العياشى أن من قرأ مائة ألف مرة الصمدية أو قرئت له أو اتفق له ذلك فى عمره ذلك العدد فإنه يكون يوم القيامة مكفراً حتى للتبعات وأنه مناد : يا مادح الله ادخل الجنة فقد تحملنا عنك التبعات . . هكذا ذكر لنا .

ثم بعد ذلك اطلعت على حديث فى عقيدة الأجهورى ونصه : روى البزار عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى مناد من قبل الله تعالى فى سمواته وفى أرضه ألا إن فلاناً عتيق الله فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله » قال الجوهرى : والظاهر أن هذا الحديث صحيح بدليل أن الأجهورى سلمه ولم يتعقبه بشىء .

وفى كتاب الجامع مسائل كل واحدة بفدية من النار . الأولى سورة الإخلاص مائة ألف مرة فى عمره والثانية : باسم الله الرحمن الرحيم مائة ألف مرة . وعن العياشى قال: من قرأ سورة الصمدية مائة ألف مرة كفرت صغائره وكبائره وقال : علموها للطلبة لتعود عليهم بركتها .

وفى كتاب البغية لسيدى محمد العربى بن السائح الشرقى العمرى « فائدة » قال : رأيت فى بعض كتب الأسرار أن من قرأ البسملة ثمانمائة مرة كانت له فدية من النار لحديث قدسى فى ذلك « من جاء يوم القيامة وفى صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم ثمانمائة مرة وكان مؤمنا موقنا بربوبيتى أعتقته من النار وأدخلته الجنة دار القرار » .

وفى كتاب سلوة الحزين فى فقد البنين مايدل لصحة عتاقة التسبيح ففيها مانصه وقد ورد أن من قال سبحان الله وبحمده ثلاثمائة مرة وأهدى ثوابها للميت فإن الله سبحانه وتعالى يعتقه من النار بمنه وكرمه ، وهى رواية صحيحة اهـ .

وفى الجامع الصغير : من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فى الصلاة أو فى غيرها كتب الله له براءة من النار . وفى الجامع الصغير أيضا . من قرأ قل هو الله أحد مائتى مرة غفر الله له ذنوب مائتى سنة . وفى الجامع الصغير أيضا : « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى نفسه من النار . أى يجعل الله له ثواب قراءتها عتقه من النار » . قال المناوى : وينبغى قراءتها لذلك عن الميت .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله ، وهذه فائدة عظيمة ينبغى للعاقل أن يحافظ عليها وغنيمة جسيمة يواظب عليها ولا يستخف بذلك إلا محروم ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أكثروا من الصلاة على فى يوم السبت فإن اليهود تكثر من سبى فيه فمن صلى على فيه مائة مرة فقد أعتق نفسه من النار وحلت له الشفاعة يشفع يوم القيامة فيمن أحب » .

والوجه فى ترتيب هذه الأذكار هو مناسبة حال السالك . وذلك لأن فى تقديم الاستغفار تطهير الباطن من أدران المعاصى وسائر المخالفات ليتهيأ للتحلية بما ينتجه له غير الاستغفار وهو الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والهيللة الشريفة ، وفى تقديم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم استنارة الباطن وكنس بقايا الأدران ومحو ظلمها ليتهيأ لحل مايرد عليه من أسرار الحقائق التوحيدية وأنوار المعارف المفاضة عليه من الحضرة الفردية الصمدية .

وقد سئل الدقاق رضى الله عنه : بماذا يقوم الرجل اعوجاجه . فقال : بالتأدب بإمام ، فإن لم يتأدب بإمام بقى بطالا . فإذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت أخلاقه وظهر على ظاهره أنوار ذلك . فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الأدب حتى تنتهى به إلى المحافظة على اجتناب أمور غير مستنكرة فى ظاهر العلم ويكون ترك محافظته عليه ذنباً من مثله ، وقد يعاتب عليه وقد يعاقب من أجله .

قال السرى رضى الله عنه : صليت العشا : واشتغلت بوردى ليلة من الليالى ومددت رجلى فى المحراب فنوديت : يا سرى هكذا تجالس الملوك ؟ فضممت رجلى ثم قلت : وعزتك وجلالك لامددت رجلى أبداً ، قال الجنيدى رضى الله عنه : فبقى ستين سنة مامد رجله لا ليلا ولا نهاراً .

وروى أن رجلا أتى إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه فقال : يا أبا إسحاق إنى مسرف على نفسى فأعرض على ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً ، قال : إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصية ولم توبقك لذة ، قال : هات ياأبا إسحاق . قال: أما الأولى فإذا أردت أن تعصى الله عزوجل فلا تأكل رزقه . قال : فمن أين آكل وكل ما فى الأرض رزقه ؟ قال : يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ قال : لا ، هات الثانية ، قال : وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن مكاناً من بلاده . قال الرجل : هذه أعظم من الأولى ، ياهذا إذاكان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن ؟ قال: ياهذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟ قال : لا ، هات الثالثة ، قال : وإذا أردت أن تعصيه وأنت تأكل رزقه وفى بلاده فانظر موضعاً لا يراك فيه فاعصه فيه ، قال إبراهيم: ماهذا وهو مطلع على ما فى السرائر ، قال : ياهذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويعلم سرك ونجواك ؟ قال : لا ، هات الرابعة ، قال : إذا جاءك ملك الموت لقبض روحك فقل له : أخرنى حتى أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله صالحاً ، قال : لايقبل منى ، قال : يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير ، فكيف ترجو وجه الخلاص ؟ قال . هات الخامسة ، قال : إذا جاءك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلاتذهب معهم ، قال: إذاً لايدعوننى ولا يقبلون منى ، قال : فكيف ترجو النجاة إذن قال يا إبراهيم : حسبى حسبى أنا استغفر الله وأتوب إليه ، ولزم العبادة حتى فارق الدنيا .

ذكر طلب الرزق من الله عز وجل وحده
والاعتماد عليه فيه لا على الأسباب وحدها

قد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه هو الرازق كما هو الخالق كما هو المحيى المميت فقرن بين هذه الأربع مع ترتيب الحكمة والقدرة ، فكيف يختلف حكمها أو يتبعض وصفها لظهور الأسباب ووجود الواسطة فقال سبحانه وتعالى (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) فكما ليس فى الثلاث الأخر جاعل ومظهر إلا الواحد . فكذا ليس فى الرابعة من الرزق إلا هو ، ألا ترى أنك لا تقول : خلقنى أبى ، وإن كان هوسبب خلقك . ولا تقول أحيانى وأماتنى فلان وإن كان واسطة فى الإحياء والقتل لأن هذا شرك ظاهر . ولذلك قال الله تعالى (أفرأيتم ماتمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) وقال تعالى (أفرأيتم ماتحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) .

فأضاف الإمناء والحرث إلينا لأنها أعمال ونحن عبيد عمال ولأنها صفاتنا وأحكامها عائدة علينا وأضاف الخلق والزرع اليه لأنها آيات عن قدرته وحكمته . وكذلك كل ما ذكر فى الكتاب من

الأعمال والاكتساب أضيف إلى الجوارح المجترحة ونسب إلى الأدوات المكتسبة . وما كان من القدرة والإرادة وصف نفسه به لأنه المريد الأول والقادر الأعلى .

ثم قد يقول العبد : فلان أعطانى وفلان منعنى ، فهذا من الشرك الخفى . لأنها هى الأسباب فقط تجرى على أيديهم وبواسطتهم فحجبوا بها عن المسبب للأسباب واستتر عنهم المعطى المانع . فالله عز وجل نفى الرزق عن سواه كما نفى الخلق ، فقال : هل من خالق غير الله يرزقكم .

وفى وصية لقمان لابنه : يابنى اردد رغبتك إلى الله إن شاء أعطاك وإن شاء منعك . فإن حيلتك لن تزيدك ولن تنقصك من قسمة الله التى قسم لك . واعتبر رزقك بخلقك . فإن استطعت أن تزيد فى خلقك بحيلتك فإنك إذاً تزيد فى رزقك . وإلا فاعلم أن الله هو الذى عدل الخلق وقسم الرزق فلن تستطيع أن تزيد فى أحد منهما فإن من العباد المحتال الجلد البطوش ولا يزداد إلا فقراً . ومنهم المعى الواهن المهين ولايزداد ماله إلا كثرة . ولو كان من الحيلة لسبق القوى الضعيف إلى كل شىء . ولكن الله هو الذى يخلق ويرزق ولايملك العباد من ذلك شيئا .

وقد دخل جماعة على الجنيد ، فقال : ماذا تطلبون؟ فقالوا : نطلب الرزق فقال : إن علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه . قالوا : نسأل الله ، قال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه ، قالوا : ندخل البيت ونتوكل وننظر ماذا يكون ؟ فقال : التوكل على التجربة شك . قالوا : فما الحيلة ؟ قال: ترك الحيلة .

فكل جميل أو جمال بجوده وصنعته عن حكمة ذات إتقان
فلا نعمة إلا ومن عنده أتت إليك وإن جاءتك من عند إنسان

وشكا رجل إلى الفضيل بن عياض حاله ، فقال له : يا أخى هل من مدبر غير الله تعالى ؟ فقال : لا . قال : فارض به مدبراً . وقال الفضيل : إذا أحب الله عبـــداً أكثر غمه وإذا أبغضه وسع عليه دنياه .

قال زين العابدين رضى الله تعالى عنه .

وإذا بليت بعسرة فاصبر لها صبر الكريم فإن ذلك أحزم
لا تشكون إلى الخلائق إنما تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم

قال بهاء الدين العاملى رحمه الله تعالى فى كتابه . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : من حبس الله الدنيا عنه ثلاثة أيام وهو راض عن الله تعالى فهو فى الجنة .

هذا : وقد سمى المال مالا لأنه مال بالناس عن طاعة الله عز وجل .

وقد شكا رجل إلى بعض الزهاد كثرة عياله ، فقال له الزاهد : انظر من كان منهم ليس رزقه على الله حوله إلى منزلى .

وورد فى بعض الكتب السماوية . يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن اليك أم لا ؟

وعن عروة عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تقول : والله يا ابن أختى أن كنا لننظر

إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، قلت ياخالة : وماكان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا . رواه البخارى ومسلم .

وروى أن لقمان عليه السلام كان يقول لابنه : يا بنى إن كل مايقضيه الله تعالى فهو خير ، وكان ابنه يقول : يا أبت إنا نشاهد الأشياء بعضها خير وبعضها شر ، فيقول له : لا ، يابنى : إن كل ما قضاه الله خير ، فاتفق أنهما سافرا سفرة طال أمدها وهلكت دوابها ، فمشيا على أرجلهما فى البرية من غير زاد ولاماء حتى أجهدهما الجوع والعطش وضاق بهما الحال حتى أشرفا على قرية ورأياها من بعد . فجدا فى السير إليها . فبينما هم كذلك إذ عثر ولده على شقة عود فطعنته فى رجله من أسفلها فخرجت من أعلاها ، فجعل لقمان يسلى ابنه على عادته ويقول له : ياولدى: إن ماأراده الله هو الخير ، فقال له ولده : يا أبت أرأيت لو وصلنا القرية سالمين ليس بنا من بأس واسترحنا من مشقة السفر واستطعمنا وشربنا أماكان خيراً لنا من هذاكله ؟ فقال له يابنى فإن هذا الذى نحن فيه خيرمما ذكرت فبينما هم كذلك إذ رأوا دخانا صاعداً من القرية متصلا بعنان السماء ، فتحيرا فى ذلك ، فأتاهم فارس وسلم عليهما واستقبلهما بالبشر والترحيب ، ثم سأل لقمان ، فقال له : أنت لقمان؟ قال : نعم ، فقال له : وأنا جبريل ، فإن الله تعالى أرسلنى إلى تلك القرية وأمرنى أن أهلكها بأن أجعل أعلاها أسفلها وأضعها فى قعرجهنم وكنت فى السماء الرابعة فرأيتكما قاصدين تلك القرية فسألت الله تعالى أن يشغلكما عنها بشاغل فوقع بولدك ماترى ، وأطعمهما وسقاهما ومسح على رجل الولد فبرئت فى الحال وانصرف فتعجبا من ذلك . ثم قال لابنه : يابنى ألم أقل لك إن كل ما قدره الله تعالى خير ؟ فقال له : نعم ياأبت الأمر كما ذكرت .

وروى أن بعض الأكاسرة سأل حكيما فى زمانه فقال له : ما بالى أرى العاقل محروماً والأحمق مرزوقاً ؟ فقال : أراد الصانع أن يدل على نفسه . ولو كان كل عاقل مرزوقاً وكل أحمق محروماً لوقع فى العقول أن العاقل يرزق نفسه والأحمق حرم نفسه . فلما رأوا الأمر بخلاف ذلك علموا أن الصانع هو الرازق وهو المعطى يتصرف فى ملكه وفى عبيده بحكمته كيف شاء .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : أتدرى لم رزقت الأحمق؟ قال: لايارب ، قال : ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد .

وكثيراً ماكان الإمام أبوحنيفة رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين :

عطاء ذى العرش خيرمن عطائكمو ... وفضله واسع يرجى وينتظر
تكدرون العطا منكم بمنكم ... والله يعطى فلا من ولا كدر

وقال رجل لأويس القرنى رضى الله عنه : أوصنى ، فقال له : فر الى ربك ، قال: فمن أين المعاش فقال : إن القلوب يخالطها الشك ، أتفر الى الله بدينك وتتهمه فى رزقك ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صباً وسحه عليه سحاً فإذا دعا قالت الملائكة: صوت معروف وقال جبريل عليه السلام: يارب عبدك فلان اقض حاجته. فيقول الله: دعوا عبدى فإنى أحب أن أسمع صوته، فإذا قال: يارب، قال الله تعالى: لبيك عبدى وسعديك لاتدعونى بشىء إلا استجبت لك ولا تسألنى شيئاً إلا أعطيتك إما أن أعجل لك ما سألت وإما أن أدخر لك عندى أفضل منه وإما أن أدفع عنك من البلاء ماهو أعظم من ذلك.

وحكى أن رجلا ضاق حاله من أجل المعيشة وطال به النكد والتعب فخرج هائماً على وجهه ودخل الصحراء فوجد قصراً خرباً وفى حائط ذلك القصر رخامة قد كتب عليها:

لما رأيتك جالساً مستقبلا ... أيقنت أنك للهموم قرين
مالا يقدر لا يكون بحيلة ... أبداً وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون
يجرى الحريص ولاينال بحرصه ... شيئاً ويحظى عاجز ومهين
فدع الهموم وتعر من أثوابها ... إن كان عندك بالقضاء يقين
هون عليك وكن بربك واثقاً ... فأخو الحقيقة شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه فى رزقه ... لما تيقن أنه مضمون

من جعل كفالة ابنته على الله تعالى

وقيل: إن بعض الأولياء ولدت له بنية فى آخر عمره وماتت أمها وحضرته الوفاة. فقال له رجل: أوصنى عليها أكفلها. قال: لا، ولكنى إذا أنا مت فاحملها إلى حرم الله تعالى ودعها فى الحجر وامض واتركها فى كفالة الله تعالى. فلما مات فعل الرجل ذلك وصار يرقبها على بعد. فرأتها أم الخليفة وهى تطوف، فأمرت بحملها فتبنتها وربتها حتى بلغت وزوجتها لابن الوزير فانظر حال من توكل على كفالة مولاه:

أيحسن بى فى داركم ونزولكم ... أوجه يوماً للعباد رجائى
يحق لمثلى أن يعود لمثلكم ... وأن أتركن جميع العباد ورائى

قال بعض الأكابر:

كن عن همومك معرضا ... وكل الأمور إلى القضا
وأبشر بخير عاجل ... تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط ... لك فى عواقبه رضا
ولربما اتسع المضيق ... وربما ضاق الفضا
الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن متعرضا
الله عوضك الجميل ... فقس على ما قد مضى

قال بعض الملوك لبعض العلماء وقد حضر العالم الوفاة: أوص بعيالك إلى. فقال العالم: إنى لأستحى من الله سبحانه وتعالى أن أوصى بعبيد الله إلى غير الله.

وقيل لبعض الصوفية : لم وصف الله سبحانه بخير الرازقين ؟ فقال : لأنه إذا كفر عبده لايقطع عنه رزقه .

وقد قال إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه :

لو أن بالحيل الغنى لوجدتنى ... بنجوم أفلاك السماء تعلق
لكن من رزق الحجا حرم الغنى ... ضدان مفترقان أى تفرق
فإذا سمعت بأن محروماً أتى ... ماء ليشربه فغاض فصدق
أو أن محظوظاً غدا كفه ... عود فأورق فى يديه فحقق

وقال حكيم :

إذا تضايق أمر فانتظر فرجاً ... فأضيق الأمر أدناه من الفرج

وقد سئل الحسين بن الفضيل : هل تجد فى كتاب الله تعالى أن الحلال لا يأتيك إلا قوتاً وأن الحرام يأتيك جزافا؟ قال : نعم . فى قصة داود عليه السلام وأهل أيله : إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم) . وذلك أن الله حرم عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم . فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر إلا اجتمع هناك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن . حتى إذا مضى السبت تفرقن ولزمن قاع البحر لايرى منهن إلا القليل .

وروى عن ابن مسعود قال : إن فى إعطاء هذا المال فتنة وفى منعه فتنة . إن أعطيه عبد مدح غير الذى أعطاه ، وإن منعه عبد ذم غير الذى منعه .

وقد روى عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب فقال: « إن فى إعطاء هذا المال فتنة وفى منعه فتنة . يغدو الرجل إلى ابن عمه فيسأله الحاجة التى قد كتبها الله له فلا يملك منه فيعطيه ما كتب له فيظل يشكر ويثنى عليه بها خيراً . ثم يعود إليه العام المقبل فيسأله الحاجة التى لم يكتبها الله له فلايملك أن يعطيه فيمنعه مالم يكتب له فيرجع فيحتقبها عليه ذنبا ويثنى عليه بها شراً ، ألا إن فى إعطاء هذا المال فتنة وفى منعه فتنة » .

وفى الخبر : إن العبد ليهتم من الليل بالأمر من أمور الدنيا من التجارة وغيرها الذى لوفعله كان فيه هلكته فينظر الله إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيباً حزينا يتطير : بجاره وبابن عمه يقول : من سبقنى من دهانى ؟ وما هو إلا رحمة رحمه الله بها .

وقد قيل إن عابداً اعتكف فى مسجد ولم يكن له معلوم ، فقال له الإمام : لو اكتسبت لكان أفضل لك . فلم يجبه حتى أعادها عليه ثلاثاً . فقال فى الرابعة : يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين . فقال الإمام : إن كان صادقا فى ضمانه فعكوفك فى المسجد خير لك ، فقال : ياهذا لولم تكن إماما تقف بين يدى الله تعالى وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيراً لك إذ فضلت وعد اليهودى على ضمان الله تعالى بالرزق .

وللإمام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى هذا المعنى :

أتطلب رزق الله من عند غيره وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضى بصراف وإن كان مشركاً ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

قال بعض العارفين : إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله الا أن يكون لنفسك فيها حظ فتحجب عن الله ، ومن علم أن الله كان كافيه لايستوحش من اعراض الخلق عنه ولا بإقبال الخلق عليه ثقة بأن الذى قسم له لايفوته وإن أعرضوا عنه والذى لم يقسم له لايصل اليه وإن أقبلوا عليه .

وقد شكا رجل إلى أهل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه ، فقال له رجل : أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف؟ قال : لا ، قال : أفيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا ، قال : أفيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا ، قال : أفيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا . قال : أفلا تستحى تشكو ربك وله عندك عروض بخمسين ألفا .

وقد سئل بعضهم: قيل له من أين تأكل : فقال للسائل: سل من يطعمنى ، وذكر الإمام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه : أن بعض الفقراء كان يأتى كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد مايطوف ماشاء الله تعالى ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها ، فلما كان بعد أيام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات . فجاء بعض من يرمقه ونظر فى الرقعة فإذا فيها : (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) قال : فكأن الرجل أصابته الفاقة ولم يظهر حاله لمخلوق حتى مات .

ومن كلام الإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنهما :

إذا كانت الدنيا تعد نفيسة فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأرزاق قسما مقدراً فقلة حرص المرء فى الكسب يجمل
وإن كانت الأجساد للموت أنشئت فقتل امرىء فى الله بالسيف أفضل
وإن كانت الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشحيح لا يدخل الجنة ، رواه الخطيب ، وروى أيضا الخطيب وغيره ، طعام السخى دواء ، وطعام الشحيح داء ، وروى ابن عساكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقسم الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل » وروى ابن أبى الدنيا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والأمل ، وروى ابن جرير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والبخل فإن البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم ، وروى الخطيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقولون أو يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أظلم عند الله من الشح يحلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله أن لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل ، وروى ابن عدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايجتمع الإيمان والبخل فى قلب رجل مؤمن أبداً » .

ماقيل فى السخاء والجود

وأما ما قيل فى السخاء والجود والحض عليه :فقد أخرج الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحـــدهما : اللهم اعط منفقاً خلفاً . ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفاً » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى « أنفق أنفق عليكم » وروى الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم بنحوه وصححه « ما طلعت شمس قط إلا وبجنبها ملكان يناديان : اللهم من أنفق فاعقبه خلفا ومن أمسك فاعقبه تلفا . وروى الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « لاتوكى فيوكأ عليك » أى لا تدخرى وتمنعى ما فى يديك فتنقطع مادة بركة الرزق عنك . وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « يابلال الق الله فقيراً ولاتلقه غنيا ، قال : وكيف لى بذلك ؟ قال : مارزقت فلا تخبأ وما سئلت فلاتمنع ، قال : وكيف لى بذلك ؟ قال : هو أو النار » .

وجاء بسند حسن أن زوجة طلحة بن عبدالله رضى الله عنه رأت منه ثقلا ، فقالت له مالك؟لعلك رابنا منا شىء فنعتبك ؟ قال: لا ، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت ، ولـكن اجتمع عندى مال ولا أدرى كيف أصنع به . قالت : وما يغمك منه ؟ ادع قومك فاقسمه بينهم ، فقال : يا غلام على بقومى . فكانت جملة ما قسم أربعمائة ألف .

وروى الطبرانى فى الـكبير : أن سيدنا عمر رضى الله عنه أرسل مع غلامه بأربعمائة دينار لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهماوأمره بالتأنى ليرى مايصنع فيها . فذهب بها إليه وأعطاها له وتأنى يسيراً ففرقها كلها . فرجع الغلام لسيدناعمر وأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل رضى الله عنه فأرسلها معه إليه وأمره بالتأنى كذلك ، ففعل ففرقها . . فاطلعت زوجته وقالت : نحن والله مساكين فاعطنا ، فلم يبق بالخرقة إلادينار ان فأعطاهما لها . فرجع الغلام لسيدنا عمر وأخبره فسر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض .

وصح أنه صلى الله عليه وسلم لما مرض كان عنده سبعة دنانير فأمر السيدة عائشة رضى الله عنها أن تعطيها لسيدنا على ليتصدق بها . فاشتغلت بإغمائه صلى الله عليه وسلم . فـكان كلما أفاق أمرها بذلك حتى أعطتها لسيدنا على . فأمست ليلة موته صلى الله عليه وسلم وليس عندها شىء ، فاحتاجت لمصباح فأرسلت إلى امرأة من نسائه تطلب منها ما تسرجه وأرسل سيدنا عمر رضى الله عنه إلى أم المؤمنين زينب رضى الله تعالى عنها بعطائها فقسمته كله لوقته فى أرحامها وأيتامها وقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامى هـــذا ، فـكانت أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقا به .

ومن الجود والسخاء والإيثار على النفس ماورد فى رسالة القشيرى من أن عبدالله بن جعفر رضى الله عنهما خرج إلى ضيعة له ، فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها إذ أتى الغلام بغذائه وهى ثلاثة أقراص ، فرمى بقرص منها إلى كلب كان هناك فأكله ، ثم رمى إليه الثانى فأكله والثالث فأكله وعبدالله بن جعفر ينظر . فقال: ياغلام كم قوتك كل يوم ؟ قال: مارأيت ، قال: فلم آثرت هذا الـكلب ؟ فقال إن هذه الأرض ليست بأرض كلاب وإنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فـكرهت رده . فقال له عبد الله : فماذا أنت صانع اليوم ؟ قال : أطوى يومى هـذا . فقال عبد الله بن جعفر

لأصحابه : يلومننى على السخاء وهذا أسخى منى ، ثم إنه اشترى الغلام وأعتقه واشترى الحائط وما فيه ووهبه للغلام ، وقد أحسن القائل :

أنفق ولاتخش إقلالافقد قسمت على العباد من الرحمن أرزاق
لاينفع البخل مع دنيا مولية ولا يضر مع الإقبال إنفاق

وقد قال الله عز وجل (ولاتمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجامنهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ، وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)

قال أبو رافع رضى الله عنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى إلى يهودى فقال : قل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يعنى كذا من الدقيق أو اسلفنى إلى هلال رجب ، فأتيته فقلت له ذلك فقال : والله لاأبيعه ولا أسلفه إلارهن . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : والله لئن باعنى أو أسلفنى لقضيته وإنى لأمين فى السماء أمين فى الأرض أذهب بدرعى الحديد إليه ، فنزلت هذه الآية (ولاتمدن عينيك إلى مامتعنا به — أعطينا — أزواجا — أصنافا — منهم — زهرةالحياة الدنيا — أى زينتهالنفتنهم فيه . أى لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغيانا ورزق ربك — فى المعاد يعنى الجنة — خير وأبقى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس إليه . فإن لم يحمل تلك فقد عرض تلك النعمة للزوال » . وقد قيل لعبد الله بن جعفر وكان جواداً اقتصد فى العطاء فإن من ذهب ماله ذل . فقال : إن الله عودنى بالإفضال على وعودته بالإفضال على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى المادة ثم تلا قوله تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

وكان أجود الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ماسئل شيئا قط فقال: لا ، فإن يكن عنده أعطى وإن لم يكن عنده استدان . أعطى عيينه بن حصن مائة من الإبل : وأعطى الأقرع بن حابس مثلها . وأعطى أعرابيا غنما بين جبلين . فانطلق الأعرابى وقال لقومه : اسلموا فإن محمداً صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لايخاف الفقر .

وقد روى أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه عرض على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه شيئا من المال ، فكره أن يأخذه ، فقال له أنفقه على بناتك ، فقال له ابن مسعود : أتخشى عليهن الفقر وقد أرتهن بقراءة سورة الواقعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

ويقول القائل :

إذا كنت فى نعمة فارعها فإن المعاصى تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

ومن الأجواد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الأعمش : كنت عنده يوما فأتى باثنين وعشرين ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها . وأعتق ألف عبد كان إذا رأى عبدا من عبده ملازما للصلاة أعتقه ، فقيل له : إنهم يخدعونك ، فقال : من خدعنا بالله انخدعنا له .

ومن الأجواد سيدنا الحسن بن الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه سمع رجلا يقول : اللهم اعطنى عشرة آلاف درهم ، فأخذ بيده وانطلق به إلى منزله فأعطاه عشرة آلاف درهم وخرج لله من ماله مرتين . وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى إنه أعطى نعلا وأمسك نعلا .

ومن المأثور عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه وقد أصاب الناس قحط فى خلافة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فلما اشتد بهم الأمر جاؤا إلى أبى بكر وقالوا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع ؟ قال لهم : انصرفوا واصبروا فإنى أرجوا الله أن لاتمسوا حتى يفرج الله عنكم ، فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيرا لعثمان بن عفان جاءت من الشام وتصبح بالمدينة ، فلما جاءت العير خرج الناس يتلقونها فإذا هى ألف بعير موسوقه برا ، وزيتا ، وزبيبا . فأناخت بباب عثمان ، فلما جعلها فى داره جاءه التجار ، فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا إنك لتعلم ما نريد بعنا من هذا الذى وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس إليه ، قال : حباو كرامة كم تربحونى على شرائى ؟ قالوا : الدرهم درهمين . قال : قد أعطيت زيادة على هذا ، قالوا خمسة . قال : قد أعطيت أكثر من هذا ، قالوا : ياعمرو مابقى فى المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد فمن الذى أعطاك ؟ قال : إن الله أعطانى بكل درهم عشرة. أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا ، قال : فإنى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين .

ومن المأثور عن سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه باع أرضا من عثمان بن عفان بأربعين دينار وقسم ذلك فى بنى زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وبعث إلى السيدة عائشة رضى الله عنها من هذا المال بأربعين ألف درهم ، فقالت : سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة .

وحمل ابن عوف مرة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسمائة فرس فى سبيل الله ، ثم حمل مرة أخرى على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله ، وشاطر الله ماله ثلاث مرات ، وأمر أن يتصدق بعد موته بثلث ماله . فعوفى فتصدق به بنفسه .

وجلس ليلة فى بيته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب جريدة بتفريق جميع ماله على فقراء المهاجرين والأنصار حتى كتب قميصه الذى على بدنه ، هذا لفلان وهذا لفلان ، ولم يترك شيئا من ماله إلا كتبه ، فلما صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ناوله الجريدة .

فنزل سيدنا جبريل عليه السلام وقال : يا محمد يقول الله لك : اقرأ السلام منى على عبد الرحمن ويأمرك أن ترد له جريدته وقل له : إن الله قد قبل صدقتك وهو وكيل الله ووكيلك فيها فليصنع فى ماله ماشاء ويتصرف فيه كما كان يتصرف فيه من قبـــل ولا حساب عليه . وروى أنه أعتق ثلاثين ألف عبد .

ومن المأثور عن سيدنا سعيد بن العاص رضى الله عنه : أن رجلا سأله ، فقال لغلامه : اعطه خمسمائة . فمضى الغلام ثم رجع مستفهما : أديناراً أم درهما ؟ فقال : ما كنت أردت إلا دراهم أما إذ قد رجعت فصيرها دنانير . فجعل الرجل يبكى . فقال له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى على أن تأكل الأرض مثلك .

ويروى عنه أنه عزل عن المدينة فانصرف ليلة من المسجد إلى منزله وحده فرأى رجلا يتبعه فقال له : ألك حاجة ؟ قال : لا . ولكنى رأيتك وحدك فوصلت جناحك ، فقال : أوصلك الله يا ابن أخى اطلب لى جلدا (أى ليكتب فيه) وادع لى مولاى فلانا . فأتاه به فكتب له صكا بعشرة آلاف درهم وأشهد عليه مولاه بها . وقال : إذا جاءت غلتنا دفعنا إليك ذلك .
فمات سعيد فى تلك السنة : فجاء الرجل بالصك إلى ولده عمرو فأمضاه وأعطاه عشرة آلاف درهم .

ولما احتضر سعيد قال لبنيه :لا يفقد أصحابى بعد موتى غير وجهى أجروا عليهم ما كنت أجرى واصنعوا إليهم ما كنت أصنع بهم واكفوهم مؤنة الطلب فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يرد عنها .
ومن الأجواد أسماء بن خارجة : فما يحكى عنه أنه رجع يوما إلى داره فرأى فتى بالباب جالسا فقال له : ما أجلسك هاهنا ؟ قال : خير ، قال : والله لتخبرنى ، قال : جئت سائلا أهل هذه الدار ما آكل فخرج إلى منها جارية اختطفت قلبى وسلبت عقلى فأنا جالس لعلها تخرج ثانية فأنظر إليها ، قال أفتعرفها إذا رأيتها ؟ قال : نعم ، فدعا بمن فى الدار من الجوارى وجعل يعرضهن عليه واحدة بعد واحدة حتى مرت الجارية . فقال : هذه . فقال له : قف مكانك حتى أخرج إليك . ثم دخل الدار وخرج والجارية معه وقال للفتى : إنما أبطأت عليك لأنها لم تكن لى وإنما كانت لبعض بناتى ولم أزل بها حتى ابتعتها منها خذ بيدها فقد وهبتها لك وهذه الألف أصلح بها شأنك .
ومن الأجواد عبيد الله بن أبى بكرة رضى الله عنه : ابتنى دارا بالبصرة أنفق عليها عشرة آلاف دينار فدخل عليه فيها بعض أصحابه واستحسنها فقال : هى لك بما فيها من الفرش والأثاث والرقيق فقال الرجل : يعمرها الله بك ويمتعك بها ، فقال : والله لتقبلنها ، فقبلها .
وأما ما قيل فى الادخار لأجل الحاجة أو الولد ، فما هو سيدنا عمر بن عبد العزيز لما مرض قيل له تركت أولادك الثلاثة عشر فقراء لا دينار لهم ولا درهم ، فقال : لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وإنما ولدى أحد رجلين ، إما مطيع لله فالله يكفيه وهو يتولى الصالحين ، وإما عاص لله فلا أبالى علام وقع .
وقيل لمن أنفق ماله الكثير : لو ادخرته لولدك ، فقال : بل ادخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى .
وعن أبى طلحة قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين .

وروى الشيخان مرفوعا « ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس » .

وروى عن حذيفة المرعشى وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم فقيل له : ما أعجب ما رأيت منه ، فقال : بقينا فى طريق مكة أياما لم نجد طعاما ، ثم دخلنا الكوفة فآوينا إلى مسجد خراب ، فنظر إبراهيم وقال : ياحذيفة أرى بك الجوع ؟ فقلت : هو مارأى الشيخ ، فقال على بداوة وقرطاس ، فجئته به ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى ، وكتب شعرا :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة وقال : اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك ، فخرجت ، فأول من لقينى كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها ، فلما وقف عليها بكى وقال : مافعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت : هو فى المسجد الفلانى ، فدفع إلى صرة فيهاستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن الراكب للبغلة ، فقال : هذا نصرانى . فجئت إلى ابراهيم وأخبرته بالقصة . فقال : لا تمسها فانه يجىء الساعة . فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم .

ومن العمل على مراعاة الأسباب مع الاعتماد على المسبب ما قيل من أن سيدنا موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام اعتل بعلة . فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته فقالوا له : لو تداويت بكذا لبرئت ، فقال : لاأتداوى حتى يعافينى الله من غير دواء . فطالت علته . فأوحى الله تعالى إليه . وعزتى وجلالى لاأبرئك حتى تتداوى بماذكروه لك . فقال لهم : داوونى بماذكرتم فداووه فبرىء . فأوجس فى نفسه خيفة من ذلك : فأوحى الله تعالى إليه : أردت أن تبطل حكمتى بتوكلك على . فمن أودع العقاقير منافع الأشياء غيرى .

وقال أبو يعقوب الأقطع البصرى : جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا . فحدثتنى نفسى بالخروج فخرجت إلى الوادى لعلى أجد شيئا يسكن ضعفى فرأيت سلجمة مطروحة ، والسلجم هو اللفت ، فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت فإذا أنا برجل أعجمى قد أقبل حتى جلس بين يدى ووضع صرة فيها خمسمائة دينار وقال : هذه لك ، فقلت: كيف خصصتنى بها ؟ قال : أعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق فنذرت إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه الخمسمائة دينار على أول من يقع بصرى عليه من المجاورين وأنت أول من لقيته . فقلت افتحها ففتحهافإذا فيهامع هذا سميد مصرى ولوز مقشور وسكر . فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى إلى أصحابك هدية منى إليكم وقد قبلتها . ثم قلت فى نفسى : رزقك يسعى إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه فى الوادى .

وعن بعض الفقراء قال : كنت يوما متفكرا فى نفقة العيال فاشتغل قلبى ساعة ، فنمت لأستريح فرأيت فى منامى كأنى فى جزيرة فى وسط بحر ، فقلت : من أين يصلنى ما آكل وما أشرب فى هذا المكان فهتف بى هاتف وقال لى : يا هذا لوكان رزقك خلف سبعة أبحر لأتاك . فانتبهت مسرورا وزال عنى ما كنت أجد ، ثم بعد ذلك جاءتنى رسالة على يد بعض الأصحاب من رجل لم يخطر ببالى ، فقلت : صدق الله تعالى فى قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

وفى الخبر أن الله تعالى أوحى إلى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل : ذنب عجلت عقوبته .

وروى أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرى عن سويد بن غفلة قال : أصابت على بن أبى طالب رضى الله عنه فاقة . فقال لفاطمة رضى الله تعالى عنها : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتته وكان عند أم أيمن ، فدقت الباب ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأم أيمن : إن هذا الدق لدق فاطمة ولقد أتتنا فى ساعة ماعودتنا أن تأتينا فى مثلها فقومى فافتحى لها الباب . قال : فقامت أم أيمن ففتحت لها الباب ، فلما دخلت قال صلى الله عليه وسلم : يا فاطمة لقد أتيتينا فى ساعة ما عودتينا أن تأتينا فى مثلها . فقالت : يارسول الله : هذه الملائكة طعامها التسبيح والتحميد والتقديس . فما طعامنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم : والذى بعثنى بالحق ما اقتبس فى آل محمد نار منذ ثلاثين يوما ، وقد أتتنا أعنز فإن شئت أمرت لك بخمسة أعنز وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن جبريل آنفا ، قالت : بل علمنى الخمس التى علمك جبريل ، قال صلى الله عليه وسلم قولى : يا أول الأولين ويا آخر الآخرين وياذا القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم الراحمين ، قال: فانصرفت حتى دخلت على على بن أبى طالب فقالت : ذهبت من عندك إلى الدنيا فأتيتك بالآخرة وذكرت له ذلك ، فقال : خير أيامك خير أيامك .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله ، وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، أى اطلبوا أرزاقكم طلباً برفق .

ومن الشعر الحسن قول بعضهم :

مثل الرزق الذى تطلبه   مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه مستعجلا   وإذا وليت عنه تبعك

وروى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلى بعض الصحارى فرأى قنبرة عمياء عرجاء ضعيفة ، فوقف متعجبا منها متفكرا فيما تأكل مع عجزها عن الطيران والمشى والرؤية . فبينما هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت منها سكرجتان فى إحداهما سمسم نقى وفى الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ، ثم انشقت الأرض وغابت السكرجتان ، قال فلما رأيت ذلك اطمأن قلبى وسقط عنه الاهتمام الشديد بالرزق .

قال بعض العلماء أيها المخلوق ما قدر لما ضغيك أن يمضغاه فلابد أن يمضغاه . فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل .

وقال بعض الأغنياء كنت نائما وإذا بإنسان قد وقف على فى عالم النوم وزجرنى وقال أجب الملهوف فانتبهت وأنا مذعور ولم أدر ما أصنع . فأوقع الله فى قلبى أن آخذ صرة فيها مائة دينار . وركبت دابة وأطلقت زمامها . فخرجت بى من العمران إلى مسجد خرب ووقفت . فنزلت ودخلت المسجد فوجدت مسكينا وهو يتضرع إلى الله تعالى ويسأله من فضله . فسألته عن حاله فقال: أنا صاحب عيال ولى بنيات منذ ثلاث ما طعموا فأنا أسأل الله تعالى من فضله . فدفعت له المائة دينار وقلت له ، إذا نفدت فاسأل عنى فأنا فلان . وائتنى . فقال : لا والله ما أسأل غير الله . ثم انصرفت متعجبا من ثقته بالله تعالى .

وقيل كان رجل فى سفر ومعه قرص . فقال إن أكلته لم أجد غيره . فوكل به ملكا فقال له : إن أكله فارزقه غيره وإن لم يأكله فلا تعطه غيره . فلم يزل القرص معه حريصا عليه إلى أن مات ولم يأكله وبقى القرص عنده . والله عز وجل يقول : (وما تنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) ويقول عز وجل لعبده : أنفق أنفق عليك .

وقال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد فأصابتنى فاقة فرأيت آخر المرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت . ثم فكرت فى نفسى أنى سكنت واتكلت على غيره وآليت أن لا أدخل المكان الذى قصدته إلا أن أحمل إليه . فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا ينادى : يا أهل المرحلة إن لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه . فجاء جماعة فأخرجونى وحملونى إلى القرية .

حال من عقد مع الله عقدا أن لا يسأل غيره

وقال رجل له حال مع الله عز وجل : عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لا أسأل أحدا شيئا أكتفى بعلم الله بحالى قال: فبقيت أياما فى الطريق ففتح الله على بالماء والزاد فى وقت الحاجة . ثم وقف الأمر ولم يفتح الله على بشىء فجعت وعطشت حتى لم يبق لى طاقة فضعفت عن المشى وبقيت أتأخر عن القافلة قليلا قليلا حتى مرت القافلة . فقلت فى نفسى : هذا الآن منى إلقاء النفس إلى التهلكة وقد منع الله من ذلك . وهذه مسئلة الاضطرار أسأل الناس . فلما هممت بالسؤال انبعث من باطنى إنكار لهذه الحال وقلت : عزيمة عقدتها مع الله لا أنقضها وهان على الموت دون نقض عزيمتى . فقصدت شجرة وقعدت فى ظلها وطرحت رأسى استطراحا للموت وذهبت القافلة . فبينما أنا كذلك إذ جاءنى شاب متقلد بسيف وحركنى فقمت . وفى يده إداوة فيها ماء . فقال لى : اشرب فشربت ثم قدم لى طعاما وقال : كل فأكلت . ثم قال لى : أتريد القافلة ؟ فقلت : من لى بالقافلة وقد عبرت ؟ فقال لى : قم . وأخذ بيدى ومشى معى خطوات . ثم قال : اجلس فالقافلة إليك تجىء . فجلست ساعة فإذا بالقافلة ورائى متوجهة إلى . هذا شأن من يعامل مولاه بالصدق .

قال يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه : على قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق .

وقال إبراهيم الخواص رضى الله عنه : تهت فى البادية حتى ضرنى الحال فسمعت نباح كلب فاصغيت إليه وأخذت نحوه فإذا أنا بلص قد صفعنى . فقلت فى نفسى : هذا جزاء من توكل على مخلوق . فقيل لى فى سرى : يا إبراهيم ما دمت فى خفارتنا . أى جوارنا وعهدنا . كنت عزيزاً فلما دخلت فى خفرة كلب سلط عليك الخلق . فتبت إلى الله تعالى وإذا بالذى صفعنى قد سقط عن جرف وطار رأسه .

حال من لازم باب سيدنا عمر

روى أن رجلا لازم باب سيدنا عمر رضى الله عنه . فإذا هو بقائل يقول : يا هذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله تعالى ؟ اذهب فتعلم القرآن فإنه سيغنيك عن باب عمر . فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فإذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة . فجاءه عمر . فقال له . إنى قد اشتقت إليك . فما الذى شغلك عنى ؟ فقال له : إنى قرأت القرآن فأغنانى عن عمر وآل عمر . فقال له عمر : رحمك الله فما الذى وجدت فيه ؟ فقال : وجدت فيه . (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فقلت : رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض . فبكى عمر وقال : صدقت . فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه .

قال النبى صلى الله عليه وسلم من أصبح وهو يشكو ضيق المعاش فكأنما يشكو ربه ومن أصبح لأمور الدنيا حزينا فقد أصبح ساخطاً على الله ومن تواضع لغنى لغناه فقد ذهب ثلثا دينه .

لا تسألن بنى آدم حاجة وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبنى آدم حين يسئل يغضب

جميع ما تحتاجه من قليل أو كثير جليل أو حقير فاطلبه من الغنى القدير .

قال تعالى لسيدنا موسى عليه السلام : يا موسى جلنى ملح قدرك وشراك نعلك .

قال القشيرى : يقال : إن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ربه سبحانه وتعالى أن يأذن له أن يضيف يوما جميع الحيوانات . فأذن الله تعالى له . فأخذ سليمان فى جمع الطعام مدة طويلة فأرسل الله تعالى له حوتاً واحداً من البحر فأكل كل ما جمعه سليمان فى تلك المدة الطويلة . ثم استزاده . فقال سليمان لم يبق عندى شىء . ثم قال له : وأنت تأكل كل يوم مثل هذا ؟ فقال رزقى كل يوم ثلاثة أضعاف هذا . ولكن الله لم يطعمنى اليوم إلا ما أطعمتنى أنت فليتك لم تضيفنى فإنى بقيت اليوم جائعاً حيث كنت ضيفك وفى هذا إشارة إلى كمال قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه وسعة خزائنه إذ مثل سليمان مع سعة ملكه وقوة سلطانه الذى آتاه الله تعالى عجز أن يشبع مخلوقا واحداً من مخلوقات الله تعالى فسبحان المتكفل بأرزاق خلقه .

وعن سيدنا عمران بن حصين رضى الله عنه قال : أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بعمامتى من ورائى وقال : يا عمران إن الله يحب الإنفاق ويبغض الاقتار . فأنفق وأطعم ولا تعسر فيعسر عليك الطلب وقد قال القائل .

مثل الرزق الذى تطلبه　　مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا　　فإذا وليت عنه تبعك

فالنفقة على الأهل والأولاد وتحمل المشاق فى تحصيل القوت لهؤلاء فيه جزيل الفضل. قال عليه الصلاة والسلام «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر فى رفع اللقمة إلى فى امرأته» وقال عليه الصلاة والسلام «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين».

قول ابن المبارك وهو فى الغزو

وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه فى الغزو . أتعلمون عملا هو أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا : لا قال : رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه منكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه .

وقال أبو حمزة الخرسانى : حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشى فى الطريق إذ وقعت فى بئر . فنازعتنى نفسى أن أستغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان . فقال أحدهما للآخر : تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد . فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر . فهممت أن أصيح فقلت فى نفسى : إلى من أصيح ؟ هو أقرب منهما وسكت . فبينا أنا بعد ساعة إذا أنا بشىء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول فى همهمة له. تعلق بى. كنت أعرف ذلك فتعلقت به فأخرجنى . فاذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف : يا أبا حمزة : أليس هذا أحسن؟ نجيناك من التلف بالتلف . فمشيت وأنا أقول :

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى　　وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى امرى فأبديت شاهدى　　إلى غائبى واللطف يدرك باللطف
تراءيت لى باللغيب حتى كأنما　　تبشرنى بالغيب أنك بالكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة　　فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف
وتحيى محبا أنت فى الحب حتفه　　وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وحكى ابن خلكان وغيره فى ترجمة الإمام أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى أنه كان يوما على سطح جامع بمصر يأكل شيئا وعنده بعض أصحابه . فحضرهم (قط) فرموا له لقمة فأخذها فى فيه وذهب ثم عاد فرموا له شيئا فأخذه وذهب ثم عاد . ففعل ذلك مرارا كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذ ويغيب ثم يعود من فوره . وتعجبوا منه . فتبعوه فاذا هو يأخذ ذلك الطعام ويدخل به إلى خربا فيها شبه البيت الخراب وفى سطح ذلك البيت (قط) أعمى فإذا هو يضع الطعام بين يديه . فتعجبوا من ذلك . فقال الشيخ ابن بابشاذ : إذا كان هذا حيوان أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم

بكفايته ولم يحرمه الرزق . فكيف يضيع مثلى . ثم قطع الشيخ علائقه وترك خدمة السلطان ولزم بيته عاكفا على العبادة متوكلا على الله تعالى إلى أن مات .

وروى أن سيدنا سليمان عليه السلام خرج يوما يستسق ومعه الإنس والجن فر بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهى تقول : اللهم إنا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بنى آدم واسقنا . فقال سليمان لمن معه : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم .

النملة التى دبت على سليمان

وحكى أن نملة دبت على سليمان . فحملها ورمى بها . فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش ؟ أما علمت أنى أمة من أنت عبده . فغشى على سليمان . فلما أفاق . قال : ائتونى بها . فأتوه بها . فسألها . فقالت له : جلدى رقيق وبدنى ضعيف وأخذتنى ورميتنى . فقال لها سليمان : اجعلينى فى حل فإنى لم أقصد ذلك . فقالت بشرط أن لا تنظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق فى شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك إلا بذلته له . قال : قد فعلت ذلك : قالت : فأنت فى حل .

وقد ذكر المقريزى أن بعض الثقاة أخبره أنه سار فى بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقتلع أحدهم من الحائط لبنة فإذا هى كبيرة جداً فسقطت فانفلقت عن حبة فول فى غاية الكبر فكسروها فوجدوها سالمة من السوس كأنها كا حصدت فأكل كل منهم قطعة منها وكأنها ادخرت لهم من زمن فرعون . فإن حائط العجوز بنيت عقب غرق فرعون . فلن تموت نفس حتى تستوفى رزقها .

وقد قيل : قرأ الأصمعى قول الله عز وجل (وفى السماء رزقكم وماتوعدون) فسمع ذلك أعرابى فنزل عن ناقته وذبحها وفرق لحمها وعمد إلى سيفه فكسره وقال : أى حاجة لى فى ذلك وقد تكفل لى الرب بالرزق . ثم اجتمع عليه فى عام آخر فقال له : إنى فى بركة ذلك إلى الآن . وهل بعد ذلك شىء قال : نعم . وتلا (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فوقع الأعرابى مغشيا عليه ثم أفاق فقال : من ذا الذى أغضب الرب حتى أقسم . قال ذلك ثلاثا . ثم خرجت روحه ، وهذا شأن المتحلى بأوصاف الجلال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت » .

فواجب أن يطلب العبد الرزق برفق مع مراعاة الأسباب وعدم تركها . فقد فعل ذلك شخص وصار إلى الجبل يعبد الله فمنعه الله الرزق ثم سمع النداء : أتريد أن تبطل حكمتى بورعك .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر فدخل عليه فأخرجه ، قال الله تعالى (إن مع العسر يسراً) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه فى سبيل الله إنما الجهاد ، أى الأكبر ، السعي فى طلب الكسب الحلال ، للقيام بأمر النفس والعيال » . يدل على هذا قوله صلى الله

عليه وسلم « من عال والديه وعال ولده » أى أصوله وفروعه المحتاجين « فهو فى جهاد » لأن جهاد الكفار ببلدهم فرض كفاية . والقيام بنفقة من تلزمه نفقته فرض عين . « ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو فى جهاد » أى أفضل من جهاد الكفار لما تقدم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة وما أطعمت نفسك فهو لك صدقة » أى إن نواها فى الكل كما دل عليه تقييده فى الخبر الصحيح بقوله : يحتسبها صدقة . رواه المقدم بن معديكرب بإسناد صحيح .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ما اعتصم بى عبد من عبادى دون أحد من خلقى عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السموات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن .

والله عز وجل يقول « وعزتى وجلالى ومجدى وارتفاعى على عرشى لأقطعن أمل كل متوسل من الناس فى غيرى باليأس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحينه من قربى ولأبعدته من وصلى . أيؤمل غيرى فى الشدائد والشدائد بيدى ؟ ويرجو غيرى ويقرع بالفكر باب غيرى وبيدى مفاتيح الأبواب وهى مغلقة وبابى مفتوح لمن دعانى ؟ فمن الذى أملنى لنوائبه فقطعته دونها ؟ ومن الذى رجانى لعظيمة فقطعت رجاءه منى ؟ جعلت آمال عبادى عندى محفوظة . أفلم يرضوا بحفظى ؟ وملأت سمواتى ممن لا يمل من تسبيحى وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بينى وبين عبادى . أفلم يثقوا بقولى ؟ ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبى أنه لا يملك كشفها أحد غيرى إلا من إذنى ؟ فما لى أراه لاهيا عنى ؟ أعطيته بجودى ما لم يسألنى ثم انتزعته عنى فلم يسألنى رده وسأل غيرى . أفترانى أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سائلى ؟ أبخيل أنا فيبخلنى عبدى ؟ أو ليس الجود والكرم لى ؟ أو ليس العفو والرحمة بيدى ؟ أو لست أنا محل الآمال فمن يقطعها دونى ؟ أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيرى فلو أن أهل سمواتى وأهل أرضى أملوا جميعا ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكى مثل عضو ذرة . وكيف ينقص ملك أنا قيمه ، فبؤساً للقانطين من رحمتى وبؤساً لمن عصانى ولم يراقبنى » .

مكتوب فى التوراة

ونقل بعضهم أنه مكتوب فى التوراة : يا ابن آدم جعلت لك قراراً فى بطن أمك وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفزع من الرحم وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام وجعلت لك متكئا عن يمينك ومتكئا عن شمالك فأما الذى عن يمينك فالكبد . وأما الذى عن شمالك فالطحال وعلمتك القيام والقعود فى بطن أمك ، فهل يقدر على ذلك أحد غيرى ؟ فلما تمت حملك أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك على ريشة من جناحه لا لك سن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بها وأنبعت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك يجريان لبنا خالصا حاراً فى الشتاء بارداً فى الصيف وألقيت محبتك فى قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد فلما قوى ظهرك واشتد أزرك بارزتنى بالمعاصى واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد على وتسترت ممن يراك وبارزتنى بالمعاصى فى خلواتك ولم تستح منى . ومع هذا إن دعوتنى أجبتك وإن سألتنى أعطيتك وإن تبت إلى قبلتك .

فى الكلمات التى أنزلت على سيدنا موسى

وفى الكلمات العشر التى أنزلت على سيدنا موسى صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى ابن عمران : سبحنى وقدسنى لا إله إلا أنا فاعبدنى ولا تشرك بى واشكرنى ولوالديك إلى المصير أحييك حياة طيبة ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فتضيق عليك السماء بأمطارها وتضيق الأرض برحبها ولا تحلف باسمى كاذباً فإنى لا أطهر ولا أزكى من لم يعظم اسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك ولا تحفظ عينك ولا يقف عليه قلبك فإنى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة فأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فإن الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى . ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات . ولا تذبح لغيرى فإنه لا يصعد إلى من قربان الأرض إلا ما ذكر عليه اسمى ، ولا تغدرن بحليلة جارك فإنه أكبر مقتا عندى . وأحبب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك .

وهذا فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الآيات) .

وفى بعض كتب الله المنزلة : يا ابن آدم لو رأيت قلبك ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حيلك ، وإنما يلقاك غداً ندمك إذا زل بك قدمك فلاأنت إلى الدنيا عائد ولا فى عملك زائد .

قول بنت حاتم الأصم لإخوتها

حكى أن حاتماً الأصم قال لأولاده : إنى أريد الحج فبكوا وقالوا إلى من تكلنا ؟ وكان له بنت لها سبع سنين ، فقالت : ما يبكيكم دعوه يذهب فليس هو برازق ، فخرج . فباتوا جياعاً : فجعلوا يوبخون تلك الصبية ، فقالت : اللهم لاتخجلنى بينهم ، فجاز أمير البلد عليهم فقال لبعض أصحابه : اطلب لى ماء . فناولوه كوزاً جديداً وماء بارداً فشرب وقال : دار من هذه؟ فقالوا : دار حاتم الأصم فرمى فيها منطقة من ذهب وقال : من أحبنى وافقنى ، فرمى العسكر كله ، فجعلت الصبية الصغيرة تبكى ، فقالت لها أمها : يابنية ما يبكيك وقد وسع الله علينا ؟

فقالت : أبكى لأن مخلوقاً نظر إلينا فاستغنينا ، فكيف لو نظر إلينا الخالق القادر العظيم ؟ عز وجل .

هذا وقد دبر الله الملك والملكوت تدبيراً كافيا لأهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مدبر الأسباب لا إلى الأسباب فإنها من صنعه سبحانه وتعالى .

ذكر الخوف من الله عزوجل ووصف الخائفين

قدكان أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول : المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر . وكذلك قال أبو يزيد : إذاتوجهت إلى المسجدكأن فى وسطى زناراً أخاف أن يذهب

بى إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عنى الزنار ، فهذا لى كل يوم خمس مرات . هذا لعلمهم بسرعة تقلب القلوب فى قدرة علام الغيوب .

وقد روى عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه قال : يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصى ونحن معشر الأنبياء نخاف الكفر .

شكوى بعض الأنبياء إلى الله تعالى

وروى أن نبيا شكا إلى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين . فأوحى الله تعالى إليه : أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بى حتى تسألنى الدنيا ؟ فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال : بلى : قد رضيت يارب فاعصمنى من الكفر .

وفى اليواقيت والجواهر : أن نبيا من الأنبياء شكا بعض ما أصابه من المكروه إلى الله تعالى . فأوحى الله تعالى إليه : كم تشكونى ولست بأهل ذم ، هكذا بدء شأنك فى علم الغيب أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك وأبدل اللوح بسببك ؟ إلى آخر ما ورد .

وفى منهاج العابدين للإمام الغزالى : أن نبيا من الأنبياء ابتلى بالجوع والقمل وغيرهما من أنواع الضرر فسأل الله تعالى الراحة من ذلك . فأوحى الله تعالى إليه : إن هذا الذى ابتليتك به هو الذى سبق به قضائى ، وقدرى ، فوعزتى وجلالى لئن تلجلج هذا فى صدرك لأمحون اسمك من ديوان النبوة .

مرور سيدنا موسى على شخص مقعد

وروى أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مر على شخص فى كهف وهو ساجد يقول فى سجوده : الحمد لله الذى فضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا ، فنظر موسى عليه السلام إليه فإذا هو مقعد وليس له يدان ولا رجلان ، فقال له موسى لما فرغ من صلاته . وما الذى فضلك به ؟ فقال يا عبد الله : فضلنى بكونه خلقنى مسلماً ولم يخلقنى كافراً . فرفع موسى طرفه إلى السماء وقال : يا رب أعطه الجنة . فأوحى الله تعالى إليه : كأنك يا موسى تقول : زده من البلاء ، ثم نظر موسى إليه فإذا السبع ينهش فى بطنه حتى أكله ، فقال موسى عليه السلام : هكذا تفعل بأوليائك ؟ فقال هكذا أفعل يا موسى بأوليائى .

سألتنى له الجنة ، وهى لاتنال إلا بالبلاء ، ولو أنك سألتنى له الدنيا لأعطيتها له .

وعن مشاهدة هذا المعنى كان خوف الحسن البصرى رحمه الله تعالى وحزنه لعلمه بأن الله عز وجل لايبالى مافعل ، نخاف أن يجعله نكالا لأصحابه وموعظة لأهل طبقته . يقال : إنه ماضحك أربعين سنة ، وكنت إذا رأيته قاعداً كأنه أسير قدم ليضرب عنقه ، وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها وإذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه ، وعوتب فى شدة حزنه فقال : مايؤمننى أن يكون الله قد اطلع على فى بعض ما يكره فمقتنى . فقال : اذهب فلا غفرت لك .

تمنى فريق من الصحابة أنه لم يخلق

وقد كان فريق من الزهاد من عليه الصحابة يتمنون أنهم لم يخلقوا بشراً وقد بشروا بالجنة يقيناً . من ذلك قول سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : ليتنى مثلك يا طير وأنى لم أخلق بشراً . وقوله : لو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله . وقوله رضى الله عنه : لوددت أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن . وقد قال له رضى الله عنه بعض الصحابة حين احترق قلبه من خوف الله عز وجل : أليس قد بشرت بالجنة ؟ فقال رضى الله عنه : أخشى أن تكون على شروط وتتخلف .

وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : وددت أنى كنت كبشا ذبحنى أهلى لضيفهم . وقوله رضى الله عنه : وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجر لى ولا وزر على . ولما مرض كانت رأسه فى حجر ولده عبدالله . فقال له : ياولدى ضع رأسى على الأرض . فقال له عبدالله ابنه : وما عليك إن كانت على فخذى أم على الأرض ؟ فقال : ضعها على الأرض . فوضع عبد الله رأسه على الأرض ، فقال : ويلى وويل أخى إن لم يرحمنى ربى . فلما مات رآه العباس رضى الله عنه . فقال له : كيف وجدت الأمر يا أمير المؤمنين ؟ قال : كاد عرشى يهوى بى لولا أنى وجدت ربا رحيما .

وقول أبى ذر رضى الله تعالى عنه : وددت أنى شجرة تعضد . وقول طلحة والزبير رضى الله تعالى عنهما : وددنا أنا لم نخلق.

وقول سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . وددت أنى إذا مت لا أبعث .

وقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها : وددت أنى كنت نسيا منسيا .

وقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : ليتنى كنت رمادا ، وفى رواية عنه : ليتنى كنت بعرة . ليتنى لم أك شيئاً .

وروى فى خبر أن رجلا من أهل الصفة استشهد ، فقالت أمه : هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله تعالى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع مالا يضره .

وفى حديث آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم : دخل على بعض أصحابه وهو عليل ، فسمع أمه تقول : هنيئا لك الجنة ، فقال : من المتألية على الله عز وجل ؟ فقال الرجل : هى أمى يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ، ويبخل بما لا يغنيه .

فهذه المعانى أحرقت قلوب الخائفين .

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم « شيبتنى هود وأخواتها سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون ، لأن فى سورة هود (ألا بعداً لثمود . ألا بعداً لعاد قوم هود . ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) وفى سورة الواقعة (ليس لوقعتها كاذبة) يعنى وقعت السابقة لمن سبقت له ، وحقت الحاقة :

بمن حقت عليه (خافضة رافعة) خفضت قوما فى الآخرة كانوا مرفوعين فى الدنيا حين ظهرت الحقائق وكشفت عواقب الخلق ، وأما سورة التكوير ، ففيها خواتم المصير ، وهى صفة القيامة لمن أيقن وفيها تجلى صفات الغضب لمن عاين آخر ذلك (وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت) .

وروى عن أبى سهل رحمه الله تعالى قال : رأيت كأنى أدخلت الجنة فلقيت فيها ثلاثمائة نبى ، فسألتهم : ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا ؟ فقالوا : سوء الخاتمة ، فالخاتمة هى من مكر الله تعالى الذى لا يوصف ولا نهاية لمكره ، لأن مشيئته وأحكامه لا غاية لها .

وروى الطبرانى فى الأوسط قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه ، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياجبريل مالى أراك متغير اللون ؟ فقال ماجئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صف لى النار أو انعت لى جهنم ، فنعتها له حتى وصفها وصفاً تقشعر منه الأبدان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حسبى ياجبريل لا ينصدع قلبى فأموت ، قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل وهو يبكى ، فقال : تبكى ياجبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به ؟ فقال : ومالى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها . وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة . وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت . قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل . فما زالا يبكيان حتى نوديا : أن يا جبريل ويا محمد : إن الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه . فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون . فقال أتضحكون ووراءكم جهنم ، فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما استثغتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عزوجل . فنودى : يا محمد لا تقنط عبادى إنما بعثك مبشرا ولم أبعثك معسرا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « سددوا وقاربوا » .

بكاء النبى صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك الخبر المشهور أن النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا خوفاً من الله تعالى . فأوحى الله إليهما ، لم تبكيان وقد أمنتكما ؟ فقالا : ومن يأمن من مكرك ، فلولا أنهما علما أن مكره لانهاية له ، لأن حكمه لاغاية له لم يقولا : ومن يأمن مكرك مع قوله : قد أمنتكما ، ولكان قد انتهى مكره بقوله ولكان قد وقفا على آخر مكره ، ولكن خافا من بقية المكر الذى هو غيب عنهما وعلما أنهما لا يقفان على غيب الله تعالى إذ هو علام الغيوب ، فكأنما خافا أن يكون قوله تعالى : قد أمنتكما مكرى مكراً منه أيضا بالقول على وصف مخصوص عن حكمة قد استأثر بعلمهما يختبر بذلك حالهما وينظر كيف يعملان تعبداً منه لهما إذ الابتلاء وصفه من قبل أن المبتلى اسمه فلا يترك مقتضى وصفه لتحقق اسمه ولا تبدل سنته التى قد خلت فى عباده كما ابتلى خليله عليه السلام لما هو المنجنيق به فى الهواء ،

فقال: حسبى الله ربى. فعارضه جبريل عليه السلام. فقال له: ألك حاجة؟ قال لا. علمه بحالى يغنينى عن سؤالى. فصدق القول بالعمل.

وقد كان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول: أعطانى الله أربعين عهداً وميثاقاً أنه لا يمكر بى حين رأيته فى المنام ومع ذلك فأنا غير آمن مكر الله تعالى بى لعلمى بسعة إطلاقه وأنه يفعل مايشاء.

واعلم أن حقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى: وهو كما فسره بعض العلماء بأنه الاحتيال والخداع والخبث: وبهذا الإعتبار عبر عنه بعض اللغويين: بأنه السعى بالفساد: وفسره بعضهم: بأنه صرف الغير عما يقصد بحيلة. وهذا الأخير: إما محمود بأن يتحيل فى أن يصرفه إلى خير. وعليه يحمل قوله قوله (والله خير الماكرين) وإما مذموم بأن يتحيل به فى أن يصرفه إلى شر. ومنه قوله تعالى (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله).

وقد سأل رجل الجنيد رحمه الله تعالى: كيف حسن المكر من الله سبحانه وتعالى وقبح من غيره؟ فقال: لا أدرى ما تقول ولكن أنشدنى فلان الطبرانى:

فديتك قد جبلت على هواكا فنفسى لا تطالبنى سواكا
أحبك لا ببعضى بل بكلى وإن لم يبق حبك لى حراكا
ويقبح من سواك الفعل عندى وتفعله فيحسن منك ذاكا

فقال له الرجل: أسألك عن آية من كتاب الله وتجيبنى بشعر الطبرانى؟ فقال له: ويحك أجبتك إن كنت تعقل.

فالحذر من الأمن من مكر الله تعالى. واستحضر قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايبق بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».

وفى حديث البخارى «إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة. ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار. وإن الأعمال بالخواتيم».

ولا يتكل على ذلك فإن الصحابة رضوان الله عليهم لما سمعوا ذلك، قالوا: ففيم العمل يارسول الله؟ أفلا نتكل على كتاب أعمالنا؟ قال لهم: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى).

تأمل ما حصل لابن السقا

وتأمل ماحصل لابن السقا(١) فإنه كان من مشاهير علماء بغداد فضلا وذكاء وقع له مع بعض الأولياء

---

(١) سيأتى فى آخر باب كرامات الأولياء ماحصل له مع سيدى غوث البغدادى فانظره هناك.

أنه أنكر عليه فدعا عليه فانتقل به الحال إلى القسطنطينية فهوى أمرأة فتنصر لأجلها ثم مرض فأتى على الطريق يسأل . فمر به بعض من يعرفه . فسأله عن حاله فحكى له فتنته وأنه تنصر ويريد أن يستحضر حرفا واحداً من القرآن فلا يقدر عليه ولا يمر بخاطره . قال ذلك الرائي له : فمررت عليه بعد قليل فرأيته محتضراً ووجهه إلى الشرق فصرت كلما أدرت وجهه إلى القبلة التفت إلى الشرق ولا زال كذلك حتى خرجت روحه .

ما حصل لمؤذن بمصر

وكان بمصر مؤذن عليه سيما الصلاح فرأى نصرانية من المنارة فافتتن بها . فذهب إليها فامتنعت أن تجيبه لريبة وقالت له : أنت مسلم ولا يرضى أبي أن أتزوج بك . فقال لها : إنه يتنصر . فقالت : الآن يجيبك ؛ فتنصر ووعدوه أن يدخلوه عليها . ففي أثناء ذلك اليوم رقى سطحا لحاجة فزلقت قدمه فوقع ميتاً . فلا هو بدينه ولا هو بها نعوذ بالله من مكره ونعوذ به منه وبمعافاته من عقوبته وبرضاه من سخطه . قاله ابن حجر في كتابه الزواجر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذنب شؤم على غير فاعله » نبه على هذا لخفائه وأما شؤمه على فاعله فمعلوم . ثم بين وجه شؤمه على غير فاعله بقوله : « إن عيره » أي إن عير الغير به فاعله « ابتلى به » في نفسه « وإن اغتابه » أي ذكره به في غيبته « أثم » ما لم يتجاهر « وإن رضى به » أي بفعله « شاركه » في الإثم لأن الراضى بالمعصية كفاعلها .

كان بالمغرب رجل يدعى أبا الخيار

وقد ذكر أبو العباس العريف رحمه الله تعالى في كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الإرادة قال : كان بالمغرب رجل يدعى أبا الخيار رحمه الله تعالى . أصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه التسعين وهو في الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار وعم جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة . قال الذي حدث عنه : رأيته يصلي على الماء . ثم لقيت بعده محمد الإسفنجي فإذا هو الأبرص . فقلت : يا سيدي كأن الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم وأنتم خاصة أوليائه ؟ قال : فقال لي : اسكت لا تقل ذلك . أنه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله شيئاً أشرف ولا أقرب إليه من البلاء . فسألناه إياه . فكيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد وإمام الأولياء الأوتاد بغار في أرض طرطوس وجبالها لحمه يتناثر وجلده يسيل قيحاً وصديدا وقد أحاط به الذباب والنمل : فإذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما أعطاه من الرحمة وأسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر .

وكان بعض العارفين يقول : لو علمت أحداً على التوحيد خمسين سنة ثم حالت بيني وبينه اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد .

وكان أبو محمد سهل رحمه الله يقول : خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل حركة وكل خطوة وهمة يخالفون البعد من الله تعالى . وهم الذين مدحهم بقوله عز وجل (وقلوبهم وجلة) .

وكان بعض العارفين يقول : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام . قيل له : ولم ؟ قال : لأنى لا أدرى ما يعرض بقلبى من المشاهدة فيما بين الحجرة وباب الدار فيغير التوحيد .

بكاء سفيان عند احتضار

ولما احتضر سفيان رضى الله عنه جعل يبكى ويجزع ، فقيل له : يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك ، فقال : أو على ذنوبى أبكى ؟ لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال أن ألقى الله تعالى بأمثال الجبال من الخطايا ، وقال مرة : ذنوبى أهون من هذه ورفع حبة من الأرض ، إنما أخاف أن أسلب التوحيد فى آخر الوقت ، وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كان يبول الدم من شدة الخوف ، وكان يلتفت إلى حماد بن سلمة فيقول: يا أباسلمة ترجو لمثلى العفو ، أيغفر لمثلى ، فيقول فيقول حماد : نعم أرجو له .

إن العرش جوهرة يتلألأ

ويقال : إن العرش جوهرة يتلألأ ملء الكون فلا يكون للعبد وجد فى حال من الأحوال إلا طبع مثاله فى العرش على الصورة التى يكون عليها العبد ، فإذا كان يوم القيامة ووقف للمحاسبة أظهرت له صورته من العرش فرآى نفسه على هيئته التى كان عليها فى الدنيا فذكر فعله بمشاهدته نفسه فيأخذه من الحياء والرعب ما يجل عن الوصف .

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج عمله للناس كائناً ما كان ، ومقصود الحديث الشريف التحذير من عمل المعاصى سراً فإن الله عز وجل إذا عصاه عبد أول مرة قال للملائكته : استروا عليه ، فاذا تمادى قالت الملائكة : يارب لم يفد الستر فلم ينزجر فأذن لنا فى كشف سره ، فيأذن لهم ، فكشف ستر العاصى دليل على أنه تكرر منه الذنب .

وفى أبيات لأبى نواس يرجو بها عفو مولانا جل وعلا ، قال :

يا رب إن عظمت ذنوبى كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا ... فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى إليـــك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم إنى مسلم

ذكر فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم أن ماورد فى فضيلة الخوف كثير . وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين . الهدى والرحمة والعلم والرضوان . وهى مجامع مقامات أهل الجنان . قال الله تعالى (وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال تعالى (إنمايخشى الله من عباده العلماء) وصفهم بالعلم لخشيتهم . وقال عزوجل: (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) .

وكل مادل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم . ولذلك جاء فى خبر سيدنا موسى عليه أفضل الصلاة والسلام : وأما الخائفون فإن لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه . فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الأعلى . وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثتهم . ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض موته بين البقاء فى الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول : أسألك الرفيق الأعلى .

فثمرة الخوف العلم . وثمرة العلم الورع والتقوى . ولا يخفى ما ورد فى فضائلهما ، قال الله تعالى (لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وإنما التقوى : عبارة عن كف بمقتضى الخوف ، وقال الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال عز وجل (وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) أى لأن من نظر إلى صفات الجلال تلاشى عنده الخوف من غيره بكل حال ، وأشرق نور اليقين على فؤاده فتجلت له العلوم ، وانكشف له السر المكتوم .

قال الشاذلى

قال الشاذلى رضى الله عنه : نمت ليلة فى سياحتى فأطافت بى السباع فما وجدت أنساً مثل تلك الليلة ، فأصبحت فخطر لى أنه حصل لى من مقام الأنس بالله شىء فهبطت وادياً فيه طيور الحجلة فأحست بى فطارت . فخفق قلبى رعباً . فنوديت : يامن كان البارحة يأنس بالسباع مالك وجلت من خفقان الحجلة ؟ لكنك البارحة كنت بنا واليوم بنفسك .

أبو الخير الأقطع

وقد قصد شخص زيارة أبى الخير الأقطع فصلى أبو الخير المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً ، فقال الزائر فى نفسه : ضاع سفرى ، فلما سلم خرج فقصده سبع فخرج الأقطع خلفه وصاح على الأسد قائلا : ألم أقل لك لاتتعرض لأضيافى ؟ فتنحى الأسد عنه ، ثم قال: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد .

الأمة السوداء

وحكى أن سفينة أرست على جزيرة فوجد من فيها ، أى فى الجزيرة أمة سوداء تصلى ولا تحسن القراءة ولاالركوع ولاالسجود ولاعدد الركعات ، فقالوا لها : ماهكذا تكون الصلاة ، افعلى كذا

وكذا ، ثم سارت بهم السفينة عنها بعيداً فإذا بها تجرى على وجه الماء وتقول : علمونى فإنى نسيت . فبكوا وقالوا لها : ارجعى وافعلى ما كنت تفعلين .

فضيلة التقوى

فأمر الله بالخوف وأوجبه وشرطه فى الإيمان . فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضيلة التقوى « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، فإذا هم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم ، فيقول : يا أيها الناس إنى قد أنصت إليكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم ، إنما هى أعمالكم ترد عليكم . أيها الناس إنى قد جعلت نسباً وجعلتم نسباً فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم ، قلت : إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأبيتم إلا أن تقولوا : فلان ابن فلان ، وفلان أغنى من فلان ، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى . أين المتقون فيرفع للقوم لواؤهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب » .

وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة مخافة الله » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقانى فأكثر من الخوف بعدى » .

منصور بن عمار مع امرأة

مر منصور بن عمار فوجد شاباً يحدث امرأة فانصرف الشاب وتقدم منصور إلى المرأة وكلمها أن تذهب معه إلى بيته فمشت خلفه إلى أن دخل منزله فقعد ووقف منصور يصلى ، فطول عليها ، فلما سلم قالت له : يا هذا طولت على ، فقال لها : ما تقولين فى رجل عليه حق بأربعة شهود والحاكم يعلم به هل يقدر أن يمتنع عنه بجحود ؟ قالت : لا والله . قال : فإن معى ملكين ومعك ملكين والحاكم يعلم . فاضطربت المرأة ووقعت ميتة .

طاووس اليمانى وامرأة

كان طاووس اليمانى بمكة فراودته امرأة عن نفسه ، فلم يزل حتى أتى بها إلى المسجد الحرام والناس مجتمعون ، فقال : اقضى ما تريدين ؟ قالت : فى هذا الموضع والناس ينظرون قال فالحياء من نظر الله أحق ، فتابت المرأة وحسنت توبتها .

الفضيل بن عياض وابنته

وقيل إن الفضيل بن عياض كانت له ابنة صغيرة فوجع كفها ، فسألها يوما وقال : يا بنية ما حال كفك ؟ فقالت : يا أبت بخير والله لئن كان الله تعالى ابتلى منى قليلا فلقد عافى منى كثيراً . ابتلى كفى وعافى سائر بدنى . فله الحمد على ذلك . فقال : يا بنية أرينى كفك فأرته إياه فقبله ، فقالت : يا أبت أناشدك الله ، هل تحبنى ؟ قال : اللهم نعم . فقالت : سوأة لك من الله . والله ما ظننت أنك تحب مع الله سواه ، فصاح الفضيل وقال : ياسيدى صبية صغيرة تعاتبنى فى حبى لغيرك ، وعزتك وجلالك لا أحببت معك سواك .

وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير . وقال الشبلي : ماخفت الله يوما إلا رأيت له بابا من الحكمة .

وفي خبر سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام . وأما الورعون فإنه لايبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه إلا الورعون . فإني أستحي منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل وعزتي لا أجمع على عبد خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء » .

أولاد سليمان بن أبي جعفر المنصور

قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالرواية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيبة وصورة حسنة ومروءة . فقال : من يبغي خادما من يبغي ساقيا . فقلت : دونك هذه القربة فأخذها وانطلق فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طيناً وأثرت القربة في كتفيه . فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال : ألكم غيرها . قلنا : لا . وأطعمناه قرصاً بارداً . فأخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيراً . ثم اعتزل وقعد يأكل أكل الجائع . فأدركتني عليه الشفقة . فقمت إليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت له منه فقلت : قد علمت أنه لم يقع منك القرص بموقع . فدونك هذا الطعام . فنظر في وجهي وتبسم . وقال : يا عبد الله إنما هي فورة جوع فلا أبالي بأي شيء رددتها عني . فرجعت عنه . فقال لي رجل جنبي . أتعرفه؟ قلت: لا. قال : إنه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب . هذا من ولد سليمان بن أبي جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له أثر . فأعجبني قوله . ثم اجتمعت به وآنسته وقلت له : يا فتى أنا رجل من إخوانك وقد بلغني موضعك فأحببت الاتصال بك . فهل لك أن تعادلني فإن معي فضلا من راحلتي . فجزاني خيراً . وقال : لو أردت هذا كان لي معداً . ثم أنس إلي وجعل يحدثني . فقال : أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ وإني أمرت خادماً لي أن تحشو لي فراشا من حرير ومخدة بوردة نثير . فبينما أنا نائم إذا بقمع ورد قد غفلت عنه الخادمة . فقمت إليها فأوجعتها ضرباً . ثم عدت إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة . فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال لي : أفق من غشيتك . وأبصر من حيرتك . ثم أنشأ يقول :

يا خد إن توسدت ليناً وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به فلتندمن غداً إذا لم تفعل

قال : فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي إلى ربي هاربا . فهذا خبري . قال الراوي: فلما قضى حديثه هذا انخنس عني ومضى .

وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى : من خاف الله تعالى ذاب قلبه . واشتد لله حبه . وصح له لبه . وكان

أبوالحسن الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين .

وهذا القائل من خوفه يقول :

من ذنوبى يحق لى أن أنوحا لم تدع لى الذنوب قلبا صحيحا
أخلقت مهجتى أكف المعاصى ونعانى المشيب نعيا صريحا
كلما قلت قد برى جرح قلبى عاد قلبى من الذنوب جريحا
إنما الفوز والنعيم لعبد جاء فى الحشر آمنا مستريحا

قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى : ورد فى الخبر أن الملائكة تعرج إلى السماء بكتاب عبد وهو مملوءا بالسيئات . فإذا وقفوا لعرضه على اللوح المحفوظ وجدوا مكانه من اللوح المحفوظ مملوءا من الحسنات فيخرون من شدة الخوف على وجوههم لله سجداً ويقولون : سبحانك سبحانك . وعزتك ما كتبنا عليه إلا ماعمل ، فيقول لهم جلت قدرته : صدقتم يا ملائكتى لكن عبدى أشفق من زلته وخاف من معصيته فتشفع إلى بدمعته فناداني بذلته وأقبل على بالبكاء والنداء فجدت عليه بالفضل والكرم .

سؤال السيدة عائشة للرسول صلى الله عليه وسلم

وقالت السيدة عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنها . قلت : يارسول الله (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) هو الرجل يسرق ويزنى ؟ قال : لا . بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه .

البكاء من خشية الله تعالى

وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب من حر وجهه إلا حرمه الله على النار » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها » وقال صلى الله عليه وسلم « لايلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع » وقالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها . قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب ؟ قال : نعم « من ذكر ذنوبه فبكى » .

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى : ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة . فإن سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها بحاراً من النيران ، ولو أن رجلا بكى فى أمة ماعذبت تلك الأمة .

وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب إلى من أن أتصدق بجبل من ذهب . وقال سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار .

وقال بعض الصالحين : رأيت فتحا الموصلي يوماً يبكي فإذا دموعه قد مازجها الدم فقلت : بالله عليك يا فتح على ماذا بكيت الدم ؟ فقال : لولا أنك حلفتني ما أخبرتك : بكيت الدموع على تخلفي عن واجب حق الله تعالى . وبكيت الدم خوفاً على الدموع أن لا تكون صحت لي . قال : فلما مات رأيته في المنام . فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي . قلت : ما صنع بدموعك ؟ قال : قربني ربي عز وجل وقال لي : يا فتح بكيت الدموع على ماذا ؟ قلت : عن تخلفي عن واجب حقك . قال : فالدم على ماذا ؟ قلت على الدموع أن لا تكون صحت لي . فقال : يا فتح : ما أردت بهذا كله ؟ وعزتي وجلالي : لقد صعد إلى حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة قط .

شاد الملوك بناءهم وتحصنوا ... من كل طالب حاجة او راغب

عجباً لمسكين تذلل سائلا ... لسوى الإله وطالب من طالب

مالي سواك وإن أضر بي الأسا ... فبباب جودك قد حططت ركابي

ولأنت أعلم بالسرائر والذي ... أخفيه فاسمح لي بنيل رغائبي

قال الله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم) في بعض الأخبار المروية المسندة : تشهد عليه أعضاؤه بالذلة : فيتطاير شعره من جفن عينيه فتستأذن في الشهادة له . فيقول الحق جل شأنه : تكلمي يا شعرة عينه وا حتجي لعبدي . فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي : هذا عتيق الله بشعره .

الذين يظللون تحت ظل العرش

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبعة يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمساجد . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال . فقال : إني اخاف الله . ورجلان تحابا في الله . ورجل غض عينيه عن محارم الله . وعين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله ؟ ورجل تصدق بصدقة فلم تعلم يمينه ما أنفقت شماله ، وقد نظم السبعة المذكوره أبو شامة فقال :

وقال النبي المصطفى إن سبعة ... يظلهم الله العظيم بظله

محب عفيف ناشيء متصدق ... وباك مصل والإمام بعدله

وذكر السبع لا مفهوم له فقد روى الاظلال لذوى خصال أخر تتبعها بعضهم فبلغت سبعين . فمنها من أنظر معسراً أو وضع عنه ومن أعان مجاهداً في سبيل الله أو غارماً في عسرته أو مكاتباً في رقبته عن زيادة ورجل كان في سرية في قوم فلقوا العدو فانكشفوا فحمى آثارهم حتى نجوا ونجا أو استشهد ومنها الوضوء على المكاره . والمشي إلى المساجد في الظلم وإطعام الجائع حتى يشبع . ومن أعان أخرق . والتاجر الصدوق . وحسن الخلق ولو مع الكافر . ومن كفل يتيماً أو أرملة . والذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه . وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم والحزين واللفظ حديثه « صل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله والناصح للوالي في نفسه وفي عباد الله . ومن لم يكن على

المؤمنين غليظاً وكان بهم رؤفا رحيما ومن يعزى الثكلى وواصل رحمه . وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتاماً صغاراً فقالت لا أتزوج أقيم على أيتامى حتى يموتوا أو يغنيهم الله . وعبد صنع طعاماً فأضاف ضيفه فأحسن ضيافته فدعا اليتيم والمسكين لوجه الله . ورجل حيث توجه علم أن الله معه . ورجل يحب الناس لجلال الله تعالى ورجل لم تأخذه فى الله لومة لائم . ورجل لم يمد يده إلى ما لا يحل له . ورجل لم ينظر إلى ما حرم الله عليه . والذين لم يتقون فى أموالهم الربا . ولا يأخذون على أحكامهم الرشا . ومن فرج عن مكروب من أمته صلى الله عليه وسلم . ومن أحيا سنته . ومن أكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وذرارى المسلمين . والذين يعودون المرضى ويسقون الهلكى . والصائمون ومحبة سيدنا على بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه . ومحبة شيعته ومن قرأ إذا صلى الغداة ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى ويعلم ما تكسبون . ومن ذكر الله تعالى بلسانه وقلبه . والذين يستغفرون بالأسحار . ومن لا يحسد الناس . ومن بر والديه . ومن لا يمشى بالنميمة ومن قتل فى سبيل الله : والمعلم لكتاب الله . ورجل أم قوما وهم له راضون ورجل كان يؤذن فى كل يوم وليلة . وعبد أدى حق الله وحق مواليه . والقاضى لحوائج الناس . والمهاجرون . وشخص لم يمش بين اثنين بمراء قط . ومن لم يحدث نفسه بزنا قط وحملة القرآن . وأهل الورع .

ومن الناس من يريد الله عز وجل بابتلائهم ببلاء الدنيا لرفع درجاتهم عنده . منهم من قال فى شأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كان ولا يكون مؤمن إلى يوم القيامة إلا وله جار يؤذيه » ومنهم من قال فى شأنه صلى الله عليه وسلم لو كان المؤمن فى جحر ضب لقيض الله له (أى قيد) من يؤذيه ، إما بضرب أو سب أو نحو ذلك . لأن المؤمن محبوب لله تعالى فيجعل ذلك تكفيراً لذنوبه أو رفعاً لدرجاته ووبالا على ذلك المؤذى .

وروى عن حنظلة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا . فرجعت إلى أهلى فدنت منى المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا فى الدنيا . ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت فى نفسى : قد نافقت حين تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة . فخرجت وجعلت أنادى : نافق حنظلة فاستقبلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال : كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافق حنظلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا لم ينافق حنظلة : فقلت يا رسول الله : كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلى وأخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه . فقال صلى الله عليه وسلم : يا حنظلة ، لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطريق وعلى فراشكم .

« ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » أو كما قال صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين متين فأوغل ـ أى سر ـ فيه برفق » أى لا تحمل نفسك وتكلفها ما لا تطيق فتعجز فتترك الدين والعمل . فالذى يبالغ بغير رفق ويتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك أن يمل حتى ينقطع عن الواجبات فيكون مثله الذى أجهد

دابته فى سفره حتى أعياها أو عطبت ولم يقض وطره . كما إلى ذلك بقية الحديث . فان المنبت أى المنقطع فى سفره . لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

فهؤلاء بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شددوا على أنفسهم فى العبادة وحرموها من طيبات الحياة فلم يرض ذلك منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين لهم أن دين الله يسر و بين لهم أن لبدنهم عليهم حقاً ولأهلهم عليهم حقاً وأن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى فلو كان فى المشقة خير ما نهاهم عنها وأمرهم بغيرها . وها هو أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نذر أن يصوم فى الشمس قائماً فأمره النبى صلى الله عليه وسلم بإتمام الصوم فى الظل . قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: أمره النبى صلى الله عليه وسلم بإتمام ما كان لله طاعة ونهاه عن تعذيب نفسه . لأن الله لم يضع تعذيب النفوس سبباً للتقرب إليه ولو كان فى سبيل عبادة الله .

وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فوجد حبلا ممدوداً بين ساريتين . فقال : ما هذا ؟ قالوا حبلا لزينب . تصلى فاذا كسلت أو فترت أمسكت به . فقال : حلوه : ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر قعد .

وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن معاذاً يطيل الصلاة بالناس . فقال له : أفتان أنت يا معاذ ؟ وقال صلى الله عليه وسلم : إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة وقد غضب لذلك غضبا شديداً :

ذكر أحوال الملائكة والانبياء والصحابة وغيرهم فى الخوف والصبر على مشاق الحياة

روت السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت الريح العاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد فى الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله . وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا دخل فى الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل . وقال صلى الله عليه وسلم : ما جاءنى جبريل قط إلا وهو يرعد فرقا من الجبار ، وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله إليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : يارب ما نأمن مكرك . فقال الله تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكرى .

وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام سأل جبريل : ، مالى لا أرى ميكائيل يضحك ؟ فقال جبريل : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ، وقال ابن عمر رضى الله عنهما : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال : يا ابن عمر : مالك لا تأكل ؟ فقلت : يا رسول الله لا أشتهيه . فقال لكنى أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربى لأعطانى ملك قيصر وكسرى . فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت فى قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين فى قلوبهم . قال : فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت الآية الكريمة

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية . فإن الحياة بيد الله . الا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد » . ومع هذا فقد قال صلى الله عليه وسلم : عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فإذا جعت تضرعت إليك . وإذا شبعت حمدتك وشكرتك .

زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاها فقال لي : ياعمران إن لك عندنا منزلة وجاها . فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله . فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة . فقرع الباب وقال : السلام عليكم . أدخل ؟ فقالت : ادخل يا رسول الله . قال : أنا ومن معي ؟ قالت : ومن معك يا رسول الله ؟ فقال : عمران بن حصين . فقالت : والذي بعثك بالحق نبياً ما علي إلا عباءة فقال : اصنعي بها هكذا : وأشار بيده . فقالت : هذا جسدي فقد واريته . فكيف برأسي ؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة . فقال : شدي بها على رأسك . ثم أذنت له بالدخول فدخل فقال : السلام عليك يابنتاه كيف أصبحت ؟ قالت : أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدني الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لاتجزعي يابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا . ثم ضرب بيده على منكبها وقال : أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة . إلى آخر الحديث . وفي الخبر إنهم لم يكن لهم في البيت إلا كساء كانوا إذا غطوا به رؤسهم انكشفت أرجلهم وإذا غطوا به أرجلهم انكشفت رؤسهم وفي الليلة التي كانت السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها عروساً وزفت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه كان تحتهما جلد شاة كان ينامان عليه وما كان للسيدة فاطمة من متاع البيت سوى كساء ومخدة من ليف . لاجرم ينادى لها قوم القيامة : يا أهل الموقف : غضوا أبصاركم حتى تمر سيدة النساء فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها .

شكوى أهل الصفة

وقال بعض أهل الصفة : جئنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يارسول الله أحرق بطوننا التمر . فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر ثم قال : مابال أقوام يقولون : أحرق بطوننا التمر . أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم مما واسونا به والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم إلا الأسودان الماء والتمر .

مجىء السيدة فاطمة بكسرة لأبيها

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاءت فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة . فقال : أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام .

ويحكى عن عطاء رضى الله عنه أنه بقى سبعة أيام لم يذق شيئاً من الطعام ولم يقدر على شىء . فسر قلبه بذلك غاية السرور . فقال : يارب إن لم تطعمنى ثلاثة أيام أخر لأصلين لك ألف ركعة .

حال فتح الموصلى

وقيل : إن فتح الموصلى رضى الله عنه رجع ليلة إلى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجاً ولا حطباً فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع إليه ويقول : إلهى لأى سبب وبأى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما عاملت به أولياءك ؟

وقال بشر الحافى رضى الله عنه : إن بنتاً لفتح الموصلى عريت . فقيل له : ألا تطلب من يكسوها ؟ فقال لا أكسوها حتى يرى الله عريها وصبرى عليها . قال : فكان إذا كان ليالى الشتاء جمع عياله ومال بكسائه عليهم . ثم قال : اللهم أفقرتنى وأفقرت عيالى وجوعتنى وجوعت عيالى وأعريتنى وأعريت عيالى بأى وسيلة توسلت إليك ؟ وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح ؟

وقال أبو مسلم الخولانى رضى الله عنه : ما طلبت شيئاً من الدنيا قط فيأتى لى . حتى لقد ركبت مرة حماراً فلم يمش فركبه غيرى فعدا جرياً . فرأيت فى منامى قائلا يقول : لا يحزنك ما زوى الله عنك من الدنيا فإنما يفعل ذلك بأوليائه .

وقيل للربيع بن خيثم رضى الله عنه : قد غلا السعر . فقال : نحن أهون على الله من أن يجيعنا إنما يجيع أولياءه .

ومن كلام الربيع بن خيثم : لو كانت الذنوب تفوح رائحتها ماجلس أحد إلى أحد .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : كان يسمع أزيز قلب ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم إذا قام فى الصلاة خوفاً من ربه .

شكوى داود لمولاه وما قيل فى شأنه

وقال عبد العزيز بن عمر : لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال : إلهى : بح صوتى فى صفاء أصوات الصديقين . وروى أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يارب أما ترحم بكائى ؟ فأوحى الله تعالى إليه : يا داود أنسيت ذنبك وذكرت بكاءك . فقال : إلهى وسيدى . كيف أنسى ذنبى وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجارى على جريه ، وسكن هبوب الريح وأظلنى الطير على رأسى وأنست الوحوش إلى محرابى . إلهى وسيدى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك ؟

فأوحى الله تعالى إليه : يا داود ذلك أنس الطاعة ، وهذه وحشة المعصية . يا داود : آدم خلق من خلقي . خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري . وشكا إلى الوحدة فزوجته حواء أمتي وأسكنته جنتي . عصاني فطردته عن جواري عرياناً ذليلا . يا داود : اسمع مني : والحق أقول : أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك . وإن عدت إلينا قبلناك .

والذي ينبغي المصير إليه في شان ما قيل عن خطيئة سيدنا داود هو ما قاله أهل الحق وهو ما أجاب به سيدنا ومولانا وأستاذنا وشيخنا شيخ الطريقة والحقيقة الشيخ سيدي أحمد بن محمد التجاني رضي الله تعالى عنه . فقد سئل رضي الله عنه عن أقوال المفسرين في حق سيدنا داود عليه السلام فقال رضي الله عنه : معاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم . وإنما حكى الله عنه أن الخصمين اختصما في نعج من الغنم لا غير كما قال الله تعالى (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) إلى قوله وأناب . ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح ولا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان ظاهره يلزم من المحال وكلا الأمر منتف هنا . فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه ولا قرينة تصرفها عن الظاهر .

وإذا فهمت هذا تبين لك أن الآية على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أن يذكر حتى في صالحي عامة المؤمنين . فكيف يقال : في صفوة الله هذا التاويل الشنيع نعوذ بالله من التخليط فقال السائل للشيخ رضي الله عنه . فما تاب سيدنا داود عليه السلام ؟ فقال رضي الله عنه : من ظنه أنه أخطا في الحكم فقط لا غير كما أخبر الله عنه (وظن داود أنما فتناه) الآية .

فانظر رحمك الله هذه الطريقة البيضاء الذي كل من سلكها باعد موارد الغلى . قال السائل للشيخ رضي الله عنه : فاذا كانت توبته مما ذكرت . فما معنى قوله تعالى : فغفرنا له ؟ فاجاب رضي الله عنه بقوله : غفر له ظنه . فقال له السائل : ظنه ليس بذنب في نفس الأمر . فاجاب رضي الله عنه بقوله : أكابر الصديقين ليسوا كغيرهم فانهم يؤاخذون بمثاقيل الذر . لأن الحضرة مطلوبة بالأدب . فمن كان في حضرة الحق وغفل أو نسي ولو في أقل القليل يؤاخذ ولم يعذر كغيره وان كان في ظاهر الشرع غير ذنب لعلو مرتبتهم عند الله تعالى . وإنما أطلق عليه هذا مجازاً وان كان مباحا لغيرهم من العامة فهو كما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

ما قيل في شأن داود عليه السلام

وقال سيدي محي الدين بن العربي في الفتوحات المكية : جميع من عين حقيقة معاصي الأنبياء وخطاياهم فهو مخطيء . كما في قصة داود عليه السلام فيعتقد بعضهم أنها النظر المحرم الى امرأة أوريا . والحق أن تلك الخطيئة انما هي رفع رأسه عليه الصلاة والسلام بغير حضور نية صالحة في الرفع . فإن حركات الأكابر وسكناتهم لا تكون الا باذن خاص : ولا يكفيهم مطلق الإباحة كغيرهم . فلما رفع عليه الصلاة والسلام رأسه وقع بصره على امرأة أوريا فصرفه فوراً . فكان عين الخطيئة رفع بصره بغير اذن خاص لا عين النظر المحرم لعصمته . وعلى ذلك ينزل خبر ، كانت خطيئة أخي داود النظر ،

فإنه أطلق النظر فشمل السماء والحائط وغير ذلك ولم يخص شيئاً بعينه . على أن من غير خطيئة محرمة لا يجد فى ذلك قط دليلا عن الشارع صلى الله عليه وسلم لا صحيحاً ولا ضعيفاً وإنما نشأ ذلك من بعض اليهود استحلوا أعراض الأنبياء بكلام مشين ما أنزل الله به من سلطان . قال : والعجب وضع بعض المفسرين ذلك فى تفسيره ويصير بعضهم يقول : قال المفسرون كذا وذلك لا يجوز .

فعن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهى حد الفرية على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وقد قال الإمام الحفنى فى حاشيته على الجامع الصغير : إن السجدة التى فى سورة ص سجدها سيدنا داود عليه السلام شكراً لله عز وجل على قبول توبته من خلاف الأولى الذى حصل منه حيث أمر شخصاً أن ينزل عن زوجته ليتزوجها . وكان ذلك معتاداً فيما بينهم . والحال أن معه تسعا وتسعين زوجة . ففعل كما فى الآية إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة إلى آخره . فخلاف الأولى جائز على الأنبياء دون المكروه والحرام . وهذا وإن وقع لغيره من الأنبياء كآدم لكنه لم يقع من أحد انه بكى حتى نبت من دموعه العشب غيره .

حال يحيى بن زكريا

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر إلى عبادهم قد لبسوا دروع الشعر والصوف ونظر إلى مجتهديهم فهاله ذلك . فرجع إلى أبويه فمر بصبيان يلعبون . فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب : فقال : إنى لم أخلق للعب: قال : فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا . فرجع إلى بيت المقدس . وكان يخدمه نهاراً ويمسى فيه ليلا حتى أتت عليه خمس عشرة . فخرج ولزم أطواد الأرض وشعابها ، فطلبه أبواه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكانى منك ، فرده أبواه إلى بيت المقدس ، فكان إذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر ويبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه ، فلم يزل يبكى حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه : يابنى لو أذنت لى أن أتخذ لك شيئاً توارى به أضراسك عن الناظرين ، فأذن لها . فعمدت إلى قطعتى لبود فألصقتهما على خديه ، فكان إذا قام يصلى بكى ، فإذا استنقعت دموعه فى القطعتين أتت إليه أمه فعصرتهما ، فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعى أمه قال : اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين . فقال له زكريا يوماً : يا بنى إنما سألت ربى أن يهبك لى لتقر عيناى بك ، فقال يحيى : يا أبت إن جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء . فقال زكريا عليه السلام : فابك .

ما حصل لسيدنا زكريا عليه السلام

وأما سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام فهو من ذرية سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وكان من أنبياء إسرائيل وكان نجاراً ومن أصحاب الزهد فى الدنيا وهو الذى تكفل بمريم . ولما علمت

اليهود أن مريم ولدت سيدنا عيسى عليه السلام من غير بعل اتهموه بها وطلبوه ليقتلوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة ، فقطعوها بالمنشار فقطع معها والشجرة التي نشر فيها كانت بنابلس ودفن هناك ثم نقل الى حلب وقبره مشهور بها .

وقد قالوا إن السيد زكريا عليه السلام لما هرب من اليهود نادته الشجرة إلى يا زكريا وانفرجت له ودخل في جوفها وانطبقت عليه لحقه العدو فتعلق بعباءته وناداهم : إن هذا زكريا فأخرجوا المنشار فنشروه مع الشجرة ، فلما بلغ المنشار إلى رأس زكريا عليه السلام أن من المنشار وهو يقطع في جسده أنه . فأوحى الله تعالى إليه : يا زكريا وعزتي وجلالي لئن صعدت منك انة ثانية لأمحونك من ديوان النبوة فتجلد زكريا عليه السلام حتى قطع شطرين وهو صابر .

وقيل ، إنه كان قد طلب القرب من الله تعالى وهو لا ينال إلا مع الابتلاء فلما استجاب الله له وابتلاه بالنشر ووصل المنشار إلى دماغه، قال : آه فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : أما تقدم منك طلب القرب مني . أما علمت أن أهل حضرتي هم أكثر من ينزل عليهم بلائي ، أما علمت أن من أسماء الصبور؟ لئن قلت : آه ثانية لأمحون اسمك من ديوان النبوة

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الناس أشد بلاء ؟ فقال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وان كان في دينه رقة هون عليه ، فما يزال كذلك حتى يمشي على الأرض ماله من ذنب :

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الأنبياء ، قال : ثم من ؟ قال عليه الصلاة والسلام : العلماء ؛ قال: ثم من ؟ قال عليه الصلاة والسلام : الصالحون ، كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى أحدهم بالفقر حتى لا يجد إلا العباءة يلبسها ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء .

وحكى أن إسرائيل بن محمد القاضي قال : لقيني مجنون كان في الخرابات فقال : يا إسرائيل خف الله خوفاً يشغلك عن الرجاء فان الرجاء يشغلك عن الخوف ، وفر إلى الله ولا تفر منه

يحيى بن زكريا وقتله

وإن من هوان الدنيا على الله(١) كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم : إن من هوان الدنيا على أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة من بغايا بني إسرائيل ذبحته بيدها أو ذبح لرضاها وأهدي رأسه اليها في طشت من ذهب : وسببه : أن يحيى عليه السلام كان ينهاهم عن نكاح بنت الأخت : وكان ملكهم له بنت أخت تعجبه فأرادها وجعل يقضي لها كل يوم حاجة ، فقالت لها أمها : إن سألك عن حاجتك ، فقولي له: تقتل يحيى فقالت له ذلك ، فقال : سلي غير هذا . فقالت : لا أسألك غيره ، فأمر به الملك فذبح في طشت .

(١) معنى هوان الدنيا على الله تعالى أنه سبحانه لم يجعلها مقصود لنفسها بل جعلها طريق موصلة إلى ما هو المقصود بنفسه وأنه لم يجعلها دار إقامة ولا دار جزاء وإنما جعلها دار محنة وبلاء .

فقوله صلى الله عليه وسلم: قتلته امرأة. أى قتل لأجلها يعنى أن قتل يحيى حصل من هوان الدنيا على الله يعنى لو كان شأنها راقياً وأمرها باقياً لكان الأنبياء وأبناء الأنبياء مثل الإمام أبى عبد الله الحسين وسيدنا يحيى بن زكريا على طول جهاده وطاعته وعبادته لربه أحق بالحياة والاحترام فيها والرعاية والوقاية لكنها دار هوان وأكدار. وشأنها عند الله تافهاً: لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء

وقال المسيح عليه السلام: معاشر الحواريين: خشية الله رحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق أقول لكم إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى طالب الفردوس قليل.

خوف الخليل عليه السلام

وقيل: كان الخليل صلوات الله وسلامه عليه: إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فيأتيه جبريل عليه السلام فيقول له: ربك يقرئك السلام، يقول لك: هل رأيت خليلا يخاف خليله؟ فيقول: ياجبريل: إنى إذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى.

خطيئة سيدنا إبراهيم عليه السلام

وخطيئة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام التى يعدها خطيئة بالنسبة لقربه من ربه هى الواردة فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتين منهن فى ذات الله قوله: إنى سقيم وقوله: فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة: هذه أختى. لفظ الترمذى، قيل فى قوله إنى سقيم أى سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم لضلالتكم. وأما قوله: بل فعله كبيرهم هذا فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال: إن كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه. وقوله لسارة: هذه أختى أى فى الدين والإيمان. قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) فكل هذه الألفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب فإن قلت: قد سماها النبى صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات. وقال فى حديث الشفاعة: ويذكر كذباته. قلت: معناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقاً فى الباطن إلا هذه الكلمات. ولما كان مفهوم ظاهرها خوف باطنها أشفق إبراهيم عليه السلام منها بمؤاخذته بها.

خوف سيدنا عمر بن الخطاب

وروى أن سيدنا عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه فكان يعاد أياماً وأخذ يوماً تبنة من الأرض فقال: ياليتنى كنت هذه التبنة. ياليتنى لم أك شيئاً مذكوراً. ياليتنى كنت نسياً منسياً. ياليتنى لم تلدنى أمى وكان فى وجه سيدنا عمر رضى الله عنه خطان أسودان من الدموع وكان رضى الله عنه يدنى يده من النار ثم يقول: يا ابن الخطاب: هل لك صبر على هذا ويبكى. ومن أقواله رضى الله عنه قوله: من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا القيامة لكان غير ماترون

وقد قرأ سيدنا عمر رضى الله عنه مرة (إذ الشمس كورت) وانتهى إلى قوله تعالى : (وإذا الصحف نشرت) خر مغشياً عليه . ومر يوما بدار إنسان وهو يصلى ويقرأ سورة : والطور فوقف يستمع فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى : (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زمانا ورجع إلى منزله فرض شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه .

خوف على بن الحسين

وكان سيدنا على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما : إذا توضأ اصفر لونه فيقول أهله له : ماهذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم وقد كان يصلى في اليوم والليلة ألف ركعة . وكان عظيم التجاوز والعفو والصفح وقد سبه رجل فتغافل عنه فقال له : إياك أعنى . فقال : وعنك أعرض أشار إلى قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) .

خوف المسور بن مخرمة

وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه . ولقد كان يقرأ عنده الآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياما حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) فقال : أنا من المجرمين ولست من المتقين . أعد على القول أيها القارىء فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة .

وقرىء عند يحيى البكاء (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة .

خوف زرارة بن أوفى

وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى : (فإذا نقر فى الناقور) خر ميتا .

وكان إبراهيم النخعى إذا سمع قوله تعالى (وإذا السماء انشقت) اضطرب حتى تضرب أوصاله بعضها ببعض . وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح المرى فشهق ومات .

ومن رآه الجنيد . خوف الشبلى

وقد كان الشبلى فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف إمام له فقرأ الإمام (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) فزعق الشبلى زعقة ظن الناس أنه طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه . وكان يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب . يردد ذلك مراراً .

وقال الجنيد دخلت على سرى السقطى فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لى : هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشى عليه فقلت : اقرؤا عليه تلك الآية بعينها فقرئت فأفاق . فقال : من أين ملت هذا ؟ فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر . ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق .

وقال بعض الصوفية : كنت أقرأ ليلة هذه الآية (كل نفس ذائقة الموت) فجعلت أرددها فإذا هاتف يهتف بى : كم تردد هذه الآية فقد قتلت أربعة من الجن مارفعوا رؤسهم إلى السماء منذ خلقوا.

وسمع رجل من الصالحين قارئاً يقرأ (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) فاستعادها من القارىء وقال : كم أقول لها ارجعى وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه.

وسمع بكر بن معاذ قارئاً يقرأ (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) فاضطرب ثم صاح : ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك. ثم غشى عليه .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله : إذا سمع أحداً يقرأ (إذا السماء انشقت) إضطربت أوصاله حتى كان يرتعد .

وعن محمد بن صبيح قال : كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به رجـــل على الشاطىء يقرأ (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات .

خوف الإمام الشافعى

وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه شديد الخوف والوجل . حكى أنه سمع القارىء يقرأ (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فتغير لونه واقشعر جلده وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال : أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب العارفين وزالت رقاب المشتاقين . إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك .

وقال مالك بن دينار : بينما أنا اطوف بالبيت إذ انا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول : يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها . يارب : أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وتبكى فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر . قال مالك : فلما رأيت ذلك وضعت يدى على رأسى صارخاً أقول : ثكلت مالك أمه .

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين . فقال : قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدى الله موقفنا .

قول عائشة بنت جعفر الصادق

وكانت السيدة عائشة بنت سيدنا جعفر الصادق رضى الله عنه تقول : وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأدور به على أهل النار وأقول لهم : وحدته فعذبنى .

وقول عمر بن عبد العزيز

وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : إنما جعل الله هذه الغفلة فى قلوب العباد رحمة كى لا يموتوا من خشية الله تعالى .

وقال أبو يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه : قمت ليلة أصلى فتذكرت أهل الغفلة من النائمين . فكوشفت بأن الرحمة تنزل عليهم كالقائمين . فتعجبت من ذلك . فهتف بى هاتف : يا أبا يزيد هؤلاء ذكروا عذابى فقاموا وهؤلاء طمعوا فى رحمتى فناموا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيراً عاتبه فى منامه » أى لامه على تقصيره وعزره برفق ليكون على بصيرة من أمره . أو أراه فى منامه ما ينبهه كأن يرى كبشاً ينطحه أو إنساناً يأخذ ملبوسه أو يسقط فى ضيق . فيتنبه أن سبب هذا هو فعل المعصية التى وقعت منه فيتوب وقد وقع أن بعض الصالحين نام عن ورده فرأى بقرة تنطحه فأفاق وتنبه أن سببه ترك الورد

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه : سألت الله عز وجل أن يفتح على باباً من الخوف ففتح فخفت على عقلى . يا رب على قدر ما أطيق . فسكن قلبى .

خوف عمر بن عبد العزيز

ودخلت مولاة لسيدنا عمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه . ثم قامت إلى مسجد فى بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فارقدت فاستبكت فى منامها ثم انتبهت فقالت : يا أمير المؤمنين إنى والله رأيت عجباً . قال . وما ذاك ؟ قالت : رأيت النار وهى تزفر على أهلها . ثم جىء بالصراط فوضع على متنها . فقال : هيه ؟ قالت فجىء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم . قال عمر هيه ؟ ثم جىء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم . فقال عمر هيه ؟ قالت ثم جىء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك . فقال عمر هيه ؟ قالت : ثم جىء بك والله يا أمير المؤمنين . فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة وخر مغشياً عليه . فقامت إليه فجعلت تنادى فى أذنه . يا أمير المؤمنين . إنى والله رأيتك قد نجوت . إنى والله رأيتك قد نجوت قال : وهى تنادى وهو يصيح ويفحص برجليه الأرض .

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : يخرج من النار رجل بعد ألف عام يا ليتنى كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك لخوفه من الخلود فى النار وسوء الخاتمة : وروى أنه ما ضحك أربعين سنة .

خوف الصغانى الهندى

وقال الشيخ أحمد المبارك : سمعت من سيدى عبد العزيز بن مسعود يقول : لقيت بمكة أبا الحسن الصغانى الهندى فوجدته على حالة غريبة . وذلك أنه إذا أراد أن يخطو خطوة يرفع رجله ويرتعد فى الهواء ثم يردها فترتعد ثم يعيدها إلى ناحية الخطوة فترتعد ولا يكمل الخطوة حتى يقول من رآه ما به إلا الجنون . ثم هكذا فى كل خطوة . وكذا رفع طعاما إلى فيه يقع له مثل ذلك فيمد يده ناحية فمه فترتعد . ثم يردها لناحية فمه فترتعد . ولا يجعل اللقمة فى فمه حتى يرحمه كل من يراه وكذا يقع له مثل ذلك إذا أراد أن يضطجع وبلغ به الحال إلى أن وقع له ذلك فى كل حركة اختيارية منسوبة إليه حتى

فى تغميض الجفن وفتحه فلما رأيت ذلك منه أكربنى وأحزننى غاية حتى رحمته فقلت : يا أبا الحسن ما هذه الحالة التى أنت عليها وقد جعلك الله من أوليائه وخواص أصفيائه ومن كبار العارفين به ومن أهل الديوان وذاتك سليمة صحيحة لا علة فيها ؟ فقال : ما ذكرت هذا الذى حصل لى لأحد سواكم . وسأذكره لكم . وهو أن الله تعالى وله الحمد أطلعنى على مشاهدة فعله فى مخلوقاته وأنا أرى فعله سارياً فى خليقته فأنا أشاهد ذلك وأعلم لم كانت وأعلم أسرار القدر فيها بحيث لا يخفى على شىء من تلك الأسرار ثم نظرت إلى فعله فى فوجدته قد حجبنى عن مشاهدته ومشاهدة أسراره . فوقع فى باطنى أنه ما حجبنى عن مشاهدته إلا لسر أراده بى بأن يكون سخطه تعالى مقرونا بفعل من أفعالى . فحجبنى عن الجميع حتى لا أعلم الذى يكون هلاكى به فأجتنبه . فلذا صرت خائفاً من كل فعل اختيارى منسوب لى فما من فعل من أفعالى إلا وأنا خائف منه . ولذلك صرت أتضرع إلى الله تعالى بظاهرى و باطنى واستحضر الخوف من الفعل الذى أريد أن أقدم عليه وأسأله تعالى أن لا يكون ذلك الفعل سبباً لهلاكى فالحركة الأولى فى مد رجلى فعل فأرتعد وأخاف فأردها وارتعد خوفا من الرد وهكذا فى كل فعل .

فتمنيت أن يراه أهل الحجاب ليعلموا ما هم فيه من الانهماك فى المخالفات والشهوات وكل ما يقطع العبد عن الله عز وجل .

فائدة : قال الدميرى قال هشام بن حسان كان ابن سيرين يسئل عن مائة رؤيا فلا يجيب فيها بشىء إلا أن يقول : أتق الله وأحسن فى اليقظة فلا يضرك ما رأيت فى النوم .

فهذه مخاوف الأنبياء والملائكة والأولياء والعلماء والصالحين . ونحن أجدر بالخوف منهم لما قادتنا إليه شهواتنا وغلبت عليه شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا . فلا قرب الرحيل إلى الدار الآخرة ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا .

فنسأل الله تعالى : أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا ، فيصلحنا ويحسن خاتمتنا . إنه سميع مجيب آمين .

ذكر الرجاء فى عفو الله ومغفرته

أعلم أن العبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شرك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محموداً فى نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان فى إتمام أسباب المغفرة إلى الموت .

وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك فى طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور . قال صلى الله عليه وسلم :

« الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة » وقال الله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا

الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) وقال تعالى : (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) فالعبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصى حقيق بأن ينتظر من فضل الله تعالى تمام النعمة . وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة .

وأما العاصى فإذا تاب وتدارك جميع مافرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة إذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهى التوبة ويشتاق إليها فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة . لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب الذى قد يفضى إلى التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب .

ولذلك قال الله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هاجروا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) معناه أولئك الذين يستحقون أن يرجون رحمة الله .

فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر فى أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقى ولا تنقية .

قال يحيى بن معاذ : من أعظم الاغترار عندى التمادى فى الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة . وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار . وطلب دار المطيعين بالمعاصى وانتظار الجزاء بغير عمل . والتمنى على الله عز وجل مع الإفراط والتفريط .

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس … ولو تمنعت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت نافذة … فى كل مدرع منا ومترس
ما بال دينك ترضى أن تدنسه … وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها … إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقد دخل الجنيد على السرى السقطى فوجده يبكى . فقال له : لم هذا البكاء ؟ فقال له دخلت على ابنتى ومعها كوز فيه ماء وقالت : دعه يبرد لتشربه باردا . فنمت فرأيت جارية نزلت من السماء . فقلت لها : أنت لمن ؟ فقالت : أعدنى الله تعالى لمن يشرب الماء البارد . فقمت فكسرت الكوز .

وإن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف . لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له والحب يغلب بالرجاء . واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه .

ولذلك ورد فى الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما فى وقت الموت . قال الله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) فحرم أصل اليأس . وكان أبو جعفر محمد بن على يقول : أنتم أهل العراق تقولون : أرجى آية فى كتاب الله تعالى : قوله : (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية . ونحن أهل البيت نقول أرجى آية فى كتاب الله تعالى : قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) . وقال تعالى :

(وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) وإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل ربه لأمته حتى قيل له : أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) وفى تفسير قوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال : لا يرضى محمد وواحد من أمته فى النار .

وقد روى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمتى أمتى مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة عجل الله تعالى عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل له : هذا فداؤك من النار » وفى لفظ آخر « يأتى كل رجل من هذه الأمة بيهودى أو نصرانى إلى جهنم فيقول : هذا فدائى من النار فيلقى فيها » .

وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمتى أمة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها » .

قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه اليواقيت والجواهر ما نصه . فإن قلت : فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البيهقى « أمتى أمة مرحومة ليس عليها فى الآخرة عذاب وإن عذابها فى الدنيا الزلازل والفتن والبلايا والمحن » الحديث بمعناه وفى رواية أخرى « عذاب أمتى فى دنياها » قال صلى الله عليه وسلم « نصيب المؤمن من العذاب نصيب الدنيا . أى تعبها » .

وإذا كانوا كذلك فأين العصاة الذين يدخلون النار من الموحدين ؟ فالجواب كما قاله الشيخ أى سيدى محيى الدين بن العربى ، فى الباب الرابع والأربعين وثلاثمائة من فتوحاته : إن المراد بقوله ليس عليها فى الآخرة عذاب أى مسرمد . بدليل الأحاديث الصحيحة الواردة فى دخول طائفة من هذه الأمة النار من الموحدين ولكن من رحمة الله تعالى بهم إماتتهم فى النار حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم

وذلك لأن النفوس المتألمة هى الموحدة المؤمنة . والإيمان والتوحيد يمنعان قيام الآلام والعذاب إلى غير نهاية . فما حرقوا ، صاروا حمما إلا وهم أموات .

والميت لا يحس بما يفعل به . ولو تصور علمه بالحرق لم يحس به إذ ليس كل ما يعلمه العبد يحس به فلذلك كان لا بد من رفع العذاب عن الموحدين وإنهم إن دخلوا النار فإنما ذلك تحقيق للكلمة الإلهية . أى قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) فلا يبقى فى النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولو مرة فى عمره ومات على ذلك . قال صلى الله عليه وسلم « إذا أدخل الله الموحدين النار » قال المناوى : وذا شامل لموحدى هذه الأمة وغيرها . والمراد بعضهم وهو من مات عاصياً ولم يتب ولم يعف عنه « أماتهم فيها » بمعنى أنه يغيب إحساسهم أو يقبض أرواحهم لطفاً منه بهم وإظهاراً لأثر التوحيد وإماتة تأكيد ما قبله « فإذا أراد أن يخرجهم منها » أى بالشفاعة أو الرحمة « أمسهم » أى أذاقهم « ألم العذاب تلك الساعة » والتعبير بالإمساس إشارة إلى أنه خفيف . فمنهم من يكون عليه كحر الحمام ومنهم من هو أشد من ذلك .

ومقتضى هذا الحديث أنه لا يمسهم العذاب حال الدخول بل حال الخروج فقط . وفى الحديث الشريف : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما حر جهنم على أمتى مثل الحمام » رواه الطبرانى .

وقد دخل سيدى محمد الحنفى رضى الله عنه الحمام يوما مع الفقراء فأخذ ماء من الحوض ورشه على أصحابه وقال: النار التى يعذب الله بها العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مثل هذا الماء فى سخونته ففرح الفقراء بذلك .

الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار

هكذا قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

وهذا من فضل ربنا وسعة رحمته وشفقته على أمة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار » ولما كان المرض سببا لتكفير الخطايا والذنوب . قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الأرض كالبردة ماعليه ذنب ولا خطيئة » وفى الخبر « حمى يوم كفارة سنة » فقيل لأنها تهد قوة سنة وقيل للإنسان ثلاثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى فى جميعها ويجد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة يوم .

ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لايزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله . وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحمى لا تزايلهم .

وفى الحديث المتقدم أن مايصيب المؤمن من الحمى فى الدنيا فهى حظه من النار . للحديث القدسى « هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها » فكما أن النار تزيل خبث الحديد كذلك الوعك والحمى كل منهما يزيل ذنوب المؤمن ويطهره منها . حديث صحيح

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيح جهنم - أى حرها - فأبردوها بالماء » ولم يبين فى الحديث كيفية إبرادها بالماء وأولى مايحمل عليه كيفية تبريد الحمى ماصنعته السيدة أسماء بنت الصديق رضى الله عنهما فإنها كانت ترش على بدن المحموم شيئا من الماء بين بدنه وثوبه . وهى أعلم بالمراد من غيرها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسب - خطاب لأم السائب - الحمى فإنها تذهب خطايا بنى آدم من المؤمنين . كما يذهب الكير خبث الحديد » .

وفى رواية للبزار بإسناد حسن : الحمى حظ كل مؤمن من النار » اه .

إنى أجعل حساب أمتك إليك

وروى فى تفسير قوله تعالى (يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) أن الله تعالى أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم : « إنى أجعل حساب أمتك إليك ؟ قال : لا يارب أنت أرحم بهم منى . فقال جل وعلا : إذا لا نخزيك فيهم » .

وروى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سأل ربه فى ذنوب أمته . فقال : يا رب اجعل حسابهم إلى لئلا يطلع على مساويهم غيرى فأوحى الله تعالى إليه : هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك . لا أجعل حسابهم إلى غيرى لئلا تنظر إلى مساويهم أنت ولا غيرك » .

وفى الحديث « إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملائكة . أنظروا إلى عبدى أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . أشهدكم أنى قد غفرت له » .

وفى الحديث « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له لو استغفرنى ورجانى » .

إذا أذنب العبد

وروى أنس أنه عليه الصلاة والسلام قال « إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه : فقال أعرابى : وإن تاب عنه ؟ قال : محى عنه . قال : فإن عاد ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : يكتب عليه . قال الأعرابى فإن تاب ؟ قال : محى من صحيفته ، قال : إلى متى ؟ قال : إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل . إن الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار ، فإذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها . فإذا عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه ، فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ، ووراءها حسن عفو الله عز وجل .

من يلى حساب الخلق

وفى الحديث الطويل لأنس رضى الله عنه : أن الأعرابى قال : يا رسول الله : من يلى حساب الخلق فقال : الله تبارك وتعالى ، قال : هو بنفسه ، قال : نعم فتبسم الأعرابى ، فقال صلى الله عليه وسلم : مم ضحكت يا أعرابى ، فقال : إن الكريم إذا قدر عفى وإذا حاسب سامح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدق الأعرابى ألا لا كريم أكرم من الله تعالى ، هو أكرم الأكرمين ، ثم قال : فقه الأعرابى .

إن الله شرف الكعبة

وفى هذا الحديث الطويل أيضاً : أن الله شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبداً هدمها حجراً حجراً ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولى من أولياء الله تعالى ، قال الأعرابى : ومن أولياء الله تعالى ؟ قال : المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى ، أما سمعت قول الله عز وجل (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) .

وفى الحديث « إن الله كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق : أن رحمتى تغلب غضبى » .

وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار ومن لقى الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار ولا يدخلها من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » .

لو علم الكافر

وفى حديث آخر « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد ، ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) قال : أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام : قم فابعث بعث النار من ذريتك ، فيقول : كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة ؛ قال : فأبلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل ؛ فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ما لكم لا تعملون ؟ فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ماحدثتنا بهذا فقال : كم أنتم فى الأمم ؛ أين تأويل ، وتاريس ، ومنسك ، ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله تعالى ، إنما أنتم فى سائر الأمم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود وكالرقمة فى ذراع الدابة .

وقد روى أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة بكى عليه كل شيء إلا الذهب والفضة إيثاراً لجناب الله جل وعلا ؛ فقال الله تبارك وتعالى « لأجعلنكما عزيزين بين عبادى ولأجعلن قيمة كل شيء بكما » .

وفى الحديث « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم ، وفى لفظ آخر « لذهب الله بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم » .

وفى الحديث « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب ، قيل : وما هو ؟ قال : العجب » وقال صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » .

وفى الحديث « ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس لها رجاء أن تصيبه » .

إن لله تعالى مائة رحمة

وفى الحديث « إن لله تعالى مائة رحمة أدخر منها عنده تسعاً وتسعين رحمة وأظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها ، فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض ، قال : فلا يهلك على الله هالك » .

وقال صلى الله عليه وسلم « إنى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى أترونها للمطيعين المتقين ؟ بل هى للمتلوثين المخلطين » .

إنى سألت ربى

وفى سنن أبى داود من حديث سعد بن أبى وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه فسأل الله ساعة ثم خر ساجداً ثلاث مرات ، ثم قال : إنى سألت ربى وشفعت لأمتى فأعطانى ثلث أمتى

فخررت ساجداً شكراً لربى رفعت رأسى فسألت ربى لأمتى فأعطانى الثلث الثانى . فخررت ساجداً شكراً لربى ، ثم رفعت رأسى فسألت ربى لأمتى فأعطانى الثلث الآخر فخررت ساجداً لربى » .

فى أخبار يعقوب عليه السلام

وفى أخبار سيدنا يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه : أتدرى لم فرقت بينك وبين يوسف؟ لأنك قلت : أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . لم خفت الذئب ولم ترجنى ؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظى له ؟

وقد جاء فى كتاب سيدنا يعقوب إلى سيدنا يوسف عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بعد إمساكه أخاه الصغير بإيهام أنه سرق : من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء . أما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمى به فى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاماً . وأما أبى فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية . ثم أتى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب . فذهبت عيناى من بكائى عليه . ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وأنك حبسته لذلك . وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد السارق فإن رددته على وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام .

وروى أن سيدنا يوسف عليه السلام لما قرأ الكتاب وبكى . وكتب فى الجواب : أصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا .

وقال الفضيل بن عياض : بلغنا أن يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف وملكه فكان يطوف يوماً من الأيام فى خزائنه مملوءة قراطيس بيضاء . فقال له يا بنى لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب إلى كتابا . فقال يوسف : هذه القراطيس كلها لك . كنت كلما زاد شوقى وكثر حنينى آخذ ورقة حتى أكتب إليك يا أبت فيمنعنى جبريل أن أكتب إليك فأتركها فى هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ . فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال : منعنى ربى . فسأل الله عن ذلك ؟ فأوحى الله إليه : لأنك قلت : أن يأكله الذئب فهلا خفتنى ؟ هذه العقوبة لأجل تخوفك من غيرى .

ودخل النبى صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع فقال : كيف تجدك ، قال : أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى : فقال صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف » .

وقال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه : يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك .

وقد قال القائل فى شأن مرتكب المعاصى

لما رواه مبعداً عن طاعتى حكموا بأنى لا أجود برحمى
حلمى أجل وان يضيق على الورى من ذا يحد أوامرى ومشيئتى

وقال غيره :

وإذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واستقرت وأرست فى أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها ولا أغنى بحيلته الأديب
أتاك على قنوط منك عفو يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها فرج قريب

وقال سفيان : من أذنب ذنباً فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبه . قال: لأن الله عز وجل عير قوماً فقال (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) وقال تعالى : (وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فإن لقنه الله حجته قال : رب رجوتك وخفت الناس . قال : فيقول الله تعالى : قد غفرت لك .

إن رجلا كان يداين الناس

وفى الحديث الصحيح « إن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغنى ويتجاوز عن المعسر . فلقى الله ولم يعمل خيراً قط . فقال الله عز وجل : من أحق بذلك منا . فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو الله عنه مع إفلاسه من الطاعات .

حديث المسرف على نفسه

توفى رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسرفا على نفسه فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فإذا أبواه يبكيان عليه فقال لهما ما يبكيكما قال : نبكى لإسرافك على نفسك . قال : فلا تبكيا . فوالله ما سرنى أن الذى بيد الله من أمرى بأيديكما ثم مات فأتى جبريل عليه السلام إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره : أن فتى توفى اليوم فاشهده فإنه من أهل الجنة فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله فقالا : ما علمنا عنده من شىء من خير يا رسول الله إلا أنه قال عند الموت كذا وكذا قال : من هاهنا أتى . حسن الظن بالله تعالى من أفضل الأعمال عنده

ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم . فهبط جبريل عليه السلام فقال : إن ربك يقول لك لم تقنط عبادى ؟ فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم) .

وفى الحديث : ان الله تعالى أوحى إلى سيدنا داود عليه السلام قائلا له : أحبنى واحب من يحبنى وحببنى الى خلقى . فقال : يا رب كيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى وإحسانى وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون منى إلا الجميل .

رؤية أبان بن عياش - إن الله تعالى أوحى إلى داود لو تعلمون ما أعلم

ورؤية أبان بن عياش فى النوم وكان يكثر أبواب الرجاء فقال : أوقفنى الله تعالى بين يديه فقال : ما الذى حملك على ذلك ؟ فقلت : أردت أن أحببك إلى خلقك . فقال : قد غفرت لك

رؤية يحيى بن أكثم

ورؤى يحيى بن أكثم بعد موته فى النوم . فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال : يا شيخ السوء فعلت وفعلت ، قال : فأخذنى من الرعب ما يعلم الله . ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عنى ؟ فقال حدثنى عبد الرازق عن معمر عن الزهرى عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت : أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء . وكنت أظنك لا تعذبنى فقال الله عز وجل : صدق جبريل وصدق نبيى وصدق أنس وصدق الزهرى وصدق معمر وصدق عبد الرازق وصدقت : قال : فألبست ومشى بين يدى الولدان إلى الجنة . فقلت : يا لها من فرحة .

حديث من كان يقنط الناس ويشدد عليهم

وفى الحديث أن رجلا من بنى إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال : فيقول الله تعالى يوم القيامة له اليوم أويسك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى منها .

وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالبصرة عدى بن أرطأة يقول له : عليك بأربع ليال من السنة فإن الله تبارك وتعالى يفرغ فيها الرحمة إفراغا . وهى أول ليلة من رجب . وليلة النصف من شعبان . وليلة العيدين

وقد رأى أبو العباس أحمد بن سريج فى منامه فى مرضه الذى مات فيه . كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه وتعالى يقول أين العلماء ؟ قال : فجاؤا . ثم قال : ماذا عملتم فيما علمتم ؟ قال : فقلنا : يا رب قصرنا وأسأنا . قال : فأعاد السؤال كأنه لم يرض به وأراد جوابا آخر فقلت : أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال : اذهبوا فقد غفرت لكم . ومات بعد ذلك بثلاث ليال . كذا روى القشيرى .

وقال الثورى : ما أحب أن يجعل حسابى إلى أبوى لأنى أعلم أن الله تعالى أرحم بى منهما .

وقال بعض السلف : ان المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه.

وكتب محمد بن مصعد إلى أسود بن سالم : إن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فرفع يديه يدعو يقول : يارب حجبت الملائكة صوته وكذلك والثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة : يارب . قال الله تعالى : حتى متى تحجبون عنى صوت عبدى قد علم عبدى أن له ليس رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم أنى قد غفرت له .

قال إبراهيم بن أدهم

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى : خلا لى الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت فى الملتزم عند الباب فقلت : يا ربى أعصمنى حتى لا أعصيك أبداً . فهتف بى هاتف من البيت : يا إبراهيم : أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر .

وكان الحسن يقول : لولم يذنب المؤمن لكان يطير فى ملكوت السموات ولكن الله قمعه بالذنوب وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إن بدت عين الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين .

سمعت عمى البسطامى

وقال عبد الرحمن بن محمد الصوفى : سمعت عمى البسطامى يقول : كنا قعوداً فى مجلس أبى يزيد البسطامى فقال : قوموا بنا نستقبل ولياً من أولياء الله تعالى فقمنا معه فلما بلغنا الدرب وإذا إبراهيم بن شيبة الهروى . فقال له أبو يزيد وقع فى خاطرى أن أستقبلك وأشفع لك إلى ربى .

فقال إبراهيم بن شيبة : لو شفعك فى جميع الخلق لم يكن بكثير . إنما هم قطعة طين . فتحير أبو يزيد من جوابه .

ولقى مالك بن دينار أباناً . فقال له : إلى كم تحدث الناس بالرخص ؟ فقال يا أبا يحيى : إنى لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح .

وفى حديث ربعى بن خراش عن أخيه وكان من خيار التابعين . وهو ممن تكلم بعد الموت قال : لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً وقال : إنى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان وربى غير غضبان . وإنى رأيت الأمر أيسر مما تظنون . فلا تغتروا وإن محمداً صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابى حتى أرجع إليهم . قال : ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت فى طست فحملناه ودفناه .

رؤية على بن الخطاب للحق تبارك وتعالى

وقال على بن الخطاب رضى الله عنه وهو من أكابر الصالحين ومن رؤساء الأولياء المقربين : رأيت الحق تبارك وتعالى فى النوم . فقال لى : يا ابن الخطاب : تمن على ؟ قال : فسكت فقال ذلك ثلاثاً . ثم قال فى الرابعة : يا ابن الخطاب أعرض عليك ملكى وملكوتى وأقول لك : تمن على وتسكت ؟ فقلت : يارب إن نطقت فبك وإن تكلمت فبما تجريه على لسانى فما أقول ؟ قال : قل أنت بلسانك . فقلت : يارب قد شرفت أنبيائك بكتب نزلتها عليهم فشرفنى بحديث ليس بينى وبينك فيه واسطة . فقال يا ابن الخطاب ومن أحسن إلى من أساء عليه فقد أخلص لله شكراً ومن أساء إلى من أحسن إليه فقد بدل نعمة الله كفراً قال فقلت يارب زدنى فقال : يا ابن الخطاب : حسبك . حسبك .

إن رجلين تواخيا فى الله

وفى الحديث إن رجلين من بنى إسرائيل تواخيا فى الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه . وكان الآخر عابداً وكان يعظه ويزجره فكان يقول : دعنى وربى أبعثت على رقيباً ؟ حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب . فقال : لا يغفر الله لك . قال : فيقول الله تعالى يوم القيامة : أيستطيع أحد أن يحظر رحمتى على عبادى ؟ أذهب أنت قد غفرت لك . ثم يقول للعابد وأنت أوجبت لك النار . فوالذى بيده نفسى لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته .

وإن لصاً كان يقطع الطريق

وروى أيضاً أن لصاً كان يقطع الطريق فى بنى إسرائيل أربعين سنة فمر عليه سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وخلفه عابد من عباد بنى إسرائيل من الحواريين فقال اللص فى نفسه : هذا نبى الله يمر وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثاً قال : فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحوارى ويزدرى نفسه تعظيماً للحوارى ، يقول فى نفسه . مثلى لا يمشى إلى جنب هذا العابد . قال : وأحسن الحوارى به فقال فى نفسه : هذا يمشى إلى جانبى فضم نفسه ومشى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فمشى إلى جنبه . فبقى اللص خلفه . فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام : قل لهم ليستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما . أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه . وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه . فأخبرهما بذلك . وضم اللص إليه فى سياحته وجعله من حواريه .

وروى أن رجلا من بنى إسرائيل أتى عابداً من عباد بنى إسرائيل فوطىء على رقبته وهو ساجد . فقال له العابد : ارفع فوالله لا يغفر الله لك . فأوحى الله عز وجل إليه أنه لنبيه أيها المتألى على بل أنت لا يغفر الله لك . قال الحارث المحاسبى رضى الله عنه : لأنه إنما تألى على الله عز وجل أن لا يغفر الله له لعظم قدر نفسه عنده وأن الإساءة إليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها الله تعالى لموضع عبادته وسجوده لأنه عد نفسه عظيم القدر عند الله تعالى فجمع بين عجب وكبر واغترار بالله عز وجل .

ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته . فنزل عليه قوله تعالى (ليس لك الأمر من شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم) الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام . وأوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه الصلاة السلام : يا موسى أتحب أن يدعو لك كل شىء طلعت عليه الشمس والقمر ؟ قال : نعم . قال فاصبر على جفاء خلقى كما صبرت أنا على من كل يأكل رزقى ويعبد غيرى ، فانه يسترزقنى مع ذلك فأرزقه .

إن نبيا من الأنبياء لدغته نملة

وفى الصحيحين وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « نزل نبى من الأنبياء عليهم السلام تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج

من تحتها وأمر بها فأحرقت بالنار . فأوحى الله إليه . فهلا نملة واحدة ؟ قال أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول : لم يعاتبه الله على تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البرىء بغير البرىء . وقال القرطبى : هذا النبى هو موسى بن عمران عليه السلام وأنه قال : يا رب تعذب أهل قرية بمعاصيهم وفيهم الطائع . فكأنه جل وعلا أحب أن يريه ذلك من عنده فسلط عليه الحر حتى التجأ إلى شجرة مستريحاً إلى ظلها وعندها قرية النمل فغلبه النوم فلما وجد لذة النوم لدغته نملة . فدلكهن بقدمه فأهلكهن وأحرق مسكنهن فأراه الله الآية فى ذلك عبرة لما لدغته نملة كيف أصيب الباقون بعقوبتها . يريد تعالى أن ينبهه على أن العقوبة من الله تعم الطائع والعاصى . فتصير رحمة وطهارة وبركة على المطيع وسوء ونقمة وعذاباً على العاصى

وقال بكر بن سليم الصواف : دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها . فقلت : يا أبا عبد الله كيف تجدك ؟ قال : لا أدرى ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم فى حساب . ثم ما برحنا حتى أغمضناه .

وقال يحيى بن معاذ فى مناجاته : يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى إياك مع الأعمال لأنى اعتمد فى الإعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف . وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك . وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف .

المجوسى الذى استضاف سيدنا إبراهيم

وقيل إن مجوسياً استضاف سيدنا إبراهيم الخليل علية الصلاة والسلام . فقال له إبراهيم : إن أسلمت أضفتك . فر المجوسى . فأوحى الله تعالى إليه : يا إبراهيم لم لم تطعمه إلا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك فر إبراهيم يسعى خلف المجوسى فرده وأضافه . فقال له المجوسى : ما السبب فيما بدا لك ؟ فذكر له . فقال المجوسى : أهكذا يعاملنى ؟ ثم قال : أعرض على الإسلام فعرض عليه فأسلم .

ما روى عن الأصمعى

وروى عن الأصمعى أنه قال : بينما أنا أسير فى طريق اليمن اذا أنا بغلام واقف فى الطريق وهو يمجد ربه بأبيات من الشعر يقول فيها :

يا فاطر الخلق البديع وكافلا رزق الجميع وسحب جودك هاطل
يا مسبغ البر الجزيل ومسبل السـتر الجميل عميم طولك هاطل
يا عالم السر الخفى ومنجز الـوعد الوفى قضاء حكمك عادل
عظمت صفاتك يا عظيم فجل أن يحصى الثناء عليك فيها قائل
الذنب أنت له بمنك غافر ولتـوبة العاصى بحكمك قابل
رب يربى العـالمين ببره ونواله أبـداً اليوم واصل
تعصيه وهو يسوق نحوك دائماً مالا تكون لبعضه تستأهل

متفضل أبدا وأنت لجوده ... بقبائح العصيان منك تقابل
وإذا دجى ليل الخطوب وأظلمت ... سبل الخلاص وخاب فيها الآمل
وأيست من وجه النجاة فمالها ... سبب ولا يدنو لهـا متناول
يأتيك من ألطافه الفرج الذى ... لم تحتسبه وأنت عنـه غافل
يا موجد الأشياء من أتى إلى ... أبواب غيرك فهـو غر جاهل
من استراح بغير ذكرك أورجا ... أحداً سواك فذاك ظل زائل
رأى يلم إذا عرته ملمـة ... بسوى جنابك فهو رأى مائل
عمل أريـد به سواك فإنه ... عمل وإن زعم المرائى باطـل
وإذا رضيت فكل شىء هين ... وإذا حصلت فكل شىء حاصل
أنا عبـد سوء آبق كل على ... مولاه أوزار الكبائر حامل
قد أثقلت ظهرى الذنوب وسودت ... صحفى العيوب وستر عفوك شامل
ها قد أتيت وحسن ظنى شافعى ... ووسائلى نـدم ودمع سائل
فاغفر لعبدك ما مضى وارزقه تو ... فيقاً لما ترضى ففضلك كامل
وافعل به ما أنت أهـل جميله ... والظن كل الظن أنك فاعل

قال : فدنوت منه وسلمت عليه . فقال : ما أنا براد عليك حتى تؤدى من حقى الذى يجب لى عليك قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل عليه السلام لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف فأجبته إلى ذلك . فرحب بى وسرت حتى قربنا من خيمة فصاح : يا أختاه . فأجابته جارية من الخيمة بالبكاء . فقال : قومى إلى ضيفنا .

فقالت الجارية حتى أبدأ بشكر الله الذى خلق لنا هذا الضيف . ثم قامت فصلت ركعتين شكراً لله تعالى . قال : فأدخلنى الشاب الخيمة وأجلسنى . ثم أخذ الغلام الشفرة وعمد إلى عناق فذبحها . قال : فلما جلست فى الخيمة نظرت إلى الجارية فإذا هى أحسن الناس وجها فكنت أسارقها النظر . ففطنت لبعض لحظاتى إليها . فقالت : مه (أى أكفف) أما علمت أنه نقل عن صاحب طيبة عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن زنا العينين النظر » إما إنى ما أردت بهذا أن أوبخك ولكنى أردت أن أؤدبك لكى لا تعود إلى مثل هذا . قال : فلما كان النوم بت أنا والغلام خارج الخيمة وباتت الجارية من داخلها فكنت أسمع دوى القرآن إلى السحر بأحسن صوت يكون وأرقه . ثم سمعت أبياتا من الشعر بأعذب لفظ وأشجى نغمة . وهى هذه :

أبى الحب أن يخفى وكم كتمته ... فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره ... وإن رمت قربا من حبيبى تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا بذكره ... ويسعدنى حتى ألـذ وأطربا

قال : فلما أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذاك ؟ قال : تلك أختى . وهذا شأنها كل ليلة . فقلت : يا غلام : كنت أنت أحق بهذا العمل من أختك إذ أنت رجل وهى امرأة . قال : فتبسم وقال : ويحك : أما علمت أنه موفق ومخذول ومقرب ومبعد . قال : فودعتهما وانصرفت

حكى بعض الثقاة

وقد حكى بعض الثقاة قال : اجتزت فى بعض أسفارى حى بنى عذرة فنزلت فى بعض بيوته فرأيت جارية قد ألبست من الجمال حلة الكمال فأعجبنى حسنها وكلامها فخرجت فى بعض الأيام أدور فى الحى وإذا أنا بشاب حسن الوجه عليه أثر الوجد أضعف من الهلال وأنحل من الخلال وهو يوقد ناراً تحت قدر ويردد أبياتا ودموعه تجرى على خديه فما حفظت منه إلا قوله :

فلا عنك صبر ولا فيك حيلة ولا منك لى بد ولا عنك مهرب

ولى الف باب قد عرفت طريقها ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

فلو كان لى قلبان عشت بواحد وأفردت قلباً فى هواك يعذب

من لا يطيق غبار نعالنا كيف يطيق مطالعة جمالنا . قال أبو العباس أبو سهل .

فسألت عن الشاب وشأنه . فقيل لى : إنه يهوى الجارية التى أنت نازل فى بيت أبيها . وهى محتجبة عنه منذ أعوام . قال : فرجعت إلى البيت وذكرت لها ما رأيت . فقالت : ذاك ابن عمى . فقلت لها : يا هذه إن للضيف حرمة فنشدتك بالله إلا متعتيه بالنظر إليك فى يومك هذا . فقالت : صلاح حاله فى أن لا يرانى . قال : فحسبت أن امتناعها فتنة منها . فما زلت أقسم حتى أظهرت القبول وهى متكرهة فلما قبلت ذلك منى . فقلت : أنجزى الآن وعدك فداك أبى وأمى . فقالت : تقدمنى فإنى ناهضة فى أمرك فأسرعت نحو الغلام وقلت : أبشر بحضور من تريد فإنها مقبلة نحوك الآن . فبينما أنا أتكلم معه إذ خرجت من خبائها مقبلة تجر أذيالها وقد أثارت الريح غبارا قدامها حتى ستر الغبار شخصها . فقلت : للشاب . ها هى قد أقبلت . فلما نظر إلى الغبار صعق وخر على النار لوجهه فما أقعدته إلا وقد أخذت النار من صدره ووجهه . فرجعت الجارية وهى تقول : من لا يطيق غبار نعالنا . كيف يطيق مطالعة جمالنا . أقول وما أشبه هذه القصة بقصة سيدنا موسى عليه السلام (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) .

قال العباس أبو سهل

وقال أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل رضى الله عنه : تاه بعض أصحابنا فى البادية فورد على عين فإذا عليها جارية كالقمر . فوقف عندها . فقالت : إليك عنى . فقال : اشتغل كلى بك . فقالت : فى تلك العين جارية أخرى لا أصلح أن أكون خادمة لها . فالتفت إلى ورائه . فقالت : ما أحسن الصدق وأقبح الكذب زعمت أن الكل منك مشغول بى وأنت تلتفت إلى غيرى . ثم التفت فلم ير أحدا

ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف وكان يقول : أبو عبد الأبد . فقال له : يا أستاذ بم نلت هذا ؟ فقال بحسن ظنى بربى .

حكاية الشريب وغلامه

وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم ليشترى شيئا من الفواكه للمجلس فر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئا ويقول : من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات . قال فدفع الغلام إليه الدراهم . فقال منصور : ما الذى تريد أن أدعو لك به فقال : لى سيد أريد أن أتخلص منه . فدعا منصور . وقال الأخرى : فقال : أن يخلف الله على دراهمى فدعا منصور . ثم قال الأخرى . قال : أن يتوب الله على سيدى . فدعا . ثم قال : الأخرى : فقيل : أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم فدعا منصور ثم رجع الغلام . فقال له سيده : لم أبطأت ؟ فقص عليه القصة . قال : وبم دعا : فقال : سألت لنفسى العتق . فقال له : اذهب فأنت حر . قال : وإيش الثانى : قال : أن يخلف الله على الدراهم قال : لك أربعة آلاف درهم قال . وإيش الثالث ؟ قال: أن يتوب الله عليك . قال : تبت إلى الله تعالى قال وإيش الرابع ؟ قال . أن يغفر الله لى ولك وللقوم وللمذكر ؟ قال : هذا الواحد ليس لى . فلما بات تلك الليلة رأى فى المنام كأن قائلا يقول له : أنت فعلت ما كان إليك . أفترانى لا أفعل ما إلى ؟ قد غفرت لك وللغلام وللمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين .

قال عبد الوهاب بن عبد الحميد

وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفى قال : رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة قال : فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت . فقلت للمرأة : من كان هذا الميت منك ؟ قالت : ابنى . قلت أو لم يكن لكم جيران ؟ قلت : بلى ولكن صغروا أمره . قلت : وإيش كان هذا ؟ قالت : مخنثاً . قال . فرحمتها وذهبت بها إلى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً . قال : فرأيت تلك الليلة كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرنى . فقلت : من أنت ؟ فقال . أنا المخنث الذى دفنتمونى اليوم . رحمنى ربى باحتقار الناس إياى

وقيل : قد رأى أيوب السختيانى جنازة عاص فدخل الدهليز كيلا يصلى عليها . فرأى الميت بعضهم فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال . غفر لى وقال لى : قل لأيوب (قل لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق)

حدث بعض الثقاة

وحدث بعض الثقاة . أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته لنفرة الطباع منه . فاستأجرت من حملها إلى المصلى . فما صلى عليها أحد . فحملوها إلى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد مشهور فرأوه كالمنتظر للجنازة . فقصدها ليصلى عليها . فانتشر الخبر فى البلد : أن فلانا الزاهد نزل يصلى على فلان . فخرج أهل البلد فصلوا معه عليها . وتعجب الناس من صلاة الزاهد . فقيل له ذلك ؟ فقال : رأيت فى المنام قائلا يقول لى : انزل إلى الموضع الفلانى تر فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل عليها فإنه مغفور له .

فازداد تعجب الناس من ذلك . فاستدعى الزاهد امرأة الميت وسألها عن حاله . فقالت : كان نهاره مشغولا بشرب الخمر . فقال لها : هل تعرفين له شيئا من أعمال الخير ؟ فقالت : ثلاثة : كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح . والثانى . أنه كان لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده . والثالث : إنه كان يفيق من سكره فى أثناء الليل فيبكى ويقول : يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملؤها بهذا الخبيث .

قال إبراهيم الأطروش

وقال إبراهيم الأطروش : كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخى على دجلة إذ مر أحداث فى زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف : أما تراهم يعصون الله مجاهرين ؟ أدع الله عليهم . فرفع يديه وقال . إلهى كما فرحتهم فى الدنيا ففرحهم فى الآخرة . فقال القوم : إنما سألناك أن تدعو عليهم . فقال : إذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم .

ما وقع لعبد الله السكندرى

ومن لطائف ما وقع لعبد الله السكندرى أنه قال : خرجت إلى البرية لعلى أرى أحداً من الرجال الأخيار . فرأيت جارية . فقلت فى نفسى : كان اجتماعى برجل أولى من امرأة . فقالت : يا أبا عبد الله تريد الاجتماع بالرجال وأنت لم تصل إلى مقام النساء ؟ فقلت ما أكثر دعواك . فقالت : الدعوى بغير بينة باطلة . فقالت : فما بينتك ؟ فقالت : هو لى كما أريد لأنى له كما يريد . ثم قالت : ما تريد فى هذه البرية فقلت : سمكا مشويا . فقالت : هذا من ضعف عقلك ونزول مقامك هلا طلبت منه جناحاً من الشوق تطير به كطيرانى ثم طارت فى الهواء .

ذكر سعة رحمة الله تعالى

قال الله عز وجل (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » .

وروى أنه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه (ان رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين) .

ان الله يستحى من ذى الشيبة

وفى الحديث : « ان الله يستحى من ذى الشيبة أن يعذبه بالنار » .

وقال الشيخ سيدى محمد أبو المواهب الشاذلى رضى الله عنه : بلغنا أنه يؤتى بمن اسمه محمد يوم القيامة

فيقول الله له : أما استحيت إذ عصيتنى وأنت سمى حبيبى لكن أنا أستحى أن أعذبك وأنت سمى حبيبى اذهب فادخل الجنة .

تكريم من تسمى باسم أحمد أو محمد

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يوقف عبدان بين يدى الله تعالى فيؤمر بهما إلى الجنة . فيقولان : ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة ؟ فيقول الله تعالى : أدخلا الجنة فإنى آليت على نفسى أن يدخل النار من اسمه أحمد أو محمد .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : وعزتى وجلالى لا أعذب أحدا تسمى باسمك فى النار » .

وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من ولد له ثلاثة ولم يسم أحدهم محمدا فهو من الجفاء . وإذا سميتموه محمدا فلا تسبوه ولا تعيبوه ولا تضربوه وشرفوه وكرموه وعظموه وبروا قسمه » .

وعن على بن أبى طالب قال : « ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين » رواه أبو منصور الديلمى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول : أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا » .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يقول : هل أحببتم لقائى ؟ فيقولون : نعم يا ربنا . فيقول : لم ؟ فيقولون : رجونا عفوك ومغفرتك . فيقول : قد أوجبت لكم مغفرتى » .

وقال سيدى محمد زين العابدين البكرى رضى الله عنه : أنظر لطف الله تعالى وسعة رحمته فى قوله عز وجل (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً : وما عملت من سوء) لم يصرح بحضوره لطفا منه ورحمة .

حديث أخرجوا من النار

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل يوم القيامة « أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتمع أهل النار فى النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة , قال الكفار للمسلمين , ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى . فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا فى النار فيقولون . كانت لنا ذنوب فأخذنا بها . فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بإخراج من كان فى النار من أهل القبلة . فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا ياليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) .

حديث لله أرحم بعبده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » .

وقول جابر بن عبد الله

وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب . ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذى يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة . وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره .

وقال الله لموسى

ويروى أن الله عز وجل قال لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام « يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته وعفوت عنه » .

وفى حديث قدسى

وفى حديث قدسى يقول الله عز وجل (مالكم وعبادى لو خلقتموهم لرحمتوهم . دعوهم وإياى فإن تابوا إلى فأنا حبيبهم . وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم » .

وورد أن السيد داود عليه السلام لما أراد بناء بيت المقدس كان كل شىء بناه ينهدم . فقال : يارب إنى كلما بنيت شيئاً من بيتك يهدم . فأوحى الله تعالى إليه : إن بيتى لا يقوم على يدى من سفك الدماء فقال : يارب أليس ذلك فى سبيلك ؟ فقال بلى . ولكن أليسوا عبادى ؟

وإن رجلا أعطاه الله

وقيل إن رجلا أعطاه الله ثلاث دعوات مستجابات . وكان له امرأة لها أولاد منه . فقالت له أدع الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى إسرائيل فدعا . فجعلت أجمل امرأة . فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه . فغضب الرجل ودعا عليها فصارت كلبة نباحة . فجاء بنوها إلى أبيهم وقالوا : ليس لنا قرار على هذا الحال ولا صبر . أمنا كلبة نباحة فدعا الله أن يردها إلى الحالة التى كانت عليها . فدعا الله فصارت كما كانت . فذهب فيها الثلاث دعوات كلها

وقال سعد بن بلال . يؤمر يوم القيامة بإخراج رجلين من النار . فيقول الله تبارك وتعالى : ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد . ويأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما فى سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر . فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما . فيقول الذى عدا إلى النار . قد حذرت من وبال المعصية فلم أكن لأتعرض لسخطك ثانية . ويقول الذى تلكأ : حسن ظنى بك كان يشعرنى أن لا تردنى إليها بعدما أخرجتنى منها فيأمر بهما إلى الجنة .

يؤتى بشيخ يوم القيامة

وقال سيدى محيى الدين بن العربى فى فتوحاته فى قوله صلى الله عليه وسلم: يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدى الله عز وجل. فيقول له: ما فعلت من الحسنات؟ فيقول: يا رب فعلت كذا وكذا والله يعلم أنه كاذب فيأمر الله به إلى الجنة. فتقول الملائكة يا رب: إنه كاذب. فيقول الله تبارك وتعالى: قد علمت ذلك ولكنى أستحيت منه أن أكذب شيبته.

وعن بعض الصالحين

وعن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته. فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: أعطانى كتابى بيمينى فرأيت زلة فاستحيت أن أقرأها. فقلت: إلهى لا تفضحنى. فقال: حين عملتها ولم تستح منى لم أفضحك أنافضحك وأنت تستحى منى. قد غفرت لك زلتك وأدخلتك الجنة برحمتى وكرمى.

وفى الحديث «من شاب شيبة فى الاسلام أستحى الله أن يعذبه بنار جهنم».

وفى الخبر: إن الله تعالى خلق جهنم من فضل رحمته سوطاً يسوق به عباده إلى الجنة.

وقال ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته فمر بقوم فقال: من القوم؟ فقالوا نحن المسلمون وامرأة تحصب تنورها ومعها ابن لها فإذا ارتفع وهج التنور تنحت به. فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: «أنت رسول الله؟ قال: نعم قالت: بأبى أنت وأمى أليس الله أرحم الراحمين؟ قال: بلى. قالت أو ليس الله أرحم بعباده من الأم بولدها؟ قال: بلى. قالت: وإن الأم لا تلقى ولدها فى النار. فأكب رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى. ثم رفع رأسه فقال: إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذى يتمرد على الله وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فكأنها تقول كيف يلقى الله عباده فى النار مع أنه أرحم من الوالدة بولدها. والأم لا تلقى ولدها فى النار.

فأخبرها صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى لا يلقى إلا الكافر. وأما المؤمن العاصى فإنه وإن ألقى فيها فإنه يموت، والميت لا يشعر لطفاً بهم منه تعالى وإظهاراً لأثر التوحيد.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة: «يا أمة محمد: أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى(1).

روى أن أعرابياً

وروى أن أعرابياً سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) فقال الأعرابى: والله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها. فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه.

(1) هذا فيمن لم يقض لهم بدخول النار.

وقال الصنابحي : دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى مرض الموت فبكيت . فقال : مهلا لم تبكى ؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً . وسوف أحدثكموه اليوم قد أحيط بنفسى . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار » .

وقال عبد الله بن عمرو

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعا وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر فى هذا شيئاً ؟ أظلمتك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم . فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء .

فى آخر حديث طويل يصف فيه القيامة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط « إن الله يقول لملائكته : من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار . فيخرجون خلقاً كثيراً . ثم يقولون : يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه . فيخرجون خلقاً كثيراً . ثم يقولون : يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به » . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه : فيخرجون خلقاً كثيراً . ثم يقولون : يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به . فكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث « لأنه هو الروى له » فاقرأوا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجر عظيما) قال : فيقول الله تعالى « شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين » فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قد عادوا حمماً فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة ، يقال له نهر الحياة . فيخرجون منها كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون مما يلى الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر . وما يكون منها إلى الظل أبيض . قالوا يارسول الله . كأنك كنت ترعى بالبادية ؟ قال : فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون : هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم . فيقولون يا ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين . فيقول الله تعالى : إن لكم عندى ما هو أفضل من هذا فيقولون : يا ربنا : أى شىء أفضل من هـــذا ؟ فيقول : رضائى عنكم فلا اسخط عليكم بعده أبداً . رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

عن السيدة عائشة قالت

وقد روى عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : « فقدت النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فابتغيته فإذا هو فى مشربة يصلى . فرأيت على رأسه أنوار ثلاثة . فلما قضى صلاته قال : من من هذه ؟ قلت : أنا عائشة يا رسول الله . قال : أرأيت الأنوار الثلاثة ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : إن آت أتانى من ربى فبشرنى أن الله تعالى يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب . ثم أتانى فى النور الثانى آت من ربى فبشرنى أن الله تعالى يدخل الجنة من أمتى مكان كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب . ثم أتانى فى النور الثالث آت من ربى فبشرنى أن الله تعالى يدخل الجنة من أمتى مكان كل واحد من السبعين ألفاً المضاعفة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب . قلت : يارسول الله : لا تبلغ أمتك هذا . قال : يكملون لكم من الأعراب ممن لا يصوم ولا يصلى » أورد هذا الحديث الإمام حجة الإسلام الغزالى فى كتابه : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم صلى الله عليه وسلم (رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم) وقول عيسى صلوات الله عليه (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال : اللهم أمتى أمتى وبكى . فقال الله عز وجل : يا جبريل . اذهب إلى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال : وهو أعلم . فقال الله تعالى : يا جبريل : اذهب إلى محمد فقل . إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك) رواه مسلم .

وعن معاذ بن جبل

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار . فقال : « يامعاذ : هل تدرى ماحق الله على عباده وماحق العباد على الله تعالى ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإن حق الله على العباد أن يعبده ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله أن يغفر لمن لا يشرك به شيئا . فقلت يارسول الله ألا أبشر به الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سألت الله الشفاعة لأمتى . فقال : لك سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . قلت : رب زدنى : فحثالى بيده مرتين وعن يمينه وعن شماله . قال العلقمى : هو كناية عن المبالغة فى الكثرة . وإلا فلا كف ثم ولا حثى تعالى الله عن ذلك .

وروى الإمام أحمد والطبرانى

وروى الإمام أحمد والطبرانى بسند جيد : خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتى الجنة . فاخترت الشفاعة ؟ لأنها أعم وأكفى . أما إنها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين المتكوبين .

ألا أخبركم بما خيرنى ربى

وروى الطبرانى بأسانيد أحدهما جيد : « ألا أخبركم بما خيرنى ربى آنفا ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : خيرنى بين أن يدخل ثلثى أمتى الجنة بغير حساب ولا عذاب وبين الشفاعة . قلنا : يا رسول الله ما الذى اخترت ؟ قال الشفاعة قلنا جميعا يا رسول الله اجعلنا من أهل شفاعتك . قال صلى الله عليه وسلم . إن شفاعتى لكل مسلم » .

وعن عمرو بن حزم

وعن عمرو بن حزم الأنصارى قال : تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع . فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا . فقلنا . يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث . قال : لم يحدث إلا خير . إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم . وإنى سألت ربى فى هذه الثلاثة أيام المزيد . فوجدت ربى ماجداً واجداً كريماً فأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا . قال : قلت : يارب وتبلغ أمتى هذا العدد ؟ قال : أكمل لك العدد من الأعراب .

وعن أبى أمامة

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى » .

وفى كتاب النصائح

وفى كتاب النصائح لابن ظفر : أن أمة لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه اسمها زائدة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : يا زائدة إنك لموفقة : فأتته يوما فقالت : يا رسول الله إنى عجنت عجينا لأهلى ثم ذهبت أحتطب فاحتطبت وأكثرت فرأيت فارسا على جواد لم أر قط أحسن منه وجها وملبسا وجوادا ولا أطيب منه ريحا . فأتانى وسلم على وقال : كيف أنت يا زائدة ؟ قلت بخير والحمد لله . قال : وكيف محمد ؟ قلت : بخير وينذر الناس بأمر الله . قال : إذا أتيت محمدا فاقرئيه منى السلام وقولى له : رضوان خازن الجنة يقرئك السلام ويقول لك : ما فرح أحد بمبعثك ما فرحت به فإن الله جعل أمتك ثلاث فرق فرقة يدخلون الجنة بغير حساب . وفرقة يحاسبون حسابا يسيراً ويدخلون الجنة . وفرقة تشفع لهم فتشفع فيهم فيدخلون الجنة . قلت : نعم ثم ولى عنى . فأخذت فى رفع حطبى فثقل على . فالتفت إلى وقال : يا زائدة : أثقل عليك حطبك ؟ فقلت : نعم بأبى وأمى فعطف على وغمز الحزمة بقضيب أحمر فى يده فرفعها وإنظر فإذا هو بصخرة عظيمة فوضع الحزمة بالقضيب عليها . وقال : اذهبى بالصخرة بالحطب معها . فجعلت الصخرة تدهده بين يدى بالحطب حتى أتيت . فسجد النبى صلى الله عليه

وسلم شكراً وحمداً لله تعالى على بشرى رضوان . ثم قال لأصحابه : قوموا لننظر . فقاموا وانطلقوا إلى الصخرة فرأوها وعاينوها وآثارها .

الرجل الذي يؤمر به إلى النار

وروى « أن رجلا يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق التفت . فإذا بلغ نصف الطريق التفت . فإذا بلغ ثلثى الطريق التفت . فيقول الله تعالى : ردوه ثم يسأله . فيقول : لم التفت ؟ فيقول : لما بلغت ثلث الطريق ذكرت قولك (وربك الغفور ذو الرحمة) فقلت : لعلك تغفر لى . فلما بلغت نصف الطريق ذكرت قولك (ومن يغفر الذنوب إلا الله) فقلت : لعلك تغفر لى . فلما بلغت ثلثى الطريق تذكرت قولك (يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله — أى لا تيأسوا من رحمة الله — إن الله يغفر الذنوب جميعا) فازددت طمعاً . فيقول الله عز وجل : اذهب فقد غفرت لك » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال موسى بن عمران لربه : يارب من أعز عبادك عندك ؟ قال : « من إذا قدر غفر » .

قال أبو ذر

وقال أبو ذر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرض لى جبريل عليه السلام فى جانب الحرة . فقال : بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . فقلت : ياجبريل وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم . وإن سرق وإن زنى . قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ قال : وإن سرق وإن زنى قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ . قال : وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر » .

وقال أبو الدرداء

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن سرق وإن زنى يا رسول الله ؟ قال : ولمن خاف مقام ربه جنتان . قلت : وإن سرق وإن زنى ؟ فقال : ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت : وإن سرق وإن زنى يارسول الله ؟ فقال : وإن رغم أنف أبي الدرداء » .

وروى مسلم فى الصحيح

وروى مسلم فى الصحيح عن أبى بردة أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهوديا أو نصرانيا . فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا فحلف له » .

حديث إن الله يدنى المؤمن

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : أى رب . حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هلك . قال :

ستوتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . فيعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون . فينادى بهم على رءوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » .

إن من المؤمنين

وفى الحديث : « إن من المؤمنين من يعطى كتابا مختوما بعد ما يجوز على الصراط . فيه فعلت كذا وكذا وفعلت كذ وكذا وقد استحييت أن أظهره عليك . اذهب فقد غفرت لك » فسبحان من يعصيه العبد فيستحى هو منه . هل هذا إلا محض الكرم ؟

فى حديث قدسى

وفى آخر حديث قدسى : لولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت أمتك ذكره ابن مرزوق فى شرحه بردة المديح .

عن جابر

وعن جابر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « خرج من عندى خليلى جبريل آنفا . فقال : يا محمد الذى بعثك بالحق : إن لله عبداً من عباده عبدالله خمسمائة سنة على رأس جبل عرضه وطوله ثلاثون ذراعا فى ثلاثين ذراعاً . والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عيناً عذبة بعرض الأصبع تبض بماء عذب فيستنقع فى أسفل الجبل . وشجرة رمان تخرج فى كل ليلة رمانة يتعبد يومه فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته . فسأل ربه عند انقضاء الأجل أن يقبضه ساجداً وأن لا يجعل للأرض ولا شىء يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه وهو ساجد . قال : ففعل فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا خرجنا . فنجد له فى العـــلم . أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين الله . فيوقف له الرب : أدخلوا عبدى الجنة برحمتى . فيقول : رب بل بعملى . فيقول الله : قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله . فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه . فيقول : أدخلوا عبدى النار . فينادى : رب برحمتك أدخلنى الجنة . فيقول : ردوه . فيوقف بين يديه . فيقول : يا عبدى من خلقك ولم تك شيئاً ؟ فيقول : أنت يا رب . فيقول : من قواك على العبادة خمسمائة سنة : فيقول : أنت يارب . فيقول : من أنزلك فى جبل فى وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما يخرج مرة فى السنة . وسألته أن يقبضك ساجدا ففعل ؟ فيقول : أنت يا رب . قال : فذلك برحمتى وبرحمتى أدخلك الجنة . أدخلوا عبدى الجنة . فنعم العبد كنت يا عبدى . فأدخله الجنة . قال جبريل : إنما الأشياء برحمة الله يا محمد . رواه الحاكم عن سليمان بن هرم عن محمد بن المنكدر عن جابر . وقال صحيح الإسناد . ذكر هذا الحديث المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب .

إن الشخص إذا عصى

وقد ورد أن الشخص إذا عصى فى مكان استأذن ذلك المكان الرب سبحانه بأن ينخسف السقف الأعلى على الأسفل . فيقول الله تعالى لمزيد رحمته : كفاً عنه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه فلعله

يتوب فأبدل سيئاته حسنات . ولله عز وجـــل الفضل والمنة على الفقراء والضعفاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له ، أى لا يعتنى به حضر أو غاب ، لو أقسم على الله لأبره . منهم البراء بن مالك ، شقيق أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان فى غزوة فتكاثر الكفار وقربوا من الظفر بالمسلمين . فقال بعض الصحابة : أنت الذى قال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أقسمت على الله لأبرك ؟ فأقسم عليه أن يهزم هؤلاء الكفار . فقال : بالله عليك يا رب أن تهزمهم . فهزموا . ثم عادوا وملكوا قنطرة وقربوا من الظفر بالمسلمين . فقيل له مثل ما تقدم . فقال : بالله عليك يا رب أن تهزمهم وأن تقبضنى إليك . فاستشهد فى الحال ، أى قتله بعض الكفار وهزمهم الله تعالى إجابة لما طلب .

مباسطة الحق تبارك وتعالى لأبى يزيد البسطامى

وقال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه حين باسطة الحق فى حضرة قربه : قال له الحق : يا عبد السوء لو أظهرت مساويك الناس لرجموك بالحجارة . قال : هو : وعزتك لو أخبرت الناس بما كشفت لى من رحمتك ما عبدك منهم أحد اتكالا على تلك الرحمة . قال له سبحانه وتعالى : لا تفعل . قال له : فلا تفعل أنت .

وقد ذكر فى بعض التفاسير

وقد ذكر فى بعض التفاسير أن سيدنا إبراهيم الخليـــل صلوات الله وسلامه عليه كان يعرج به كل ليلة إلى السماء . وهو قوله تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة . فقال : اللهم اهلكه يأكل رزقك ويمشى على أرضك ويخالف أمرك . فأهلكه الله تعالى . فاطلع على آخر . فقال : اللهم اهلكه . فنودى : كف عن عبادى رويداً رويـــداً فإنى طالما رأيتهم عاصين . فلما هبط أرى فى المنام ما ذكر الله تعالى حيث يقول : « إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » فلما تشمر لذلك وأخذ السكين بيده قال : اللهم هذا ولدى وثمرة فؤادى وأحب الناس إلى . فسمع قائلا يقول : أما تذكرت الليلة التى سألت فيها إهلاك عبدى أو ما تعلم أنى رحيم بعبادى كما أنت شفيق بولدك . فإذا سألتنى إهلاك عبدى أسألك ذبح ولدك واحداً بواحد والبادى أظلم .

روى أنه وقف بصبى ينادى عليه

وروى أنه وقف بصبى ينادى عليه فى بعض المغازى فى يوم صائف شديد الحر . فبصرت به امرأة فى خباء القوم . فأقبلت تشتد وأقبل أصحابها واهلوها خلفها حتى أخذت الصبى وألصقته إلى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت : ابنى ابنى . فبكى الناس وتركوا ما هم فيه . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسر برحمتهم . ثم بشرهم فقال : أوعجبتم من رحمة هذه بإبنها؟ قالوا . نعم . قال صلى الله عليه وسلم : فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعاً من هذه بابنها . فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة .

وقال سيدنا عمر بن الخطاب

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سبى فإذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسعى فإذا وجدت صبياً فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته . فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم : أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا : لا . وهى تقدر على أن لا تطرحه . قال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها .

وروى البزار

وروى البزار عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى بعض مغازيه إذا أخذوا فرخ طير فأقبل أحد أبويه حتى سقط على أيدى الذين أخذوا الفرخ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط فى أيديهم . قالوا : بلى . يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : والله لله أرحم بعباده من هذا الطير بفرخه .

فى كتاب التحفة المكية

وفى كتاب التحفة المكية للقاضى نصر العبادى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال : بلغنى أنه كان رجل من بنى إسرائيل ذبح عجلا بين يدى أمه فأيبس الله يده فبينما هو ذات يوم جالس وإذا بفرخ طائر سقط من وكره . فجعل ينظر ويبصبص إلى أبويه وأبواه ينظران ويبصبصان إليه . فأخذه ذلك الرجل ورده إلى وكره رحمة له . فرحمه الله ارحمته لذلك الفرخ ورد عليه يده بما صنع .

فى سنن أبى داود

وفى سنن أبى داود فى أوائل كتاب الجنائز من حديث عامر الرام أخى الخضر (بضم الخاء وإسكان الضاد المعجمتين) قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل عليه كساء وفى يده شىء قد لف عليه طرف كسائه . فقال : يارسول الله : إنى لما رأيتك أقبلت فررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى فجاءت أمهن فاستدارت على رأسى فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتها معهن وهاهن فيه معى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعهن عنك فوضعتهن وأبت أمهن إلا لزومهن فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أتعجبون لرحمة أم الفراخ فراخها ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم : فو الذى بعثنى بالحق نبياً . لله أرحم بعباده من أم هؤلاء الأفراخ بفراخها ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن . فرجع بهن وأمهن ترفرف عليهن .

شفقة الأمهات

وقد جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابنتان لها فأعطاها صلى الله عليه وسلم ثلاث تمرات على عددهم ، فأعطت ابنيها كل واحد منهما تمرة . فأكلا تمرتيهما ثم جعلا ينظران إلى أمهما . فشقت تمرتها نصفين بينهما . فقال صلى الله عليه وسلم : قد رحمها الله برحمتها ابنيها .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا يلقى حبيبه فى النار ، فن أراد أن يكون حبيب الله فليفعل ما أمر به . ويجتنب ما نهى عنه . (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وإذا قاله صلى الله عليه وسلم لما مر مع صحبه وصبى بالطريق . فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول : ابنى ابنى . فأخذته فقالوا يارسول الله : ما كانت هذه تلقى ولدها فى النار فقال : والله لا يلقى الله حبيبه فى النار » .

المعجزات : هى دلائل النبوة والرسالة

فتيمنا بذكره صلى الله عليه وسلم وتبركاً بسيرته الطاهرة المطرة أذكر نذراً يسيراً من معجزاته صلى الله عليه وسلم ليزداد بها إيمان المؤمن ويقوى بها يقينه . لأن ذكر معجزات الأنبياء والمرسلين من العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم . وذكر الأنبياء أى والمرسلين أى ذكر معجزاتهم من العبادة . أى يثاب عليه كما يثاب على العبادة . فنقول : إن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ما بدا فى مولده من المعجزات الباهرات . والآيات البينات . من خمود النيران . وإضاءة الأكوان . وارتجاج الإيوان . وسقوط الشرافات وظهور الآيات . وتدلى النجوم . وتجلى الحى القيوم . وظهور قصور الشام وسقوط الأصنام . ولله در البوصيرى حيث يقول :

ليلة المولد الذى كان للـــدين سرور بيــومه وازدهاء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار مالم تنله النساء
وأتت قـــومها بأفضل مما حملت قبل مريم العذراء
وتدلت زهر النجوم إليه فأضاءت لضوئها الأرجاء

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق . قال : نظرت إلى أقـــدام المشركين على رءوسنا ونحن فى الغار . فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدمه أبصرنا فقال : يا أبا بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ .

وقال البراء بن عازب لأبى بكر يا أبا بكر حدثنى كيف صنعتما حين سريت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق لا يمر فيه أحد فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس . فنزلنا عنده وسويت للنبى صلى الله عليه وسلم مكاناً بيدى فنام عليه وبسطت عليه بردة وقلت . ثم يارسول الله وأنا أنفض ما حولك فنام وخرجت أنفض ما حوله . فإذا أنا براع مقبل . قلت : أفى غنمك لبن ؟ قال : نعم . قلت : فتحلب لى ؟ قال نعم . فأخذه شاة فحلب فى قعب كثبة من لبن . ومعى وإداوة حملتها للنبى صلى الله عليه وسلم يرتوى فيها . يشرب ويتوضأ . فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فكرهت أن أوقظه . فوافقته حتى استيقظ فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله : فقلت : اشرب يا رسول الله : فشرب حتى رضيت . ثم قال : ألم يأن الرحيل ؟ قلت : بلى . قال : فارتحلنا بعـــد ما مالت الشمس . واتبعنا سراقة بن مالك فقلت : أتينا

يارسول الله . فقال : لا تحزن إن الله معنا . فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فارتطمت به فرسه الى بطنها فى جلد من الأرض . فقال : إنى أراكما دعوتما على . فادعوا لى الله لكما أن أرد عنكما الطلب . فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فنجا . فجعل لا يلقى أحداً إلا قال : كفيتم ما هاهنا . فلا يلقى أحداً إلا رده .

وقال أنس بن مالك : سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أرض يخترف . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى . فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ فقال : أخبرنى بهن جبريل آنفا . أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب . وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت . وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت البنت . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . يارسول الله : إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى . فجاءت اليهود . فقال : أى رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا : حبرنا وابن حبرنا وسيدنا وابن سيدنا . فقال : أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقالوا : شرنا وابن شرنا . فانتقصوه . فقال : هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : بينما رجل من المسلمين يوم بدر يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه . وصوت الفارس يقول : اقدم حيزوم . إذ نظر إلى المشرك أمامه خر مستلقياً . فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط . فجاء الأنصارى فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقت . ذلك من مدد السماء الثالثة .

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد . يعنى جبريل وميكائيل .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم رهطاً إلى أبى رافع . فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله ، قال عبد الله بن عتيك فوضعت السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعرفت أنى قتلته . فجعلت أفتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلى فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة . ثم انطلقت إلى أصحابى فانتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته : أبسط رجلك . فبسطت رجلى فمسحها فكأنما لم أشتكها قط .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : إنا يوم الخندق نحفر . فعرضت كدية شديدة . فجاءوا للنبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق . فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل .

فانكفأت إلى امرأتى ، فقلت : هل عندك شىء فإنى رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً . فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم فساررته . فقلت : يارسول الله : ذبحنا بهيمة لنا وهى الصغيرة من أولاد المعز ، وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك . فصاح النبى صلى الله عليه وسلم : ياأهل الخندق إن جابراً صنع سؤراً فحى هلا بكم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر : لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء . وجاء فأخرجت له عجيناً فبسق فيه وبارك . ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك ثم قال : ادع خابزة فلتخبز معك واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها . وهم ألف . فأقسم الله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هى وإن عجيننا ليخبز كما هو .

وفى رواية : إن جابر بن عبدالله قال لزوجته : عرفت فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم الجوع فهل عندك من شىء . فأتت بصاع شعير وعناق فذبحته . وكان لها ولدان . فقال أحدهما للآخر الا أريك كيف ذبحت أمى الشاة فذبحه وهرب فوقع فى النار فاحترق فجعلتهما فى بيت واشتغلت بطعامها . فجاء النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال . أين أولادك حتى آكل معهم . فذهب إلى زوجته فأخبرته بالخبر . ففتح الباب فوجدهما بالحياة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : أخبرنى جبريل بما اتفق من أمرهما .

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار . فقال . قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعته . اخرج إليهم . قال صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ فأشار إلى قريظة . قال أنس : كأنى أنظر إلى الغبار ساطعاً فى زقاق بنى غنم من موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة .

وروى صاحب كتاب مصباح الظلام عن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال : كنت مع ابن أخى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بذى المجاز فأدركنى العطش فشكوت إليه . فقلت . يا ابن أخى عطشت وما قلت ذلك وأنا أعلم أن عنده شيئاً إلا الجذع . فثنى وركه ثم نزل وقال : ياعم أعطشت ؟ فقلت : نعم فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء . فقال : اشرب ياعم فشربت .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة ، فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب إلا ما فى ركوتك فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا وتوضأنا . قيل لجابر : كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا . كنا خمس عشرة مائة .

وقال البراء بن عازب رضى الله عنه : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة مائة يوم الحديبية . والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها . ثم قال : دعوها ساعة . فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا .

وقال عمران بن حصين رضى الله عنه : كنا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى إليه الناس من العطش فنزل فدعا فلاناً ودعا علياً فقال : اذهبا فابتغيا المـــاء . فانطلقا فلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء : فجاءا بها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها . ودعا النبى صلى الله عليه وسلم بإناء ففرغ فيه من أفـــواه المزادتين . ونودى فى الناس : اسقوا واستقوا . قال : فشربنا عطاشاً أربعين رجلا حتى روينا . فملأنا كل قربة معنا وإداوة . وايم الله : لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملئاً منها حين ابتدأ .

وإنما كان النبى صلى الله عليه وسلم يطلب ماء قليلا ويضع يده فيه ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع إناء تأدباً مع الله تعالى إذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وإيجادها من غير أصل . ولئلا يظن القاصرين أنه هو الموجد للماء والإشارة إلى أن الله تعالى أجرى العادة فى الدنيا غالباً بالتسبب .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح ، أى واسعاً ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئاً يستتر به . وإذا شجرتان بشاطىء الوادى . فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بعض أغصانها . فقال : انقادى على بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى وضع العود فى أنفه لينقاد والذى يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى . فأخذ بغصن من أغصانها . فقال : انقادى على بإذن الله . فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنتصف مما بينهما قال : التئما على بإذن الله فالتأمتا . فجلست أحـــدث نفسى فحانت منى لفتة فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا . وإذا الشجرتان قد افترقتا . فقامت كل واحدة منهما على ساق . ولله در البوصيرى حيث يقول :

جاءت لدعوته الأشجار ساجـــدة تمشى إليه عـــلى ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطراً لما كتبت فروعها من بديع الخط فى اللقم

أى الطريق .

ومن معجزاته أنه صلى الله عليه وسلم رأى شجرة فأراد الجلوس فى فيئها فلما دنا منها وجد القوم قد سبقوه إلى الفيىء فجلس فمال الفيىء إليه .

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم إذا مشى فى الشمس والقمر كان لا ظل له لأنه نور والنور لا فيىء له . أو لا كرام ظله أن يقع على الأرض .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يسقط الذباب على جسده وثيابه . وكان عرقه أزكى من المسك الأذفر وكان إذا مشى مع القصير طاله ومع الطويل ساواه . وكان ضحكه التبسم وكان ينظر من خلفه كما ينظر من أمامه

وإذا ما ضحا محا نوره الظل وإذا قال ظللته غمـــامه

وإذا ما كرامة قد تبدت فمن المعجزات تلك الكرامه

من يصلي أو يسلم عليه رد في قبره الشريف سلامه
صل يا خالقي عليه وسلم كل آن إلى يوم القيامة

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أن أبا جهل قطع يد معوذ بن عفراء يوم بدر فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل يده . فبصق عليها ولصقها فلصقت وصحت .

ومنها أنه انكسرت ساق على بن الحكم يوم الخندق فتفل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأ مكانه ولم ينزل عن فرسه .

ومنها أنه أصيب شق خبيب بن يساف يوم بدر حتى مال فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ونفث عليه فبرأ .

ومنها أنه كان في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الفرس فشكاها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما مسحها بكفه المباركة حتى رفع كفه وقد زالت ولم يبق لها أثر .

وعن يزيد بن أبي عبيد رضى الله عنهما قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع رضى الله عنه . قلت : يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ قال : ضربة أصابتني يوم خيبر . فقال الناس : أصيب سلمة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم . فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة .

وقال سهل بن سعد رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله : فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها . فقال : أين على بن أبي طالب ؟ فقالوا : هـو يارسول الله يشتكي عينيه . فأتى به فبصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع . فأعطاه الراية .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم . فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب : وعيناه تذرفان . حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله . يعني خالد بن الوليد رضى الله عنه حتى فتح الله عليهم .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين . فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين . فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بلغته قبل الكفار وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع . وأبو سفيان بن الحارث رضى الله عنه آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم . ثم أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : انهزموا ورب محمد فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبراً .

وقيل للبراء بن عازب رضى الله عنه : أفررتم يوم حنين ؟ قال : لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن خرج شبان أصحابه ليس عليهم كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم

فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون. فأقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه يقوده. فنزل وطلب النصر من معطي النصر وقال: أنا النبي لا أكذب أنا ابن عبد المطلب. ثم صفهم. قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الشجاع منا الذي يحاذي به. يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً. فولى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت: الوجوه. فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة. فولوا مدبرين.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كنت أدعوا أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، قلت يا رسول الله: ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال: اللهم اهد أم أبي هريرة. فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم. فلما جئت إلى الباب فإذا هو مجاف. فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء. فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها. ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي من الفرح. فحمد الله وقال: خيراً.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن كاتباً كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الأرض لا تقبله. فأخبرني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها فوجده منبوذاً. فقال: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله: هلك المال وجاع العيال. فادع الله لنا. فرفع يديه وما في السماء قزعة. فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال. ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى. فقام ذلك الأعرابي أو غيره. فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال. فادع الله لنا. فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا لا علينا. فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهراً. ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود. وفي رواية: قال: اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر. قال: فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس.

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صنع له المنبر فاستوى عليه صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق فنزل

النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذى يسكت حتى استقرت قال : بكت على ما كانت تسمع من الذكر .

وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه : أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله ، فقال له كل بيمينك فقال : لا أستطيع : قال : لا استطعت . ما منعه إلا الكبر . فما رفعها إلى فيه بعد دعوة النبي صلى الله عليه وسلم . أى لأن يده اعتلت بسبب مخالفته .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : توفى أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه . فأبوا : فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : قد علمت أن والدى استشهد يوم أحد وترك ديناً كثيرا وإنى أحب أن يراك الغرماء ، فقال لى : اذهب فبيدر كل تمر على ناحية ، ففعلت ، ثم دعوته فلما نظروا إليه كأنهم أغروا بى تلك الساعة ، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات ثم جلس عليه . ثم قال : ادع لى أصحابك ، فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدى أمانته وأنا أرضى أن يؤدى الله أمانة والدى ولا أرجع إلى أخوتى بتمرة ، فسلم الله البيادر كلها حتى إنى أنظر إلى البيدر الذى كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم كأنها لم تنقص تمرة واحدة ، فأوفى منه ما عليه وهو ثلاثون وسقا وفضل بعد ذلك سبعة عشر وسقاً .

وإن امرأة كانت أهدت للنبى صلى الله عليه وسلم سمنا فى عكة . فقبله وترك فى العكة قليلا ونفخ فيه ودعا بالبركة . فكان يأتيها بنوها يسألونها الأدم فتعمد إلى تلك العكة فتجد فيها سمناً . فما زالت تقيم بها أدم بيتها بقية حياة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان حتى كان من أمر الإمام على ومعاوية رضى الله عنهما ما كان .

وعن جابر رضى الله عنه قال : إن أم مالك كانت تهدى للنبى صلى الله عليه وسلم فى عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألونها الأدم وليس عندهم شىء . فتعمد إلى التى كانت تهدى فيها للنبى صلى الله عليه وسلم فتجد فيها سمناً . فما زال يقيم فيها أدم بيتها حتى عصرته . فأتت النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : أعصرتيها ؟ قالت : نعم . قال : لو تركتيها ما زال قائماً . رواه مسلم .

وعنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه . فأطعمه وسق من شعير . فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله . فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال : لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم . رواه مسلم أيضاً .

والحكمة فى ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة وإعدام بركة الشعير حين كاله : أن عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى . ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة وتكلف الإحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله فعوقب فاعله بزواله . قاله النووى .

وعن أبى العلاء سمرة بن جندب قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة . قلنا : فما كانت تمد ؟ قال : من أى تعجب . ما كانت تمد إلا من هاهنا ، وأشار بيده إلى السماء : رواه الترمذى والدارمى .

وعنه : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم . فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون . فقال رجل لسمرة : هل كانت تمد ؟ فقال : ما كانت تمد إلا من هاهنا . وأشار بيده إلى السماء . رواه الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي والبيهقي والحاكم وصححوه . وأبو نعيم .

وعن أم سليم أم أنس بن مالك رضي الله عنهما قالت : كان لي شاه فجمعت من سمنها ما ملأت به عكة وأرسلت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وأمر ففرغوها وردوها فارغة وكنت غائبة عن المنزل . فلما جئت رأيت العكة مملوءة سمناً . قلت : التي أرسلتها معها . كيف الخبر ؟ فأخبرتني الخبر . فاصدقتها وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وقلت له : يا رسول الله : وجهت إليك عكة سمن . قال : قد وصلت . فقلت : بالذي بعثك بالهدى ودين الحق لقد وجدتها مملوءة سمناً تقطر . قال : أتعجبين أن أطعمك الله كما أطعمت نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ اذهبي فكلي وأطعمي .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم فأخرجت أقراصاً من شعير . ثم أخرجت خماراً لها . فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه . ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس . فقمت فسلمت عليهم . فقال لي رسول الله صلى عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟ قلت : نعم . قال : بطعام ؟ قلت : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه : قوموا . فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته . فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمي يا أم سليم ما عندك . فأتت بذلك الخبز فأمر به ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول : ثم قال : ائذن لعشرة ثم لعشرة . فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا . ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وترك سؤراً . ويروى فجعلت أنظر هل نقص منها شيء ؟ ويروى : ثم أخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان . فقال : دونكم هذا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : لما كنا يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة . فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم أدع الله لهم عليها بالبركة . فقال : نعم . فدعا بنطع فبسط . ثم دعا بفضل أزوادهم . فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة . ثم قال : خذوا في أوعيتكم . فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروساً بزينب فعمدت أمى أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيساً فجعلته فى تور . فقالت : يا أنيس أذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل : بعثت بهذا إليك أمى وهى تقرئك السلام وتقول : إن هذا لك منا قليل يا رسول الله . فذهبت فقلت فقال : ضعه . ثم قال : أذهب فادع لى فلانا وفلاناً رجالا سماهم وأدع لى من لقيت . فدعوت من سمى ومن لقيت . فرجعت فإذا البيت غاص بأهله . قيل لأنس كم كان عددكم ؟ قال : زهاء ثلاثمائة . فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم : أذكروا اسم الله عليه وليأكل كل رجل مما يليه . قال : فأكلوا حتى شبعوا . فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على ناضح لى قد أعيا فلا يكاد يسير . فتلاحق بى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما لبعيرك ؟ قلت : قد عيى . فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجره ودعا له . فما زال بين يدى الإبل قدامها يسير . فقال لى كيف ترى بعيرك ؟ قلت : بخير قد أصابته بركتك . قال : أفتبيعنيه بوقية ؟ فبعته على أن لى فقار ظهره إلى المدينة . قال : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوت عليه بالبعير فأعطانى ثمنه ورده على .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش . فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم . فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم . قال : فهم يحلون رحالهم . فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا سيد العالمين . هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً . ولا يسجدان إلا لنبى . وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة . ثم رجع فصنع لهم طعاماً . فلما أتاهم به وكان هو فى رعية الإبل قال : أرسلوا إليه . فأقبل وعليه غمامة تظله . فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيىء شجرة فلما جلس مال فيىء الشجرة عليه . فقال : أنظروا إلى فيىء الشجرة مال عليه . ثم قال : أنشدكم الله أيكم وليه ؟ فقالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر رضى الله عنه بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال : كنت مع رسول الله صلى الله وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يارسول الله .

وعن يعلى بن مرة الثقفى رضى الله عنه قال : ثلاثة أشياء رأيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر « أى صوت » فوضع جرانه « وهو مقدم العنق » فوقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاءه فقال : بعنيه .

فقال : بل نهبه لك يارسول الله . وإنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره . فقال : أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف . فأحسنوا إليه . ثم سرنا حتى نزلنا منزلا . فنام النبي صلى الله عليه وسلم . فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها . فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له . فقال : هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها . قال : ثم سرنا فررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة . فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره ثم قال : اخرج فإني محمد رسول الله . ثم سرنا . فلما رجعنا مررنا بذلك الماء فسألها عن الصبي . فقالت : والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريباً بعدك .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : إن ابني به جنون وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا . فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا . فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود يسعى وشفاه الله .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بم أعرف أنك نبي ؟ قال إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله ؟ والعذق العرجون بما فيه من الشماريخ ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال : ارجع فعاد . فأسلم الأعرابي .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أن يهودية من أهـــل خيبر سمت شاة مصلية : ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا أيديكم . وأرسل إلى اليهودية فدعاها . فقال سممت هذه الشاة ؟ فقالت : من أخبرك ؟ فقال : أخبرتني هذه في يدي . « يعني الذراع » قالت : نعم . قلت : إن كان نبيا فلن يضره وإن لم يكن نبياً استرحنا منه فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات فقلت يارسول الله ادع الله فيهن بالبركة فضمهن ثم دعا فيهن بالبركة . قال : خذهن فاجعلهن في مزودك كلما أردت أن تأخذ شيئاً فأدخل يدك فيه فخذه ولا تنثره نثراً : فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله . فكنا نأكل منه ونطعم وكان لا يفارق حقوي حتى كان قتل عثمان فإنه انقطع .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين . فانشق : وفي رواية : فقال لهم : إن فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم . فسأل ربه أن يعطيه ما قالوا . فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي : يا فلان اشهدوا .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : انشق القمر ليلة أربع عشرة نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة . قدر ما بين العصر إلى الليل . وجاء أنه تباعد ما بين الفرقتين فأراهم النبى صلى الله عليه وسلم إحدى الفرقتين وقال : اشهدوا . ثم أراهم الفرقة الأخرى وقال : اشهدوا .

وعن أسماء بنت عميس الخثعمية قال إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه فى حجر على بن أبى طالب رضى الله عنه فلم يصل علـــى رضى الله عنه العصر حتى غربت الشمس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصليت يا على ؟ قال : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس . قالت أسماء بنت عميس رضى الله عنها فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبال والأرض . وذلك بالصهباء فى خيبر . رواه كثير من المحدثين وصححوه .

وورد هذا الحديث من رواية الطبرانى بلفظ آخر عن أسماء رضى الله عنها قالت : اشتغل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم : ياعلى أصليت العصر؟ قال :لايارسول ألله . فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس فى المجلس فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر . فقام على فتوضأ وصلى العصر . ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ماتكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس إلى مغربها فسمعت لها صريراً كالمنشار فى الخشبة وطلعت الكواكب .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس أن لا تغرب حتى تقدم عير قريش التى رآها ليلة الإسراء وأخبرهم أنها تقدم يوم كذا وولى النهار ولم تجىء . فتأخرت ساعة من نهار إلى أن قدمت .

وروى يونس بن أبى بكر عن ابن إسحاق إمام المغازى قال : لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير . قالوا له : متى تجىء ؟ قال : يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار . أى قارب ذلك اليوم أن يتم ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجىء العير : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة حبست عليه الشمس أى أمسكها الله بقدرته حتى قدمت العير قبل غروبها .

وعن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال : سأل أعرابى النبى صلى الله عليه وسلم آية . أى علامة تدل على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك . فدعاها. فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : السلام عليك يا رسول الله ، قال الأعرابى: مرها فلترجع إلى منبتها ، فرجعت فدلت عروقها فاستوت ، فقال الأعرابى: ائذن لى أسجد لك ؟ أى بعد أن آمن به كما صرح به فى رواية . فقال صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » . فقال الأعرابى: فأذن لى أن أقبل يديك ورجليك ، فأذن له.

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء وقعد عكرمة بن أبى جهل ، فقال: إن كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذى فى الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق . فأشار إليه عليه الصلاة والسلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشهد له الحجر بالرسالة. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يكفيك هذا ؟ فقال : حتى يرجع إلى مكانه . فرجع بإذن الله تعالى إلى مكانه .

وعن أسيد بن مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : يا أبا الفضل لا ترم . أى لا تخرج من منزلك أنت وبنوك حتى آتيك فإن لى فيكم حاجة . فانتظروه حتى جاء بعدما أضحى فدخل عليهم فقال: السلام عليكم .فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . فقال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : أصبحنا بخير نحمد الله تعالى . فقال لهم : تقاربوا . فتقاربوا يزحف بعضهم إلى بعض . حتى إذا أمكنوه . أى اتصلوا به . اشتمل عليهم بملاءته . فقال : يارب هذا عمى وصنو أبى . أى مثله . وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه . فأمنت أسكفة الباب . أى عتبته وحوائط البيت . فقالت آمين آمين آمين .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : صعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضى الله عنهم على جبل أحد فرجف بهم .أى تحرك طرباً وفرحاً بصعودهم عليه .فقال له صلى الله عليه وسلم : أثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق شهيدان . فسكن .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر (وما قدروا الله حق قدره) ثم قال : يمجد الجبار نفسه : أنا الجبار . أنا الكبير المتعال . فرجف المنبر حتى قلنا : ليخرن عنه .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص فى الحجارة . فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب فى يده إليها ولا يمسها ويقول :جاء الحق وزهق الباطل . فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم .

وقال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا : ومما شاع فى الأقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الأشعار أنه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الأحيان إذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك للآن ، وارتسم فيها. والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما فى القدس . ونقل منه لمصر فى أماكن متعددة حتى قيل إن السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود إلى الآن. وأنه صلى الله عليه وسلم إذا مشى على الرمل أحياناً لا يكون لقدمه أثر .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : كنت أتتبع خلوات النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس . وكأنى أرى أنه فى وحى . فسلمت عليه فرد على السلام . ثم قال : ما جاء بك ؟ قلت : الله ورسوله . أى حبهما . فأمرنى أن أجلس . فجلست

إلى جنبه لا أسأل عن شيء ولا يذكره لي . فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر رضي الله عنه يمشي مسرعاً فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، ثم قال: ماجاء بك ؟ قال: الله ورسوله ، فأشار بيده أن اجلس ، فجلس إلى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، وجلس إلى جنب أبي بكر رضي الله عنه ، ثم جاء عثمان رضي الله عنه وجلس إلى جنب عمر رضي الله عنه ، ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع أو تسع أو ما يقرب من ذلك ، فسبحن في يده حتى سمع حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعهن بالأرض فخرسن . ثم أخذهن وناولهن أبا بكر رضي الله عنه فسبحن في كف أبي بكر رضي الله عنه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم تناولهن وناولهن عمر رضي الله عنه ، فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر رضي الله عنه ، وفي رواية : حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ثم تناولهن من الأرض وناولهن عثمان رضي الله عنه فسبحن في كفه كنحو ماسبحن في كف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي رواية : حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ، ولم يذكر علي رضي الله عنه لأنه لم يكن حاضراً معهم في ذلك المجلس . وذلك لايشين مقامه رضي الله عنه مع ماله من المناقب ، ولوكان حاضراً لسبحت في كفه قطعاً رضي الله وكرم الله وجهه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام .

وفي الشفا للقاضي عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم . فسبح .

وعن أنس رضي الله عنه قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد ، فقال : إن هذا الطعام يسبح ، قالوا أو تفقه تسبيحه ؟ قال : نعم . ثم قال لرجل : أدن هذه القصعة من هذا الرجل ، فأدناها فقال : نعم يارسول الله هذا الطعام يسبح ، ثم قال : ردها فردها ، وظاهر هذا أنه كان يسبح وهو في الإناء ، وظاهر حديث البخاري أنه كان يسبح بعد وضعه في الفم ، ولا مانع منهما .

وعن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه أنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه : إن شئت أن أردك إلى الحائط : أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر ، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ، ثم أصغى له يستمع ما يقول ، فقال : بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه ، فسمعه من يليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد فعلت . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : اختار دار البقاء أي وهي الجنة ، على دار الفناء . أي وهي الدنيا .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه ، أي يستقون الماء من البئر وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالوا: إن لنا جمل نسنى عليه وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، قوموا. فقاموا فدخلوا الحائط والجمل في ناحية. فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه. فقالت الأنصار يا رسول الله: قد صار مثل الكلب ونخاف عليك صولته، فقال: ليس على منه بأس. فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه يا رسول الله: هذا بهيمة لا يعقل يسجد لك. ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك. قال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر. ولو صح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها. لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس. أي تنفجر بالقيح والصديد. ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطاً - أي بستاناً - لأنصاري ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ورجل من الأنصار. وفي الحائط غنم فسجدت له - أي تعظيما له لما شاهدت نور نبوته وألهمها الله معرفته. فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله: نحن أحق بالسجود لك من الغنم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد.

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان الرجل في غنم يرعاها لأهل خيبر، فقال يا رسول الله، كيف لي بالغنم؟ قال: احصب وجوهها فإن الله سيؤدى عنك أمانتك ويردها إلى أهلها، ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها معجزة له صلى الله عليه وسلم، فهذا من طاعات الحيوانات له صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعى فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه وقال: ألا تتقى الله تنزع منى رزقاً ساقه الله إلى؟ فقال الراعى: ياعجباً ذئب وقع على ذنبه يكلمنى بكلام الإنس، فقال الذئب، ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق وما يكون بعد ذلك، وفي لفظ أو رواية: رسول الله صلى الله عليه وسلم في النحلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق وما يكون بعد ذلك، وفي لفظ: يدعو الناس إلى الهدى وإلى الحق وهم يكذبونه، قال أبو سعيد: فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للأعرابى: أخبرهم، أي بما شاهدته، يسروا ويزداد إيمانهم، فأخبرهم، وفي رواية: وكان الرجل يهوديا فجاء وأسلم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه، وفي رواية أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال الذئب للراعى: أنت أعجب منى واقف على غنمك وقد تركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه قدراً عنده وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله، قال الراعى: من لى بغنمى؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى فذكر قصته وإسلامه ووجود [illegible]

عليه وسلم يقاتل . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : عد إلى غنمك تجدها فبورها . أي لم ينقص منها شيء . فعاد فوجدها كذلك . فذبح للذئب شاة منها .

وعن ابن منظور رضى الله عنه قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حماراً أسود . فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار . فكلمه الحمار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدى ستين حماراً كل منهم لا يركبه إلا نبي . وقد كنت أتوقعك أن تركبني لأنه لم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الأنبياء غيرك . وقد كنت قبلك لرجل يهودى وكنت أتعثر به عمداً وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور . فكان صلى الله عليه وسلم يبعثه إلى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى بئر كانت لأبى الهيثم بن التيهان فتردى فيها حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحراء من الأرض إذا هاتف يهتف : يا رسول الله ثلاث مرات ، فالتفت إليه فإذا ظبية مشدودة فى وثق وأعرابى مجندل فى شملة نائم فى الشمس . فقال لها : ما حاجتك ؟ قالت : صادنى هذا الأعرابى ولى خشفان ، أى ولدان فى ذلك الجبل فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما وأرجع . قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبنى الله عذاب العشار أى المكاس - إن لم أرجع ، فأطلقها فذهبت فأرضعتهما ورجعت عن قرب فأوثقها النبى صلى الله عليه وسلم كما كانت ، فانتبه الأعرابى من نومه ، فقال يا رسول الله ألك حاجة ؟ قال : تطلق هذه الظبية . فأطلقها ، فخرجت تعدو فى الصحراء فرحا وهى تضرب برجليها الأرض وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بمجمع الطرق ، أى طرق المدينة ، بصرنا بأعرابى آخذ بخطام بعير حتى وقف على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يا نبى الله ، فرد عليه السلام ، فجاء رجل وقال : إن هذا الأعرابى سرق هذا البعير وهو صلى الله عليه وسلم منصت له ، ثم قال للرجل : انصرف فإن البعير يشهد بأنك كاذب .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لفرسه وقد قام إلى الصلاة فى بعض أسفاره والفرس غير مربوط : لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا ، وجعله فى قبلته فما حرك عضواً حتى صلى صلى الله عليه وسلم .

وإن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجهه النبى صلى الله عليه وسلم إلى معاذ باليمن ، فلقى سفينة الأسد . فقال له : أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى كتابه . فألهمه الله تعالى أن فهم كلامه ، فهمهم وتنحى عن الطريق .

وإن سفينة رضى الله عنه كان فى سفينة فى البحر فانكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد قال ،

فقلت له : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق .

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل مع أحد منكم طعام ؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فعجن ثم جاء رجل مشرك مشعان : « أي ثائر الرأس شعثه » طويل جداً بغنم يسوقها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبيعاً أم عطية أو قال أم هبة ؟ قال : لا ، بل بيع : فاشترى شاة فصنعت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى ، وايم الله ما في الثلاثين ومائة إلا وقد حز له النبي صلى الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها إن كان شاهداً أعطاه إياه ، وإن كان غائبا خبأ له ، لجعل منها قصعتين ، فأكلوا أجمعون وشبعنا . ففاضت القصعتان لحملنا على بعير .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر رضي الله عنه حين قدما المدينة في الهجرة من الطعام زهاء ما يكفيهما ، أي طعاما يكفي رجلين فقط ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ، أي شبعوا وتركوا الطعام ، ثم قال : ادع ستين فكان مثل ذلك ، ثم قال : ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج أحد منهم حتى أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم ، قال أبو أيوب : فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وكأنه حضر معهم جماعة لم يدعهم حتى بلغوا مائة وثمانين ، وإلا فالذي دعاهم مائة وستون .

وعن علي زين العابدين رضي الله عنه قال : إن فاطمة الزهراء رضي الله عنها طبخت قدراً لغدائهما ووجهت علياً رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه ليتغدى معهما ، فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم فغرفت لجميع نسائه صفحة صفحة ثم له ولعلي رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت القدر وإنها تفيض لكثرة مافيها من الطعام حتى كان يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم ، فأكلت فاطمة رضي الله عنها منها ماشاء الله .

وعن سعد مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنهم كانوا في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا زهاء ثلاثمائة فنزلوا على غير ماء وأصابهم عطش ، فجاءتهم عنز لحلبها النبي صلى الله عليه وسلم أي أمر بحلبها ، فأروى لبنها الجند حتى زال ماكان بهم من العطش : ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع مولاه : املكها وما أراك مالكا لها ، فربطها ثم رجع فوجدها قد انطلقت ، أي انحل وثاقها وغابت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بهذا ، فقال : يارافع ذهب بها الذي جاء بها .

وروى البيهقي في الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا إلى الإسلام فقال : لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرني قبرها ، فأراه إياه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يافلانة ، فقالت : لبيك وسعديك ، فقال صلى الله عليه وسلم: أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا ؟ فقالت : لاوالله يارسول الله ، إني وجدت الله خيراً لي من أبوي ووجدت الآخرة خيراً لي من الدنيا .

وهذه القصة أوردها القاضي عياض في الشفا بلفظ: وعن الحسن البصري : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية له في واد كذا ، فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها : يافلانة : احيي بإذن الله ، فخرجت وهي تقول : لبيك وسعديك ، فقال لها : إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما ؟ قالت : لاحاجة لي فيهما ، وجدت الله خيراً لي منهما .

وإن نطق الذراع المشوية المسمومة ، وقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تأكلني فإني مسمومة ، فإنها قد أحييت له بإذن الله تعالى . وقد تقدم ذكر هذه المعجزة قريباً .

وعن أم جندب رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم أتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لايتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه وأعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسحه به ، فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس .

وإن قتادة بن النعمان رضي الله عنه لما قلعت عينه أخذها بيده فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ، فقال : يا رسول الله : إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور ، ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فأخذها صلى الله عليه وسلم وردها إلى موضعها وقال : اللهم اكسه جمالا ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

وإن ملاعب الأسنة عامر بن مالك أصابه استسقاء ، فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً يلتمس منه الدعاء وأن يشفيه الله ببركته ، فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله ، فأخذها متعجباً يظن أنه قد هزئ به ، فأتاه بها وهو على شفى ، أى قريب من الموت . فشربها ، أى بعد أن وضعها في ماء ، فشفاه الله ببركته صلى الله عليه وسلم .

وإن فديك بن عمرو السلاماني جيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان . وهو عبارة عن العمى ، فسأله عما أصابه؟ فقال: كنت أقود جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فأصيبت في بصري فلا أبصر شيئاً ، فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر ، فكان يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة .

وإن معاذ بن عفراء رضي الله عنه قطعت يده يوم بدر ، فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألصقها فلصقت كما كانت ببركة ريقه الشريف الذى تفله عليها .

وإن امرأة معاوية بن عفراء كان بها برص فشكت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فمسح عليها بعصا فأذهبه الله .

ومسحه صلى الله عليه وسلم بالعصى على برص المرأة دون يده الشريفة لأنه صلى الله عليه وسلم كانت لا تمس يده جسم امرأة قط .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم سألته جارية وهو يأكل فناولها من الطعام

الذى بين يديه . وكانت قليلة الحياء . فقالت : إنما أريد من الذى فى فيك . فناولها ما فى فيه . ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأله أحد شيئاً فيمنعه . فلما استقر فى جوفها ألقى الله عليها الحياء فلم تكن فى المدينة امرأة أشد حياء منها .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ظهور الآثار العجيبة والأمور الخارقة للعادة فيما لمسه أو باشره وزوال العلل والعاهات وتبدل الصفات الذميمة بالصفات الحميدة . وانقلاب الأعيان له صلى الله عليه وسلم ببركته وبآثاره الشريفة صلى الله عليه وسلم . من الاطلاع عليها فيما يلى تعلم .

منها أن أهل المدينة فزعوا مرة . فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبى طلحة كان به بطء فى السير فلما رجع صلى الله عليه وسلم قال لأبى طلحه : وجدنا فرسك بحراً . أى كالبحر فى شدة جريه . فكان ذلك الفرس لا يجارى بعد .

ومنها أن خالد بن الوليد رضى الله عنه كان فى قلنسوته شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم . فكان لا يشهد قتالا إلا رزق النصر .

ومنها أن السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه أخرجت جبه طيالسة . أى ذات أعلام خضر . وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها فنستشفى بها .

وكانت قصعته صلى الله عليه وسلم يجعل فيها الماء للمرضى فيأخذونها فيستعملونها فتشفى أمراضهم ببركة هذا الماء الذى وضع فى قصعته صلى الله عليه وسلم .

ومنها كما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه من أن النبى صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه فى بئر قباء فما نزفت بعد . أى بعدما سكب فيها .

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم بزق فى بئر دار أنس بن مالك رضى الله عنه فلم يكن بالمدينة أعذب منها .
ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أعطى سلمان الفارسى مثل بيضة من الذهب وقال : أدها الدجاجة لغرمائك عما عليك . وكان عليه أربعون أوقية . فقال سلمان : أين تقع هذه مما على : فأخذها صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه وقال : خذها فإن الله سيؤدى بهـا عنك . قال سلمان : فوزنت لهم منها أربعين أوقية وبقى عندى مثل ما أعطيتهم .

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قتادة بن النعمان رضى الله عنه . وقد صلى معه العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا ، وقال لقتادة : انطلق به فإنه سيضىء من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً : فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق قتادة فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما أخبر به صلى الله عليه وسلم .

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم رفع لعكاشة بن محصن رضى الله عنه جدل حطب، وهو عود غليظ أو أصل من أصول الشجر ، حين انكسر سيفه يوم بدر وقال : اضرب به ، فعاد فى يده سيفا صارما طويل القامة أبيض اللون شديد المتن ، أى قوى الجرم صلبا ، فقاتل به ، ثم لم يزل عنده يشهد به

المواقف إلى أن استشهد فى قتال أهل الردة ، وكان هذا السيف يقال له العون .

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم دفع لعبد الله بن جحش رضى الله عنه يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع سيفا . وذلك عجيب وأعجب منه بقاؤه على الحالة التى انقلب إليها لم يتغير عند الاستغناء عن القتال مثلا . فقد دام على الحقيقة الثانية . وأما عصا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بعد أن انقلبت حية عادت إلى حالها الأول .

قد حاز أشتات المحاسن كلها ... إن لم يكن أهلا لذلك من لها

وما أحسن ماقاله البوصيرى رحمه الله تعالى :

سيد ضحكه التبسم والمشـ ... ـى الهوينا ونومه الإغفاء
ماسوى خلقه النسيم ولا غيـ ... ـر محياه الروضة الغناء
رحمة كله وحزم وعزم ... ووقار وعصمة وحياء
لا تحل البأساء منه عرى الصبـ ... ـر ولا تستخفه السراء
كرمت نفسه فلا يخطر السو ... ء على سره ولا الفحشاء
عظمت نعمة الإله عليه ... فاستقلت لذكره العظماء
جهلت قومه عليه فأغضى ... وأخو الحلم شأنه الإغضاء
وسع العالمين علماً وحلماً ... فهو بحر لم تعيه الأعياء

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر إلى المدينة مر على خباء أم معبد فنزل عندها وطلب زادا ، فقالت ؟ ما عندى غير شاة عجفاء لم ينز عليها الفحل لا لبن فيها . فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها فدرت . فحلب منها ما كفاه ومن معه . وبقى فى الإناء بقية ، فلما جاء زوجها أخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة بولد لها صغير وأسلمت رضى الله عنها .

ومنها أن السيدة حليمة مرضعة النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أخذته لترضعه قام زوجها لشارفها . وهى الناقة المسنة . فوجدها حافلة بالدر فحلب منها ما أشبعهم كلهم وباتوا بخير ليلة ، فقال لحليمة : إنها نسمة مباركة ، فقالت : إنى والله أرجو بركته .

ومنها أن عبد الله بن مسعود كان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط ، فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، فقال له صلى الله عليه وسلم : هل عندك لبن ؟ قال : نعم . لكن مؤتمن ، فقال : ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل ، فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر رضى الله عنه بصفحة فحلب فيها وقال لأبى بكر رضى الله عنه : اشرب ، ثم قال للضرع : اقلص . فعاد كما كان ، وكان هذا سبب إسلام عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

ومنها أن المقداد بن الأسود قال : كنت أنا وصاحبان لى قد بلغ منا الجهد - أى من الجوع - فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلنا أحد . فأتينا النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا إلى أهله . فإذا ثلاثة أعنز ، فقال : احتلبوا منها لبنا بيننا ، فكنا نحتلب ونشرب ونرفع للنبى صلى الله عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشربه ، فوقع فى نفسى ذات ليلة أنه صلى الله عليه وسلم يأتيه الأنصار بلبن يشربه فلا حاجة له بهذه الجرعة فشربتها ، ثم ندمت خشية أنه إذا لم يجدها يدعو علىّ فأهلك ، فلم أنم ، ونام صاحباى ، فجاء صلى الله عليه وسلم كعادته فكشف الإناء فلم يجد شيئا فرفع بصره إلى السماء ، فقلت : يدعو على ، فقال : اللهم أطعم من أطعمنى واسق من سقانى ، فأخذت الشفرة وانطلقت إلى الأعنز لأذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلهن فحلبت فى إناء حتى علت الرغوة وجئت إليه صلى الله عليه وسلم فشرب ، ثم ناولنى ، فلما علمت أنه روى وأصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت ، فقال صلى الله عليه وسلم : إحدى سوآتك يا مقداد ، يعنى أنك فعلت سوأة فما هى ؟ فقلت : يارسول الله كان منى كذا وكذا ، فقال : ماهذه إلا رحمة من الله ، لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها ، فقلت : والذى بعثك بالحق : ما أبالى إذا أصبتها وأصبت فضلتك من أخطأها من الناس .

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أعطى بعض أصحابه وقد أرادوا السفر سقاء فيه ماء بعد أن أوكأه ودعا فيه بالبركة ، فلما حضرته الصلاة نزلوا فحلوا وكاءه فإذا هو لبن حليب وزبدة فى فمه .

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عمير بن سعد رضى الله عنه ودعا له بالبركة فى عمره ومحنته ، فمات وهو ابن ثمانين فما شاب ، أى ببركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم .

ومنها أنه كان يوجد لعتبة بن فرقد رضى الله عنه طيب يغلب طيب نسائه . أى أن رائحته تزيد على رائحة طيب نسائه حتى قالت زوجته أم عاصم : كنا عنده ثلاث نسوة مامنا واحدة إلاوهى تجتهد فى الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها ، وعتبة لا يمس طيباً فكان أطيب منا ريحا ، فقلت له فى ذلك ، فقال : أصابنى الشرى على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية : أخذنى الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقعدنى بين يديه وتجردت من ثيابى ، فتفل فى كفه ودلكها بالأخرى ثم أمرهما على ظهرى وبطنى ، فعبق بى ماترون ، والشرى بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا .

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم بالحاء المهملة ودعا له بالبركة . فكان يؤتى بالرجل قد ورم وجهه ، والشاة قد ورم ضرعها فيضع محل الورم من الوجه والضرع على الموضع الذى مسه كف النبى صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم الذى كان أصابه .

ومنها أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وكان عنده انتفاخ فى الخصيتين فأمره صلى الله عليه وسلم أن ينضحهما بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ .

ومنها أن المهلب بن يزيد الطائى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قراع فمسح على رأسه فنبت شعره .

ومنها ماروى عن طاووس بن كيسان اليمانى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤت له بأحد به مس - أى جنون - فصك فى صدره إلا ذهب المس بإذن الله تعالى .

ومنها أن أبا هريرة رضى الله عنه شكا إلى النبى صلى الله عليه وسلم النسيان ، فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ، أى فعل فعلا يشبه من يغرف من شىء مايضعه فى آخر ، ثم أمره بضمه ، ففعل ، فما نسى شيئا بعد ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : فماكان أحد أحفظ منى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاعبدالله بن عمرو لتقدم إسلامه ولأنه كان يكتب وأنا لا أكتب.

ومنها إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم لأناس دعا لهم أو عليهم ، وهذا باب واسع جدا يعلمه علماء السنة .

هذا : وإن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم تفوق الحصر ، وقد ذكرت هذا النذر اليسير تبركا وتيمنا بذكره وذكر سيرته العطرة الشريفة صلى الله عليه وسلم .

قال بعض العلماء : إن معجزاته صلى الله عليه وسلم لاتنحصر ، وفى كلام بعض آخر أنه صلى الله عليه وسلم أعطى ثلاثة آلاف معجزة - أى غير القرآن ، فإن فى القرآن ستين وقيل : سبعين ألف معجزة تقريباً .

ومن فضائله صلى الله عليه وسلم : أن رجلا من بنى إسرائيل عصى الله تعالى مائتى سنة كلها يتمرد ويجترىء عليه ، فلما مات أخذ بنو إسرائيل برجله وألقوه على مزبلة . فأوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : أن غسله وكفنه وصل عليه فى جمع بنى إسرائيل ، ففعل ما أمره الله تعالى ، فتعجب بنو إسرائيل من ذلك وأخبروا سيدنا موسى عليه السلام أنه لم يكن فى بنى إسرائيل أعتى منه ولا أكثرمعاصى منه ، فقال : قد علمت ، ولكن الله أمرنى بذلك ، فقالوا : فاسأل ربك ، فسأل موسى ربه عز وجل ، فقال : يارب قد علمت ماقالوا . فأوحى الله إليه أن صدقوا : إنه قد عصانى مائة سنة إلا أنه يوما من الأيام فتح التوراة فنظر إلى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا فقبله ووضعه بين عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له ذنوب مائتى سنة .

فائدة علمية تاريخية

ذكر فى كتاب نور الأبصار ، فى مناقب آل بيت النبى المختار ، أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفح جبل المقطم بسبعين ألف دينار ، فعجب عمرو من ذلك وقال : اكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : سله : لم أعطاك به ما أعطاك وهى لاتزرع ولاتستنبت ، فسأله ، فقال : إنا لنجد صفتها فى الكتب : إن فيها غراس الجنة فكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فكتب إليه عمر : إنا لا نعلم غراس الجنة إلا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشىء ، فقبر فيها من عرف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر ١ - عمرو بن العاص السهمى ٢ - وعبد الله بن حذافة السهمى ٣ - وعبد الله بن الزبيدى ٤ - أبو بصير الغفارى ٥ - وعقبة بن عامر الجهنى ، ويقال : ومسلمة ابن مخلد الأنصارى :

وفى الطبقات الكبرى لسيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى فى ذكره لسيدى الشيخ أحمد الكعكى رضى الله عنه قال عنه : أنه دفن بزاويته بالقلعة بالقرب من سيدى سارية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعليه فيكون سيدنا سارية أيضا بسفح المقطم . وفى كتاب العهود والمواثيق لسيدى عبد الوهاب الشعرانى : أن إبراهيم بن قشيط وهو المدفون بطنط أبى تراب فى الغربية أنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اه .

الكرامات — هى دلائل الولاية

قال العلماء : إن كرامات الأولياء لاحقة بمعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم . لأن كل من ليس بصادق فى الإسلام لاتظهر عليه الكرامة . وكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته . إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على يد من تابعه الكرامة .

فأما رتبة الأولياء فلاتبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام للاجماع المنعقد على ذلك . وهذا أبو زيد البسطامى رضى الله عنه سئل عن هذه المسألة فقال : مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة . فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء . وما فى الظرف مثل لنبينا صلى الله عليه وسلم .

وكرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة . قال الله عزوجل: (ألا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون : لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وقال سبحانه وتعالى فى شأن المتقين : (لهم مايشاءون عند ربهم) . وقال عز وجل فى الإخبار عن السيدة مريم: (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال : يا مريم أنى لك هذا . قالت : هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وكان لايدخل عليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف . وقوله سبحانه وتعالى لمريم (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) وكان فى غير أوان الرطب كما جاء فى التفسير . وكذا قصة آصف وزير سيدنا سليمان عليه السلام فى قوله تعالى . (وقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) وقصة أصحاب الكهف . وهم من أشراف الروم خافوا بعد سيدنا عيسى عليه السلام على إيمانهم من ملكهم فخرجوا من ديارهم ودخلوا غار فلبثوا فيه بلا طعام ولا شراب ثلاثمائة سنه وتسع سنين نياما بلا آفة . قال تعالى (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ـ إلى قوله تعالى ـ ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادو تسعا) .

وفى الصحيحين حديث البقرة التى حمل عليها صاحبها فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث : فقال الناس: سبحان الله تعجبا وفزعا أبقرة تتكلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنى أؤمن بذلك أنا وأبوبكر وعمر . وورد فى الصحيحين أن سيدنا عمر رضى الله عنه قال فى حال خطبته يوم الجمعة : ياسارية الجبل الجبل محذارا إياه . فبلغ صوته إلى سارية فى ذلك الوقت ، فتحذر من العدو فى مكان من الجبل فكان لسيدنا عمر رضى الله عنه فى ذلك كرامتان إحداهما: ما كشف

له عن حال سيدنا سارية ومن معه من الجيوش وحال العدو . وثانيهما: بلوغ صوته إلى سيدنا سارية وهو بالشام .

ومن ذلك حديث البخاري الذي قال فيه : قالت : والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب رضى الله عنه . فوالله لقد وجدته يوماً يأكل قطفا من عنب فى يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة ، وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله خبيباً . يعنى بهذه المرأة بنت الحرث بن عامر بن نوفل كما ذكر فى الحديث .

ومن ذلك حديث البخاري أيضا فى أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما الذى قال فيه : إنهما خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما . فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل من هم يارسول الله لعلنا نحبهم؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال وأنساب . وجوههم نور وهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس . ثم تلا الآية الكريمة (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) .

وحصول الكرامات وظهورها على الأولياء جائز عقلا وواقع نقلا . كما تقدم ، لأنها ليست مستحيلة فى قدرة الله تعالى ، بل هى من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء ولا يلزم من جوازها ووقوعها محال . وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع فى الحياة وبعد الموت كما ذهب إليه جمهور أهل السنة . وليس فى مذهب من المذاهب قول بنفيها بعد الموت بل ظهورها حينئذ أولى . لأن النفس بعد الانتقال من هذه الدار صافية من الأكدار .

ولذا قيل : من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت فى حياته فليس بصادق

فهاهو الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه كان يقول لولده عبد الله : يا ولدى عليك بالحديث ، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية فإنهم ربما كان أحدهم جاهلا بأحكام دينه ، فلما صحب أبا حمزة البغدادى وعرف أحوال القوم كان يقول لولده : يا ولدى عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة .

وكان الامام الشافعى رضى الله عنه يجالس الصوفية ويقول : يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيده من العلم مالم يكن عنده .

وكان الإمامان الشافعى وأحمد يترددان إلى مجالس الصوفية ويحضران معهم فى مجالس ذكرهم ، فقيل لهما : مالكما تترددان إلى مثل هؤلاء الجهال ؟ فقالا : إن هؤلاء عندهم رأس الأمر كله وهو تقوى الله عز وجل ومحبته ومعرفته .

قال بعض العلماء : من يؤمن بكلام أهل الطريق فقل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة .

والكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر على يد عبد ظاهر

الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح . علمَ بها أو لم يعلم.

واعلم أن الأولياء هم العارفون بالله تعالى المواظبون على الطاعات . المجتنبون للمعاصى المعرضون عن الانهماك فى طلب الدنيا ولذاتها وشهواتها. وهم رضى الله عنهم على أنواع أعظمهم القطب وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يسمى قطباً إلا بعد علمه حقيقة الحروف واطلاعه على سر القدر ولا يأكل إلا من كسب يده .

ومن شأنه أنه يتلقى أنفاسه إذا دخلت أو خرجت بأحسن الأدب لأنها رسل ربه لترجع شاكرة بلا تكلف لذلك . ولا تطوى له الأرض ولا يمشى فى الهواء ولاتظهر على يده الخوارق . ثم الإمامان وهما وزيران له . أحدهما عن يمينه ونظره إلى الملكوت . والآخر عن يساره ونظره إلى الملك .

ويخلف القطب إذا مات صاحب اليمين وينتقل واحد من الأوتاد مكانه.وهم أربعة.واحد بالمشرق. وواحد بالمغرب . وواحد بالشام . وواحد باليمن . يحفظ الله بهم أرباع الدنيا وكل منهم متصرف بإذن الله تعالى فى ربعه . فإذا مات واحد منهم أبدل بواحد من السبعة الموكلين بالأقاليم السبعة . وإذا مات أحد السبعة أبدل بواحد من الأبدال . وهم أربعون رجلا . وإذا مات واحد منهم أبدل بواحد من خيار السبعين . وهم النجباء .فإذامات واحد منهم أبدل بواحد من خيار الثلاثمائة.وهم النقباء وهم بالمغرب . وإذا مات واحد منهم أبدل بواحد من خيار الخمسمائة . وهم العصائب ثم المفردون . ففى الحديث الشريف : سبق المفردون .قيل: وما هم يارسول الله ؟ قال : هم الذين محا الذكر عنهم زادهم يجيئون يوم القيامة خفافاً لايحصرهم عدد . وهم سياحون فى الأرض فى مقام يقال له المخدع لايعلمه القطب ولايطلع على مقامهم .وشيخ هذا المقام هو الخضر عليه السلام : وهؤلاء لاينقصون عن العدد المحدد لهم إلى أن يختموا بخليفة الله المهدى . فهو آخر ولى من هذه الأمة .

وكرامات الأولياء لاتدخل تحت حصر وحسبنا ماسنذكره منها بحول الله تعالى فى الصحفات التالية فذكر كرامات الأولياء كفارة للذنوب وسبب لنزول الرحمة.قال بعض العلماء:إذا ذكر الصالحون فى مجلس نزلت الرحمة ويخلق الله من هذه الرحمة سحابة لا تمطر إلا فى أرض الكفار . كل من شرب من مائها أسلم .

فهذا الصديق السيد أبو بكر رضى الله عنه قد قال للسيدة عائشة رضى الله تعالى عنها عند موته : إنما هما أخواك وأختاك : وكانت زوجته حاملا فولدت بنتاً . فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت .

وهذا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت قد لقيت امرأة فى طريقى فنظرت إليها شزراً وتأملت محاسنها . فقال عثمان رضى الله عنه لما دخلت عليه : يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه . أما علمت أن زنا العينين النظر لتتوبن أو لأعزرنك . فقلت:أوحى بعد النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا . ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة .

ثم لنبدأ بذكر كرامات بعض أهل البيت الطاهرين تيمناً بذكرهم فهم كما قال فيهم إمامنا الشافعى رضى الله عنه :

آل النبى ذريعتى وهم إليه وسيلتى
أرجو بهم أعطى غداً بيد اليمين صحيفتى

وأول ما نبدأ بذكره منهم هو مولانا الشهيد الإمام الحسين بن الإمام على كرم الله وجه . وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لخمس خلوان من شعبان سنة أربع وقيل: ثلاث وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابع ولادته وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنته فضة . وقال : أرونى ابنى ما سميتموه ؟ فقال سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه : سميناه (حرباً) فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو (حسين) . وكان أشبه الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم ماكان أسفل من صدره . وكان فاضلا ديناً . كثير الصوم والصلاة والحج . وقتل يوم الجمعة لعشرة خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة بموضع يقال له (كربلاء) من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضاً (بالطف) قتله سنان بن أنس اليحصبى وقيل : قتله رجل من مذحج . وقيل : قتله شمر بن ذى الجوشن . وكان أبرص . وأجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحى من حمير . حز رأسه أتى به عبد الله بن زياد وقال :

أوقر ركابى فضة وذهبا إنى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسبا

وقيل : قتله عمرو بن سعد بن أبى وقاص . وكان الأمير على الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتل الحسين وأمر عليهم عمرو بن العاص ووعده أن يوليه الرى إن ظفر بالحسين وقتله .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم : فقلت : بأبى أنت وأمى ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم ، فوجدته قد قتل فى ذلك اليوم .

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة رضى الله تعالى عنها . وقيل : قتل معه من أهل بيته وإخوته ثلاثة وعشرون رجلا .

وكان سبب قتله رضى الله عنه : أنه لما مات معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فى سنة ستين ، وردت بيعة اليزيد على الوليد بن عقبه بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها . فأرسل إلى الحسين بن على وإلى عبد الله بن الزبير ليلا فأتى بهما . فقال : بايعا فقالا : مثلنا لا يبايع سراً ولكنا نبايع على رءوس الناس إذا أصبحنا . فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلهما إلى مكة . وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب . فأقام الحسين بمكة . شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة بكتب أهل العراق إليه . فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين مكة بعث الحصين بن تميم التميمى

صاحب شرطته ، فنزل القادسية و نظم الخيل ما بينها و بين جبل (لعلع) فبلغ الحسين الحاجز له عن البلاد ، فكتب إلى أهل الكوفة يعرفهم بقدومه مع قيس بن مسهر : فظفر به الحصين و بعث به إلى أبن زيادة فقتله .

وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضاعة . فقام حتى أعلم الناس بذلك وقال: قد خذلنا شيعتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف فليس عليه زمام منا . فتفرقوا حتى بقى فى أصحابه الذين جاؤا معه من مكة . وسار فأدركته الخيل وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمى . ونزل الحسين فوقفوا تجاهه . وذلك فى نحر الظهيرة . فسقى الحسين الخيل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم إنى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا فليس لنا إمام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى . وقد جئتكم فإن تعطونى ما أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم . وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذى أقبلت منه . فسكتوا . وقالوا للمؤذن : أقم . فأقام . وقال الحسين للحر : أتريد أن تصلى أنت بأصحابك ؟ قال : بل صل أنت ونصلى بصلاتك . فصلى بهم ودخل . فاجتمع إليه أصحابه .

وانصرف الحر إلى مكانه ، ثم صل بهم العصر واستقبلهم فحمدالله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله ، ونحن أهل البيت اولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ماليس لهم السائرين فيكم بالجور والعدان ، فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتنى به كتبكم انصرفت عنكم ، فقال الحر : إنا والله ما ندرى ما هذه الكتب والرسل التى تذكر ؟ فأخرج خرجين مملوئين صحفا فنشرها بين أيديهم ، فقال الحر : إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لانفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيدالله بن زياد ، فقال الحسين : الموت أدنى إليك من ذلك ، ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا ، فمنعهم الحر من ذلك ، فقال له الحسين : ثكلتك أمك ما تريد ؟ فقال له : والله لو كان غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمه بالشكل كائنا من كان ، ولكن والله مالى إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه ، فقال له الحسين : ما تريد ؟ فقال : أريد أن أنطق بك إلى ابن زياد ، وترادا الكلام . فقال له الحر : إنى لم أومر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أدخلك الكوفة فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ، ولا تزول إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنى فيه العافية من أن أبتلى بشىء من أمرك ، فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره .

فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة إحدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف وبعث إلى الحسين رسولا يسأله : ما الذى جاء به ؟ فقال : كتب أهل مصركم هذا أن

أقدم عليهم . فإذا كرهونى فأنا أنصرف عنهم . فكتب عمرو إلى ابن زياد يعرفه ذلك . فكتب إليه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فإن فعل رأينا فيه رأينا وإلا نمنعه ومن معه الماء .

فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء . وذلك قبل قتله بثلاثة أيام . ونادى منادٍ : يا حسين ألا تنظر الماء لا ترى منه قطرة حتى تموت عطشاً . ثم التقى الحسين بعمرو بن سعد مراراً . فكتب عمرو بن سعد إلى عبد الله بن زياد .

أما بعد فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد أعطانى الحسين أن يرجع إلى المكان الذى أتى منه أن يسيره إلى ثغر من الثغور شاء أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده وفى هذا لكم رضى وللأمة صلاح .

فقال ابن زياد لشمر بن ذى الجوشن : أخرج بهذا الكتاب إلى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فإن فعلوا فليبعث بهم وإن أبوا فليقاتلهم . فإن فعل فاسمع له وأطع وإن أبى فأنت الأمير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث برأسه إلى . وكتب إلى عمرو بن سعد : أما بعد فإنى لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعاً أنظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلماً . وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون .

فإن قتل الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره فإنه عاق وشاق قاطع ظلوم . فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام .

فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر . فأرسل إليهم الحسين . ما لكم ؟

فقالوا : جاء أمر الأمير بكذا . فاستمهلهم إلى غدوة . فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون . فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وكان مع الحسين اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه . واقتتل أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهماً فرمى به وقال : اشهدوا أنى أول من رمى الناس وحمل أصحابه فصرعوا رجالا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتالا شديداً حتى انتصف النهار ولا يقدرون يأتونهم إلا من وجه واحد .

وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن القتال حتى يصلى . ففعلوا ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال . ووصل إلى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتل الحسين . فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف فقطع البرنس وأدماه . وأخذ الحسين دمه بيده فصبه فى الأرض . ثم قال : اللهم إن كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين .

واشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع فى فمه . فتلقى الدم بيده ورمى به إلى السماء . ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه : اللهم : إنى أشكو إليك ما يصنع بابن بنت نبيك . اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً .

فأقبل شمر فى نحو عشرة إلى منزل الحسين وحالوا بينه وبين رحله . ومكث طويلا من النهار ولو شاؤا أن يقتلوه لقتلوه . ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض . فنادى شمر فى الناس : ويحكم ما تنتظرون بالرجل : اقتلوه ثكلتكم أمكم . فحملوا عليه من كل جانب . فضرب زرعة بن شريك التميمى كفه الايسر . وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو . فحمل عليه فى تلك الحال سنان بن أنس النخعى فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولى بن يزيد الأصبحى : احتز رأسه فأرعد وضعف . فنزل عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه إلى خولى وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله . ومال الناس فانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء .

ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة .

ونادى عمرو بن سعد فى أصحابه : من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه . فانتدب عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره .

وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلا ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين رجلا غير الجرحى . ودفن أهل الغاضرية من بنى أسد الحسين بعد قتله بيوم .

وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورءوس أصحابه وبعث بها إلى ابن زياد .

فأحضر ابن زياد الرءوس بين يديه وجعل ينكت بقضيب ثنايا الحسين ويزيد بن أرقم حاضر .

وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين . ثم رحل إلى الكوفة ومعه ثياب الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان . وعلى بن الحسين مريض .

فأدخلهم على ابن زياد . ولما مرت مولاتنا زينب رضى الله تعالى عنها (وهى المدفونة بمصر فى قناطر السباع) لما مرت بالحسين صريعاً صاحت : يا محمداه هذا حسين بالعراء مزمل بالدماء مقطع الأعضاء يا محمد ، بناتك سبايا وذريتك مقتلة . فأبكت كل عدو وصديق .

وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ثم أرسل بهما إلى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفى عنق على بن الحسين ويديه الغل وحملوا على الأقتاب . فدخل بعض بنى أمية على يزيد . فقال : أبشر يا أمير المؤمنين فقد أمكنك الله من عدو الله وعدوك قد قتل وجه برأسه إليك . فلم يلبث إلا أياماً حتى جىء برأس الحسين فوضع بين يدى يزيد فى طشت . فأمر الغلام فرفع الثوب الذى كان عليه . فحين رآه خمر وجهه بكفه كأنه شم من رائحة وقال : الحمد لله الذى كفانا المؤنة بغير مؤنة . كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله .

قالت ريا حاضنة يزيد : فدنوت منه فنظرت إليه

قادر على أن يغفر له لقد رأيته يقرع ثنايا الحسين بقضيب في يده ويقول أبياتاً من الشعر ومكث الرأس مصلوباً في دمشق ثلاثة أيام ثم انزل في خزائن السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك فبعث إليه فجيء به وقد محل وبقي عظما أبيض فجعله في سفط وطيبه وجعل عليه ثوباً ودفنه في مقابر المسلمين فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح أن يوجه إليه برأس الحسين بن علي ، فكتب إليه أن سليمان أخذه وجعله في سفط وصلى عليه ودفنه .

ثم ألهم الله فريقا من المؤمنين ان يسألوا عن موضع الرأس الكريمة فلما اهتدوا إليه نبشوا موضعه وأخذوه مع الاعزاز والتكريم حتى وصل إلى مصرنا محمولا على الرءوس بل على القلوب .

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في كتابه طبقات الأولياء عند ذكر الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه : أنه دفن رأسه الشريف ببلاد المشرق فأنفق طلائع بن رزيك المنعوت بالملك الصالح ثلاثين ألف دينار حتى جاء بالرأس الشريف إلى مصر لما خاف عليها من الإفرنج وبنى عليها المشهد الحسيني (المعروف اليوم) وخرج هو وعسكره حفاة إلى نحو بلدة الصالحية من أعمال محافظة الشرقية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف . فلما جيء بها وضعها طلائع المذكور في كيس من حرير أخضر على كرسي أبنوس وفرشوا تحتها المسك والعنبر والطيب قد وزنها مررأ .

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في منته . أخبرني يعني الخواص : أن رأس الإمام الحسين رضي الله عنه حقيقة في المشهد الحسيني قريباً من خان الخليلي . وأن طلائع بن رزيك نائب مصر وضعها في القبر المعروف بالمشهد في كيس من حرير أخضر على كرسي من خشب الأبنوس وفرش تحته المسك والطيب وأنه مشى معها هو وعسكره حفاة من ناحية الصالحية إلى مصر لما جاءت من بلاد المشرق .

وقال في المنن أيضاً : زرت مرة رأس الحسين بالمشهد أنا والشيخ شهاب الدين بن الحلبي الحنفي وكان عنده توقف في أن رأس الإمام الحسين في ذلك المكان فنعس رأسه فنام فرأى شخصاً كهيئة النقيب طلع من عند الرأس وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال بصره يتبعه حتى دخل الحجرة النبوية فقال : يا رسول الله أحمد بن الحلبي وعبد الوهاب زارا قبر رأس ولدك الحسين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم تقبل منهما واغفر لهما ، ومن ذلك اليوم ما ترك الشيخ شهاب الدين زيارة الرأس إلى أن مات ، وكان يقول آمنت بأن رأس الحسين هنا .

وذكر خاتمة الحفاظ والمحدثين شيخ الإسلام والمسلمين نجم الدين الغيطي رضي الله عنه نقلا عن شيخ الإسلام شمس الدين اللقاني شيخ السادة المالكية في عصره رحمه الله تعالى أنه كان يوما جالسا بالجامع الأزهر مع القطب الكبير الشيخ أبي المواهب التونسي يتحدث معه . وإذا بالشيخ أبي المواهب قام مستعجلا وذهب إلى نحو باب المدرسة الجوهرية التي بالجامع وخرج منها فتبعه الشيخ شمس الدين المذكور وهو يشعر به إلى أن وصل إلى المشهد المبارك وهو خلفه . فلما دخل المسجد وجد إنسانا واقفا على باب الضريح الشريف ويده مبسوطتان وهو يدعو . فلما فرغ الرجل من الدعاء ومسح على

وجهه بيديه رجع الشيخ اللقانى إلى الجامع الأزهر وإذا بالشيخ أبي المواهب التونسى رجع فقال له الشيخ اللقانى : يا مولانا رأيتك ذهبت مستعجلا من باب الجوهرية وها أنت رجعت . فقال : كنت فى مصلحة وكتم عنه القضية . فقال له ذهبت إلى المسجد الحسينى ؟ قال : نعم . فما الذى أعلمك بذلك ؟ قال : كنت معك فيه . قال : فما رأيت ؟ قال رأيت إنساناً واقفاً على باب الضريح يدعو ووقفت أنت خلفه ووقفت أنا خلفكما أدعو أيضاً . قال : أبشر يا شمس الدين فإن جميع ما دعوت به استجيب لك فى ذلك الوقت . قلت : يا سيدى ومن هذا الرجل ؟ قال : القطب الغوث الجامع يأتى كل يوم أو قال كل يوم الثلاثاء فيزور هذا المشهد . فلما وقع عندى بحيثه فى ذلك الوقت قمت إليه وحضرت معه الزيارة وقبلت يده . فالزم ذلك يحصل لك خير : فما زال الشيخ اللقانى يزور ذلك المكان إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وقد نقل عن الشيخ أبي الحسن التمار رضى الله عنه أنه كان يأتى إلى هذا المكان للزيارة . ثم إذا دخل الضريح يقول : السلام عليكم فيسمع الجواب وعليك السلام يا أبا الحسن . فجاء يوماً من الأيام فسلم فلم يسمع الجواب برد السلام . فزار ورجع . ثم جاء مرة أخرى وسلم فيسمع الجواب برد السلام . فقال : يا سيدى جئت بالأمس وسلمت فما سمعت جواباً . فقال : يا أبا الحسن لك المعذرة كنت أتحدث مع جدى ﷺ فلم أسمع سلامك .

ومن ذلك ما أخبر به العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمرى الشافعى أنه كان يتردد إلى الزيارة غالباً . فجلس يوماً يقرأ الفاتحة ودعا فلما وصل فى الدعاء إلى قوله : واجعل ثواب مثل ذلك . فأراد أن يقول فى صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الضريح . فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين رضى الله عنه . فقال : فى صحائف هذا وأشار بيده إليه . فلما أتم الدعاء ذهب إلى الشيخ الجليل الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فأخبره بذلك فقال له الشيخ : صدقت وأنا وقع لى مثل ذلك . ثم ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتى رضى الله عنه فأخبره بذلك : فقال الشيخ كريم الدين : صدقت وأنا ما زرت هذا المكان إلا بإذن من النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى ابن خالويه عن الأعمش عن منهال الأسدى قال : والله لقد رأيت رأس الإمام الحسين رضى الله عنه حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً) فنطق الرأس وقال : قتلى أعجب من ذلك .

وفى الخطط المقريزى أنه أتهم شخص من أتباع السلطان الملك الناصر بأنه يعرف الدفائن والأموال التى بالقصر . فأمر بتعذيبه . وأخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية . يقال : إن هذه العقوبة أشد العقوبات وأن الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلا تنقب دماغه وتقتله . ففعل به ذلك مراراً وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة . فسألوه ما سبب هذا ؟ فقال : حملت رأس الحسين لما جيء به إلى مصر . فعفا عنه .

وروى سليمان الأعمش رحمه الله تعالى قال : خرجنا سنة حجاجا لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبينما أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل فلما فرغت من طوافى قلت : سبحان الله العظيم ما كان ذنب هذا الرجل . فتنحيت عنه ثم مررت به مرة ثانية وهو يقول : اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل . فلما فرغت من طوافى قصدت نحوه فقلت : يا هذا إنك فى موقف عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام فلو سألته منه عز وجل المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل فإنه منعم كريم فقال : يا عبد الله من أنت ؟ فقلت : أنا سليمان الأعمش . فقال . ياسليمان إياك طلبت وقد كنت أتمنى مثلك فخذ بيدى وأخرجنى من داخل الكعبة إلى خارجها فقال لى ياسليمان ذنبى عظيم فقلت : ياهذا أذنبك أعظم أم الجبل أم السموات أم الأرضون أم العرش؟ فقال لى : ياسليمان ذنبى أعظم . مهلا على حتى أخبرك بعجب رأيته . فقلت له : تكلم رحمك الله . فقال لى : يا سليمان أنا من السبعين رجلا الذين أتوا برأس الحسين بن على رضى الله عنهما إلى يزيد ابن معاوية فأمر بالرأس فنصب خارج المدينة وأمر بإنزاله ووضع فى طشت من ذهب ووضع ببيت منامه . فلما كان فى جوف الليل انتبهت امرأة يزيد بن معاويه فإذا شعاع ساطع إلى السماء ففزعت فزعا شديداً وانتبه يزيد من منامه . فقالت له : هذا قم فإنى أرى عجباً . قال : فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها : اسكتى فإنى أرى كما ترين . قال : فلما أصبح من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاط من الديباج الأخضر وأمر بسبعين رجلا فخرجنا إليه نحرسه وأمرلنا بالطعام والشراب حتى غربت الشمس ومضى من الليل ما شاء الله ورقدنا . فاستيقظت ونظرت نحو السماء وإذا بسحابة عظيمة ولها دوى شديد وخفقان أجنحة . فأقبلت السحابة حتى لصقت بالأرض ونزل منها رجل وعليه حلتان من حلل الجنة وبيده أرائك وكراسى فبسط الأرائك وصف الكراسى وقام على قدميه ونادى : انزل يا أبا البشر انزل يا آدم صلى الله عليك وسلم . فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيئاً فأقبل حتى وقف على الرأس فقال : السلام عليك يا ولى الله . السلام عليك يا بقية الصالحين عشت سعيداً وقتلت طريداً ولم تزل عطشانا حتى ألحقك الله بنا . رحمك الله ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غداً من النار . ثم قعد على كرسى من تلك الكراسى . قال : يا سليمان . ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى أقبلت لصقت بالأرض فسمعت منادياً يقول : انزل يا نبى الله انزل يا نوح وإذا برجل أتم الرجال خلقاً وإذا بوجهه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة . فأقبل حتى وقف على الرأس فقال : السلام عليك ياعبد الله . السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشانا حتى ألحقك الله بنا . غفر الله لك ولا غفر لقاتلك . الويل لقاتلك غداً من النار . ثم قعد على كرسى من تلك الكراسى . قال : يا سليمان . ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أعظم منها فأقبلت حتى لصقت بالأرض فقام الآذان وسمعت منادياً ينادى انزل يا خليل الله انزل يا إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وإذا برجل ليس بالطويل العالى ولا بالقصير المتدانى أبيض الوجه أملح الرجال شيباً . فأقبل حتى وقف على الرأس فقال : السلام عليك يا عبد الله . السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا . غفر الله

لك ولا غفر لقاتلك . الويل لقاتلك غداً من النار . ثم تنحى فقعد على كرسى من تلك الكراسى . ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة عظيمة فيها دوى كدوى الرعد وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلا يقول : انزل يا نبى الله ، انزل يا موسى بن عمران . قال : فإذا رجل أشد الناس فى خلقه وأتمهم فى هيبته وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى دنى من الرأس فقال : مثل قول من تقدموا . ثم تنحى فجلس على كرسى من تلك الكراسى . ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى وإذا فيها دوى عظيم وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلا يقول : انزل يا عيسى . انزل يا روح الله . فإذ أنا برجل أحمر الوجه وفيه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة . فأقبل حتى وقف على الرأس فقال : مثل ما قاله آدم ومن بعده . ثم تنحى فجلس على كرسى من تلك الكراسى . ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة عظيمة فيها دوى كدوى الرعد والرياح وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض . فقام الأذان وسمعت مناديا ينادى : انزل يا محمد . انزل يا أحمد صلى الله عليه وسلم وعليه حلتان من حلل الجنة وعن يمينه صف من الملائكة والحسن وفاطمة رضى الله عنهما : فأقبل حتى دنى من الرأس فضمه إلى صدره وبكى بكاء شديداً . ثم دفعه إلى أمه فاطمة فضمته إلى صدرها وبكت بكاء شديداً حتى علا بكاؤها وبكى لها من سمعها فى ذلك المكان فأقبل آدم عليه السلام حتى دنى من النبى صلى الله عليه وسلم فقال : السلام على الولد الطيب السلام على الخلق الطيب أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك فى ابنك الحسين ثم قام نوح عليه السلام فقال مثل قول آدم عليه السلام . ثم قام إبراهيم عليه السلام فقال كقولهما . ثم قام موسى وعيسى عليهما السلام فقالا كقولهم كلهم يعزونه صلى الله عليه وسلم فى ابنه الحسين . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبى آدم ويا أبى نوح ويا أبى إبراهيم ويا أخى موسى ويا أخى عيسى اشهدوا وكفى بالله شهيداً على أمتى بما كافؤنى فى ابنى وولدى من بعدى . فدنا منه ملك من الملائكة فقال : قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الموكل بسماء الدنيا أمرنى الله تعالى بالطاعة لك . فلو أذنت لى أنزلتها على أمتك فلا يبقى منهم أحد . ثم قام ملك آخر . فقال : قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بالبحار وأمرنى الله بالطاعة لك فإن أذنت لى أرسلتها عليهم فلا يبقى منهم أحد . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا ملائكة ربى : كفوا عن أمتى فإن لى ولهم موعداً لن أخلفه . فقام إليه آدم عليه السلام فقال : جزاك الله خيراً من نبى أحسن ما جوزى به نبى عن أمته . فقال له الحسن . يا جداه هؤلاء الرقود الذين يحرسون أخى وهم الذين أتوا برأسه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا ملائكة ربى اقتلوهم بقتلة ابنى . فوالله ما لبثت إلا يسيراً حتى رأيت أصحابى قد ذبحوا أجمعين . فلصق بى ملك ليذبحنى فناديته يا أبا القاسم : أجرنى وارحمنى رحمك الله . فقال : كفوا عنه . ودنى منى وقال : أنت من السبعين رجلا ؟ قلت : نعم . فألقى يده فى منكبى وسحبنى على وجهى وقال : لا رحمك الله ولا غفر لك أحرق الله عظامك بالنار . فلذلك أيست من رحمة الله . فقال الأعمش : إليك عنى فإنى أخاف أن أعاقب من أجلك اه من شرح الشفاء ، للعلامة التلمسانى من الفصل الرابع والعشرين .

ومما يؤثر عن الإمام الحسين رضى الله تعالى عنه من مكارم الأخلاق العالية : ما نقله ابن بدرون في تاريخه قال : كان عبد الله بن سلام والياً بالعراق من قبل معاوية وكانت أرنيب بنت إسحاق زوجا له وهى من أجمل نساء عصرها وأحسنهن أدباً وأكثرهن مالا . وكان يزيد بن معاوية قد هام بجمالها على السماع وبما بلغه عنها من حسن الخلق والخلق . فقتن بها . فلما عيل صبره خص سره خصيصاً بمعاوية أسمه (رفيف) فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شدة شغف يزيد بها . فاستفسر معاوية ابنه يزيد عن أمره فبث له شأنه ، فقال معاوية : مهلا يايزيد فقال له : علام تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الأمل . فقال له معاوية : وأين حجاك ومروءتك ؟ فقال له يزيد : قد عيل الحجى ونفد الصبر . قال له : يا بنى ساعدنى على أمرك بالكتمان والله بالغ أمره . وكانت أرنيب بنت إسحاق قد سارت بذكر جمالها الركبان وضربت بها الأمثال . فأخذ معاوية فى الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه . فكتب معاوية إلى عبد الله بن سلام يستحثه على الحضور إليه لمصلحة عينها له . وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قدم عليه عبد الله بن سلام الشام أعد له معاوية منزلا حسنا ونقله إليه وبالغ فى إكرامه . ثم قال لأبى هريرة وأبى الدرداء : إن ابنتى قد بلغت وأريد تزويجها ، وقد رضيت عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وأدبه ، وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى ، ولكن أرجو أن لا تخرج عن رأيى إن شاء الله تعالى ، فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذى قال لهما معاوية ، ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها : إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك عبد الله بن سلام وإنكاحى إياك منه وحضاك على المسارعة إلى رضائى ، فقولى لهما : عبد الله بن سلام كفء كريم غير أن تحته أرنيب بنت إسحاق وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء ولست بفاعلة حتى يفارقها ، وأما أبو الدرداء وأبو هريرة فإنهما لما وصلا إلى عبد الله بن سلام أعلماه بما قال لهما معاوية ، فردهما عبد الله خاطبين عنه . فلما مثلا بين يدى معاوية قال : إنى كنت أعلمتكما أنى جعلت لها فى نفسها شورى فادخلا عليها وأعلماها بما رأيت لها فدخلا عليها وأعلماها بذلك . فأبدت ما قرره أبوها عندها من قبل . فعاد إلى عبد الله بن سلام فأعلماه بذلك . ففهم المراد وأشهدهما عليه بطلاق أرنيب وبعثهما إلى خاطبين . فلما دخلا على معاوية أعلماه بطلاق أرنيب . فأظهر معاوية كراهية ذلك وقال : ما استحسنت طلاق زوجته ولا أحببته فانصرفا فى عافية وعودا إلينا . وكتب إليه ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لأرنيب بنت إسحاق وعاد بعد ذلك أبو الدرداء وأبو هريرة إلى معاوية فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالهما عن رضاها وهو يقول : لم يكن لى أن أكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها . فدخلا عليها وأعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسرها بذلك وذكرا فضله وشرفه وكرمه ومروءته . فقالت : جف القلم بما هو كائن ولا أنكر شرفه وفضله وإنى سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ولا قوة إلا بالله . فإن بك صدر هذا اليوم ولى فإن غداً لناظره لقريب . ثم تزايد حديث الناس بطلاق أرنيب وخطبة ابنة معاوية واستحث عبد الله أبا الدرداء وأبا هريرة فأتياها . فقالا لها اصنعى ما أنت صانعة واستخيرى الله .

فقالت : أرجو والحمد لله أن يكون الله قد اختار لى فإنه لا يكل إلى غيره وقد سبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه . فمنهم الناهى عنه والآمر به فلما بلغه كلامها علم أنها حيلة وأنه مخدوع وقال متعوياً ليس لأمر الله راد واعل ما سروا به لا يدوم لهم سروره . قال : وذاع أمره وفشا فى الناس وقالوا : خدعه معاوية حتى طلق امرأته لغرض ابنه . بئس ما صنع . ثم إن معاوية بعد انقضاء أيامها المعلومة وجه أبا الدرداء إلى العراق خاطباً لأرنيب على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . فقال أبو الدرداء بعد أن قدم إلى العراق : ما ينبغى لذى عقل أن يبدأ بشىء قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة إذا دخل موضعاً هو فيه . فقصد الحسين رضى الله عنه . فلما رآه قام إليه وصافحه إجلالا لصحبته لجده صلى الله عليه وسلم . وقال : ما الذى أتى بك يا أبا الدرداء ؟ قال : وجهنى معاوية خاطباً على ابنه يزيد أرنيب بنت إسحاق فرأيت على حقاً أن لا أبدأ بشىء قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك وأثنى عليه وقال : لقد ذكرت نكاحها وأردت الإرسال إليها إذا انقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله على وعليه وهى أمانة فى عنقك وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه . فقال : افعل إن شاء الله .

فلما دخل عندها قال : أيتها المرأة ، إن الله خلق الأمور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدراً ولكل قدر سبباً فليس لأحد عن قدر الله مخلص . فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام على غير قياس . لعل ذلك لا يضيرك وجعل الله فيه خيراً كثيراً . وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن من أقربه من أمته وسيد شباب أهل الجنة فاختارى أيهما شئت . فسكتت طويلا ثم قالت : يا أبا الدرداء لو جاءنى هذا الأمر وأنت غائب لأشخصت فيه الرسل إليك واتبعت فيه رأيك . فأما إذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى فيه بعد الله إليك وجعلته فى يدك فاختر لى أرضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس عليك خفياً .

فقال أبو الدرداء : أيتها المرأة إنما على إعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت : عفا الله عنك : إنما أنا بنت أخيك ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك أداء الأمانة . فلم يجد بداً من القول . فقال : يا بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى فى ذلك وأرضى عندى والله أعلم .

وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً شفتيه على شفتى الحسين فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه . قالت قد اخترته ورضيته . فتزوجها الحسين بن على عليهما السلام . فساق لها مهراً عظيماً .

وبلغ معاوية ما فعله أبو الدرداء فعظم عليه وقال : من يرسل ذا بله وعمى ركب خلاف ما يهوى . وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه إياها ذهباً . وكان معاوية قد اطرحه وقطع عنه جميع

روادفه لقوله : إنه خدعه حتى طلق امرأته . فلم يزل يجفوه حتى قل ما بيده . فرجع إلى العراق . فلما قدمها اتى الحسين رضى الله عنه فسلم عليه ثم قال له لقد علمت ما كان من خبرى وخبر أرنيب وكنت قبل فراق إياها استودعتها مالا وكان الذى كان ولم أقتضه . ووالله إن ظنى بها جميل . فذاكرها فى أمرى فإن الله يجزيك به أجرك . فسكت عنه : فلما انصرف الحسين رضى الله عنه إلا أهله قال لها : قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك فى دينك وحسن صحبتك . فسرنى ذلك وأعجبنى وذكر أنه استودعك مالا . فقالت : صدق استودعنى مالا لا أدرى لمن هو وإنه لمطبوع عليه بخاتمه وها هو ذا فادفعه إلى بخاتمه وطابعه . فأثنى عليه الحسين خيرا وقال : ألا أدخله عليك حتى تبرئى منه . ثم لقى عبد الله فقال : ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته إليها بطابعك . فادخل ياهذا إليها واستوفى مالك منها بحيث تحصل البراءة من الطارفين . فلما دخل عليها قال الحسين رضى الله عنه : هـذا عبد الله بن سلام قد جاء لطلب ودائعه فأخرجت إليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت : هذا مالك . فشكر وأثنى .

فخرج الحسين رضى الله عنه عنهما . وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك جانباً كبيراً وقال لها : والله هذا قليل منى فاستعبرا حتى علت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به .

فدخل الحسين رضى الله عنه عليهما وقد رق لهما . ثم قال : أشهد الله أنها طالق ثلاثاً : اللهم أنت تعلم أنى لم أتزوجها رغبة فى مالها ولا جمالها ولكنى أردت إحلالها لزوجها . فطلقها ولم يأخذ شيئاً مما ساق لها فى مهرها بعدما عرضته عليه . وقال : الذى أرجوه من الثواب خير لى . فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله بن سلام وعادا على ما كانا عليه من حسن الصحبة إلى أن فرق الموت بينهما . فرضى الله عن أهل بيت نبوته وعن الإمام الحسين رضى الله عنه وأحسن مثوبته . آمين .

وقد كتب السيد الفضال « أحمد عبد المنعم البهى » فى مقال له قال فيه : ولقد كان يزيد بن معاوية يضمر للحسين فى نفسه غلا دفيناً لما سببه له من حرمان ممن يحب وحيلولة أبدية بينهما بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى منها . وبعد أن استعمل أبوه معاوية دهاءه الواسع فى تحقيق مآرب ولده يزيد :

وكان طبيعياً وقد ضاعت الفرصة من يزيد أن يتحين الفرصة لشفا غليله وحقده من الحسين رضى الله عنه حتى إذا ما واتته لم يجعل للرحمة سبيلا إلى قلبه ولا يتناسى حقده وغله .

والقصة الحقيقية لحقد على الحسين كما يرويها الثقاة من المؤرخين تدور حول حب يزيد .

ذلك أن يزيد سمع بما يتحدث به الناس عن جمال « أرنيب بنت إسحاق . أو زينب بنت إسحاق » فتحايل حتى تمكن من رؤيتها . ففتن بها وأحبها وازداد شغفا بها مع الأيام ولم يفاتح والده فى أمر زواجها حتى خطبها غيره وتزوجها فازداد وجداً بها وهياماً .

وكان يطوى الليل ويقضى النهار مولعاً بها ويحدث نفسه كيف يتزوجها وقد ضاعت من يده . وكيف ينساها وهو لا ينام الليل مؤرقا بها .

فلما اشتد به الأمر ولم يستطع كتمانها فى نفسه من أمرها صارح أحد أصدقاء أبيه بما يعانى من حبه

وما يود من تزوج هذه الفتاة التي استولت على قلبه وعقله والتمس منه العون عند أبيه . وتلك مسألة لا يغيب حلها عن فطنته ولا تقف أمام ذكائه الوقاد .

وأبلغ الصديق معاوية بحب يزيد وأنه لا أمل له في الدنيا إلا زواج هذه السيدة ، وكان زوجها عبد الله بن سلام أحد ولاة معاوية في العراق ولم يعر معاوية الأمر اهتماماً أمام صديقه شأنه في كل تصرفاته . يفكر فيها وحيداً ويديرها وحيداً . واستدعى ابنه يزيد ولامه لأنه لم يعرب له منذ أحبها عن أنه يريد تزوجها قبل أن تتزوج غيره . ثم أوصاه أن يكتم ما في نفسه عن الناس ولا يذكر شيئاً منه أبداً.

وخلا معاوية لنفسه يفكر في الأمر ثم كتب لواليه عبد الله بن سلام زوج أرنيب التي أحبها يزيد كتاباً قال فيه وأقبل حين تنظر في كتابي هذا لأمر حظك فيه كامل ، ولا تتأخر عنه .

ولم يبطىء الرجل عن المسير فوراً إلى معاوية حين أتاه كتابه . بل كان يستحث الركب ليكون لديه في أقرب وقت .

وحينما وصل إلى مقر معاوية أنزله منزلا مُعداً أحسن إعداد .

واستدعى معاوية اثنين من أصدقائه وقال لهما إن لي بنتا قد بلغت سن الزواج وأردت أن أختار لها رجلا أثق به وله منزلة لدي ومكانة في نفسي ، وتخيرت من بين رجالي فلم أجد من يصلح لزواج ابنتي إلا عبد الله بن سلام ، فاذهبا إليه وأبلغاه أنني أحضرته لهذا الأمر ووقع اختياري عليه لهذا السبب ، وقام الرجلان يزفان هذه البشرى إلى عبد الله بن سلام .

وأما معاوية فقد توجه من فوره إلى كريمته وقال لها إذا بعثت إليك فلانا وفلانا يسألانك رأيك في زواجك من عبد الله بن سلام فقولي لهما : إنه كفء كريم غير أنه متزوج بأخرى وأنا أخشى أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ، ولن أتزوجه حتى يفارقها .

وعاد الرجلان يحملان إلى معاوية ما كان من أمرهما مع عبد الله بن سلام وسروره بهذا النسب ودعواته لأمير المؤمنين بأن اختاره زوجا لكريمته .

فلما أبلغاه هذا قال : إذن فاذهبا إلى كريمتي لتعرفا رأيها وأبلغاها رضائي عن هذا الزواج واختياري لهذا الزوج واعلما عبد الله بما يستقر عليه رأيها ، وتوجها إليها فقالت لهما ما أحفظه لها أبوها ، فعادا إلى عبد الله فأعلماه بما قالت . فنزل عند مشيئتها وطلق أرنيب بنت إسحاق ، وأشهدهما على طلاقها منه . وبعثهما خاطبين لبنت معاوية

ولما اطمأن إلى أن عبد الله طلق زوجته قال لهما : عودا إلى بعد مدة لأدبر أمري وأتمم ما يريد الله وظل يسوف في الأمر ويتعلل بمشاغله حتى انقضت عدة الزوجة المطلقة . ثم أحالهما إلى كريمته لمعرفة رأيها الأخير في الأمر ، فأجابتهما بأنها وجدته غير ملائم لها ولا موافق لما تريده لنفسها وأنها لا تريد أن تتزوج رجلا سبق له الزواج من غيرها وبلغ الأمر عبد الله فندم على ما فعل . بيد أن زوجته قد لحقت بأهلها وقد ساءها تصرف زوجها وطلاقه لها بلا مبرر أو جريرة .

وظن معاوية أنه وصل إلى مقصده وأدرك غايته فاستدعى أبا الدرداء وكان من المقربين إليه وقال له : سافر إلى مقر أرنيب بنت إسحاق واخطبها ليزيد ، وفي الطريق عرج أبو الدرداء على الإمام الحسين رضى الله عنه ليسلم عليه ، وتشعب الحديث . فقال أبو الدرداء : وجهني معاوية إلى أرنيب بنت إسحاق لأخطبها لابنه يزيد فرأيت أن أمر بك وأسلم عليك ، وأنا في طريقي إليها . فقال الحسين : وكان قد عرف ما كان من أمر عبد الله بن سلام ومعاوية . اخطبها لي أيضاً وإنها لأمانة في عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه . ثم توجه أبو الدرداء لمهمته فاستأذن على أرنيب بنت إسحاق فأذنت له . فقال لها : جئت أخطبك باسم أمير هذه الأمة لابنه وولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية ، وأخطبك أيضاً لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من آمن به وسيد شباب أهل الجنة وقد جئتك خاطباً لهما فاختارى أيهما شئت . فمكثت طويلا . ثم قالت . يا أبا الدرداء لو أن هذا الأمر جاءني وأنت غائب لأرسلت إليك الرسل فيه واتبعت مشورتك ورأيك . فأما إذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى إليك وجعلته في يديك فاختر لي أرضاهما لديك ، ورد عليها : إن هذا الأمر لك وعلى إبلاغك والاختيار مفوض إليك . قالت : إليك تركت الاختيار وحملتك أمانته ولن أرد ما تقول وسأنزل على اختيارك . فقال لها : إن ابن بنت رسول الله أحب إلى وأرضاهما عندى وإن كنت تريدين أن تقبلى الفم الذى قبله رسول الله فاختارى الحسين وإن كنت تريدين الدنيا والمال فاختارى يزيد .

فاختارت الحسين راضية وأمهرها وبنى بها .

وعاد أبو الدرداء إلى معاوية وكان ينتظر عودته هو ويزيد على أحر من الجمر . فلما أخبرهما بما جرى ضرب معاوية كفا بكف وتمثل بقول الشاعر :

أنعمى أم خالد رب ساع لقاعد

ولام أبا الدرداء لوماً شديداً على تصرفه ثم قال : وأنا بالملامة لمنه أولى حين بعثته ولحاجتى اخترته .

أما مقصد الحسين رضى الله عنه من هذه الزيجة فلم يكن الاستمتاع أو الحب كما كان يريد يزيد ، وإنما كان مقصداً نبيلا شريفاً أراد به الرد على تصرف معاوية وابنه فقد كان الناس يرون في عملهما تصرفاً لا يقره الشرع والدين وإنما استعملا الحيلة والنفوذ للتفريق بين زوجين مخلصين متحابين لإشباع رغبة يزيد وزواجه بمن يريد .

وكان زواج الحسين بأرنيب بنت إسحاق عملا أثلج صدور الناس وقابلوه بالسرور والترحاب .

أما ما كان من الحسين بعد ذلك فقد كان السمو والرفعة في أسمى معانيهما جاءه عبد الله بن سلام الزوج السابق لأرنيب بعد أن أخرجه معاوية من خدمته وأنزل به غضبه وقال للحسين : لقد شفيت بتصرفك الكريم ما بنفسى من وجد وألم . ولقد كنت ضحية لإغراء معاوية وسلطانه ، والآن وقد ضاقت يدى وذهب مالى فذكرت أنى كنت استودعت أرنيب مالا قبل طلاقها . فهل لى أن أرجوك في أدائه أفرج به كربتى وأنفق منه بقية حياتى ، وانصرف الحسين إلى أرنيب وقال لها قدم على عبد الله

ابن سلام وهو يحسن الثناء عليك فى حسن صحبتك إليه . وذكر أنه كان قد استودعك مالا قبل فراقه إياك فأدى إليه أمانته ورد عليه ماله فإنه لم يقل إلا صدقا ولم يطلب إلا حقاً . فقالت : نعم لقد استودعنى مالا لا أدرى ما هو وإنه كما أعطانى إياه . فى أحرازه . خذه إليه . فقال الحسين : لا بل ادفعيه أنت إليه كما سلمه إليك . ثم استدعى عبدالله ليتسلمه منها . ووقف عبدالله خلف حجاب وناولته أرنيب ماله فى أحرازه ففض أحد الأحراز وأعطاها جانباً من المال تقديراً لأمانتها واعترافا بفضلها وبكى أسفاً وندما على ما كان منه فى حقها وشأنها ـ وهى المرأة الفاضلة . وهنا قال الحسين : يا عبد الله إنى لم أتزوجها رغبة فى مالها أو جمالها ولكننى أردت أن أفوت على الغاصبين مقصدهم وهى طالق منى اليوم لتعود إليك . تستأنفا حياتكما كما كنتما .

وكان الموقف أجل من أن يوصف بكى عبد الله وبكت أرنيب تقديراً لبطولة الحسين ووفائه وسمو أخلاقه وعلو نفسه . واستلهما المولى أن يجزيه عنهما خير الجزاء وأن يكافئه على حسن صنيعه وإحباط مؤامرة يزيد خيراً كثيرا .

لم يكن هذا بالنسبة ليزيد بالأمر السهل أو الهين على نفسه فقد طلقها من زوجها لتكون له ثم اختارت الحسين عليه فحرم منها وتأججت نفسه حقدا عليه ثم أعادها الحسين لزوجها فاستقر فى ذهن يزيد أن الحسين رضى الله عنه صنع ما صنع ليحول بينه وبين زواجها منه وهى شغله الشاغل وهمه المقيم كل ذلك جعل صدر يزيد يغلى على الحسين ويتحين الفرص للانتقام أيا كان لون هذا الانتقام ومداه فلما انتهى إليه أمر الخلافة بعد أبيه كانت الفرصة سانحة والجو مهيأ لينال من الحسين .

وكذب على التاريخ أن يقال إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين فى موقعة كربلاء وإنما كان هذا تصرفا من قائد الحملة ضده . فيزيد يعلم أن الحملة التى أرسلها كانت موجهة لقتال الحسين والقضاء عليه .

ولقد فهم الحسين رضى الله عنه الغاية والقصد مما يراد به فقال لمرافقيه : لقد بررتم وعاونتم والقوم لا يريدون غيرى لو قتلونى لم يبتغوا غيرى أحداً فإذا جنكم الليل فتفرقوا فى سواده وانجوا بأنفسكم ، وأبى رفاقه أن يتركوه وحيداً وقالوا . لسنا خيراً منك حتى يتركك وحيداً معاذالله بل نحيا ونموت معك ، وظلوا إلى جواره يدافعون معه فى بطولة لم يشهدها التاريخ وهم بلا ماء ولا زاد حتى حم القضاء وقتل شمر بن ذى الجوشن الحسين وفصل رأسه الشريف عن جسده وبعث به إلى يزيد مع من بقى من آل الحسين من الصبيان والنساء .

رضى الله عنك فقد استشهدت فى سبيل الله لإعلان كلمته ولقد ذهب مجد شانئيك وبقى مجدك يذكرك الناس كل صباح ومساء ويزورون ضريحك العامر فى كل مكان هنا وفى دمشق وفى كربلاء وفى كل مكان دفنت فيه أو نقلت إليه .

أبقى الله على الأيام ذكرك وجعل لنا من سيرتك الكريمة مثلا يحتذى ومن بطولتك الفذة خير معين وحسبنا يا إمام أن يكون لنا بيننا مزار فى القاهرة مكان فما كانت مصر إلا محبة لكم أهل البيت ومؤيدة لدعوتكم وعهدكم . والسلام عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا .

وأما الإمام الحسن رضى الله عنه فقد قال فى شأنه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . وهما طائفة الحسن . وطائفة معاوية . وكان الإمام الحسن رضى الله تعالى عنه حليماً فاضلا ورعا دعاه ورعه إلى أن ترك الملك رغبة فيما عند الله تعالى لا لقلة ولا لعلة . فإنه لما قتل الإمام على كرم الله وجهه ورضى عنه بايعه أكثر من أربعين ألفاً . فبقى خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان ستة أشهر وأياما . ثم سار إلى معاوية فى أهل الحجاز وسار إليه معاوية فى أهل الشام . فلما التقى الجمعان بمنزل من أرض الكوفة وأرسل إليه فى الصلح أجاب على شروط . منها أن يكون له الأمر بعده . وأن يكون له من المال ما يكفيه فى كل عام .

فلما خشى يزيد بن معاوية طول عمره أرسل إلى زوجة الإمام الحسن جعدة بنت الأشعث أن تسمه ويتزوجها . ففعلت .

فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها . فقال : إن لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا ؟ وكانت وفاته رضى الله عنه سنة تسع وأربعين وقيل سنة خمسين . ودفن بالبقيع إلى جانب أمه فاطمة رضى الله تعالى عنها . وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) . فهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم إذ هو إخبار عن غيب .

وفى المنن لسيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع ابنة الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه وأنها فى هذا المكان بلا شك كما أخبر بهذا سيدى على الخواص رضى الله عنه الذى كان يخلع نعله من عتبة الدرب ويمشى حافياً حتى يتجاوز مسجدها ويقف تجاه وجهها ويتوسل بها إلى الله تعالى فى أن يغفر له . فهى رضى الله عنها أخت الإمام الحسن وأخت الإمام الحسين رضى الله عنهما .

وفى الطبقات لسيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه أن مولاتنا زينب رضى الله عنها أنشدت بعد قتل أخيها الحسين رضى الله عنه برفع صوت ورأسها خارج من الخباء :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم	ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتى وبأهلى بعد فرقتكم	منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم	أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

وفى كتاب مشارق الأنوار للشيخ عبد الرحمن الأجهورى أنه قد حصل له فى سنة سبعين ومائة بعد الألف كرب شديد . فتوجه إلى مقام السيدة زينب رضى الله تعالى عنها وأنشدها القصيدة الآتية فانجلى عنه الكرب ببركتها وهذه هى القصيدة :

آل طه لكم علينا الولاء	لا سواكم بما لكم آلاء
مدحكم فى الكتاب جاء مبينا	أنبأت عنه ملة سمحاء

حبكم واجب على كل شخص … حدثتنا بضمنه الأنباء
إننى لست أستطيع امتداحا … لعلاكم وأنتم البلغاء
كيف مدحى يفى بعلياء من قد … عجزت عن بلوغه الفصحاء
مدحكم إنما يريد بليغ … وقفت عند حده الشعراء
شرفت مصرنا بكم آل طه … فهنيئا لنا وحق الهناء
منكم بضعة الإمام على … سيف دين لمن به الاهتداء
خيرة الله أفضل الرسل طرا … من له فى يوم المعاد اللواء
زينب فضلها علينا عميم … وحماها من السقام شفاء
كعبة القاصدين كنز أمان … وهى فينا اليتيمة العصماء
وهى بدر بلا خسوف وشمس … دون كسف والبضعة الزهراء
وهى ذخرى وملجئى وأمانى … ورجائى ونعم ذاك الرجاء
قد أنخت الخطوب عند حماها … فعسى ينجلى بها الضراء
ليس إلاك وصلى لنبى … خمدت عند نصره الأعداء
من كراماتها الشموس أضاءت … أين منها السها وأين السماء
من أتاها وصدره ضاق ذرعاً … من عسير أو ضاق عنه الفضاء
حلت الخطب مسرعاً وجلته … فانجلى عنه عسره والعناء
لا يضاهى آل النبى وصيف … لا يوفى كما لهم أدباء
شرفت منهم النفوس وسادوا … حيثما أشرفوا فهم شرفاء
وعليهم جلالة وفخار … ووقار وهيبة وضياء
نوروا الكون بعد أن كان ظلاماً … إذ أضاءت غرام الغراء
كل مدح مقصر بعلاهم … كل فرد من هديهم لالاء
لهم الفضل من ألست فأنى … من سواهم يكون فيه استواء
إن هل يستوى الذين دليل … وانطهيرهم بذاك اقتفاء
إن لى يا كرام حق جوار … فاحفظوه فإنكم أمناء
عن أبيكم روى الثقاة حديثاً … حدثتنا بضمنه الأنباء
إن بالجار لم يزل جبرا … نيل مضاه ليس فيه خفاء
لست أخشى الضياع والحب عندى … طب قلبى ومقلتى وجلاء

بيتكم مهبط لجبريل وحياً ... فيه تغدوا الملائك الكرماء
من أتى حيكم وكان أسيراً ... لدواعيه زال عنه الشقاء
ياكرام الورى أغيثوا نزيلا ... أجحفته الخطوب والأدواء
قسما إن وصفكم فى الثريا ... أيدتكم نجومها والسماء
فتوسل بهم فى كل صعب ... حيث جاء ابتغوا فهم شفعاء
وصلاة على النبى وآل ... وكذا الصحابة الأتقياء
ما حمام بروضته قد تسجع ... أو على الدوح تفرح الورقاء
وعبيد عبد الرحمن أنشأ مدحاً ... آل طه لكم علينا الولاء

وعن عبد الله الزاهد قال : لما ولى عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف : أما بعد فانظر فى دماء بنى عبد المطلب فاجتنبها فإنى رأيت آل أبى سفيان لما اولعوا بها لم يلبثوا إلا قليلا . والسلام . وأرسل بالكتاب بعد أن ختمه سراً إلى الحجاج وقال له : اكتم ذلك . فكوشف بذلك على بن الحسين وان الله قد شكر ذلك لعبد الملك . فكتب على بن الحسين من فوره : بسم الله الرحمن الرحيم من على ابن الحسين إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين . أما بعد : فإنك كتبت فى يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج فى حقنا بنى عبد المطلب بماهو كيت وكيت وقد شكر الله لك ذلك . وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له إلى عبدالملك بن مروان . وذلك من المدينة المشرفة إلى الشام . فلما وقف عبد الملك على الكتاب وتأمله وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه الذى كتبه إلى الحجاج ووجد فخرج غلام على بن الحسين موافقا لمخرج رسوله إلى الحجاج فى يوم واحد وساعة واحدة . فعلم صدقه وصلاحه وأنه كوشف بذلك فأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وثياباً وكسوة فاخرة . وسيرة إليه من يومه وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه .

قال أبو حمزة الثمالى : أتيت باب على بن الحسين فكرهت أن أنادى فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلمت عليه ودعوت له . فرد على . ثم انتهى بى إلى الحائط فقال : يا أبا حمزة ألا ترى إلى هذا الحائط . قلت : بلى يا سيدى . قال : فإنى متكىء عليه وأنا حزين مفكر إذ دخل على رجل حسن الثياب طيب الرائحة ثم نظر فى وجهى وقال : يا على بن الحسين أراك كئيبا حزينا على الدنيا . فهو رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر . فقلت : ما عليها أحزن وأنه كما تقول . قال : فعلام حزنك ؟ قلت : أتخوف من فتنة ابن الزبير . قال : فضحك . ثم قال : يا على هل رأيت أحداً خاف الله فلم ينجه قلت : لا . قال يا على : هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا . ثم نظرت فإذا ليس قدامى أحد فعجبت من ذلك وإذا بشخص أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول : يا على يا ابن الحسين . هذا الخضر ناجاك .

قال أبو بصير : قلت يوماً لأبى جعفر محمدالباقر رضىالله عنه أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال : نعم . قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم وارث الأنبياء جميعهم . قال : وارث علومهم . قلت : وأنتم ورثتم جميع علوم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : نعم . قلت . فأنتم تقدرون أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص وتخبروا الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ؟ قال : نعم . ادن منى يا أبا بصير وكان أبو بصير مكفوف النظر . قال : فدنوت منه فمسح بيده على وجهى فأبصرت السماء والجبل والأرض . فقال : أتحب أن تكون هكذا تبصر وحسابك على الله أو تكون كما كنت ولك الجنة . قلت : الجنة فمسح بيده على وجهى فعدت كما كنت .

وقال حاتم بن حاتم الأصم . قال لى شقيق البلخى : خرجت حاجاً سنة ست وأربعين ومائة فنزلت بالقادسية . فبينما أنا أنظر الناس فى خروجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه شديد السمرة نحيف فوق ثيابه صوف مشتمل بشملة وفى رجليه نعلان وقد جلس منفرداً . فقلت فى نفسى : هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلا عليهم فى طريقهم والله لأمضين إليه ولأوبخنه . فدنوت منه فلما رآنى مقبلا نحوه قال : يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم . ثم تركنى وولى . فقلت فى نفسى : إن هذا الأمر عجيب تكلم بما فى خاطرى ونطق باسمى هذا عبد صالح لألحقنه وأسألنه الدعاء وأتحلله بما ظننته فيه . فغاب عنى ولم أره .

فلما نزلنا وادى فضة فإذا هو قائم يصلى . فقلت : صاحبى أمضى إليه وأستحله . فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت إلى وقال : يا شقيق اتل : (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) . ثم قام ومضى وتركنى . فقلت : هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على ما فى سرى مرتين .

فلما نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على البئر وأنا أنظر إليه وبيده ركوة فيها ماء فسقطت من يده فى البئر . فرمق إلى السماء بطرفه فسمعته يقول : أنت شربى إذا ظمئت من الماء وقوتى إذا أردت طعاما ثم قال : إلهى وسيدى مالى سواك فلا تعدمنيها . فوالله لقد رأيت الماء ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه فمد يده فأخذها فتوضأ منها وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده منه ويجعل فى الركوة ويحركها ويشرب . فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد على السلام . فقلت : أطعمنى من فضل ما أنعم الله به عليك . فقال يا شقيق : لم تزل نعم الله على ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة فشربت منها فإذا سويق بسكر فوالله ما شربت قط ألذ منه وأطيب فشربت ورويت حتى شبعت . فأقمت أياما لا أشتهى طعاماً ولا شراباً . ثم لم أره حتى نزلنا بمكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب نصف الليل وهو قائم يصلى بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر . ثم قام إلى حاشية المطاف فركع ركعتى الفجر هناك ثم صلى الصبح مع الناس ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس ثم صلى خلف المقام ، ثم خرج يريد الذهاب فخرجت خلفه أريد السلام عليه وإذا بجماعة أحاطوا به يميناً وشمالا ومن خلفه ومن أمامه وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه . فقلت لأحدهم : من هذا الفتى يا سيدى ؟ فقال : هذا موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم . وهذه الكرامة رواها ابن الجوزى فى كتابه (مثير الغرام الساكن إلى أشرف

الأماكن) ورواها غيره من العلماء فى كتبهم . وهى كرامة اشتملت على كرامات .

وروى إسحاق بن عمار قال : لما حبس هارون الرشيد موسى الكاظم دخل الحبس ليلا أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة فسلما عليه وجلسا عنده وأراد أن يختبراه بالسؤال لينظرا مكانه من العلم . فجاء بعض الموكلين به . فقال له إن نوبتى قد فرغت وأريد الانصراف إلى غد إن شاء الله تعالى فإن كان لك حاجة تأمرنى أن آتيك بها غداً إذا جئت . فقال : مالى حاجة انصرف ثم قال لأبي يوسف ومحمد بن الحسن : إنى لأعجب من هذا الرجل يسألنى أن أكلفه حاجة يأتينى بها معه غـــداً إذا جاء وهو ميت فى هذه الليلـــة . فأمسكا عن سؤاله وقاما ولم يسألاه عن شيء وقالا أردنا أن نسأله عن الفرض والسنة فأخذ يتكلم معنا فى علم الغيب والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره وينظر ماذا يكون من أمره . فأرسلا شخصا من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل فلما كان اثناء الليل وإذا بالصراخ والناعية . فقيل لهم : ما الخبر ؟ فقالوا : مات صاحب البيت فجاء فعاد إليهما الرسول وأخبرهما فتعجبا من ذلك غاية العجب .

وقد نقل الأجهورى : أن السيدة رقية بنت الإمام على كرم الله وجهه المدفونة بمصر بالمشهد القريب من جامع شجرة الدر لما جاءت من المدينة اعترضها شخص من آل يزيد بن معاوية وأراد قتلها فوقفت يده فى الهواء وسقط ميتاً .

وفى دور الأصداف أن السيدة نفيسة رضى الله عنها بنت سيدى حسن الأنور رضى الله عنه المدفونة بمصر كانت لا تأكل إلا كل ثلاثة أيام أكلة . قال القضاعى : قيل لزينب بنت يحيى المتوج وهو أخو السيدة نفيسة رضى الله عنهم : ما كان قوت السيدة نفيسة ؟ قالت : كانت لا تأكل إلا كل ثلاثة أيام أكلة وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها . فكانت كلما اشتهت شيئاً وجدته فى السلة وكنت أجد عندها مالا يخطر بخاطرى ولا أعلم من يأتى به . فتعجبت من ذلك . فقالت لى : يا زينب من استقام مع الله تعالى كان الكون بيده وفى طاعته .

وعن زينب أيضا قالت . كان يسكن بجوار دار السيدة نفيسة رضى الله عنها رجل يهودى فأرادت امرأته أن تذهب إلى الحمام وكانت لها ابنة مقعدة فاستأذنت امرأة اليهودى السيدة نفيسة فى ترك ابنتها عندها حتى ترجع من الحمام . فأذنت لها فوضعتها فى جانب من البيت ومضت فجاء وقت الظهر فاحضرت السيدة نفيسة ماء فتوضأت به فاخذت الصبية المقعدة شيئاً من الماء وصارت تمر به على أعضائها . فتمددت أعضاؤها المعقدة بإذن الله تعالى . فلما جاء أهلها خرجت إليهم تمشى سالمة فسألوها عن شأنها فاخبرتهم فاسلموا جميعاً .

وفى المآثر النفيسية أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان إذا مرض يرسل رسولا من أصحابه إلى السيدة نفيسة يسأله الدعاء له . فيقول المرسل إليها : إن ابن عمك الشافعى مريض ويسألك الدعاء فتدعو له . فلا يرجع له القاصد إلا وقد عوفى من مرضه . فلما مرض مرضه الذى مات فيه أرسل لها على جارى عادته يلتمس منها الدعاء . فقالت للقاصد : متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم . فجاء القاصد

له فلما رآه الشافعى سأله عما قالته له : فقال له : قالت كيت وكيت . فعلم أنه ميت فأوصى ، وأوصى أن تصلى عليه . فلما توفى مروا به على بيتها فصلت عليه مأمومة ، وكان الذى صلى بها إماماً أبو يعقوب البويطى أحد أصحاب الشافعى رضى الله عنه ، وكان مرور جنازة الشافعى على بيتها بأمر السرى أمير مصر لأنها سألته فى ذلك إنفاذا لوصية الشافعى رضى الله عنه . لأنها كانت لا تستطيع الخروج إلى جنازته لضعفها من كثرة العبادة .

قال بعض الصالحين ممن حضر جنازة الشافعى رضى الله عنه : سمعت بعد انقضاء الصلاة عليه أن الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعى بالشافعى وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه رضى الله تعالى عنهما .

وعن سعيد بن الحسن قال : توقف النيل فى زمن السيدة نفيسة رضى الله عنها . فجاء الناس إليها . فأعطتهم قناعها فجاءوا به إلى البحر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفى البحر وزاد زيادة عظيمة .

وإن امرأة عجوزاً كان لها أربع بنات يتقوتن من غزلهن من الجمعة إلى الجمعة ، وفى آخر الجمعة تأخذ العجوز غزلهن وتمضى به إلى السوق فتبيعه وتشترى بنصف ثمنه كتانا وبنصفه الآخر ما يقتتن به من الجمعة إلى الجمعة . فأخذته العجوز يوما ووضعته فى خرقة حمراء ومضت به إلى السوق . فبينما هى مارة فى الطريق انقض طائر على رزمة الغزل واختطفها وارتفع . فوقعت المرأة مغشياً عليها . فلما أفاقت قالت : كيف أصنع لأيتام وقد أجهدهم الجوع ، وصارت تبكى . فاجتمع الناس عليها وسألوها عن شأنها فأخبرتهم بالقصة . فدلوها على السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقالوا لها : اذهبى إليها واسأليها الدعاء فإن الله تعالى ببركة دعائها يزيل ما بك . فمضت العجوز إلى السيدة نفيسة وأخبرتها بقصتها وما جرى لها وسألتها الدعاء . فرحمتها السيدة نفيسة وقالت : يا من علا فقدر وملك فقهر اجبر من أمتك هذه ما انكسر فإنهن خلقك وعيالك . ثم قالت للعجوز : اقعدى فإنه على كل شىء قدير . فقعدت المرأة وفى قلبها لوعة من جوع أولادها . فما كان إلا ساعة حتى أقبل جماعة من الناس يستأذنون فى الدخول على السيدة رضى الله عنها فأذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها . فسألتهم عن أمرهم ، فقالوا : إن لنا لأمرا عجيباً . نحن قوم تجار ولنا زمن ونحن مسافرون فى البحر ونحن بحمد الله سالمون . فلما وصلنا إلى قرب بلدكم انفتحت المركب التى نحن فيها ودخل الماء علينا حتى أشرفنا على الغرق وجعلنا نسد الموضع الذى انفتح بجهدنا فلم ينسد ، فاستغثنا إلى الله تعالى وتوسلنا بك إليه فإذا بطائر ألقى إلينا خرقة فيها غزل فوضعناها فى المكان الذى انفتح فانسد بإذن الله تعالى ببركتك ، وقد جئنا بخمسمائة درهم فضة شكرا لله على السلامة . فعند ذلك بكت السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقالت . إلهى ما أرأفك وألطفك بعبادك . ثم نودى على العجوز فجاءت فقالت لها السيدة . بكم تبيعين غزلك كل جمعة فقالت . بعشرين درهما . فقالت : لها أبشرى فإن الله تعالى عوضك عن كل درهم خمساً وعشرين درهما . وأعطتها جميع ما جاء به التجار ، فانصرفت إلى بناتها فرحة شاكرة لله تعالى إغاثتها ورد لهفتها ببركة السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها .

وإن رجلا من أهل المغافر تزوج بامرأة ذمية فرزق منها بولد فأسر فى بلاد العدو فجاءت المرأة تفتش عن ولدها فى الكنائس وتسأل عنه الأسارى فلم تهتد إليه . فقالت لزوجها : بلغنى أن بين أظهرنا امرأة صالحة يقال لها نفيسة بنت الحسن اذهب إليها لعلها تدعو لولدى بالرجوع إلينا . فإن جاء آمنت بدينها . فجاء الرجل إلى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقص عليها أمره : فدعت له أن الله يرده عليه . فلما كان الليل إذا بالباب يطرق فخرجت المرأة لترى الطارق فوجدت ولدها هو الطارق . فقالت له : يا بنى أخبرنى بأمرك ؟ فقال : يا أماه كنت واقفاً بالباب فى الوقت الفلانى وهو الوقت الذى دعت الله فيه السيدة نفيسة وأنا فى خدمتى فلم أشعر إلا ويد وقعت على القيد الحديدى وسمعت من يقول اطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن . فأطلقت من الغل الذى كان فى عنقى والقيد الذى كان فى رجلى . ثم لم أشعر بنفسى إلا وأنا داخل من رأس الشارع إلى أن وقفت على الباب . ففرحت أمه وشاعت هذه الكرامة فأسلم فى تلك الليلة أهل سبعين دارا ببركتها وأسلمت أمه وصارت من خدم السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها .

وإن بنتاً كانت تلعب مع الصبيان وعلى رأسها قلنسوة عليها بعض دراهم ودنانير فطمع صبى من الصبيان فى البنت فأخذها وذهب بها إلى مقبرة السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها ونزل بالبنت فى فسقية من القبور وذبحها وأخذ الطاقية . ففقد البنت أهلها وأخذوا يفتشون عليها فلم يروا لها أثراً ولا خبراً . ثم ألهموا القبض على الصبيان الذى جرت عادت البنت اللعب معهم فقبضوا عليهم ورفعوهم إلى الحاكم فهددهم الحاكم فأقر الصبى بما فعله مع البنت فأخذوه به إلى المقبرة ونزلوا القبر فوجدوا به البنت وبها حياة مستقرة وقد انقطع خروج الدم من موضع الذبح نخاطوا ذلك الموضع وعاشت البنت وأخبرت أنها لما ذبحها الصبى وانصرف دخلت عليها امرأة حسنة الصورة وقالت : لا تخافى يا بنيتى ومسحت على محل الذبح فانقطع الدم . فقالت لها البنت : من أنت ؟ فقالت لها : أنا السيدة نفيسة . رضى الله تعالى عنها . أورد هذه الكرامة ابن إياس فى حوادث المائة العاشرة .

ولما ظلم أحمد بن طولون وقبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها واشتكوه إليها . فقالت لهم : متى يركب ؟ فقالوا : فى غد . فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه ، وقالت : يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها وترجل عن فرشه وأخذ الورقة منها وقرأها . فإذا فيها مكتوب : ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت عليكم الأرزاق فقطعتم . هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة لا سيما من قلوب أجعتموها وأجساد أعريتموها . اعملوا ما شئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا فإنا منكم متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . فعدل من وقته وساعته .

وقد مدح بعض الفضلاء السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها بأبيات أحببنا ذكرها هنا فقال :

يا من له فى الكون من حاجة ... عليك بالسيدة الطاهرة

نفيسة والمصطفى جدها ... أسرارها بين الورى ظاهرة

في الشرق والغرب لها شهرة ... أنوارها ساطعة باهرة
كم من كرامات لها قد بدت ... وكم مقامات لها فاخرة
يا حبذا سيدة شرفت ... بها أراضي مصر بالقاهرة
بنفسها قد حفرت قبرها ... حال حياة يا لها حافرة
تتلو كتاب الله في لحدها ... وهي لمن قد زارها ناظرة
حجت ثلاثين على رجلها ... صائمة عن أكلها قاصرة
كانت تصوم وتقوم الدجى ... دوماً على أقدامها ساهرة
عابدة زاهدة جامعة ... للخير في الدنيا والآخرة
في كل قطر قد سما ذكرها ... عالمة فائقة ماهرة
يسقى بها الغيث إذا ما القرى ... قد أجدبت من سحبها الماطرة
والناس قد عاشوا بها في صفا ... عيش بأيام لها زاهرة
والشافعي قد كان يأتي لها ... سعياً إلى دار بها عامرة
يرجو بأن تدعو له دعوة ... فينالها من دعوة وافرة
صلت عليه بعد موت وقد ... أوصى بهذا فهي له شاكرة
سبحان من قد أعلى لها قدرها ... لأنها بين الورى نادرة

وقد مدحها رضي الله عنها الشيخ أحمد الخادمي فقال :

يا صاح إن رمت الحياة الفاخرة ... فاقصد حمى بنت الكرام الطاهرة
ذات الكرامات المعظمة التي ... أسرارها بين الخلائق ظاهرة
وبها توسل واحتمي بجوارها ... واذكر مصابك تلقها لك ناصرة
فهي المنجية الشباب من العذا ... ب مغيثة الملهوف شمس الدائرة
كم جاءها ذو فاقة يرجو الغنى ... جبرت بتيسير المعايش خاطره
فاغنم وسل بمقامها تعط المنى ... فعلى الدوام لزائريها حاضرة
وادخل وطف واسع وسل بتأدب ... ما تشتهيه ونادها يا طاهرة
إني قصدتك مستغيثا لائذاً ... مستعطفاً أهل القلوب العامرة
حاشا وكلا أن يضام نزيلكم ... أو أن يعود بصفقة هي خاسرة
يا كعبة الأسرار جئتك لائذا ... أبغي الندا من وكف كف عاطرة
يا أم هاشم الغيثات فإنني ... عبد ضعيف الحال يدي قاصرة
دنف ومسكين مهين عاجز ... مالي معين قط عيني ساهرة

يا بنت طه انقذى مهين ومحتاج لأيد خيرة
من لم يجد جاها سوى ذى المعجزات الظاهرة
المصطفى الهادى البشير محمد من يرتجى كل الأنام مآثره
صلى عليه الله ما بدر زها والآل والصحب والنجوم الزاهرة

قال القضاعى : إن السيدة نفيسة انتقلت من المنزل الذى نزلت به إلى دار أبي جعفر خالد بن هرون السلمى وهى التى وهبها لها أمير مصر السرى بن الحكم فى خلافة المأمون . فأقامت بها حيناً إلى زمن وفاتها وحفرت قبرها بيدها فى بيتها وكانت تصلى فيه كثيراً . وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة من القرآن الكريم وفى رواية عنه ألفى ختمه . وقيل ألفا وتسعمائة .

قالت زينب بنت أخيها : تألمت عمتى فى أول يوم من رجب وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتابا وكان غائبا بالمدينة تستدعيه إليها ، ولا زالت كذلك إلى أول جمعة من شهر رمضان . فزاد بها الألم وهى صائمة . فدخل عليها الأطباء وأشاروا عليها بالإفطار لحفظ القوة لما رأوه من الضعف الذى أصابها . فقالت : واعجباه : لى ثلاثون سنة أسأل الله عز وجل أن يتوفانى وأنا صائمة فأفطر . معاذ الله . ثم أنشدت تقول :

اصرفوا عنى طبيبى ودعونى وحبيبى
زاد بى شوقى إليه وغرامى فى لهيبى
طاب هتكى فى هواه بين واش ورقيب
لا أبالى بفوات حين قد صار نصيبى
ليس من لام بعذل عنه فيه بمصيب
جسدى راض بسقمى وجفونى بنحيبى

قالت زينب بنت أخيها : ثم إنها بقيت كذلك إلى العشر الأواسط من شهر رمضان فاحتضرت واستفتحت بقراءة سورة الأنعام فلا زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى : (قل لمن ما فى السموات والأرض . قل لله كتب على نفسه الرحمة) ففاضت روحها الكريمة .

وفى درر الأصداف عنها قالت : فلما توصلت إلى قوله تعالى (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) غشى عليها فتشهدت بشهادة الحق وقبضت . رحمة الله تعالى عليها .

ووصل زوجها فى ذلك اليوم فقال : إنى أحملها إلى المدينة وأدفنها بالبقيع . فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد واستجاروا به إلى زوجها إسحاق ليرده عما أراد فأبى فجمعوا له مالا كثيراً وسقى بعيره الذى أتى عليه وسألوه أن يدفنها عندهم فأبى فباتوا فى مشقة عظيمة . فلما أصبحوا اجتمعوا عليه فوجدوا منه غير ما عهدوه بالأمس فقالوا له : إن لك لشأنا قال: نعم . رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى:

رد عليهم أموالهم وادفنها عندهم ودفنت بجوار بدرب السباع ، وكان يوم دفنها يوماً مشهوداً وأتوها من البلاد والنواحى يصلون عليها بعد دفنها وأوقدت الشموع تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف عليها رحمة الله تعالى عليها تمم مرقدها الطاهر المبارك .

قال المقريزى فى خططه : قبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر ، وذكر بقية المواضع فقال : وسجن نبى الله يوسف عليه السلام فى أبى صير بالجيزة ، ومسجد موسى صلوات الله عليه وسلامه وهو الذى بطرا ، والمخدع الذى على يسار المصلى فى قبة مسجد الأقدام بالقرافة . قال : ولم يزل المصريون من أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمضون إلى أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم وقد جرب ذلك ، وقد عد من المواضع التى يجاب بها الدعاء جامع ابن طولون كما ذكره المقريزى عند الكلام عليه .

وعبارته : جامع ابن طولون موضعه يعرف بجبل يشكر . قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء ، وقيل إن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وقبر السيدة بنت محمد بن جعفر الصادق بالمشهد المجاور لقبر عمرو بن العاص غربى الإمام الشافعى رضى الله عنه هذا القبر معروف بإجابة الدعاء . روى أهل مصر جاءوا إلى هذا المشهد يستسقون وقد توقف النيل فجرى بإذن الله تعالى . كما أن قبر ولى الله السمرقندى المجاور لقبة الإمام الشافعى رضى الله عنه من الجهة الشرقية يستجاب عنده الدعاء . لأنه كان رجلا صالحا مجاب الدعوة .

قال أبو المواهب الشاذلى رضى الله عنه رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى : يا محمد إذا كان لك إلى الله تعالى حاجة فانذر لنفيسة الطاهرة ولو درهما يقضى الله تعالى حاجتك .

وقال أبو نعيم فى الحلية بسنده قال : خرجت أم أيمن الحبشية التى كانت حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وهى ماشية ليس معها زاد وهى صائمة فى يوم شديد الحر فأصابها عطش شديد حتى كادت أن تموت من شدة العطش وكانت بالروحاء أو قريباً منها فلما غابت الشمس قالت : إذا أنا بحفيف شىء فوق رأسى فرفعت رأسى فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض قالت فدنا منى حتى إذا كان حيث استمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت قالت : فلقد كنت بعد ذلك اليوم أطوف فى الشمس كى أعطش وما عطشت بعدها .

وفى السكافى عن أبى الصباح عن أبى جعفر محمد الباقر رضى الله عنه قال : كانت أمى وهى السيدة فاطمة بنت الإمام الحسن بن على رضى الله عنهم كانت قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة فقالت بيدها لا وحق المصطفى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لك فى السقوط فبقى معلقا فى الجو حتى جازته .

جهد أهل مكة من العطش لقلة الغيث والماء وأخذ القوم يدعون إذا بفتى قد جاء فطاف بالكعبة أشواطاً ثم أقبل القوم على فقال : أما فيكم أحد يحبه الرحمن ؟ فقالوا : يا فتى علينا الدعاء وعلى الله

الإجابة فقال : ابعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه . ثم أتى الكعبة فخر ساجداً وإذا به يقول فى سجوده : سيدى بحبك لى إلا سقيتهم الغيث فما استتم دعاءه حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب وسقى الناس فقالوا له يا فتى من أين علمت أنه يحبك ؟ فقال لو لم يحبنى لم يستذرنى فلما استذرانى علمت أنه يحبنى فسألته بحبه لى ، فأجابنى . ثم ولى عن القوم وأنشأ يقول :

من عرف الرب فلم تغنه　　معرفة الرب فذاك الشقى

ما ضر ذا الطاعة ما ناله　　فى طاعة الله وماذا لقى

ما يصنع العبد بغير التقى　　والعز كل العز للمتقى

فقالوا يا أهل مكة من هذا ؟ فقالوا هذا على بن الحسين رضى الله عنهما :

وفى حلية الأولياء بسنده عن ابن شهاب الزهرى قال : شهدت على بن الحسين يوم حمله عبد الملك ابن مروان من المدينة إلى الشام فأثقله حديداً ووكل به حفاظا . فاستأذنتهم فى التسليم عليه والتوديع له . فأذنوا لى فدخلت عليه وهو فى قبة والقيود فى رجليه والغل فى يديه . فبكيت وقلت وددت أنى مكانك وأنت سالم . فقال : يا زهرى أتظن أن هذا بما ترى على وفى عنقى يكربنى ؟ أما لو شئت ما كان ثم أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد . ثم اختفى فلم يجدوه . وذهب إلى عبد الملك بن مروان فدخل عليه وقال له : ما أنا وأنت ؟ فقال له عبد الملك : أقم عندى . فقال : لا أحب . ثم خرج فامتلأ قلب عبد الملك منه رعباً .

وفى دلائل الإمامة للطبرى بسنده قال إبراهيم بن الأسود التميمى : رأيت على بن الحسين وقد أتى إليه بطفل مكفوف فمسح على عينيه فاستوى بصره ، وجىء له بأبكم فكلمه وأجابه وتكلم . وجىء له بمقعد فمسح عليه فسعى ومشى .

وفى دلائل الإمامة أيضاً بسنده : حدثنا أبو النمير على بن يزيد قال : كنت مع على بن الحسين عندما انصرف من الشام إلى المدينة فكنت أحسن إلى نسائه أتوارى عنهم إذا نزلوا وأبعد عنهم إذا رحلوا فلما نزلوا المدينة بعثوا إلى بشىء من الحلى فلم آخذه وقلت فعلت ما فعلته لله تعالى ولرسوله . صلى الله عليه وسلم . فأخذ على بن الحسين حجراً أسود صماً فطبعه بخاتمه وقال : خذه واقض كل حاجة لك منه فوالله الذى بعث محمداً بالحق لقد كنت أجعله فى البيت المظلم فيسرج لى ، وأضعه على الأقفال فتفتح لى . وآخذه بيدى وأقف بين يدى الملوك فلا أرى إلا ما أحب .

وفيها بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال . لقيت على بن الحسين وهو خارج إلى ينبع ماشياً . فقلت . ياابن رسول الله لو ركبت . فقال . هاهنا ما هو أيسر . فانظر . فحملته الريح وحفت به الطير من كل جانب فما رأيت مرآى أحسن من ذلك كانت الطير تناغيه والريح تكلمه .

وفيها عن أبى خالد الكابلى أنه قال : كنت أقول بمحمد بن الحنيفة فلقينى يحيى بن أم الطويل فدعانى إلى على بن الحسين فامتنعت عليه . فقال لى . ما ضرك لو قضيت حقى بأن تلقاه لقية واحدة . فصرت معه إليه فوجدته رضى الله عنه جالسا فى بيت مفروش بالمعصفر وقد لبس الحيطان بذلك وعليه ثياب

مصبغة . فلم أطل عنده . فلما نهضت قال لى : صر إلينا فى غد إن شاء الله تعالى . فقلت ليحيى : أدخلنى إلى رجل يلبس المصبغات وعزمت أن لا أرجع إليه . ثم فكرت أن رجوعى غير ضائر . فصرت إليه فى الوقت . فوجدت الباب مفتوحا ولم أر أحداً . فهممت بالرجوع . فنادانى من داخل الدار . أدخل ثلاثة أصوات فظننت أنه يريد غيرى . فصاح : يا كنك ادخل . وهذا الاسم كانت أمى سمتنى به ولم يسمعه منها أحد غيرى . فدخلت إليه فوجدته جالساً فى بيت مطين على حصير بردى وعليه قميص كرابيس . فقال : يا أبا خالد : إنى قريب عهد بعرس وإن الذى رأيت بالأمس من آلة المرأة ولم أحب خلافها . فما برحت ذلك اليوم من عنده حتى أرانى الأعاجيب . قال : يا أبا خالد : أريد أريك الجنة وهى مسكنى لذى إذا شئت دخلت فيه . قلت : نعم . فأدنيته . فمسح على عينى فصرت فى الجنة فنظرت إلى قصورها وأنهارها وما شاء الله أن أنظر فمكثت ما شاء الله تعالى . ثم نظرت بعد فإذا أنا بين يديه رضى الله تعالى عنه .

وفيها بسنده عن الباقر رضى الله عنه قال : خرج أبو محمد على بن الحسين رضى الله عنه إلى مكة فى جماعة من مواليه وناس من سواهم فلما بلغ عسفان ضرب مواليه فسطاطه فى موضع منها . فلما دنى على منه قال لمواليه : كيف ضربتم فى هذا الموضع إنه موضع فيه أولياؤنا من الجن وقد ضيقتم مضربهم عليهم . فقالوا : ما علمنا ذلك ، وعزموا على قلع الفسطاط وإذا بهاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول . لا تحول فسطاطك يا ابن رسول الله فإنا نحتمل ذلك ، وهذا الطبق قد أهديناه إليك ونحب أن ننال منه الشرف بذلك ، ونظرنا وإذا بجانب الفسطاط طبق عظيم وأطباق معه فيها عنب ورمان وموز وفاكهة كثيرة . فدعا أبو محمد رضى الله عنه من كان معه فأكلوا من تلك الفاكهة .

وفيها بسنده عن أبى جعفر رضى الله عنه قال : دخلت حبابة الوالبية ذات يوم على على بن الحسين رضى الله تعالى عنه وهى تبكى . فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : جعلنى الله فداك يا ابن رسول الله إن أهل الكوفة يقولون : لو كان على بن الحسين إمام حق كما تقولون لدعا لله أن يذهب هذا الذى بوجهك فقال لها : ادن منى يا حبابة فدنت منه فمسح بيده على وجهها ثلاث مرات وتكلم بكلام خفى . ثم قال : قومى يا حبابة وادخلى إلى النساء وسليهن أو انظرى فى المرآة هل ترين بوجهك شيئا ؟ قالت : فدخلت ونظرت فى المرآة فكأن لم يكن وجهى شىء مما كان ، وكان بوجهها برص .

وفيها بسنده عن أبى عبد الله جعفر رضى الله عنه : لما حضرت على بن الحسين الوفاة قال لولده : يا محمد أى ليلة هذه ؟ قال : ليلة كذا . قال : وكم مضى من الشهر ؟ قال : كذا وكذا : قال : وكم بقى ؟ قال : كذا وكذا . قال : إنها الليلة التى وعدتها قال ، ودعا بوضوء فجىء به إليه : فقال : إن فيه فأرة . فقال بعض العواد : إنه ليهجس . فقال : هاتوا المصباح . فنظروا وإذا فيه فأرة . فأمر بذلك الماء فأهريق . وأتوه بماء آخر . ثم توضأ وصلى حتى إذا كان آخر الليل توفى .

أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن الأعمش : قال : إن رجلا تغوط على قبر الحسن بن على رضى الله عنهما فجن وجعل ينبح كما تنبح الكلاب ثم مات فسمع من قبره عواؤه وهو يعوى .

وقال الإمام سفيان الثورى : سمعت جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه يقول : حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله . ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله . ومن أحزنه أمر فليقل : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

إلى هذه الأنوار النبوية أنوار أهل الولاية المحمدية .

فنها أن الشيخ على بن الهيتى مرض فعاده الشيخ عبد القادر رضى الله عنهما . واجتمع هناك بعض الفقراء والشيخ أبى العباس أحمد بن على الجوسقى رضى الله تعالى عنهم . فأمر الشيخ على بن الهيتى خادمه أبا الحسن الجوسقى بمد السفرة فبسطها ووقف متفكرا فيمن يبدأ بوضع الخبز بين يديه ثم أخذ فى يده خبزاً كثيراً وأماله فدار الخبز على جوانب السفرة دفعة واحدة من غير أن يتقدم بعض الحاضرين فى ذلك على بعض فقال الشيخ عبد القادر للشيخ على بن الهيتى : ما أحسن خادمك هذا قد مد السفرة بالحال . فقال له ابن الهيتى : أنا وهو ، غلامانك .

قال محمد بن عبد الرحمن بن حبش : حضرت مع الشيخ أبى الحسن الجوسقى ، سماعا ، أى مجلس سماع بالجوسق وكان فيه جماعة من المشايخ الكبار . فأنشد القائل يقول :

أبت غلبات الشوق الا تطلعاً ... إليك ويأبى العدل إلا تجنبا
وما كان صدى عنك صد ملالة ... ولا ذلك الإقبال إلا تقربا
وما كان ذاك الحب إلا وسيلة ... ولا ذلك الإغضاء إلا تهيبا
على رقيب منك حل بمهجتى ... إذا رمت تسهيلا على تصعبا

الشيخ الجوسقى

قال : فطاب الشيخ الجوسقى واعتنق رجلا كان هناك وهو أحدب ، أى مقوس الظهر ، فاعتدلت قامته وذهبت حدبته .

ومن ذلك أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة فى ليلة شديدة البرد والظلمة ، ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان ، أى إلى أهليهما ، وبيد كل واحد منهما عصاه فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا فى ضوئها . وعند افتراق الطريق بهما أضاءت للآخر عصاه . فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله .

ومن ذلك أن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : لما أرادوا غسل النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : لا ندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه فى صدره . ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : اغسلوا النبى وعليه ثيابه . فقاموا فغسلوه وعليه قميصه . يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص .

وقيل . لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا فى تجهيزه وخرج الناس وخلا الموضع . قال ابن عباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل إذا بهاتف من زاوية البيت : يا على : لا تغسلوا محمدا فإنه طاهر مطهر : قال : فوقع فى قلبى من ذلك شىء وقلت : ويلك من أنت ؟ فإن النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته ، وإذا بهاتف آخر يهتف بأعلى صوته (غسله) يا على فإن الهاتف الأول كان الشيطان حسد محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسلا . قال على : جزاك الله خيرا قد أخبرتنى أن ذلك إبليس فمن أنت ؟ قال : أنا الخضر . حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يا سارية الجبل فى حال خطبة يوم الجمعة وهو بالمدينة وسارية بالشام يقاتل العدو ، وأراد العدو أن يكيده ويسبقه إلى الجبل . فكشف الله الأمر لأمير المؤمنين فناداه فسمع سارية النداء وعرف أنه صوت عمر فاتخذ العدة للأمر فانتصر بفضل الله تعالى . ذكره الحافظ بن حجر وابن كثير .

ومن ذلك حديث الغار الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا : إنه والله لا ينجيكم إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم . فقال رجل منهم . إنه كان لى أبوان شيخان كبيران . وكنت لا أغبق — أى أسقى — قبلهما أهلا ولا مالا . فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين . فتحرجت أن أوقظهما وكرهت ان أغبق قبلهما أهلا ولا مالا . فقمت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال الآخر : اللهم إنه كان لى بنت عم وكانت أحب الناس إلى . فراودتها عن نفسها فامتنعت . حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها . ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت . لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى . وتركت الذهب الذى أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم قال الثالث : اللهم إنى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له وذهب . فثمرت أجره فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله أدّ لى أجرتى . فقلت له : كل ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والبقر والرقيق . فقال يا عبد الله . لا تستهزئ بى فقلت : إنى لا أستهزئ بك . فأخذ ذلك كله فاستاقه ولم يترك منه شيئاً . اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة . فخرجوا من الغار يمشون . والكرامة فى ذلك استجابة دعائهم وإزالة الصخرة عنهم بقدرة الله تعالى خرقاً للعادة ، والظاهر أن أقوام الثانى لأنه ترك شهوته مع تيسرها وكان محبته لابنة عمه و ما بذله لها ما بذله من المال الجزيل .

ومنها ما ورد فى شأن أويس القرنى رضى الله عنه من أنه كان يقتات من المزابل ويكتسى منها فنبحه يوماً كلب على مزبلة فقال له أويس : كل مما يليك وأنا آكل مما يليني ولا تنبحنى ، فإن جزت على الصراط فأنا خير منك ، وإلا فأنت خير منى ، وكان أهله يقولون : هو مجنون ، وأقاربه يستخفون به ويستهزئون والصغار بالحجارة له يرجمون .

وقد ورد فى صحيح مسلم أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يأتى عليكم أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن . كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره . فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل . ثم ساق الحديث إلى أن ذكر اجتماع عمر وعلى به رضى الله تعالى عنهما .

وخلاصة ما حصل للاجتماع به هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر أوصافه قال عنه : إنه أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره رام ببصره إلى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بإزار صوف ورداء صوف مجهول فى أهل الأرض معروف فى أهل السماء لو أقسم على الله لأبره ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء ألا وإنه يوم القيامة قيل للعباد : ادخلوا الجنة وقيل لأويس قف فاشفع . فيشفعه الله عز وجل فى مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا على : إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله تعالى لكما قال : فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه . فلما كان فى آخر السنة التى انتقل فيها عمر رضى الله تعالى عنه . قام على جبل أبى قبيس فنادى بأعلى صوته : يا أهل اليمن . أفيكم أويس ؟ فقال شيخ كبير طويل اللحية . فقال : إنا لا ندرى ما أويس ولكن ابن أخ لى يقال له أويس وهو أخمل ذكراً وأقل مالا وأهون أمراً من أن نرفعه إليك ، وأنه يرعى إبلنا حقير بين أظهرنا . فعمى عليه عمر كأنه يريده وقال : أين ابن أخيك هذا ؟ بحرمنا هو ؟ قال : نعم . قال : وأين يصاب ؟ قال : بأراك عرفات . قال : فركب عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما مسرعين إلى عرفات . وإذا هو قائم يصلى إلى شجرة والإبل حوله ترعى فشدا حماريهما ثم أقبلا . فقالا : السلام عليك ورحمة الله . فخفف أويس رضى الله عنه من الصلاة ثم رد السلام عليهما فقالا : من الرجل ؟ قال : راعى إبل وأجير قوم . قالا : لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة ما اسمك ؟ قال : عبد الله . قالا : قد علمنا أن أهل السموات والأرض جميعاً عبيد الله . فا اسمك الذى سمتك به أمك ؟ قال : ياهذان ما تريدان إلى ؟ قالا : وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أويسا القرنى فقد عرفنا الصهوبة والشهولة وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء . فأوضحها لنا فإن كانت بك فأنت هو . فأوضح منكبه فإذا اللمعة . فابتدراه يقبلانه وقالا : نشهد أنك أويس القرنى فاستغفر لنا يغفر الله لك . فقال : ما أخص باستغفارى نفسى ولا أحداً من أولاد آدم ، ولكنه فى البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من هو مستجاب الدعوة . فقالا : لا بد من ذلك ، فاستغفر لهما ولا بعد أن يكون قد استغفر لصاحبه فقال : يا هذان : قد شهر الله لكما حالى وعرفكما أمرى . فن أنتما ؟ فقال على رضى الله عنه : أما هذا

فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأما أنا فعلى بن أبي طالب . فاستوى أويس قائماً . وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وأنت يا ابن أبي طالب فجزاكما الله تعالى عن هذه الأمة خيراً فقالا : وأنت فجزاك الله عن نفسك خيراً . فقال له سيدنا عمر : مكانك رحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي . هذا المكان بيني وبينك . فقال : يا أمير المؤمنين : لا ميعاد بيني وبينك لا أراك بعد اليوم . فعرفني ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة ؟ أما ترى على إزاراً من صوف ورداء من صوف متى يراني أخرقهما . أما ترى ان نعلى مخصوفتان متى تراني أبليهما أما ترى أني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها . يا أمير المؤمنين إن بين يدى ويديك عقبة كؤداً لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول . فأخف رحمك الله . فلما سمع ذلك عمر ضرب بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته . ألا ليت عمر لم تلده أمه . ياليتها كانت عقيماً لم تعالج حملها . ألا من يأخذها بما فيها ولها . يعنى الخلافة . ثم قال : يا أمير المؤمنين : خذ أنت ها هنا حتى آخذ أنا ها هنا . فولى عمر ناحية مكة وساق أويس ابله فوافى القوم فأعطاهم إبلهم وخلى الرعاية وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل .

وروى عن هرم بن حيان رضى الله تعالى عنه قال : بلغنى حديث أويس فقدمت الكوفة فلم يكن لى هم إلا طلبه حتى سقطت عليه جالسا على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ . فعرفته بالنعت الذى نعت لى . وإذا رجل نحيل شديد الأدمــــة أشعث محلوق الرأس مهيب المنظر . فسلمت عليه . فرد على السلام ونظر إلى ومددت يدى إليه لأصافحه فأبى أن يصافحنى . قال هرم بن حيان : فقلت : رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت ؟ ثم خنقتنى العبرة من حبى إياه ورقتى عليه لما رأيت من حاله حتى بكى وبكيت فقال : وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخى من دلك على ؟ قلت : الله . قال : لا إله إلا الله سبحان ربنـــا إن كان وعد ربنا لمفعولا . فقلت : ومن أين عرفت اسمى واسم أبى وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتنى ؟ قال : نبأنى العليم الخبير . عرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك . إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل .

ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه فى غزاة فحال بينه وبين الموضع قطعة من البحر . فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء .

ومن ذلك ما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا رجل ذكر كلمة إذ سمع رعــداً فى السحاب فسمع صوتاً فى السحاب : أن اسق حديقة فلان . فجاء ذلك السحاب إلى حرته فأفرغ ماءه فيها فاتبع السحاب فإذا رجل يصلى فى حديقة فقال : ما اسمك ؟ فقال : فلان ابن فلان باسمه . قال : فما تصنع بحديقتك هذه إذا حرمتها ؟ قال : ولم تسأل عن ذلك ؟ قال : إنى سمعت صوتاً فى السحاب : أن اسق حديقة فلان قال : أما إذا قلت : فإنى أجعلها أثلاثاً ، فأجعل لنفسى وأهلى ثلثاً ، وأرد عليها ثلثاً . وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثاً .

ومن ذلك أن عبد الله بن على الصوفى يقول : سمعت حمزة بن عبد الله العلوى يقول : دخلت على أبى الخير التيناتى وكنت أعتقد فى نفسى أن أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاما . فلما خرجت من عنده ومشيت قدراً فإذا به خلفى وقد حمل طبقا عليه طعام . فقال : يا فتى : كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك .

ومن ذلك أن إبراهيم الرقى قال : قصدت أبا الخير التيناتى لأسلم عليه . فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً . فقلت فى نفسى : ضاعت سفرتى فلما سلمت عليه خرجت للطهارة فقصدنى السبع فعدت إليه وقلت : إن الأسد قصدنى . فخرج وصاح على الأسد وقال : ألم أقل لك لا تتعرض لضيفانى وتنحى وتطورت . فلما رجعت قال : اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد . واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد .

ومن ذلك أن أبا حاتم السجستانى قال : سمعت أبا نصر السراج يقول : إن ذلك الدعاء : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتى . قال أبو نصر السراج : أرانى أبو الطيب العكى جزءاً كبيراً ذكر فيه : أن من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجدها . وكان هذا الجزء أوراقا كثيرة .

ومن ذلك أن محمد بن أحمد الصوفى قال : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت أبا الحسين البصرى يقول : كان بعبادان رجل أسود فقير يأوى إلى الخربات . فحملت معى شيئا وطلبته . فلما وقعت عينه على تبسم وأشار بيده إلى الأرض . فرأيت الأرض كلها ذهباً تلمع . ثم قال : هات ما معك . فناولته وهالنى أمره وهربت .

ومن ذلك أن الجنيد رأى إبليس فى المنام عريانا فقال له أما تستحى من الناس . فقال : وهؤلاء ناس . الناس أقوام فى مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى . قال الجنيد : فلما انتبهت من نومى غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رءوسهم على ركبهم يتفكرون . فلما رأونى قالوا : لا يغرنك حديث الخبيث .

وعن النجم عمر بن فهد قال : عزم أبو جعفر المنصور (من خلفاء بنى العباس) على الحج . وكان يريد قتل سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه . فلما وصل إلى بئر ميمونة بعث إلى الخشابين وقال لهم : إن رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه . فجاءوا ونصبوا الخشب . وكان سفيان الثورى جالساً بفناء الكعبة ورأسه فى حجر فضيل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة . فقيل له : يا أبا عبد الله : قم واختف ولا تشمت بنا الأعداء . فتقدم إلى أستار الكعبة فأخذها وقال : برئت من هذه البنية إن دخلها أبو جعفر سالماً . وعاد إلى مكانه . فركب المنصور من بئر ميمونة . فلما كان بين الحجازين سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات . وأيد الله قسم عبده سفيان .

ومن ذلك أن آمنة الرملية كانت تعود بشر بن الحارث لما مرض . وكان عنده أحمد بن حنبل رضى الله عنه فقال أحمد : من هذه ؟ قال آمنة قال سلها تدعو لنا . فقالت : اللهم إن بشراً وأحمد يستجيران بك من النار فأجرهما قال أحمد رضى الله عنه . فلما كان الليل نزل على ورقة من الهواء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد أجرنا كما من النار ، ولدينا مزيد .

ومن ذلك أن أبا سليمان الخواص : قال : كنت أركب حماراً يوما ، وكان الذباب يؤذيه فيطأطىء رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة فى يدى فرفع الحمار رأسه وقال : اضرب فإنك على رأسك هو ذا تضرب فقال السامع لأبى سليمان : اك وقع هذا ؟ فقال : نعم كما تسمعنى .

ومن ذلك أن ابن عطاء قال : سمعت أبا الحسن النورى يقول . كان فى نفسى شىء من هذه الكرامات. فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين . ثم قلت : وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسى . قال فخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال فبلغ ذلك الجنيد فقال . كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه ، والظاهر أنه كان فى حال سكر يعذر به .

ومن ذلك أن أبا جعفر الحداد أستاذ الجنيد قال : كنت بمكة فطال شعرى ولم يكن معى قطعة من حديد آخذ بها شعرى . فتقدمت إلى حلاق توسمت فيه الخير وقلت . تأخذ شعرى لله تعالى ؟ فقال . نعم وكرامة ، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسنى وحلق شعرى ثم دفع إلى قرطاسا فيه دراهم وقال : استعن بها على بعض حوائجك . فأخذتها وعقدت نيتى أن أدفع إليه اول شىء يفتح الله على به . فدخلت المسجد فاستقبلنى بعض إخوانى وقال : جاء بعض إخوانك بصرة من البصرة من بعض أصدقائك فيها : ثلاثمائة دينار . قال : فأخذت الصرة وحملتها إلى الحلاق وقلت : هذه ثلاثمائة دينار وتصرفها فى بعض أمورك . فقال : ألا تستحى يا شيخ تقول لى : احلق شعرى لله ثم آخذ عليه شيئا . انصرف عافاك الله .

ومن ذلك أن عبد الله بن على الصوفى قال : سمعت ابن سالم يقول : سمعت أبى يقول : كان رجل يقال له عبد الرحمن بن أحمد يصحب سهل بن عبد الله . فقال له يوما ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدى قضبان ذهب وفضة . فقال سهل : أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة ليستغلوا نها .

ومن ذلك أن الجنيد قال : دخلت على السرى يوما فقال لى : عصفور كان يجىء فى كل يوم فأفت له الخبز فيأكل من يدى . فنزل وقتاً من الأوقات فلم يسقط على يدى ، فتذكرت فى نفسى . ايش السبب ؟ فذكرت أنى أكلت ملحا بأبزار . فقلت فى نفسى : لا آكل بعدها وأنا تائب منه . فسقط على يدى وأكل .

ومن ذلك أن بعضهم قال : كنت عند خير النساج فجاءه رجل وقال : أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعت الغزل بدرهمين . فجئت خلفك فحللتهما من طرف إزارك ، وقد صارت يدى منقبضة على كفى : قال . فضحك خير وأومأ بيده إلى يدى ففتحتهما . ثم قال : امض واشتر بهما لعيالك شيئا ولا تعد لمثله .

ومن ذلك أن أبا سعيد الخراز قال : كنت فى بعض أسفارى وكان يظهر لى كل ثلاثة أيام شىء . فكنت آكله وأستقل به . فمضى ثلاثة أيام وقتاً من الأوقات ولم يظهر لى شىء . فضعفت وجلست

فهتف بي هاتف أيما أحب إليك سبب أو قوة ؟ فقلت القوة . فقمت من وقتي ومشيت اثنى عشر يوما لم أذق شيئا ولم أضعف .

ومن ذلك أن الشيخ أبا الفتح الواسطى كان مبتلى بالإنكار عليه وعقدوا له المجالس بالإسكندرية وهو يقطعهم بالحجة ، وكان خطيب جامع العطارين من أشد المنكرين عليه . فبينما هو يوما فوق المنبر والآذان بين يديه تذكر أنه جنب . فمد له الشيخ أبو الفتح كمه فوجده زقاقا فدخله فرأى فيه ماء ومطهرة فاغتسل وخرج فجلس على المنبر . فلما ستره الشيخ هذه السترة اعتقده وصار من أجل أصحابه .

ومن ذلك أن ابن الجلاء قال : لما مات أبي ضحك على المغتسل . فلم يجسر أحد أن يغسله وقالوا : أنه حي . حتى جاء واحد من أقرانه وغسله .

ومن ذلك أن أبا عبيد البسرى كان إذا دخل أول شهر رمضان يدخل بيتا ويقول لامرأته : طيني على الباب وألقى إلى كل ليلة من الكوة رغيفا . فإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت . فإذا بثلاثين رغيفاً فى زاوية البيت فلا أكل ولا شرب ولا نام ولا فاتته ركعة من الصلاة .

ومن ذلك أن أبا الحارث الألوسى قال : مكثت ثلاثين سنة ما يسمع لسانى إلا من سرى . ثم تغيرت الحال فمكثت سنة لا يسمع سرى إلا من ربى .

ومن ذلك أن على بن سالم قال : كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة فى آخر عمره فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه . فإذا فرغ من صلاة الفرض عاد إلى حال الزمانة .

ومن ذلك أن أبا عمرو الواسطى قال : انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتى على لوح ، وقد ولدت فى تلك الحال صبية . فصاحت بى وقالت : يكاد يقتلنى العطش . فقلت : هو ذا يرى حالنا . فرفعت رأسى فإذا رجل فى الهواء جالس وفى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر وقال : هاك اشربا . قال : فأخذت الكوز وشربنا منه وإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل . فقلت : من أنت رحمك الله ؟ فقال : عبد لمولاك . فقلت : بم وصلت إلى هذا ؟ فقال : تركت هواى لمرضاته فأجلسنى فى الهواء . ثم غاب عنى فلم أره .

ومن ذلك أن يوسف بن الحسين قال : سمعت ذا النون المصرى يقول : رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود . فدنوت منه وقلت : إنك تكثر الصلاة ؟ فقال : انتظر الإذن من ربى فى الانصراف . قال . فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها . من العزيز الغفور إلى عبدى الصادق الشكور انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وهى بشارة القبول لها حكم الرؤيا الصادقة .

ومن ذلك أن بعضهم قال : كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجده مع جماعة نتجارى الآيات ورجل ضرير بالقرب منا يسمع فتقدم إلينا وقال : أنست بكلامكم . اعلموا أنه كان لى صبية وعيال وكنت أخرج إلى البقيع أحتطب . فخرجت يوما فرأيت شاباً عليه قميص كتان ونعله فى أصبعه ى أنه تائه . فقصدته أسلب ثوبه فقلت له : انزع ما عليك . فقال : سر فى حفظ الله . فقلت

الثانية والثالثة . فقال : لا بد ؟ فقلت . لا بد ، فأشار بأصبعيه من بعيد إلى عينى فسقطتا . فقلت ، بالله من أنت ؟ فقال : إبراهيم الخواص .

ومن ذلك أن إبراهيم الخواص : قال : دخلت البادية مرة فرأيت نصرانياً على وسطه زنار . فسألنى الصحبة فمشينا سبعة أيام فقال لى : يا راهب الحنيفية هات من عندك من الانبساط فقد جعنا . فقلت : إلهى لا تفضحنا مع هذا الكافر فرأيت طبقاً عليه خبز وشواء ورطب وكوز ماء ، فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام أخرى . ثم بادرت وقلت : يا راهب النصارى هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك . فاتكأ على عصاه ودعا . فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبق . قال ، فتحيرت وتغيرت وأبيت أن آكل . فألح على فلم أجبه . فقال : كل فإنى أبشرك ببشارتين . إحداهما : أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وحل الزنار ، والأخرى . قلت ، اللهم إن كان لهذا العبد خطر عندك فافتح على بهذا . ففتح . قال . فأكلنا ومشينا وحج وأقمنا بمكة سنة ، ثم إنه مات ودفن بالبطحاء .

ومن ذلك أن محمد بن المبارك الصورى قال ، كنت مع إبراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات . فسمعت صوتاً من أصل الرمان ، يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً . فطأطأ إبراهيم رأسه . فقال ، ثلاث مرات . ثم قال ، يا محمد كن شفيعاً إليه ليتناول منا شيئاً . فقلت ، يا أبا إسحاق لقد سمعت . فقام وأخذ رمانتين . فأكل واحدة وناولنى الأخرى فأكلتها وهى حامضة وكانت شجرة قصيرة . فلما رجعنا مررنا بها فإذا هى شجرة عالية ورمانها حلو وهى تثمر فى كل عام مرتين وسموها رمان العابدين . ويأوى إلى ظلها العابدون .

ومن ذلك أن منصور المغربى قال ، رأى بعضهم الخضر عليه السلام فقال له ، هل رأيت أحداً فوقك ؟ فقال : نعم . كان عبد الرزاق بن همام يروى الأحاديث بالمدينة والناس حوله يستمعون . فرأيت شاباً بالبعد منهم رأسه على ركبتيه . فقلت له : هذا عبد الرزاق يروى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم لا تستمع منه ؟ فقال ، إنه يروى عن ميت وأنا لست بغائب عن الله عز وجل . فقلت له : إن كنت كما تقول فمن أنا ؟ فرفع رأسه وقال ، أنت أخى أبو العباس الخضر . فعلمت أن لله عباداً لم أعرفهم .

ومن ذلك أنه كان لإبراهيم بن أدهم صاحب يقال له يحيى يتعبد فى غرفة ليس إليها سلم ولا درج . فكان إذا أراد أن يتطهر يجىء إلى باب الغرفة ويقول :لا حول ولا قوة إلا بالله ويمر فى الهواء كأنه طير ثم يتطهر . فإذا فرغ يقول ، لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته .

ومن ذلك أن آدم بن إياس قال ، كنا بعسقلان وشاب يغشانا ويجالسنا ويتحدث معنا فإذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلى . قال ، فودعنى يوماً وقال ، أريد الإسكندرية . فخرجت معه وناولته دريهمات فأبى أن يأخذها فألححت عليه فألقى كفاً من الرمل فى ركوته واستقى من ماء البحر وقال ، كله . فنظرت فإذا سويق بسكر كثير . فقال ، من كان حاله معه مثل هذا يحتاج إلى دراهمك ، وأنشأ يقول ،

يحق الهوى يا أهل ودى تفهموا لسان وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرّض للهوى يكون لغير الحق فيه نصيب

ومن ذلك أن إبراهيم الآجرى قال : جاءنى يهودى يتقاضى على فى دين كان له على وأنا قاعد عند الأتون أوقد تحت الآجر ، فقال لى اليهودى : يا إبراهيم ارنى آية أسلم عليها ؟ فقلت له : أتفعل؟ قال : نعم ، فقلت : انزع ثوبك ، فنزعه ، فلففته ولففت ثوبى عليه وطرحته فى النار ، ثم دخلت الأتون وأخرجت الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر ، فإذا ثيابى بحالها لم يصبها شىء وثيابه فى وسطها قد حرقت : فأسلم اليهودى .

ومن ذلك أن عبد الله الفرغانى قال : تزوج عباس بن المهدى امرأة ، فلما كانت ليلة الدخول وقع عليه ندامة ، فلما أراد الدنو منها زجر عنها ، فامتنع من وطئها وخرج ، فبعد ثلاثة أيام ظهر أن لها زوج .

ومن ذلك أن الفضيل كان على جبل من جبال منى فقال : لو أن ولياً من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد ، قال : فتحرك الجبل فقال له : اسكن لم أردك بهذا ، فسكن الجبل .

ومن ذلك أن جعفر الأعور قال : كنت عند ذى النون المصرى فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء ، فقال ذو النون : من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا البيت ثم يرجع إلى مكان فيفعل ، قال : فدار السرير فى أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه .

ومن ذلك أن جماعة كانوا مع أيوب السجستانى فى السفر فأعياهم طلب الماء ، فقال أيوب : أتستترون على ما عشت ؟ فقالوا : نعم ، فدور دائرة فنبع الماء فشربنا ، قال : فلما قدموا البصرة أخبر به حماد بن زيد ، فقال عبد الواحد : شهدت معه ذلك اليوم .

ومن ذلك أن بكر بن عبد الرحمن قال : كنا مع ذى النون المصرى فى البادية فنزلنا تحت شجرة أم غيلان ، فقلنا : ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب ، فتبسم ذو النون وقال : أتشتهون الرطب؟ وحرك الشجرة وقال : أقسمت عليك بالذى ابتداك وخلقك شجرة إلا نثرت علينا رطباً جنياً ، ثم حركها فنثرت رطبا جنيا . فأكلنا وشبعنا ثم نمنا . فانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكاً .

ومن ذلك أن أبا القاسم بن مروان النهاوندى قال : كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبى سعيد الخراز نمشى على ساحل البحر نحو صيدا فرأى شخصا من بعيد ، فقال : اجلسوا لا يخلو هذا الشخص أن يكون وليا من أولياء الله ، قال : فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه وبيده ركوة ومعه محبرة وعليه مرقعة . فالتفت أبو سعيد إليه منكراً عليه لحمله المحبرة مع الركوة . فقال له : يافتى كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فقال : يا أبا سعيد أعرف إلى الله تعالى طريقين : طريقا خاصا ، وطريقا عاما ، فأما الطريق العام فالذى أنت عليه ، وأما الطريق الخاص فهلم ، ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا فبقى أبو سعيد حيران مما رأى .

ومن ذلك أن الشيخ إبراهيم الجعبري كان له مريدة تسمع وعظه وهو بمصر وهي بأرض أسوان من أقصى الصعيد ، فبينما هو يعظ الناس وهم يبكون أنشد :

قاعـــدة في الطـاقة والـكلب يأكل في العجين
ياكلب كل واتهنى مال للعجين أصحاب

فالتفت المريدة فإذا بالـكلب يأكل في عجينها ، وأرخوا الحـكاية لجاء الخبر بذلك .

وكان من أصحاب الشيخ الجعبري كمال الدين بن عبد الظاهر حدث عنه فقال : كان الشيخ الجعبري يعظ الناس والناس يبكون ، فقال لهم : قولوا معي : شقع بقع ، يا الله يقع ، لجاء الخبر أن القاضي المالكي نزل من باب المدرج من قلعة مصر فوقع فانكسرت رقبته ، ثم جاء الخبر أنهم عقدوا للشيخ مجلسا قرروا فيه منعه من الوعظ وقالوا إنه يلحن في القرآن وفي الحديث ، فامتنع القضاة الثلاثة من الفتوى بذلك وأفتى المالكي بمنعه ، فلما رأى القضاة الثلاثة ما حل به جاءوا إلى الشيخ وقبلوا رجله ، وقالوا : كلنا كنا هالكين لو أفتينا فيك بشيء ، فقال الشيخ : نحن لا نلحن وإنما سمعكم هو الذي لحن ويسمع الزور والباطل .

وكان الشيخ يكاتب السلطان : من إبراهيم الجعبري إلى الـكلب الزوبري ، فكان السلطان يقول : من أطلع هذا على اسمي في بلادنا قبل أن أجيء ، فعقد العلماء له مجلسا وأفتوا بتعزير الشيخ ، لحبس الشيخ بولهم وبول السلطان ، فعجزوا عن إطلاقه بكل حيلة ، فنزلوا إليه واستغفروا ، فأمرهم بالاستنجاء من إبريقه فأطلق بولهم .

وشوش نصراني على جماعة من أصحابه فأرسل إليه الشيخ وقال : أقسم بالله إن عدت إلى أذاهم لأقط هذا القلم ، فقال النصراني بقلبه : وما تقطه . فقط الشيخ القلم فسقطت رأس النصراني .

ومن ذلك أن السري السقطي لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها ، فأبطأت يوما ، فقال لها السري : لم أبطأت؟ فقالت : لأن غزلي لم يشترى وذكروا أنه مخلط ، فامتنع السري عن طعامها ثم إن أخته دخلت عليه يوما فرأت عجوزاً تكنس بيته وتحمل إليه كل يوم رغيفين ؛ لحزنت أخته وشكت إلى الإمام أحمد بن حنبل ، فقال الإمام للسري فيه ، فقال السري : لما امتنعت من أكل طعامها قيض الله لي الدنيا لتنفق علي وتخدمني .

وحكى النووي رحمه الله تعالى في كتاب البستان : أن امرأة أبي مسلم الخولاني قالت له : ليس لدينا دقيق فقال لها : هل عندك شيء ؟ قالت: درهم بعنا به غزلا . قال : أبغينيه وهاتي الجواب . فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام . فوقف عليه سائل فقال : يا أبا مسلم : تصدق علي . فهرب منه وأتى حانوتا آخر : فيتبعه السائل . فقال : يا أبا مسلم : تصدق علينا . فأضجره فأعطاه الدرهم ثم عمد إلى الجراب فملأه من نحاتة النجارين . ثم أقبل إلى باب منزله فنقر الباب وهو مرعوب من أهله . فلما فتحت الباب رمى الجراب وذهب وإذا فيه دقيق جيد فعجنت وخبزت .

فلما ذهب من الليل معظمه ، جاء أبو مسلم فنقر الباب . فلما دخل وضعت بين يديه خواناً وأرغفة من أجود ما يخبز . فقال : من أين لكم هذا ؟ فقالت : يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به . فجعل يأكل ويبكي . واسم أبي مسلم عبد الله بن ثوب وكان رحل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق ولما ادعى الأسود بن قيس العنسي الكذاب النبوة باليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه . فلما جاءه قال له: أتشهد أني رسول الله؟ فقال: ما أسمع . فقال له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . فردد ذلك عليه فلم يتحول اعتقاده . فأمر الأسود بنار عظيمة فأججت وألقى فيها أبا مسلم فلم تضره . فقيل له : أنفه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك . فأمره بالرحيل . فأتى أبو مسلم المدينة بعد أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد وقام يصلي فبصر به عمر رضي الله عنه فقام إليه فقال : ممن الرجل ؟ قال : من أهل اليمن ، قال : ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار قال : ذلك عبدالله بن ثوب ، قال : نشدتك الله أنت هو؟ قال : اللهم نعم . فاعتنقه ثم بكى . ثم ذهب به حتى أجلسه ما بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن .

قال النووي رحمه الله : وقوله : لا أسمع محتمل وجهين أحدهما معناه لا أقبل هذا ، والثاني أنه على على ظاهره وأن الله تعالى سد مسامعه عن هذا الباطل . قال : وهذا أظهر .

ومن ذلك أن محمد بن منصور الطوسي قال : كنت عند أبي محفوظ معروف الكرخي فدعا لي ورجعت إليه من الغد وفي وجهه أثر فقال له إنسان يا أبا محفوظ : كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر . فما هذا ؟ فقال : سل عما يعنيك ؟ فقال الرجل : بمعبودك أن تقول : فقال : صليت البارحة هاهنا واشتهيت أن أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة وطفت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها فزلقت على الباب فأصاب وجهي ما تراه .

ومن ذلك أن امرأة عطاء الأزرق دفعت إليه درهمين من ثمن غزلها ليشتري الدقيق لهم . فخرج من بيته فلقي جارية تبكي . فقال لها : ما بالك ؟ فقالت : دفع إلى مولاي درهمين اشترى لهم شيئاً فسقطا مني فأخاف أن يضربني . فدفع عطاء الدرهمين إليها ومر . وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الخشب وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته . فقال له صاحبه : خذ من هذه النشارة في هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها في سجر التنور إذ ليس يساعدني الإمكان في شيء آخر ، فحمل النشارة وفتح باب داره ورمى الجراب ورد الباب ودخل المسجد إلى ما بعد العتمة ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة . فلما فتح الباب وجدهم يخبزون ، فقال : من أين لكم هذا الخبز ؟ فقالوا : من الدقيق الذي كان في الجراب لا تشتر غير هذا الدقيق ، فقال : افعل إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك أن أبا جعفر بن بركات قال: كنت أجالس الفقراء ففتح علي بدينار فأردت أن أدفعه إليهم

ثم قلت فى نفسى لعلى أحتاج إليه . فهاج بى وجع الضرس فقلعت سنا فوجعت الأخرى حتى قلعتها . فهتف بى هاتف إن لم تدفع الدينار فلا يبقى فى فمك سن واحدة .

ومن ذلك أن عثمان بن أبى العاتكة قال : كنا فى غزاة فى أرض الروم فبعث الوالى سرية إلى موضع وجعل الميعاد يوم كذا . قال : فجاء الميعاد ولم تقدم السرية ، فبينما أبو مسلم يصلى إلى رمحه الذى ركزه فى الأرض جاء طير إلى رأس الرمح وقال : إن السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا فى وقت كذا . فقال أبو مسلم للطير ، من أنت رحمك الله ؟ فقال: أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين فجاء أبو مسلم للوالى وأخبره ، فلما كان اليوم الذى قال أتت السرية على الوجه الذى قال .

ومن ذلك أن أبا حمزة نصر بن الفرج خادم أبى معاوية الأسود قال : كان أبو معاوية ذهب بصره فإذا أراد أن يقرأ نشر المصحف فيرد الله عليه بصره فإذا أطبق المصحف ذهب بصره .

ومن ذلك أن أبا بكر الكتانى قال: كنت فى طريق مكة فى وسط السنة فإذا بهميان مملوء يلمع دنانير. فهممت أن أحمله لأفرقه بمكة على الفقراء فهتف بى هاتف : إن أخذته سلبناك فقرك .

ومن ذلك أن أبا العباس الشرفى قال : كنا مع أبى تراب النخشبى فى طريق مكة . فعدل عن الطريق إلى ناحية . فقال له بعض أصحابه: أنا عطشان. فضرب برجله الأرض فإذا عين ماء زلال. فقال الفتى: أحب أن أشربه فى قدح ، فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب وسقانا . ومازال القدح معنا إلى مكة .

ومن ذلك أن سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه جلس يوما يعظ الناس وكانت الريح عاصفة . فرت على مجلسه حدأة طائرة . فصاحت فشوشت على الحاضرين ما هم فيه ، فقال الشيخ : ياريح خذى رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها فى ناحية ورأسها فى ناحية ، فنزل الشيخ عن الكرسى وأخذها بيده وأمرّ يده الأخرى عليها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم فحييت بإذن الله تعالى وطارت والناس يشاهدون ذلك .

ومن ذلك ما قاله المناوى : من أن تمساحاً خطف صبياً من أمه وهى على الماء . فأتت أمه لسيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه شاكية مذعورة واستغاثت به . فأرسل نقيبه فنادى بشاطىء البحر : معاشر التماسيح من ابتلع صبياً فليطلع به ، فطلع التمساح ومشى معه إلى الشيخ ، فأمره أن يلفظه . فلفظه حيا . وقال الشيخ للتمساح : مت بإذن الله فمات .

ومنها أن إبراهيم الخواص رضى الله عنه قال : عطشت فى بعض سياحاتى عطشاً شديداً حتى سقطت من شدة العطش ، فإذا أنا بماء قد سقط على وجهى فأحسست ببرده على فؤادى ، ففتحت عينى فإذا أنا برجل ما رأيت أحسن منه على جواد أشهب عليه ثياب خضر وعمامة صفراء وبيده قدح فسقانى منه شربة وقال لى : ارتدف خلفى ، فارتدفت ، فلم يبرح حتى قال لى : ما ترى ؟ قلت : المدينة ، قال: انزل واقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له : رضوان خازن الجنة يقرأ عليك السلام وهذه

كرامة عظيمة . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ومن ذلك أن امرأة جاءت بولدها إلى سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى وقالت : إنى رأيت قلب ابنى هذا شديد التعلق بك وقد خرجت عن حق فيه لله عز وجل ولك فاقبله . فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق . فدخلت عليه أمه يوماً فوجدته يأكل قرصاً من الشعير . ووجدت بين يدى الشيخ إناء فيه عظام دجاجة قد أكلها . فقالت : يا سيدى تأكل لحم الدجاج ويأكل ابنى خبز الشعير . فوضع الشيخ يده على تلك العظام وقال : قومى بإذن الله تعالى الذى يحيى العظام وهى رميم : فقامت دجاجة سوية وصاحت . فقال الشيخ : إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء .

ومن ذلك أن عبد الله بن الجلاء قال : كنا فى غرفة سرى السقطى ببغداد فلما ذهب من الليل شىء لبس قميصا نظيفا وسراويل ورداء ونعلا وقام ليخرج ، فقلت : إلى أين فى هذا الوقت ؟ فقال أعود فتحا الموصلى ، فلما مشى فى طرقات بغداد أخذه العسس وحبسوه ، فلما كان من الغد أمر بضربه مع المحبوسين ، فلما رفع الجلاد يده ليضربه وقفت يده فلم يقدر أن يحركها فقيل للجلاد : اضرب . فقال : بحذائى شيخ واقف يقول : لا تضربه فتقف يدى لا تتحرك . فنظروا من الرجل ؟ فإذا هو فتح الموصلى فلم يضربوه .

ومن ذلك أن أبا عبد الله بن الجلاء قال : اشتهت والدتى على والدى يوما من الأيام سمكا ، فمضى والدى إلى السوق وأنا معه فاشترى سمكا ووقف ينتظر من يحمله فرأى صبيا وقف بحذائه مع صبى فقال : يا عم تريد من يحمله ؟ فقال : نعم ، فحمله ومشى معنا ، فسمعنا الأذان . فقال الصبى : أذن المؤذن وأحتاج أن أتطهر وأصلى فإن رضيت ، وإلا فاحمل السمك . ووضع الصبى السمك ومر ، فقال أبى : فنحن أولى أن نتوكل فى السمك ، فدخلنا المسجد فصلينا وجاء الصبى بعد أن صلى ، فلما خرجنا فإذا بالسمك موضوع مكانه ، فحمله الصبى ومضى معنا إلى دارنا ، فذكر والدى ذلك لوالدتى فقالت : قل له حتى يقيم عندنا ويأكل معنا . فقلنا له . فقال : إنى صائم ، فقلنا : تعود إلينا بالعشى ؟ فقال : إذا حملت مرة فى اليوم لا أحمل ثانيا ، ولكنى سأدخل المسجد إلى المساء ، ثم أدخل عليكم ، فمضى ، فلما أمسينا دخل الصبى وأكلنا ، فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة ورأينا منه أنه يؤثر الخلوة . فتركناه فى بيت ، فلما كان فى بعض الليل كان لقريب لنا بنت مقعدة ، فجاءت تمشى ، فسألناها عن حالها ؟ فقالت : قلت يارب بحرمة ضيفنا أن تعافينى ، فقمت : قالت : فمضينا لنطلب الصبى فإذا الأبواب مغلقة كما كانت ولم نجد الصبى ، فقال أبى : فمنهم صغير ومنهم كبير .

ومن ذلك أن سعيد بن يحيى البصرى قال : أتيت عبد الواحد بن زيد وهو جالس فى ظل ، فقلت له : لو سألت الله أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل ، فقال : ربى أعلم بمصالح عباده ، ثم أخذ حصى من الأرض ثم قال اللهم إن شئت أن تجعلها ذهبا فعلتا ، فإذا هى والله فى يده ذهب ، فألقاها إلى وقال : أنفقها أنت فلا خير فى الدنيا إلا للآخرة .

ومن ذلك أن أحمد بن منصور قال: قال لى أستاذى أبو يعقوب السوسى : غسلت مريدا فأمسك إبهامى وهو على المغتسل ، فقلت : يابنى خل يدى أنا أدرى أنك لست بميت وإنما هى نقلة من دار إلى دار فخلى يدى .

ومن ذلك أن أحمد بن منصور قال : سمعت أبا بكر أحمد بن محمد الطرسوسى يقول : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : صحبنى شاب حسن الإرادة فمات فاشتغل قلبى به جدا وتوليت غسله فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة فأخذها منى وناولنى يمينه . فقلت : صدقت يا بنى إنى غلطت .

ومن ذلك أن أبا يعقوب السوسى قال : جاءنى مريد بمكة فقال : يا أستاذ أنا غدا أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار فاحفر لى بنصفه وكفنى بنصفه الآخر . ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت . ثم تباعد ومات . فغسلته وكفنته ووضعته فى اللحد . ففتح عينيه . فقلت أحياة بعد موت ؟ فقال : أنا حى وكل محب لله حى .

ومنها أن عبد الواحد بن زيد قال : سألت الله ثلاث ليالى أن يرينى رفيقى فى الجنة ، فقيل لى يا عبد الواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء ، فقلت: وأين هى ؟ فقيل لى : هى فى بنى فلان فى الكوفة . فذهبت إلى الكوفة أسأل عنها ، فإذا هى ترعى غنما ، فأتيت إليها ، فاذا غنمها ترعى مع الذئاب وهى قائمة تصلى فلما فرغت من صلاتها . قالت : يا ابن زيد ، ليس هذا الموعد ، إنما الموعد الجنة ، فقلت لها وما أدراك أنى ابن زيد ؟ فقالت : أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فقلت لها : عظينى . فقالت : واعجباً لواعظ يوعظ ، فقلت لها : مالى أرى أغنامك ترعى مع الذئاب ؟ فقالت : إنى أصلحت ما بينى وبين الله فأصلح ما بينى وبين غنمى والذئاب .

وحكى عن الشيخ أبى على الروزبارى أنه ورد عليه جماعة من الفقراء فاعتل واحد منهم وبقى فى علته أياما ، فمل أصحابه من خدمته وشكوا ذلك للشيخ أبى على فحلف الشيخ أن لايتولى خدمته غيره . فتولى خدمته بنفسه اياما . ثم مات الفقير فغسله بيده وكفنه وصلى عليه ودفنه . فلما اراد ان يفتح رأس كفنه عند اضجاعه فى القبر رآه وعيناه مفتوحتان إليه وقال له : يا ابا على لأنصرنك بجاهى يوم القيامة كما نصرتنى فى مخالفتك نفسك .

وعن الشيخ ابى سعيد الخراز قال : كنت بمكة فجزت يوما بباب بنى شيبة فرأيت شابا حسن الوجه ميتا . فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى : يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباب أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار .

وقال بعض السادة : رأيت أبا تراب النخشبى ميتاً فى البادية قائما مستقبلا للقبلة لا يمسكه شىء ، فأردت أن أحمله وأواريه فى التراب فما قدرت على رفعه وسمعت هاتفا يقول : دع ولى الله مع الله . وروى انه لما حضرت وفاة الشيخ ابى على الروزبارى فتح عينيه وقال : هذه ابواب السماء قد

فتحت ، وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول لى : يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها .

ومن ذلك أن حامد الأسود قال: كنت مع إبراهيم الخواص فى البادية سبعة أيام على حالة واحدة فلما كان اليوم السابع ضعفت فجلست . فالتفت إلى وقال : مالك ؟ فقلت : ضعفت . فقال: أيما أغلب عليك الماء أو الطعام ؟ فقلت : الماء فقال : الماء وراءك . فالتفت فإذا عين ماء كاللبن الحليب . فشربت وتطهرت وإبراهيم ينظر ولم يقربه . فلما أردت القيام هممت أن أحمل منه . فقال : أمسك . فإنه ليس مما يتزود منه .

ومن ذلك أن فاطمة أخت على الروزبارى قالت: سمعت زينونة خادمة أبى الحسن النورى وكانت تخدمه وخدمت أبا حمزة والجنيد : قالت : كان يوم بارد ، فقلت للنورى : أحمل إليك شيئاً ؟ فقال نعم ، فقلت : إيش تريد ؟ فقال : خبز ولبن ، فحملت إليه طلبه ، وكان بين يديه فحم وكان يقلبها بيده وقد اشتعلت . فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده وعليها سواد الفحم : فقلت فى نفسى: ما أقذر أولياءك يارب ما فيهم أحد نظيف . قالت: فخرجت من عنده . فتعلقت بى امرأة وقالت: سرقت لى رزمة ثياب . وجرونى إلى الشرطى . فأخبر النورى بذلك . فخرج وقال للشرطى : لاتتعرضوا لها فإنها ولية من أولياء الله تعالى . فقال الشرطى: كيف أصنع والمرأة تدعى ؟ قال : فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة ، فاسترد النورى المرأة وقال لها : لاتقولين بعدها : ما أقذر أولياءك . قالت : فقلت : تبت إلى الله تعالى .

ومن ذلك أن أبا الحسن خير النساج قال: سمعت الخواص يقول : عطشت فى بعض أسفارى وسقطت من العطش فإذا أنا بماء رش على وجهى . ففتحت عينى فإذا برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء فسقانى الماء وقال : كن رديفى . وكنت بالحجاز فما لبثت إلا يسيراً . فقال لى : ما ترى ؟ فقلت أرى المدينة . فقال : انزل واقرىء رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل: أخوك الخضر يقرئك السلام .

ومن ذلك أن جعفر الدبيلى قال : دخل النورى الماء ليغتسل فجاء لص فأخذ ثيابه . ثم إنه جاء ومعه الثياب وقد جفت يده . فقال النورى : قد رد علينا الثياب فرد عليه يده . فعوفى .

ومن ذلك أن الشبلى قال : عقدت نيتى وقتا أن لا آكل إلا من الحلال . فكنت أدور فى البرارى فرأيت شجرة تين . فمددت يدى إليها لآكل منها فنادتنى الشجرة : احفظ عليك عقدك لا تأكل منى فإنى ليهودى .

ومن ذلك أن ابن أبى عبيد البسرى قال : يحدث عن أبيه أنه غزا سنة من السنين فخرج فى السرية فمات المهر الذى كان تحته وهو فى السرية . فقال : يارب أعرناه حتى نرجع إلى بسرى - يعنى قريته - فإذا المهر قائم . فلما غزا ورجع إلى بسرى قال : يا بنى خذ السرج عن المهر ، فقلت : إنه عرق فإن أخذت السرج داخله الريح ، فقال : يا بنى إنه عارية . قال : فلما أخذت السرج وقع المهر ميتا .

ومن ذلك أن بعضهم كان نباشاً . فتوفيت امرأة فصلى الناس عليها وصلى هذا النباش معهم ليعرف القبر . فلما جن الليل عليه نبش قبرها . فقالت : سبحان الله . رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفورة لها . قال : هبي أنك مغفور لك . فأنا من أين ؟ فقالت : إن الله تعالى غفر لي ولجميع من صلى علي وأنت قد صليت علي . فتركتها ورددت التراب عليها . ثم تاب الرجل وحسنت توبته .

ومن ذلك أن أبا محمد نعمان بن موسى الحيري بالحيرة قال : رأيت ذا النون المصري وقد تقاتل اثنان أحدهما من أولياء السلطان . والآخر من الرعية فعدا الذي من الرعية عليه فكسر ثنيته ، فتعلق الجندي بالرجل وقال : بيني وبينك الأمير . فجاوزوا بذي النون . فقال لهم الناس : اصعدوا إلى الشيخ فصعدوا إليه فعرفوه ما جرى ، فأخذ السن ثم بلها بريقه وردها إلى فم الرجل في الموضع الذي كانت فيه وحرك شفتيه فتعلقت بإذن الله تعالى ، فبقي الرجل يفتش فاه فلم يجد الأسنان إلا سواء .

ومن ذلك أن حمزة بن يوسف قال : سمعت أبا طاهر الرقي يقول : سمعت أحمد بن عطاء يقول : كلمني جمل في طريق مكة ، رأيت جمالا والمحامل عليها وقد مدت أعناقها في الليل . فقلت : سبحان من يحمل عنها ما هو عليها ، فالتفت إلى جمل وقال لي : قل جل الله ، فقلت جل الله .

في كفاية المعتقد للإمام العارف جمال الدين اليافعي رحمه الله تعالى قال : إن الشيخ العارف بالله تعالى عمر بن الفارض رضي الله عنه دخل في أيام بدايته مدرسة بديار مصر فوجد شيخا بقالا يتوضأ من بركة ماء بغير ترتيب . فقال له يا شيخ أنت في هذا السن وفي مثل هذا البلد ولا تحسن الوضوء ، فقال له يا عمر : ما يفتح عليك بمصر ، فجاء إليه وجلس بين يديه وقال : يا سيدي ففي أي مكان يفتح علي ، قال : بمكة ، فقال له : يا سيدي وأين مكة ؟ فقال له هذه ، وأشار بيده نحوها ، فكشف له عنها ، وأمره الشيخ بالذهاب إليها في ذلك الوقت ، فوصل إليها في الحال وأقام بها اثنتي عشرة سنة ، ففتح عليه ، ونظم فيها ديوانه المشهور ، ثم بعد مدة سمع الشيخ المذكور يقول : تعال يا عمر احضر موتي ، فجاء إليه ، فقال له خذ هذا الدينار فجهزني به ، ثم احملني وضعني في هذا المكان ، وأشار بيده إلى مكان في القرافة (وهو الموضع الذي دفن فيه ابن الفارض) ثم انتظر ما يكون من أمري ، قال : فمانيته ولم أزل معانياً له حتى فرغت من تجهيزه ثم حملته ووضعته في المكان الذي أشار إليه ، ووقفت ، فاذا أنا برجل قد نزل من الهواء ، فصلينا عليه . ثم وقفنا ننتظر ما يكون من أمره ، وإذا الجو قد امتلأ بطيور خضر فجاء طائر كبير فابتلعه ثم طار ، فتعجبت منه ، فقال لي ذلك الرجل : لا تعجب من هذا فان أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش ، وأولئك شهداء السيوف ، وأما شهداء الصفوف فاجسادهم وأرواحهم .

ومن ذلك أن أبا بكر بن معمر قال : سمعت أبا زرعة الجنبي يقول : مكرت بي امرأة فقالت : ألا تدخل الدار فتعود مريضا ، فدخلت فأغلقت الباب ولم أر أحداً ، فعلمت ما فعلت هذا من أجله ، فقلت : اللهم سودها فاسودت ، فتحيرت وفتحت الباب فخرجت فقلت : اللهم ردها إلى حالها ردها إلى ما كانت عليه .

ومن ذلك أن أبا سليمان الرومى قال : سمعت خليلا الصياد يقول : غاب عنى ابنى محمد ، فوجدنا عليه وجداً شديداً ، فأتيت معروف الكرخى فقلت : يا أبا محفوظ غاب ابنى وأمه واجدة عليه ، فقال : ماتشاء ؟ فقلت : ادع الله أن يرده ، فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك ومابينهما لك إيت بمحمد ، قال خليل : فأتيت باب الشام فإذا هو واقف ، فقلت : يا محمد أين كنت ، فقال : يا أبت كنت الساعة بالأنبار .

ومن ذلك أن بعض العارفين قال : نمت ليلة عن وردى فرأيت فى المنام جارية حسناء لم أر أحسن منها وجهاً ولا أطيب منها ريحاً ، فناولتنى رقعة فى يدها فقالت : اقرأ مافيها فقرأته فإذا هو :

لذذت بنومة عن خير عيش   مع الولدان فى غرف الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها   وتبقى فى الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك إن خيراً   من النوم التهجد بالقرآن

قال : فاستيقظت مرعوباً . فوالله ماذكرتها قط إلا طار نومى .

ومن ذلك أن الشبلى رضى الله عنه قال : رأيت مجنونا فى بعض الطرقات والصبيان خلفه يرجمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه ، فزجرتهم عنه . فقالوا : يا شيخ دعنا نقتله فإنه كافر ، قلت : مابدالكم من كفره ؟ قالوا : يزعم أنه يرى ربه ويحادثه ، فقلت : امسكوا على قليلا ، ثم تقدمت إليه ، فوجدته يتحدث ويضحك ويقول فى أثناء ذلك : هــذا جميل منك تسلط على هؤلاء الصبيان تفعلون بى هــكذا ، فقلت له : يا أخى هؤلاء الصبيان يقولون عنك شيئا ، قال : يا شبلى مايقولون ؟ قلت : يقولون إنك تزعم أنك ترى ربك وتحادثه ، فصاح صيحة عظيمة ثم قال يا شبلى : وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بين بعده وقربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين ، ثم ولى عنى مسرعا وهو يقول :

جمالك فى عينى وذكرك فى فمى   وحبك فى قلبى فأين تغيب

ومن ذلك أن أبا سعيد الخراز قال : دخلت المسجد فرأيت فقيراً على خرقتان يسأل شيئا ، فقلت فى نفسى : مثل هذا يكون كلا على الناس ، فنظر إلى وقال : (واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه) فاستغفرت فى سرى ، فنادانى وقال : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) .

ومن ذلك ما رواه البيهقى فى دلائل النبوة بسنده إلى أبى سبرة النخعى قال : أقبل رجل من اليمن فلما كان فى أثناء الطريق نفق حماره . فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ، ثم قال : اللهم إنى جئت مجاهداً فى سبيلك ابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور لا تجعل لأحد على اليوم منة أسألك أن تبعث لى حمارى ، فقام الحمار ينفض أذنيه .

قال البيهقى : هذا إسناد صحيح ، ومثل هذا يكون معجزة لصاحب الشريعة حيث يكون فى أمته من يحيى له الموتى كما سبق ، والرجل المذكور اسمه نباتة بن يزيد النخعى .

قال الشعبي : أنا رأيت ذلك الحمار يباع بعد ذلك في السوق . فقيل للرجل : أتبيع حماراً قد أحياه الله لك ، قال : فكيف أصنع ؟ فقال رجل من رهطه ثلاثة أبيات حفظت منها هذا البيت .

ومنا الذى أحيا الإله حماره وقد مات منه كل عضو ومفصل

ومنها كما في الحلية عن أبي الخير الديلمي أنه قال : كنت عند خير النساج فجاءته امرأة وطلبت أن ينسج لها منديلا وقالت له : كم الأجرة ؟ فقال : لها درهمان، فقالت : ما معي الساعة شيء . وغدا آتيك بهما إن شاء الله . فقال لها : إذا أتيتني ولم ترني فارمي بهما في الدجلة . فإني إذا رجعت أخذتهما منها إن شاء الله تعالى . فقالت : حباً وكرامة . قال أبو الخير : فجاءت المرأة من الغد وخير غائب فقعدت ساعة تنتظره ثم قامت وألقت خرقة في الدجلة فيها الدرهمان . فإذا سرطان قد تعلق بالخرقة وغاص في الماء ثم جاء خير بعد ساعة ففتح باب حانوته وجلس على الشاطىء يتوضأ وإذا بسرطان خرج من الماء يسعى نحوه والخرقة على ظهره فلما قرب من الشيخ أخذ الخرقة وذهب السرطان. فقلت له : رأيت كذا وكذا . فقال : أحب أن لا تبوح بها في حياتي : فأجبته إلى ذلك .

ومن ذلك أن الشيخ أبا الخير الأقطع قال : قدمت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فأقمت خمسة أيام ماذقت فيها ذواقاً فتقدمت إلى القبر الشريف وسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وقلت يا رسول الله: أنا ضيفك الليلة . وتنحيت ونمت خلف المنبر فرأيته صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر رضى الله عنه عن يمينه وعمر رضى الله عنه عن شماله وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بين يديه ، فحركني علي رضى الله تعالى عنه وقال لي : قم . فقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلى رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وفي يدي والله نصفه .

وعن منصور بن عبد الله قال : سمعت ابن الجلاء يقول: دخلت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبي شيء من الفاقة فتقدمت إلى القبر الشريف فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ضجيعيه أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ثم قلت: يا رسول الله: بي فاقة وأنا ضيفك الليلة . ثم تنحيت ونمت بين القبر والمنبر وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد جاءني ودفع إلى رغيف خبز . فأكلت نصفه . فانتبهت فإذا في يدي نصف الرغيف: قال ابن الجلاء إنه دام بعد ذلك أربعين سنة لم يحتج فيها إلى طعام الدنيا ولا إلى شرابها ببركة تلك الأكلة . قال العلماء : الظاهر أن ما أتاه به النبي صلى الله عليه وسلم من طعام الجنة لأن من أكل طعام الجنة استغنى عن طعام الدنيا . قالوا : وهذه رؤيا حق لما جاء في الحديث «من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي» قال العلماء : وإنما يبقى نصف الرغيف ليتحقق الأمر وتظهر الكرامة لأولياء الله عز وجل الذين سلكوا سبيله بصدق . صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم .

وقال ابن زرعة الصوفي : سافرت مع أبي ومع ابن حنيف إلى مكة وأصابتنا فاقة شديدة . فدخلنا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبتنا طاويين وكنت دون البلوغ فكنت أجيء إلى أبي غير مرة

وأقول : أنا جائع ، فأتى والدى إلى الحضرة الشريفة وقال يا رسول الله : أنا ضيفك الليلة وجلس ؛ فلما كان بعد ساعة رفع وكان يبكى ساعة ويضحك ساعة ، فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع فى يدى دراهم وفتح يده فإذا فيها دراهم وبارك الله تعالى لنا فيها إلى أن رجعنا شيراز ، فكنا ننفق منها .

وقال السيد الجليل أبو العباس أحمد الصوفى : تهت فى البادية ثلاثة أشهر وانسلخ جلدى ، فدخلت المدينة الشريفة وجئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وعلى صاحبيه ، ثم نمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا أحمد جئت ؟ قلت : نعم وأنا جائع وأنا فى ضيافتك . فقال لى : أفتح كفيك . ففتحتهما . فملأهما دراهم . فانتبهت وهما مملوءتان . فقمت فاشتريت لى خبزاً وأكلت وقمت للوقت ودخلت البادية . وهؤلاء رجال صدق يقطعون البوادى على قدم التوكل لا يعتمدون على غيره ولا يأنسون بسواه وتقع لهم ألطاف وأمور عجيبة .

من هذا أن بعض المشايخ أراد الزيارة فى جماعة من الفقراء قال : لما وصلنا إلى شعب النعام أدركنا العطاش وبيننا وبين المدينة مراحل فاستغثت برسول الله صلى الله عليه وسلم وصليت ونمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بك وبجماعتك ، وضمنى إلى صدره وقبلنى فقبلت يده الكريمة وقدمه وقلت يا سيدى يا رسول الله أنا خائف على أصحابنا من العطاش ، فقال : لا تخف فإنا نسير لكم الماء ، وها نحن نعد لكم الضيافة ، ورأيته عليه الصلاة والسلام مشمر الأكمام فجاءنا السيل فى تلك الليلة وملأنا ركابنا ، فلما قدمنا المدينة تلقانا أحد خدام النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : سلم على النبى صلى الله عليه وسلم وأشتهى أن أجتمع بك حتى أوفى الك بما أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم جئت إليه ، فقال لغلامه : جئ بالمائدة ، فجاء بها وعليها كل خير يراد ، فالتفت إلى وقال : كل هذا الذى أوصانى به النبى صلى الله عليه وسلم وقال لى : هذه ضيافتك يافلان وسمانى باسمى وما يبعد أن النبى صلى الله عليه وسلم سماه .

ومن هذا ما أخبر به الشيخ محمد فولاذ وكان من الأخيار وكثير التعبد والإيثار وحج ماشياً ما يزيد على ثلاثين حجة ، قال لى : إذا جاء أوان الحج هاج بى الشوق إلى تلك المعاهد الشريفة وإلى زيارة سيد الأولين والآخرين فآخذ زادى على ظهرى وإناء الماء وأسير مع الناس إلى جانب وأنا مشغول بحالى ، قال : فاتفق أنى تحدثت أنا وخادم الضريح وتذاكرنا مواهب الله عز وجل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لى : يا شيخ محمد : إنى أخدم هذا الضريح ستين سنة فاتفق فى يوم حار أنى سمعت الصرير يصرصر وسمعت صوته عليه الصلاة والسلام وهو يقول : وعليك السلام يافلان ويافلان ابن فلان وسمى ثمانية أنفس ، قال الخادم ، فقمت من ساعتى وجئت الضريح وإذا بشخص كاد أن يموت من الهزال جالس عند الضريح ، فسلمت عليه وقلت : ما اسمك ؟ فقال : فلان ابن فلان لأحد الثمانية ، فقلت له : وأين رفقتك ؟ فقال : عند باب الحرم قد عجزوا عن الوصول إلى الضريح ، قال : فصعدت إليهم فإذا ثلاثة من الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : وأين بقيتكم ؟ فقالوا : فارقناهم

من وراء الأكمة . قال : فأخذت ما أحملهم عليه وماء وشيئاً من الأكل ومضيت . فوجدت الأربعة قد قضوا . فجهزتهم ثم رجعت إلى الأربعة فأخذتهم وأكرمتهم وسألتهم من أين ورودهم ؟ فقالوا : من بلاد شاسعة تعاقدنا وتعاهدنا على زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا نرجع عن ذلك ولو ذهبت أنفسنا . فأما نحن فقد أعطانا الله عز وجل مرادنا . وأما إخواننا الذين ماتوا عند الأكمة فنرجوا أن الله عز وجل لا يخيب مسعاهم . ذكر ذلك الإمام الحسيني .

ومن ذلك أن علي بن الموفق قال: حججت سنة من السنين في محمل فرأيت رجالا يمشون فأحببت المشي معهم . فنزلت وأركبت واحدا في محملي ومشيت معهم . فتقدمنا إلى البريد وعدلنا عن الطريق فنمنا . فرأيت في منامي جواري معهن طشوت من ذهب وأباريق من فضة يغسلن أرجل المشاة ، فبقيت أنا . فقالت إحداهن لصواحبتها . أليس هذا منهم ؟ قلن هذا له محمل . قالت . بل هو منهم لأنه أحب المشي معهم . فغسلن رجلي . فذهب عني كل تعب كنت أجده .

ومن ذلك أن علي بن الموفق قال: حججت نيفاً وخمسين حجة ، وجعلت ثوابها للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ولأبوي ، وبقيت حجة فنظرت إلى أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم فقلت : اللهم إن كان في هؤلاء من لا تقبل حجته فقد وهبت له هذه الحجة ليكون ثوابها له . فبت تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربي عز وجل في المنام : فقال لي : يا علي بن الموفق على تتسخى ؟ فقد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك وشفعت كل رجل منهم في أهل بيته وخاصته وجيرانه وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة .

ومن ذلك أن شابين كانا يتعبدان بالشام يسميان الصبيح والمليح جاعا أياما . فقال أحدهما لصاحبه أخرج بنا إلى الصحراء لعلنا نرى رجلا نعلمه بعض دينه لعل الله أن ينفعنا به . فخرجا . قالا : فلما دخلنا الصحراء استقبلنا أسود على رأسه حزمة حطب : فقلنا له : ياهذا من ربك ؟ فرمى بالحزمة عن رأسه وجلس عليها . ثم قال لا تقولا من ربك ؟ ولكن قولا : أين محل الإيمان من قلبك ؟ فنظر كل واحد منا إلى صاحبه ثم قال لنا : اسألا اسألا ؟ فإن المريد لا تنقطع مسائله . فلما رآنا لا نرد جواباً قال : اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا كلما سألوك أعطيتهم فحول حزمتي هذه ذهبا . فإذا هي قضبان ذهب تلمع . ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أن لك عبادا الخمول أحب إليهم من الشهرة فردها حطباً . فرجعت حطبا . ثم حملها على رأسه ومضى . فلم نجترئ أن نتبعه .

ومن ذلك أن محمد بن الحسين الراذاني أتاه ابن صغير له فقال : يا أبي أريد غزالا ألعب به . فسكت فألح عليه الصبي وقال : لابد لي من غزال ألعب به ، فقال له : اسكت يا بني غداً يأتيك غزال . فمن الغد كان الشيخ قاعداً في بيته فجاء غزال ووقف على باب بيته وصار يضرب بقرنيه الباب حتى فتحوا له فقال لابنه : قد جاءك الغزال .

ومن ذلك أن أبا يزيد البسطامي رضي الله عنه قال يوم باسطه الحق في حضرة قربه . قال له يا عبد السوء لو أظهرت مساويك للناس لرجموك بالحجارة . فقال أبو يزيد : وعزتك لو أخبرت الناس بما

كشفت لى من رحمتك ماعبدك منهم أحد اتكالا على تلك الرحمة ، فقال له سبحانه وتعالى : لا تفعل ، فسكت .

ومن ذلك أن الفضيل بن عياض كانت له بنت صغيرة فرجع كفها فسألها يوماً وقال: يا بنية ماحال كفك ؟ فقالت : يا أبت بخير : والله لئن كان الله تعالى ابتلى منى قليلا فلقد عافى منى كثيرا ، ابتلى كفى وعافى سائر بدنى فله الحمد على ذلك ، فقال : يا بنية أرينى كفك ، فأرته ، فقبله ، فقالت: ياأبت أناشدك الله هل تحبنى ؟ قال : اللهم نعم ، فقالت : سوأة لك من الله ، والله ما ظننت أنك تحب مع الله سواه ، فصاح الفضيل وقال : يا سيدى صبية صغيرة تعاتبنى فى حب لغيرك ، وعزتك وجلالك لا أحببت معك سواك .

وشكا رجل إلى الفضيل حاله ، فقال له : يا أخى هل من مدبر غير الله تعالى ؟ فقال : لا ، قال : فارض به مدبرا ، وقال : إنى لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى ، وقال : إذا أحب الله عبداً أكثر غمه وإذا أبغضه وسع عليه دنياه .

ومن ذلك أن جماعة دخلوا على أبى القاسم الجنيد فقالوا له : أنطلب أرزاقنا ؟ قال : إن علمتم أين هى فاطلبوها ، فقالوا : أنسأل الله تعالى ذلك ؟ فقالوا : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه ، فقالوا : ندخل بيوتنا ونتوكل ؟ فقال : التجربة مع الله شك ، قالوا فما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة والأخذ فى الأسباب .

ومن ذلك أن شابا كان يحضر مجلس بعض علماء السلف الوعاظ ، وكان الشاب إذا سمع الواعظ يقول : يا ستار يهتز كما تهتز السعفة ، فقيل له فى ذلك ، فقال الشاب : اعلموا أنى كنت أخرج فى زى النساء وأحضر كل موضع فيه وليمة أو عرس تجتمع فيه النساء ، فحضرت يوما عرسا لبنت بعض الملوك فسرق عقد لبنت الملك ، فصاحوا أن اغلقوا الأبواب وفتشوا النساء . ففتشوهن واحدة واحدة حتى لم يبق إلا امرأة وحدة وأنا ، فدعوت الله عز وجل وأخلصت النية والتوبة وقلت إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا أبدا ، فوجدوا العقد مع المرأة التى بقيت ، فقالوا اطلقوا المرأة الأخرى يعنونى ، فأطلقونى وحالى مستور . فمن حينئذ إذا سمعت ذكر الستار أذكر ستره على ويأخذنى ما رأيتم من الاهتزاز ، اللهم يا ستار العيوب ويا غفار الذنوب ويا مقلب القلوب ويا كاشف الكروب استر عيوبنا واغفر ذنوبنا وأصلح قلوبنا واكشف كروبنا وهمومنا وغمومنا ، وارزقنا حسن الخاتمة يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين .

ومن ذلك أن بعض المشايخ خطب امرأة فأبى أهلها أن يزوجوه إلا أن يستحضر جارية تخدمها فلم يقدر على شراء الجارية ، فذكر ذلك لصاحب له ، فقال له صاحبه : أنا أكون عوض الجارية التى تخدم ، فاذهب إليهم وقل لهم : عندى جارية للخدمة ولكنها قالت : تخدم فى مكان تقعد فيه وحدها لا تراكم ولا ترونها . فذهب إليهم وقال لهم: ذلك ، فقالوا : نعم إذا قامت بالخدمة التى تطلب فلا حاجة لنا فى رؤيتها ، فزوجوه ، ثم أتى بصاحبه وتركه فى مكان وحده وكان أسود ليس له لحية ، فقعد يطحن لهم وعلى وجه برقع . والمرأة تحسب أنه جارية ، وكان الشيخ يخرج من عند زوجته بالليل يتعبد .

فذكرت المرأة ذلك الخروج للنساء فقلن لها : ربما كان ذهابه إلى الجارية الخادمة . فلما خرج فى تلك الليلة خرجت زوجته بعده لتنظر هل هو عند الجارية الخادمة كما قيل لها ؟ فوجدت الجارية تصلى والرحا تدور بنفسها . فتعجبت من ذلك ولم تجد الشيخ زوجها هناك . فرجعت وسكنت حتى جاء الشيخ فذكرت له ذلك . وقالت : رأيت الجارية تصلى والرحا تدور بنفسها ، فقال لها : ماهى جارية . ذاك أخى فلان فقالت : استغفر الله وأنا الجارية التى تخدمكما .

ومن ذلك أن على بن الحسن الخلعى كان يحكم بين الجن ويقرئهم فأبطأوا عليه جمعة . فسألهم عن سبب تأخرهم فقالوا : كان فى بيتك (اترج) ولا ندخل مكانا فيه الأترج .

ومن ذلك أن على بن عمر القزوينى : قال عنه ابن هبة الله : صليت خلفه العشاء بالحديقة فخرج وأنا معه بالقنديل بين يديه فإذا أنا بموضع أطوف به مع جماعة ، ثم عدنا إلى الحديقة قبل الفجر ، فأقسمت عليه أين كنا ؟ فقال : إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، ذلك البيت الحرام . وقال ابن طاهر : أدركت سفرا وكنت خائفا . فدخلت للقزوينى رضى الله عنه أسأله الدعاء . فقال قبل أن أسأله : من أراد سفرا ففزع من عدو أو وحش فليقرأ : لئيلاف قريش . فإنها أمان من كل سوء . فقرأتها فلم يعرض لى عارض سوء حتى الآن .

ومن ذلك ان غوث البغدادى كان يختفى تارة ويظهر أخرى متى شاء . فقصده الإمام ابن عصرون وابن السقا(١) والشيخ عبد القادر الجيلانى وهو شاب يومئذ إلى زيارته . فقال ابن السقا وهو فى إليه : اليوم أسأله مسألة لا يعلم جوابها . وقال ابن أبى عصرون : أسأله فأنظر ماذا يقول . وقال الجيلانى : معاذ الله أن أسأله بل أتبرك برؤيته . فدخلوا عليه فلم يروه مكانه . فمكثوا ساعة . فإذا هو جالس . فقال لابن السقا وهو لا يعرفه : يا ابن السقا تسألنى مسألة لا أعرف جوابها هى كذا وكذا وجوابها كذا . أنى أرى نار الكفر تتلهب فيك . ثم قال لابن أبى عصرون : تسألنى تنتظر ماذا أقول : أردت أن تسألنى عن كذا وجوابه كذا . لتغمرنك الدنيا إلى شحمتى أذنيك لإساءة أدبك . وقال للجيلى : رضى الله عنه : لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك ، أراك وقد صعدت الكرسى متكلما على الناس وقلت : قدمى هذا على رقبة كل ولى لله .

ومن مخاطبات سيدى عبد القادر الجيلانى التى تدل على علو قدره قوله يخاطب من أحب :

اكشف حجاب التجلى	وأحيـــنى بالتملى
وإن بدالك قتلى	فأنت فى ألف حل
مالى سوى الروح خذها	والروح جهـــد المقل
أخـــذت منى بعضى	فليـــتنى كنت كلى

---

(١) انظر ما حصل لابن السقا من هذا الكتاب فى باب الخوف من الله عز وجل لأنه خرج عن حد الأدب مع كل أهل الله تعالى .

صرفت عنى قلبى سلبت منى عقلى
وقفت بالباب دهراً عسى أفوز بوصلى
من لى بأن ترتضينى عبيد بابك من لى
مالى بغيرك شغل وأنت غاية شغلى

ومن ذلك أن الشيخ المغاورى قال : كنت مدة سنين مولعا بالحرب وعدة سنين مولعا بالسياحة أدخل إلى بلاد الكفار لأمور أمرت بالدخول إلى بلادهم لأجلها . وأعطانى الله إن أردت رأونى وإن لم أرد لم يرونى . فورد على أمر من جهة الحق سبحانه وتعالى بأن أدخل إلى بلاد الكفار لأجتمع فيها برجل صديق . فدخلت أرضهم وأريتهم نفسى . فأخذونى أسيراً . وفرح بى من أخذنى وكتفنى وجاء بى إلى السوق ليبيعنى . وكان هذا هو طريق المقصود الذى أمرت به فاشترانى رجل له هيبة راكب على دابة ووقفنى على الكنيسة لأكون فيها خادماً . فباشرت خدمتها أياماً . وإذا بهم قد أحضروا بسطا كثيرة ومباخر وطيبا كثيراً . فقلت لهم ما الخبر ؟ قالوا الملك عادته زيارة الكنيسة يوما فى السنة وقد جاء وقت زيارته فنحن نهيئها له ونخليها فلا يبقى فيها أحد حتى يدخل وحده يتعبد فيها . فلما أغلقوها بقيت أنا فيها واحتجبت عنهم فلم يرونى . وإذا بالملك قد جاء ففتحوا له ودخلها وحده وأغلقوا عليه الباب . فدار فى الكنيسة يفتشها وأنا أنظر إليه وهو لا يرانى إلى أن اطمأن فدخل المذبح الذى فيها وتوجه إلى القبلة وكبر بالصلاة . فقيل لى : هذا هو الذى أردنا لك الاجتماع به . فظهرت ووقفت وراءه حتى يسلم من الصلاة . ثم التفت إلى فرآنى . فقال : من تكون ؟ قلت مسلم مثلك . قال : وما جاء بك هاهنا ؟ قلت : أنت . فأقبل على وسألنى عن أمرى . فأخبرته بما أمرت به من الاجتماع . ولم يكن لى طريق إلى ذلك إلا بصورة ما جرى من الأسر والبيع واتخاذهم لى خادما للكنيسة وتمكينى لهم من نفسى فى جميع ذلك ليقع الاجتماع . ففرح بى . فكاشفته وكاشفنى ووجدته من كبار الصديقين فقلت له : كيف حالك بين هؤلاء الكفار فى باطن الأمر ؟ فقال : يا أبا الحجاج لى فوائد بينهم لا أبلغ مثلها لوكنت مع المسلمين . قلت صف لى ؟ قال : توحيدى وإسلامى وأعمالى خالصة لله عز وجل وحده ما لأحد اطلاع عليها وآكل حلالا ما فيه شبهة وأنفع المسلمين نفعا لو كنت أكبر ملوكهم ما بلغته عن الدفع عنهم أذى الكفار حتى لا يصل إليهم وأفعل فى الكفار من القتل والإفساد لأحوالهم ما لو كنت أعظم ملوك المسلمين ما فعلته . وسأريك بعض تصرفاتى فيهم .

ثم وعدنى ووعدته . وقال : ارجع إلى حالتك . فأخفيت نفسى واحتجبت عن الناظرين . فخرج الملك وقعد على باب الكنيسة وقال : ائتونى بجميع من يختص بالكنيسة . فأحضروا له جماعة منهم وعرضوهم عليه . وقالوا : هذا بطريقها وهذا شماسها وهذا راهبها وهذا مشارف أوقافها وهذا جابى رباعها . قال : فمن يخدمها ؟ قالوا له : فلان . يعنون الذى وقفنى على الكنيسة . اشترى أسيراً ووقفه على خدمتها : فأظهر غضبا عظيم وقال : تكبرتم جميعا عن خدمة بيت الرب وجعلتم رجلا من غير الملة

نجساً يخدم بيت الرب . فأخذ السيف وضرب رقاب الجميع بحجة الغيرة على بيت الرب وأمر بإحضارى، فظهرت لهم فقدمونى إليه ، فقال : هذا خادم الكنيسة التى يتبرك بها يستحق فى مقابلة كبر هؤلاء الإكرام والتعظيم والخلع والمركوب وإطلاقه إلى وطنه وأهله ، ففعلوا بى ذلك وانصرفت عنه رضى الله تعالى عنهما .

ومن ذلك أن الفقيه العالم الولى العارف بالله تعالى عبد الرحمن النويرى ممن حضر الجهاد بدمياط واستشهد .

قال الإفرنجى الذى قتله : ضربت عنقه ، ثم قلت له بعد أن مات : يا قسيس المسلمين أنتم تقولون فى قرآنكم (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) قلت له ذلك بطريق التهكم ، ففتح عينيه ورفع رأسه وقال بصوت قوى: نعم أحياء عند ربهم يرزقون . ثم سكت فعندما رأيت ذلك وسمعت ما سمعت نزع الله الكفر من قلبى وأسلمت على يده ، وأرجو الله أن يغفر لى ببركته وإسلامى على يديه ، انتهى كلامه . وكان يقال بعد ذلك للشيخ عبد الرحمن الشهيد الناطق رضى الله عنه .

ومن ذلك أن شخصاً من مريدى الشيخ أبى العباس البصير قدم على سيدى عبد الرحيم القناوى رضى الله عنه بعد وفاة الشيخ أبى العباس وكان الشيخ يأخذ العهد على جماعة من الحاضرين فمد يده ليد فقير سيد أبى العباس وهو فى المحراب فخرجت يد أبى العباس من الحائط فمنعت يد الشيخ عبد الرحيم، فقال : رحم الله أخى العباس يغير على أولاده حيا وميتا .

ومن ذلك أن شيبان الراعى كان إذا أجنب ولا ماء عنده جاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها ، وإنه كان إذا ذهب لصلاة الجمعة خط على غنمه خطاً وذهب فلا تتحرك ولا يعترضها وحش ولا إنس حتى يرجع .

ومن ذلك أن صلة بن أشيم العدوى مات فرسه وهو فى الغزو فقال : اللهم لا تجعل لمخلوق على منة ودعا الله فأحياه له ، فلما وصل إلى بيته قال لخادمه خذ سرج الفرس فإنه عارية ، فأخذه فسقط ميتا ، وجاع يوما وهو بالأهواز فدعا الله فوقع خلفه سلة رطب فى ثوب حرير فأكل وبقى الثوب عند زوجته زماناً .

ومن ذلك أن عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبرى البصرى سأل الله أن يهون عليه الطهور فى الشتاء ، فكان يؤتى له بالماء وله بخار . وقيل له : وقعت النار بدارك ، فقال : إنها مأمورة وأقبل على صلاته . فلما بلغت النار داره عدلت عنها . وكان إذا سافر صحب معه ركوة فإن شاء صب منها زيتا أو ماء أو لبنا أو عسلا أو غير ذلك وكان ، معه بعض دارهم ينفق منها على الفقراء ولا تنقص أبداً .

ومن ذلك أن عبد الله بن ثوب دخل على امرأته فوجدها حزينة ، فقال لها : مالك ؟ قالت له إن لك منزلة من معاوية فاطلب لنا خادما ، فقال : اللهم من أفسد على امرأتى فاعم بصره ، وكان عندها

امرأة هي التي ذكرت لها ذلك ، فعميت في الحال ، فبكت واستغاثت ، فدعا الله فرد عليها بصرها .

ومن ذلك أن أحمد بن خضرويه البلخي كان يلبس في شدة البرد قميصا واحداً وهو مع ذلك يعرق . إذا تكلم عليه الناس يفرش بساطه على وجه نهر جيحون ويجلس عليه ويجلس معه نحو أربعمائة رجل ، وكان عليه سبعمائة دينار دينا ، وحضر أصحاب الدين وهو في النزع ، فنظر إليهم وقال : اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الديون وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فأدّ عني ، فدق داق الباب وقال : هذه دار أحمد بن خضرويه ؟ قالوا : نعم ، قال : أين غرماؤه ؟ فخرجوا إليه ، فقضى دينه ، فخرجت روحه فوراً .

ومن ذلك أن الشيخ صفي الدين قال : كان الشيخ مفرج ولياً عظيم الشأن وكان عبداً حبشيا اصطفاه الله بلا أسباب معلومة ولا مقدمات معهودة ، أخذه عن حسه المعهود أخذة عظيمة أقام بها ستة أشهر ما استطعم فيها طعاما ولا شرابا . فلما رأى سيده حاله تغير صار يضربه فلا يتأثر بالضرب ، فظن أن به الجنون ، فانتدب شخصا اضربه ليفيق ويتناول الغذاء ، فكان الضارب يقول للجنية بزعمه : اخرجي فيقول الشيخ مفرج : قد خرجت - يعني نفسه - فقيدوه وغابوا عنه ، ثم جاءوا إليه فوجدوا القيد في ناحيه وهو في ناحية فحبسوه وغابوا عنه ، فوجدوه خارجا عن المكان الذي حبس فيه ، فلما تكاثرت عليهم كراماته أحضروا أفرخا مشوية له . فقال لها : طيري ، فطارت أحياء بإذن الله تعالى ، فسكتوا عنه وتواترت كراماته واشتهرت ولايته وظهرت بركاته .

ومن ذلك أن أبا عبد الله القرشي قال : كنت بمنى فعطشت ولم أجد ماء ولا شيئا اشترى به الماء ، فمضيت إلى بئر . فوجدت عليه أعاجم ، فقلت لأحدهم : ضع لي في هذه الركوة ماء ، فضربني وأخذ الركوة من بين يدي ورمى بها بعيداً . فمضيت إليها لآخذها وأنا منكسر القلب فوجدتها في بركة ماء حلو ، فاستقيت وشربت وجئت بها إلى أصحابي فشربوا ، وأعلمتهم القصة ، فمضوا إلى المكان ليستقوا فلم يجدوا ماء ولا أثراً ، فعلمت أنها آية .

ومن ذلك أنه رضي الله عنه قال أيضاً : كنت مرة في بدر متوجهاً إلى مكة وكان هناك رجل معه تمر يبيعه إلى الحجاج على أن يأخذ ثمنه بمكة ، فدفع لي منه شيئا وألح علي في أخذه ، وقال : وأنا أصبر عليك بثمنه إلى مكة ، وإن مت فأنت في حل من ثمنه ، ولم يزل بي حتى أخذته منه ، ثم إنه عرض له السفر قبلنا فطالبني بالثمن ، فقلت له : ماعندي شيء وأنت قلت : إنك لاتطلب الثمن إلا بمكة ، فقال لابد من الثمن وضيق علي وآذاني وشتمني ، فدخلت مسجد بدر ودنوت وتضرعت إلى الله تعالى ، ثم خرجت فلقيني رجل كأنه أعرابي وعليه ثياب الاحرام ، فناولني دراهم وعدها في كفي ، فذهبت إلى صاحب الدين فقضيت دينه ، فتضاعفت أذيته وجعل يقول : يخبئون الدراهم ويكذبون ويحلفون أن مامعهم دراهم والدراهم معهم . فسكت ولم أجاوبه بحرف .

وإن من أكل وأكثر من الأكل وخاف من ذلك ضرراً فليمسح على بطنه بيده ويقول : الليلة عيدي ياكرشي ورضي الله عن سيدي عبد الله القرشي ثلاث مرات فإن الأكل لايضره .

ومن ذلك أن أحمد بن أبي الحوارى كان بينه وبين الدارانى عقد ألا يخالفه . فجاءه وهو يتكلم بمجلسه وقال : ياسيدى التنور قد سجر . فما تأمر؟ وكرره . فلم يجبه . فكرره . فقال : اذهب فاقعد فيه . كأنه ضاق به صدره . وتغافل ساعة طويلة ثم قال : اطلبوه من التنور فإنه عقد على ألا يخالفنى . فنظروا فإذا هو داخله لم يحترق منه شعرة .

ومن ذلك أن ذو النون المصرى قال : ركبت سفينة فسرقت منها قطيفة . فاتهموا رجلا نائماً . فقلت : دعونى أترفق به . وإذ الشاب أخرج رأسه من عباءته وقال : أقسمت عليك بى يارب لا تدع واحداً من الحيتان إلا أتى بجوهرة . وإذا بوجه الماء كله فى أفواهها الجواهر . ثم ألقى نفسه فى البحر ومر على وجه الماء إلى الساحل كالبرق .

ومن ذلك أن الحسن بن بشر خرج مع أصحابه يصلون على جنازة ، فجلسوا فى غرفة ينتظرونها فقال لمن معه قوموا بنا ، فخرجوا ، فسقطت الغرفة دفعة واحدة .

وأتاه رجل ملهوف فقال : أنا كاتب وضاع منى دفتر الحساب . وأنا عند أمير جائر وقد دلونى عليك . فقال له : اذهب فاشتر بدرهم حلاوة وائتنى به . فمضى واشترى الحلاوة من البائع الذى وضعها له فى ورقة . فإذا هى من دفتره . فقال له : من أين لك هذا ؟ فقال له : اشتريته الساعة . فأخذه منه وأتى به للشيخ فقال له كل حلاوتك فلا حاجة لنا بها .

ومن ذلك أن عبد الكريم بن هوازن النيسابورى مرض له ولد بحيث إنه قد أيس من شفائه . فشق عليه أمره . فرأى الحق تبارك وتعالى فى النوم . فقال له : اجمع آيات الشفاء واقرأها عليه واكتبها فى إناء واسقه إياها ففعل فعوفى ولده بإذن الله تعالى .

وهذه هى آيات الشفاء : قوله تعالى : ويشف صدور قوم مؤمنين . وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين فيه شفاء للناس . وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين . وإذا مرضت فهو يشفين . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء .

ومن ذلك أن أبا عبدالله القرشى قال : كنت فى بحر جدة ومعى صاحب لى فعطش عطشاً شديداً . فسألت من يبيعنا ماء بشملة كانت على لم يكن على سواها . فلم يبعنا أحد ، فقلت لصاحبى : خذ هذه الشملة وامض إلى رئيس المركب . فمضى إليه بركوة معه . فانتهره وصاح عليه وأخذ الركوة من يده وقذف بها فلم تقع فى البحر بل وقفت فى المركب . فرجع إلى . فرأيت ذله وانكساره وشدة حاجته . فعلمت أن الله تبارك وتعالى لا يتركه . فأخذت الركوة فملأتها من البحر . فشرب حتى روى . ثم أخذتها منه فشربت حتى رويت وشرب أيضاً من كان إلى جانبى ممن ليس معه ماء . ثم ملأتها ثانية فعجننا الدقيق . فلما حصل استغناؤنا ملأتها بعد ذلك فوجدتها ملحاً على مانعهد . فعلمت أن الحاجة إذا تحققت قلبت الأعيان .

ومن ذلك أن سيدى إبراهيم المتبولى كان يسأل الفقراء عن أحوالهم ويباسطهم . فرآى يوما

شخصاً منهم كثير العبادة والأعمال الصالحة والناس منكبون على اعتقاده . فقال ياولدى : مالى أراك كثير العبادة ناقص الدرجة . لعل والدك غير راض عنك ؟ فقال : نعم . فقال : أتعرف قبره ؟ فقال : نعم . فذهبا إلى القبر . فقال سيدى المتبولى رضى الله عنه مخاطباً . من فى القبر . قال : الفقراء جاءوا شافعين تطيب خاطرك على ولدك هذا . فسمعوا : أشهدكم أنى قد رضيت عنه . وقبره رضى الله عنه بالقرب من جامع شرف الدين برأس الحسينية .

قال تلميذ الشيخ : فلما رجعنا إذا امرأة تقول : ياسيدى ولدى . فوقف بالحارة فقال لها الشيخ : ماحاجتك؟ فقالت ولدى أخذه الافرنج وأريد منك أن تدعو الله تعالى يرجع ؟ فقال الشيخ بسم الله ، فدعا . ثم قال: هاهو ولدك . فلما رجع ولدها ذهبت إلى الشيخ فأخبرته . فقال الشيخ : اشهدوا بأن لله رجالا فى هذا العصر يجيب سؤالهم فى الحال . وهذا من إكرام الله تعالى لأوليائه والاستجابة لهم كما سبق فى علمه وإرادته . وكان رضى الله عنه يقبض على لحيته ويقول : ياما تقاسى مصر بعد هذه اللحية . أنا أمان لها . وكان رضى الله عنه ممن يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة . كانت أمه رضى الله عنه حين يخبرها بأنه كثير الرؤية للنبى صلى الله عليه وسلم تقول له : ياولدى : إنما الرجل من يجتمع به صلى الله عليه وسلم فى اليقظة . فلما صار يجتمع به فى اليقظة قالت له أمه : الآن قد شرعت فى مقام الرجولية .

ومن ذلك أن أبا الربيع المالقى قال : كنت ليلة فقدت من بعض أحوالى شيئا . فاشتغل سرى بذلك . فرأيت ذات ليلة هدهداً جالس قدامى وكلمنى بكلام لم أفهمه . ثم طار وجلس على كتفى الأيسر وكلمنى فلم أفهم ما يقول . ثم طار وجلس على كتفى الأيمن ووضع فمه فى فمى وجعل يزقنى فانتفخت . ثم سمعت خشخشة فى صدرى . فتحسست لذلك وعلمت أنه أمر يراد منى . ثم ظهر لى شخصان فتقدم أحدهما فشق عن صدرى وأخرج قلبى ووضعه فى طشت . فسمعت أحدهما يقول الآخر : احفظ شجرة العلم . فغسله ثم وضعه فى الجانب الأيمن ثم ألحم الشق ، فلم أر من ذلك الوقت شيئا خارجاعنى . وأخذت عن نفسى . فسمعت نداء : سل يا سليمان ؟ فقلت : أسأل : رضاك رضاك . فقال : رضيت رضيت . فمن اليوم فتح على فى فهم القرآن ورؤية القلب . فأنا اليوم أرى بقلبى وأسمع القرآن يتلى على من الجانب الأيمن رضى الله عنه .

ومن ذلك أن أبا الحسن الشاذلى قال: كنت أنا وصاحب لى قد آوينا إلى مغارة نطلب الوصول إلى الله تعالى . فكنا نقول : غداً يفتح لنا بعد غد يفتح لنا ، فدخل علينا رجل له هيبة . فقلنا له : من أنت ؟ فقال : عبدالملك . فعلمنا أنه من أولياء الله تعالى . فقلنا له : كيف حالك ؟ فقال: كيف حال من يقول: يفتح لنا غداً يفتح لنا بعد غد . فلاولاية ولا فلاح . يانفس لم لا تعبدين الله لله ؟ فتيقظنا وعرفنا من أين دخل علينا . فتبنا واستغفرنا الله تعالى ففتح لنا . اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ورضاك بفضلك ياأرحم الراحمين .

ومن ذلك أن سيدى وأستاذى وشيخى ودليلى إلى الله عز وجل الشيخ سيدى أحمد بن محمد التجانى رضى الله تعالى عنه وأصحابه الكرام لهم من الكرامات والأسرار ما تقسر بمعرفتها القلوب وترتاح لها الخواطر . وتلتذ لها الأسماع والنواظر ذكرناها فى كتاب خاص مطبوع أسميناه « غاية الأمانى . فى تراجم وكرامات أصحاب الشيخ سيد أحمد التجانى » يقع فى حوالى ١٦٠ صفحة . من الاطلاع عليه يعرف القارىء ما عليه الطائفة التجانية من الإخلاص والعمل لله عز وجل وحده . وما أعطوه من الفضل الجزيل . والأجر العظيم الجليل .

هذا ما انتقيناه من الرسالة القشيرية ومن كتاب مصابيح السنة وغيرهما من أحوال السادة الأولياء وما أعطوه من الكرامات والهبات المختلفة . وإن كرامات الأولياء لتربو عن الحصر . وفيما ذكرناه منها مقنع لكل مؤمن صادق الإيمان .

ولتمام النفع أحببنا أن نذكر بعض الدعوات المرجوة الإجابة لينتفع بها الموفقون العاملون . وهاهى فى الصفحات التالية .

الدعوات المرجوة الاجابة
لجميع المطالب

من قرأ قوله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيئاً قدراً) ألف مرة ومرة على طهارة ولم يتكلم مع أحد فى أثناء القراءة قضى الله حاجته أى حاجة كانت من حوائج الدنيا والآخرة .

دعاء للفرج - وهو دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عن جعفر بن محمد قال : حدثنى أبى عن أبيه عن جدة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أحزنه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول: هو دعاء الفرج . وهو : اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكفنى بركنك الذى لا يرام واحفظنى بعزك الذى لا يضام واكلأنى فى الليل وفى النهار وارحمنى بقدرتك على . أنت ثقتى ورجائى . فكم من نعمة أنعمت بها على قل لك بها شكرى . وكم من بلية ابتليتنى بها قل لك بها صبرى . وكم من خطيئة ركبتها فلم تفضحنى . فيامن قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى . ويامن قل عند بلائه صبرى فلم يخذلنى . ويا من رآنى على الخطايا فلم يعاقبنى . يا ذا المعروف الذى لا ينقضى أبداً . ويا ذا الأيادى التى لا تحصى عدداً . ويا ذا الوجه الذى لا يبلى أبداً . ويا ذا النور الذى لا يطفىء سرمداً . أسألك أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت وباركت وترحمت على سيدنا إبراهيم وأن تكفينى شر كل ذى شر بك أدرأ فى نحره وأعوذ بك من شره وأستعينك عليه . اللهم أعنى على دينى بدنياى . وعلى آخرتى بالتقوى . واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين : يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة . اغفر لى مالا يضرك وهب لى مالا ينقصك ، يا إلهى أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلا ، وأسألك العافية من كل بلية وأسألك الشكر على العافية ، وأسألك دوام العافية وأسألك الغنى عن الناس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى

العظيم ، اللهم بك استدفع مكروه ما أنا فيه ، وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين .

دعاء للإمام الشافعي مشهور بالاجابة وهو : اللهم يالطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، فمن واظب عليه كل يوم مائة وإحدى وأربعين مرة كان محفوظا من شر الحوادث .

دعاء آخر للفرج وهو : اللهم أنت لها ولكل عظيمة ففرجها بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فائدة - كل من نزلت به نازلة من مرض أو ظالم أو مصيبة فى الجسد أو المال ورفعها إلى الله تعالى قبل أن يرفعها إلى غيره من ولد وزوجة وأخ وصاحب ونحو ذلك فإن الله تعالى يكشف ما نزل به فى الوقت ، قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى طبقاته : هذا هو الكبريت الأحمر والسر الغريب .

فائدة أخرى - إذا أردت أن تكون الإجابة طوع يدك فصل ركعتين وسلم ثم قل بعد حمد الله والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم : ياقوى من للضعيف غيرك ؟ ياقادر من للعاجز غيرك ؟ يا عزيز من الذليل غيرك ؟ ياغنى من للفقير غيرك ؟ تجد الإجابة ، ذكره ابن عباد فى شرح الحكم .

فائدة أخرى - تقول لأى مطلب تريده : اللهم إنى أسألك بألف أحمد وحاء محمد وميم أحمد ودال محمد أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وأن تفعل لى كذا وكذا ، مجربة نافعة بإذن الله تعالى ، عن سيدى محمد زين العابدين البكرى ، فإن تأخرت الاجابة فإياك واليأس .

فائدة - ذكر الكسائى أن سيدنا نوحاً عليه السلام كان كلما صنع فى السفينة شيئاً تأكله الأرضة ليلا ، فشكا إلى الله تعالى ، فأوحى الله تعالى إليه : اكتب عليها عيونى من خلق ، قال: يارب وما عيونك من خلقك ؟ قال هم أصحاب نبى محمد صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر ، وعمر . وعثمان ، وعلى ، فكتبهم نوح عليه السلام على جوانبها الأربع فحفظت ، بإذن الله تعالى .

فائدة أخرى - فى المتن لسيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه قال : إذا كان لك حاجة إلى الله تعالى فتوسل إليه بسلطان المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فإنه بابه لا يمكن الوصول إليه بدونه ، وإذا كان لك حاجة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فتوسل إليه بوزيريه أبى بكر وعمر ، فإنهما بابه ولا يمكن الوصول إليه بغير وزيريه ومن فاته الأدب حرم الوصول .

وكان الامام الحسين بن الامام على كرم الله وجهه يقول لأولاده : يابنى إذا أصابتكم مصيبة من مصائب الدنيا أو نزلت بكم فاقة أو أمر فادح فليتوضأ وضوءه للصلاة وليصل أربع ركعات أو ركعتين ، فإذا فرغ من صلاته فليقل : يا موضع كل شكوى ، يا سامع كل نجوى ، يا شافى كل بلوى ، ويا عالم كل خفية ، ويا كاشف ما يشاء من بلية ، ويا منجى موسى ، ويا مصطفى محمد ، ويا متخذ إبراهيم خليلا ، أدعوك دعاء من اشتدت فاقته ، وضعفت قوته ، وقلت حيلته ، دعاء الغريق الغريب الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه إلا أنت يا أرحم الراحمين ، سبحانك إنى كنت من الظالمين .

دعاء يقال عند الكرب - وهو عن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : كان إذا أهمه أمر

يرفع يديه إلى السماء ثم يقول : يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التى بها تزيل النعم وأعوذ بك من الذنوب التى بها تحل النقم وأعوذ بك من الذنوب التى بها تثير الأعداء وأعوذ بك من الذنوب التى بها تحبس غيث السماء .

ولتفريج الكرب أيضا قال سيدنا جعفر الصادق رضى الله عنه حين سئل : يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك وكلما حركتها سكن غضب المنصور . بأى شىء كنت تحركها ؟ قال : بدعاء جدى الحسين . قلت: وماهو ياسيدى ؟ قال : اللهم ياعدتى عند شدتى ويا غوثى عند كربتى : احرسنى بعينك التى لاتنام واكنفنى بركنك الذى لايرام وارحمنى بقدرتك على فلاأهلك وأنت رجائى . اللهم إنك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف وأحذر . اللهم بك أدرأ فى نحره وأستعيذ بك من شره إنك على كل شىء قدير قال السائل : فما نزل بى شدة ودعوت به إلا فرج عنى .

دعاء الفرج ـ هو أن تقول : اللهم بحق ماكان بينك وبين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج أن تجعل لنا من همنا الذى نزل بنا فرجا قريبا وأن تقضى حوائجى .

دعاء للضائقة والكرب ـ عن الخضر عليه السلام قال : إذا لحقتك ضائقة أو هم أو كرب فقل : يا لطيفاً بخلقه يا عليماً بخلقه ياخبيراً بخلقه ألطف بى يا لطيف يا عليم يا خبير . ثلاث مرات . ثم قال : هذه تحفة بها غنى الأبد فإذا لحقتك ضائقة او نزلت بك نازلة تقولها تكفى وتشفى بإذن الله تعالى .

لإجابة الدعاء : قال الخضر عليه السلام : من صلى العصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة فقال : يا ألله يارحمن إلى أن تغرب الشمس ثم سأل الله تعالى شيئاً أعطاه إياه .

دعاء للفرج ـ عن الخضر عليه السلام قال : من دعا به مساء أو صباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطايا واستجيب دعاؤه وبسط له فى رزقه وأعطى أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا . ولا يموت إلا شهيداً . وهو هذا تقول : اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك . وانقاد كل شىء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا . اللهم إن عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وستر على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا استوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا المسىء إلى نفسى فيما بينى وبينك . تتودد إلى بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصى . ولكن الثقة بك حملتنى على الجرأة عليك . فعُدْ بفضلك وإحسانك على إنك أنت التواب الرحيم .

وقال إمامنا الشافعى رضى الله عنه : دهمنى فى هذه الأيام أمر أمضنى وآلمنى ولم يطلع عليه غير الله تعالى . فلما كان البارحة أتانى آت فى منامى فقال : يامحمد بن إدريس قل: اللهم إنى لا أملك لنفسى نفعا ولا ضراً ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى ولا أتقى إلا ماوقيتنى .

اللهم وفقني لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية . فلما أصبحت أعددت ذلك ، فلما ترحل النهار أعطانى الله عز وجل طلبتى وسهل لى الخلاص مما كنت فيه .

دعاء للخضر وإلياس عليهما السلام ـ هو : حى يا قيوم روح سمع آذان قلبى أو يانور روح بصر عيون قلبى بحق الفحول عليك يا مروح الأرواح . قال الخضر : هـذا الإلياس . وقال للسامع : اذهب فلن يضرك ما فاتك بعد حفظك لهولاء الـكلمات ، وإياك أن تدعو بها فى شيء من أمر الدنيا .

دعاء لقضاء الحاجة ـ يتوضأ ويحسن وضوءه ويصلى ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى ، اللهم شفعه فى من فعل هذا تقضى حاجته بإذن الله تعالى .

لرفع البلاء النازل ـ من أكثر من الاستغفار ليلا ونهاراً رفع الله عنه البلاء النازل . وأقل الاستغفار الدافع ألف مرة صباحاً وألف مرة مساء .

دعاء للإمام الحسن بن الإمام على كرم الله وجهه : كان عطاء الإمام الحسن كل سنة مائة ألف . فحبسه عنه معاوية فى بعض السنين فحصل له ضيق شديد ، قال الحسن : فدعوت بدواة لأكتب لمعاوية لأذكره نفسى ، ثم أمسكت ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال : كيف أنت ياحسن ؟ فقلت : بخير يا أبت وشكوت إليه تأخير العطاء عنى ، فقال : أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك ؟ قلت : نعم يارسول الله ، وكيف اصنع ؟ فقال : قل : اللهم اقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لاأرجو أحداً غيرك ، اللهم وماضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحداً من الأولين والاخرين من اليقين فخصنى به يارب العالمين يا أرحم الراحمين ، قال : فوالله ما نطقت به أسبوعاً حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف ، فقلت: الحمدلله الذى لاينسى من ذكره ولايخيب من دعاه ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال : يا حسن كيف أنت ؟ فقلت: بخير يا رسول الله وحدثته بحديثى ، فقال : يابنى هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق .

دعاء لكشف الكرب ـ هوأن تقول : اللهم بنورك أهديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت وأمسيت ذنوبى بين يديك أستغفرك وأتوب إليك ياحنان يامنان .

لإجابة الدعاء ـ عن الإمام محب الدين الطبرى قال: رأيت امرأة من الصالحات فى المنام وهى مريضة ورأيت شخصاً يلقى عليها هذا الدعاء فانتبهت وهى تحفظه فدعت به فشفاها الله تعالى : وهو : سبحانك ما أعظمك وتعالى ما أعلاك وعلى فرجى ما أقدرك أنت ثقتى ورجائى فاجعل حسن ظنى فيك دوائى ، قال: ودعا به غيرها فشفى والحمد لله .

ذكر عظيم الشأن ـ قال عنه ابن عربى الحاتمى : دخلت به الخلوة ففتح لى به ، وفيه أسرار عجيبة وأذواق غريبة ، من ذكره كل ليلة سبع مرات وهو فى فراشه وجد له حلاوة فى سره ، وهو هذا : الله معى ، الله ناظر إلى الله شاهد على .

لقضاء الحاجات ـ قال سيدى على الأجهورى : إذا أردت قضاء الحاجة فقل وأنت متوجه إلى حاجتك عشر مرات : اللهم أنت لها ولكل حاجة فاقضها بفضل بسم الله الرحمن الرحيم ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها .

لقضاء الحاجة أيضاً ـ من قرأ سورة الكافرون عشر مرات يوم أحد عند طلوع الشمس وسأل الله تعالى حاجة قضاها له بإذنه تعالى .

لشفاء الأمراض ـ قال محمد بن على بن جعفر الكنانى : كان فى رأسى وجع فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اكتب هذا الدعاء : اللهم بثبوت الربوبية وبعظيم الصمدانية وبسطوات الإلهية وبقدم الجبروتية وبقدرة الوحدانية . قال : فكتبته وجعلته على رأسى فسكن الوجع .

للخلاص من السجن والشدائد : قال موسى الكاظم : بينما أنا فى سجنى نائم أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا موسى حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة فى السجن ، قل : يا سامع كل صوت ويا سائق كل فوت ويا كاسى العظام لحماً ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك العظام وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ياحليماً ذا أناة لايقدر على أناته ، يا ذا المعروف الذى لاينقطع معروفه أبداً ولا تحصى له عدداً فرج عنى ، فأفرج عنه هرون الرشيد وأكرمه .

وروى أن بعض الأخيار الأمناء استودعه بعض الملوك جوهرة نفيسة فوضعها ذلك الأمين فى موضع فى بيته فظفر بها ابن له صغير فضربها بحجر فانكسرت أربع فلق . فدخل على الرجل من الغم والخوف من الملك مالا يطيق ، فعزم على الهرب ، فلقيه شخص فقال له : أراك محزوناً ، فذكر له قصته وما أصابه من الضيق والخوف فعلمه الأبيات الأربعة الآتية وهى :

كم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر ... وفرج كربة القلب الشجى
وكم أمر تساء به صباحا ... وتأتيك المسرة بالعشى
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً ... فثق بالواحد الفرد العلى

وقال له : قلها وكررها فالفرج يأتيك من الله تبارك وتعالى ، ففعل ما أمره به ، فبينما هو كذلك إذا برسول الملك قد جاءه وقال له : إن سرية الملك حدث لها وجع وقال الحكماء لدوائها : تكسر جوهرة أربع فلق وتطرح فى ماء وتشربه ، والملك يقول لك : انظر صانعا عارفا يكسر الجوهرة التى عندك أربع فلق لا تزيد ولا تنقص وأكد عليه فى ذلك ، فقال : سمعا وطاعة وانفرج عنه الكرب والغم وذهب عنه الخوف والهم وحمد الله تعالى وشكره ، ثم حمل تلك الفلق الأربع إلى الملك ، فأنعم عليه وأحسن إليه ، فعاد بالجائزة مسروراً ، فسبحان اللطيف الكريم الرحمن الرحيم ، سبحانه ما أقرب فرجه من المضطرين ورحمته من المحسنين ، تبارك الله رب العالمين .

وقد رأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا الصالح مريضا . فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على مكان المرض وقال : بسم الله ربي الله حسبي الله توكلت على الله اعتصمت بالله فوضت أمرى إلى الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله . ثم قال له : استكثر من قراءة هذه الكلمات فإن فيها شفاء من كل سقم وفرجا من كل كرب ونصراً على كل عدو ، وهى ذكر حملة العرش حين أمروا بحمله .

الأمن من شر الظالم – إذا دخل إنسان على من يخاف شره فليقرأ كهيعص حم عسق وعدد حروف الكلمتين عشرة يعقد لكل حرف أصبعاً من أصابعه يبدأ بإبهام اليد اليمنى ويختم بإبهام يده اليسرى . فإذا فرغ من عقد الأصابع جميعها قرأ فى نفسه سورة الفيل فإذا وصل إلى قوله تعالى : ترميهم يكرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة أصبعاً من الأصابع العشر المعقودة . فإذا فعل ذلك أمن من شره ، وهو عجيب .

دعاء للفرج – عن السيدة عائشة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنت جالسا عند عائشة رضى الله عنها أبشرها بالبراءة . فقالت : والله لقد هجرنى القريب والبعيد حتى هجرتنى الهرة وما عرض على طعام ولا شراب فكنت أرقد وأنا جائعة . فرأيت الليلة فى منامى فتى فقال: مالك حزينة ؟ فقلت مما ذكر الناس فقال : ادعى بهذه الكلمات يفرج عنك . فقلت وما هى ؟ فقال : قولى : يا سابغ النعم يا دافع النقم ويا فارج الغم ، ويا كاشف الظلم ويا أعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا ولى من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية ويامن له اسم بلا كنية اجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً . قالت : فانتبهت وأنا ريانة شبعانة وقد أنزل الله تعالى براءتى وجاءنى الفرج .

للاستعانة والاستغاثة بلطف الله عز وجل تقول : يا لطيف يا خفى بك أستعين أو أستغيث وأكتفى تكرر هذه الجملة بقدر الطاقة فإن الذاكر لها لا يلبث أن يسرع إليه الفرج القريب بقضاء حاجته بإذن الله تعالى .

فى الحديث الشريف : إذا وقعت فى ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فإن الله تعالى يصرف عنك ما شاء من أنواع البلاء ، والورطة بفتح الواو وإسكان الراء الهلاك .

ومن كتب محمد رسول الله . أحمد رسول الله . خمسة وثلاثين مرة يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة على طهارة كاملة وحملها معه رزقه الله تعالى القدرة على الطاعة والمعونة على البركة وكفاه همزات الشياطين ، وإن هو استدام النظر إلى تلك البطاقة كل يوم عند طلوع الشمس وهو يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم كثرت رؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم .

فى كتاب الهواتف لأبى بكر بن أبى الدنيا أن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه لقى الخضر عليه السلام وعلمه الدعاء الآتى وذكر فيه ثوابا عظيما لمن قاله فى دبر كل صلاة ، وهو : يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك .

دعاء الخضر والياس حين اجتماعهما كل عام في الموسم ويفترقان عن هذه الكلمات : بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله . قال ابن عباس : من قالهن حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات أمنه الله من الغرق والحرق والسرق . قال الراوى ، وأحسبه قال : ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب .

دعاء عظيم للكرب — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس : ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب . الله الله ربي لا أشرك به شيئا . ينبغى الإكثار منه عند الكرب والشدائد .

لتسهيل الرزق وبسطه . تقرأ سورة الواقعة بكمالها كل ليلة عند النوم ثم تقول عقبها :

اللهم يا باسط الرزق المقتر لأهله   من بره في برها والماء
يا من تكفل للعباد برزقهم   ولم يدع خلقاً ولو في صخرة صماء
سألتك بالنبي محمد   خير الأنام وسيد الشفعاء
وسع على فإنني متضايق   ما مسنى فقر وأنت غنائى

يا الله أربع مرات . ثم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال الغزالى رضى الله عنه ناظماً فى أسرار فاتحة الكتاب :

إذا ما كنت ملتمسا لرزق   ونيل لقصد من عبد وحر
وتظفر بالذى ترجو سريعا   وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فإن فيها   لما أملت سراً أى سر
فلازم درسها عقبى عشاء   وفى صبح وفى ظهر وعصر
وعقبى مغرب فى كل ليل   إلى التسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عز وجاه   وعظم مهابة وعلو قدر
وستر لا تغيره الليالى   بحادثة من النقصان تجرى
وتوفيق وأفراح دواما   وتأمن من مخاوف كل شر
ومن عرى وجوع وانقطاع   ومن بطش لذى نهى وأمر

وإنا لنرجو من الله تعالى بفضله وكرمه وجوده وإحسانه أن لا يعاملنا بما نستحقه وأن يتفضل علينا بما هو أهله . بمنه وسعة رحمته . إنه سميع الدعاء . مجيب النداء . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيب قلوبنا . ونور عيوننا . محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم أولا وآخرا وظاهراً وباطنا . صلاة يعمنا فضلها . ويدخر لنا عندك ثوابها . يا أرحم الراحمين . يارب العالمين .

وكان الفراغ من كتابة التقييدات المضافة على الأصل مع كتابتها مع الأصل فى اليوم الأول من شهر ربيع الأول من عام اثنين وثمانين وثلاثمائة بعد الألف . من الهجرة النبوية . على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية . آمين .

بيان محتويات كتاب الفوز والنجاة

فى الهجرة إلى الله

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تم فهرس كتاب الفوز والنجاة